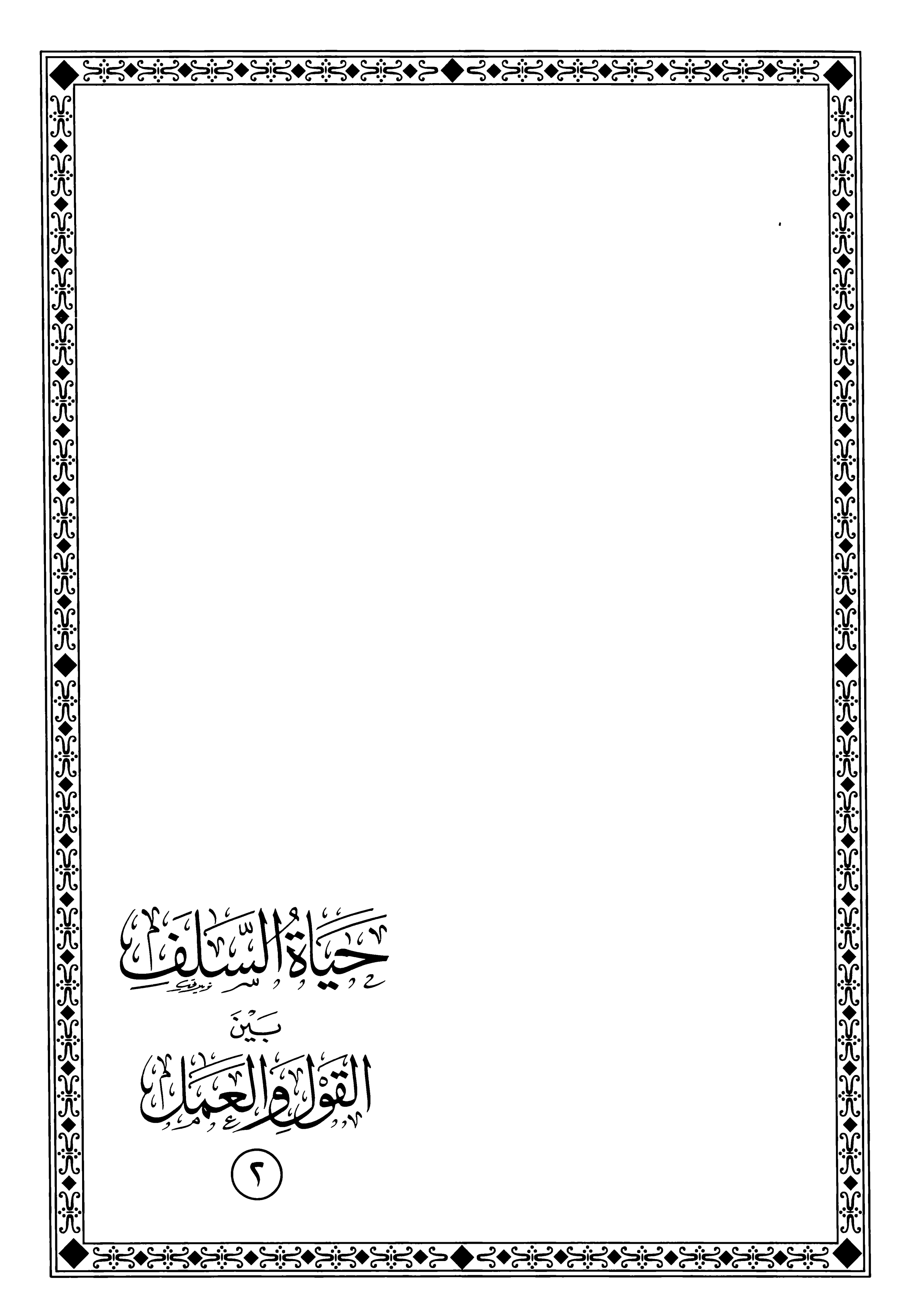
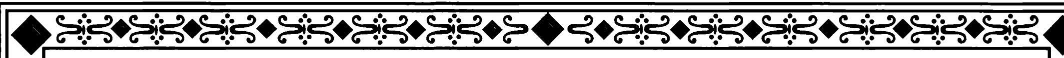

حياة السلف
بين
القول والعمل
تأليف
أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب
جامع عبدالله بن نوفل بالزلفي
امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق
الجزء الثاني
دار ابن الجوزي


حياة السلف
بين
القول والعمل
٢





دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
ibnaljawzi.com

ح **دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

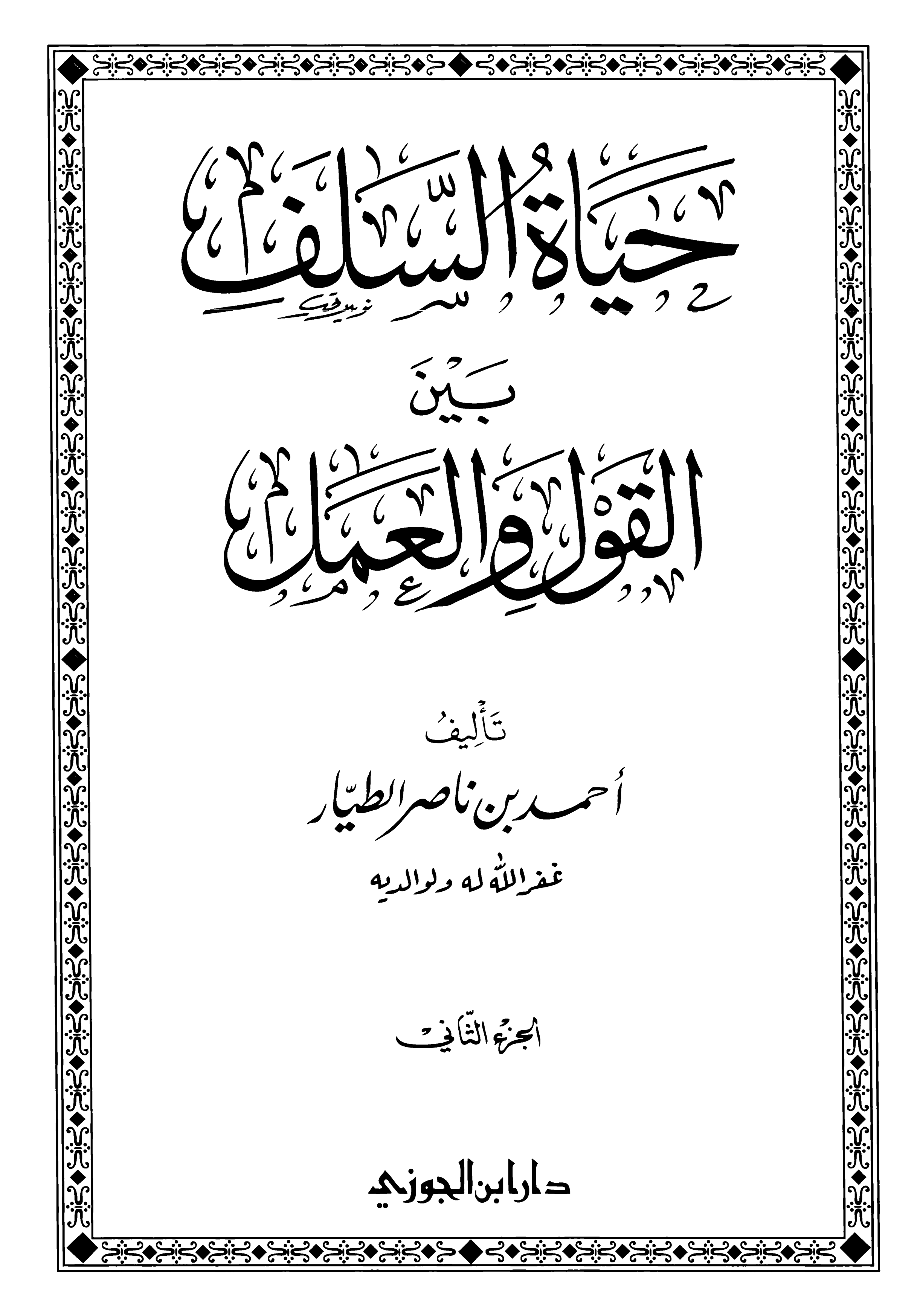
الطيار، أحمد ناصر
حياة السلف بين القول والعمل./أحمد بن ناصر الطيار.- الدمام، ١٤٤٠هـ.
٦٨٨ص؛ ١٧×٢٤سم (ج٢)
ردمك: ١ - ٧٨ - ٨٢٤٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الصحابة والتابعون أ. العنوان
ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٤٠/٤٦٨٦

الطبعة الرابعة
١٤٤٤هـ

امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و(٩٠٠) تعليق

الباركود الدولي: 9786038245781





حياة السلف بين القول والعمل

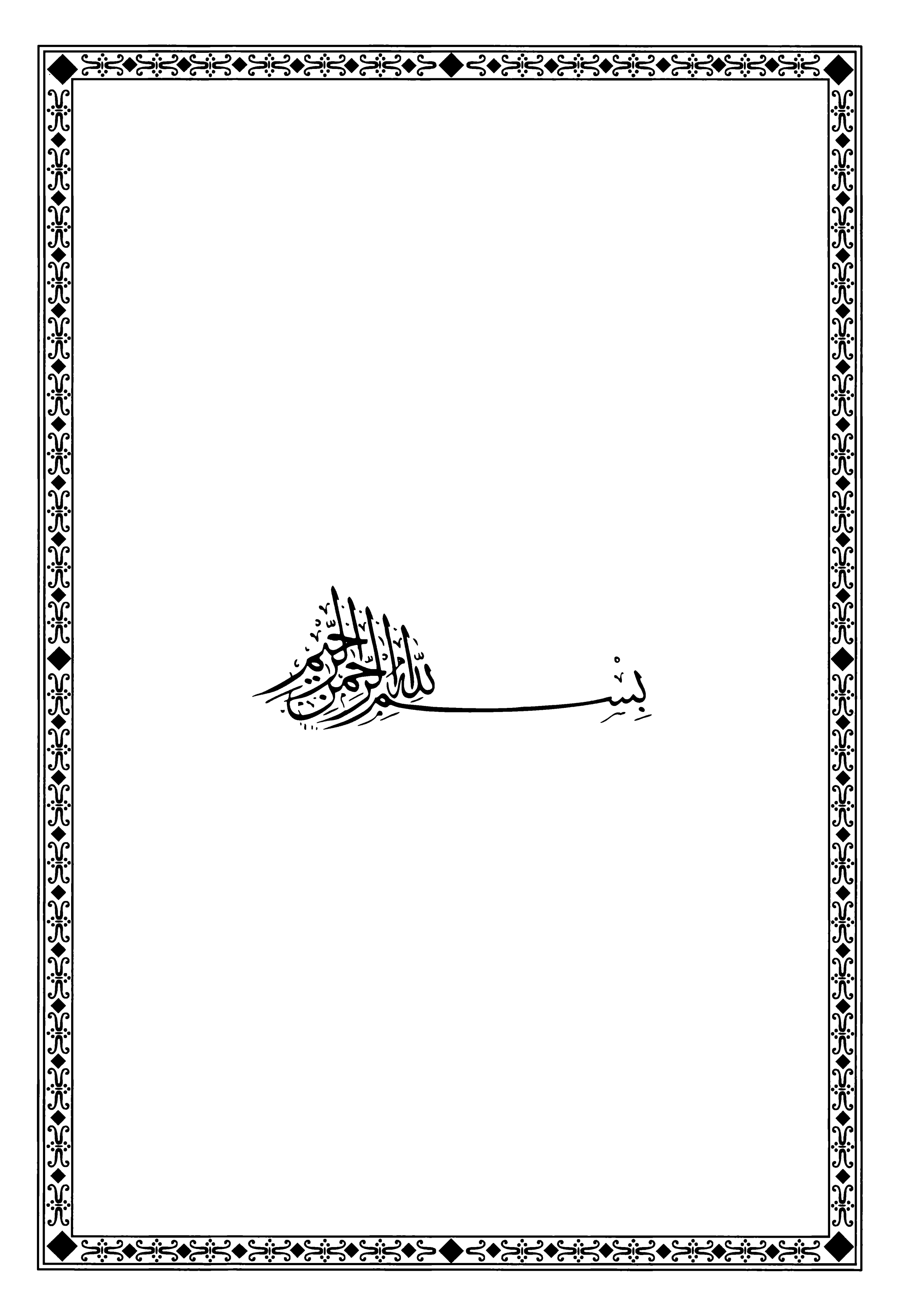
تأليف

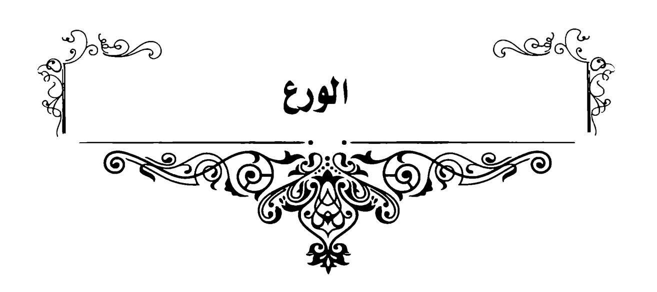
أحمد بن ناصر الطيار

غفر الله له ولوالديه

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم



الورع

أ- أهميّة الورع ومعناه:

* عن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم: الورع. الزهد لأحمد: ٣٦١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩): يقول الناس: فلان الناسك، وإنما الناسك الورع. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٥٤.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): لأن أَرُدَّ درهمًا مِن شُبهة أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائةِ ألف، حتى بلغ ستمائة ألف. صفة الصفوة ٣/ ٣٧٥.

* وقيل **للفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد؟ قال: القُنوع، قيل: ما الوَرع؟ قال: اجتنابُ المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما التَّواضعُ؟ قال: أنْ تخضع للحق، وقال: أشدُّ الورع في اللسان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وقال **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥١): ما شيء أهون علي من الورع إذا رابني شيء تركته. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٤٠.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٩): يجزي قليل الورع عن كثير العمل. تهذيب الحِلْية ٣/ ٥٩.

* وجاء رجل إلى **أبي عبد الرحمن العُمريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٤) فقال: عظني،

فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك: خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: ما تحب أن يكون الله لك غدًا فكن له اليوم. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٨-١٩٩.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: أدركت الناس وهم يتعلمون الورع. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩ واللفظ له، الزهد لوكيع (٢٢٣).

* وعن **ضمرة بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة، فهو عبد الله حقًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٤.

ب- قصص وأخبار السلف في الورع:

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان **لأبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) غلام يُخرج له الخراج[١]، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت[٢] لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه. صحيح البخاري (٣٦٢٩).

* وعن نعيم بن أبي هند، أن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) كان يدفع إلى امرأته طيبًا للمسلمين كانت تبيعه، فتزن فترجح وتنقص فتكسر بأسنانها، فتُقوم لهم الوزن، فعلق بأصبعها منه شيء فقالت بأصبعها في فيها، فمسحت به خمارها، وأن عمر جاء فقال: ما هذه الريح؟ فأخبرته خبرها، فقال: تطيبين بطيب المسلمين! فانتزع خمارها، فجعل يقول بخمارها في التراب ثم يشمه ثم يصب عليها الماء ثم يقول به في التراب، حتى ظن أن ريحه قد ذهبت، ثم جاءتها العطارة

(١) أي: يأتي له بما يكسبه من الخراج، وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه.
(٢) الكهانة: هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي.

مرة أخرى فباعت منها فوزنت لها فعلق بأصبعها منها شيء، فقالت فأصبعها في فيها ثم قالت بأصبعها في التراب، فقالت العطارة: ما هكذا صنعت أول مرة! فقالت: أو ما علمت ما لقيت منه؟ لقيت منه كذا ولقيت كذا وكذا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٩-٢١٠.

* وكانت **لمعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. تهذيب الحِلْية ١٨٤/ ١.

* وجَاءَ رَجُلٌ **لابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فَقَالَ: أَيَصْلُحُ لِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَا تَطُفْ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ **ابْنُ عُمَرَ**: فَقَدْ حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَبِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تَأْخُذَ، أَوْ بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟[١] صحيح مسلم (١٢٣٣).

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) إذا حدّث كأنه يتقي شيئًا، كأنه يحذر شيئًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧١.

* وقال ابن عون: سمعت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، إنما قلت لك: لا أعلم به بأسًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن هشام بن حسان قال: ترك **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأسًا. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وأَعطى ابنُ هبيرة **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث أعطيات، فأبى أن يقبل.

---

(١) هذا ورع منه؛ لئلا يذكر ابن عباس بشيء لم يثبت عنه.

فقيل له: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟.

قال: إنما أعطاني على خير كان يظنه فيَّ، فلئن كنت كما ظن فما ينبغي أن أقبل[1]، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أنه لا يجوز لي أن أقبل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٢.

* وأتي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) بماء قد سخن في فحم الإمارة، فكرهه ولم يتوضأ به. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٢١.

* واشتهى رَحِمَهُ اللَّهُ تفاحًا فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلما جاءه به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب.

فقيل له: يا أمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٢١.

* وأتي رَحِمَهُ اللَّهُ بغنائم مِسك فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تأخذ بأنفك لهذا! قال: إنما يُنتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٩.

* وعن الشعبي قال: جاء رجلان إلى **شريح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٨)، فقال أحدهما: اشتريت من هذا دارًا فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال خذها، فقال: لم! إنما اشتريت الدار، فقال للبائع: خذها أنت، قال: لم! وقد بعته الدار بما فيها، فأدارا الأمر بينهما، فأبيا، فأتى زيادًا فأخبره، فقال: ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي، وقال لشريح: ادخل بيت المال فألق في كل جراب قبضة، حتى يكون للمسلمين، ثم قال للشعبي: كيف ترى الأمير؟.

(١) لأن الخير والطاعة التي عملها ينتظر أجرها من الله لا من غيره.

قال أبو بكر بن عياش: أعجبه ما صنع. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣.

* وقال مطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يستعمل في نفسه ما لا يلتزمه الناس، ويقول: لا يكون العالم عالمًا حتى يكون كذلك، وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لا يكون عليه فيه إثم. ترتيب المدارك (١/ ١٧٢).

* وقَالَ سليمان بْن دَاوُدَ الشاذكوني: رأيت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) أتى فاميًّا[1]، فرهن عنده سَطلًا على شيءٍ يقوته، ثم شاهدته أتاه فِي فكاك الرهن، وقال: أخرِج سَطلي، فأتاه بسَطلين، وقال: قد اشتبه سَطلك عليَّ فخذه منهما، فقال: أنت من السطل فِي حِل ومن الفكاك فِي حِلّ، وانصَرَفَ عنه، فخاصمتُ الفاميّ وقلتُ له: لِمَ حملتَه عَلَى هذا؟ فقال: الذي ناولته هو -والله- سَطله وأنا أعرفه، ولكني أردتُ أن أمتحِنه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٧).

* وأراد **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) الخروج إلى مكة، فاحترق دكان القصار والثياب، فجاء القصار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعي في تأخيره ليدفع إليه قيمة الثياب، فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئًا. تهذيب الحِلْية ١٢٩/ ٣.

* وكتب غلامٌ **لحسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قِبَلك، فاشترى من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا!.

فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إليّ ولم أعلمك فأقِلْني فيما اشتريت منك، قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيَّبته لك.

---

(١) الفامي: هو الذي يبيع الفواكه اليابسة، وما أشبهها، وهو والبقال سواء.
من تعليقات الدكتور المحقق عبدالرحمن العثيمين في الهامش.

فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا، إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع، فما زال به حتى رده عليه. المنتظم ١٥٢/٨.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لا يسلم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال. تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٢.

* وخرج **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إلى بزاز يشتري منه ثوبًا، والبزاز لا يعرفه، قال: وعنده رجل يعرفه، فقال: بكم هذا الثوب؟ قال الرجل: بكذا وكذا، فقال الرجل الذي يعرفه: أحسن إلى ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إنما جئت أشتري بمالي، ولم أجيء أشتري بديني، فقام ولم يشتر. تهذيب الحِلْية ١٦٦/ ٢.

* ودخل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) السوق، فساوم رجلا بثوب، فقال: هو لك بكذا وكذا، والله لو كان غيرك ما أعطيته.

فقال: فعَلْتموها؟.

فما رئي بعدها مشتريا من السوق ولا بائعا حتى لحق بالله عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٥٩٢).

* وكان **أبو عبد الله الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤) لا يشتري خبزه من خباز واحد، ولا بَقْلَه من بقال واحد، كان لا يشترى إلا ممن لا يعرفه، يقول: أخشى أن يحابوني فأكون ممن يعيش بدِينه. البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥.

* وخرج **ابن حامد الورَّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) إلى الحج، فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحرّ الشديد، فجاءه رجلٌ بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقته، اشربْ، فقال: بلى، هذا وقته عند لقاء الله تعالى، فلم يشرب ومات من فوره رَحِمَهُ ٱللَّهُ. البداية والنهاية ٦١/١٢.

* وحكى السمعاني أن الشيخ **أبا إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦) دَخَل إلى بعض المساجد، فأكل شيئًا ثم انصرف، وقد نسي فيه دينارًا، فلمَّا رجع وجده، فأبى أن يأخذه، وقال: لعل هذا سقط من غيري، والذي نسيته أخذه آخذ. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٦).

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ جماعة من أهلي يحكون: أن فِي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة لما وقع النهب ببغداد بالجانب الغربي منها، وَكَانَ فِي داره -أي والده **القاضي أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨)- خبزٌ يابس، فنقله معه، وترك نقل رَحْله لتعذر من يحمله، واختار حمل الخبز اليابس على الرحل النفيس، وكان يقتات مِنْهُ ويبلّه بالماء، وَقَالَ: هَذِهِ الأطعمة اليوم نهوب وغصوب، ولا أطعم من ذَلِكَ شيئا، فبقي ما شاء الله يتقوت من ذَلِكَ الخبز اليابس المبلول، ويتقلَّلُ من طعمه إلى أن نَفد، ولحق الوالدَ السعيدَ من ذَلِكَ الخبز اليابس المبلول مرض. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١٣).

* واشترك **دخيل بن رشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع رجل في شرا نخلة، فخرج هو وشريكه لِلْجَنْي منها، فلما نزل إناء الأمير وفيه الرطب لم يأكل منها، ولما نزل إناء شريكه أخذ يأكل هو وشريكه من إناء الشريك، فأراد شريكه أن يُمازحه وقال: رطبك لم تأكل منه وتأكل من رطبي؟ فقال دخيل: هذا الرطب ليس لي، وإنما هو تبع قصر الإمارة، ولا أبيح لنفسي شيئا منه، وأما رطبك فأنت حاضر، وأعلم أن نفسك طيبة بذلك.

وهكذا يبلغ به الورع والابتعاد عن الشبهات. علماء نجد (٢/ ١٣٨).

ج- التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع:

* سأل رجل **ابن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟

فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا). صحيح البخاري (٥٩٩٤).

* وقال محمد بن إبراهيم الأنماطي: كنتُ عند **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) وبين يديه محبرة، فذكر حديثًا، فاستأذنته في أن أكتب مِن محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا، فهذا وَرعٌ مُظلم.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٢).

* وسئل الإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل يشتري بقلًا، ويشترط الخوصة: يعني التي تربط بها حزمة البقل، فقال أحمد: أيش هذه المسائل؟ قيل له: إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك، فقال أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم، فنعم، هذا يشبه ذاك.[٢] جامع العلوم والحكم / ١٤٤.

* وسأل رجل **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧) عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان بَرَّ أمه في كلّ شيء ولم يبقَ من برّها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرّها بطلاق زوجته، ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل.[٣] جامع العلوم والحكم / ١٤٤.

---

(١) تورّع محمد بن إبراهيم عن الكتابة من المحبرة التي بين يديه، ولم يعرف لمن هي، فطلب أن يكتب من محبرة الإمام أحمد، فلذلك سماه تورّعا مُظلمًا.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وهاهنا أمر ينبغي التفطّن له، وهو أنّ التدقيق في التوقف عن الشبهات إنّما يَصْلُحُ لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعمالُه في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرّمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبَه، فإنه لا يحتمل له ذلك بل يُنكر عليه. كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض. جامع العلوم والحكم / ١٤٤

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع، فإنه أمر من يشتري له سمنًا، فجاء به على ورقة، فأمر بردّ الورقة إلى البائع. جامع العلوم والحكم / ١٤٤

د- الورع في القضاء:

* كان **القاضي عبدالله بن غانم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) يلبس من الثياب أرفعها، ويجعل لخصومات النساء يومًا يجلس فيه للنظر بينهن، فيلبس يومئذ الفرو الخشن، وخَلِقَ الثياب[١]، وينظر ببصره إلى الأرض، فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى، ويُزيل الحُجَّاب والكُتَّاب عنه.

وكان له حظٌّ من صلاة الليل فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه، يقول في مناجاته: يا رب فلان منازع فلانًا وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سألته تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر يعني خيرًا، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه حق له، فإن كنتُ على صواب فثبّتني، وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم سلمني، فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم.[٢] ترتيب المدارك (١/ ٣٤٣).

* وقيل **للقاضي إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): ألا تؤلّف كتابًا في أدب القُضاة؟.

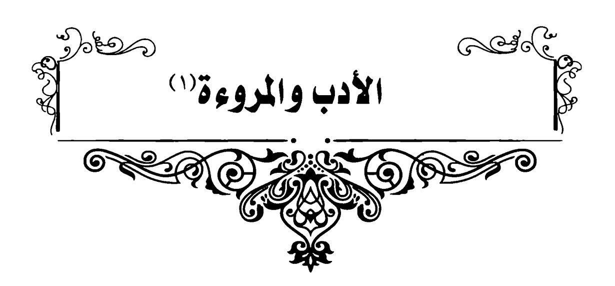
فقال: اعدِل ومدّ رجليك في مجلس القضاء، وهل للقاضي أدبٌ غير الإسلام؟ ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٩).

---

(١) أي: البالية القديمة.

(٢) ما أجمل أدب هذا القاضي، فقد احتاط لنفسه بعدم التجمُّل في اليوم الذي يكون للنساء، وغضّ بصره، وأخرج الحُجَّاب والكُتَّاب عنه لئَلّا يطلعوا على شيءٍ منهن ومن خصوماتهن، ولِئَلا يُصبن بالحرج من سماعهم لهن.

وانظر إلى تعلّقه بالله والتجائه إليه، في أحكامه وقضاياه، ولذلك سلّمه الله وسدَّده وأعانه، وخلّصه مما ابتُلي به بعض القُضاة من الجور والظلم والطمع والانغماس في الترف والدنيا.



الأدب والمروءة[1]

* **عن عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: المروءة: هي مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذمٌّ باستحقاق.

والداعي إلى استسهال ذلك شيئان:

أحدهما: علو الهمة.

والثاني شرف النفس.

أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم وداع إلى التخصيص؛ أنفةً من خمول الضَّعة، واستكبارًا لمهانة النقص.

وأما شرف النفس: فإن به يكون قبولُ التأديب، واستقرارُ التقويم والتهذيب؛ لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مُستحسنة؛ لأنها عليه غير مطْبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثر.

وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه.

وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجتها صادفت طبعًا ملائمًا فنمت واستقرت. أدب الدين (٥١٤-٥١٦)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبَواره. فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نَجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة، والإخلال به مع الأم تأويلا وإقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة. وانظر أدب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصلاة أن يتقدم بين يديه فقال: (ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ) كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٠٩-٢١٠

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وقال **عبد الله بن المبَارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): كاد الأدب يكون ثُلثَي الدِّين[1]. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٩.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: إذا دخلت على قوم فألقوا إليك فاجلس بحيث ألقي لك الوسادة فإن القوم أعلم ببيتهم. الزهد لأحمد: ٥٠٩.

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالْبس ثياب العلم.

فألبستني وعمَّمتني.

ثم قالت لي: اذهب إلى ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه. ترتيب المدارك ١/ ١٣٠.

* وأفتى رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض الشعراء بما لا يوافقه، فقال: لأقطّعن جلدك هِجاءً.

فقال له مالك: يا هذا أتدري ما وصَفْتَ به نفسك؟ وصفتَها بالسَّفه والدناءة، وهما اللذان لا يَعجز عنهما أحد، فإن استطعت فأتِ غيرَهما مما تنقطع دونه الرقاب من الكرم والمروءة. ترتيب المدارك (١/ ١٨٤).

* وقال ابن وَهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثرُ مما تعلمنا من علمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٧.

---

(١) وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأدب هو الدين كله. مدارج السالكين ٣/ ٢٠٠

قلت: الأدبُ مُقدمٌ على العلم والعمل، وسابق عليهما، فإذا قدم الإنسان العلم أو العمل على الأدب: شابَ علَمه وعمَله الكثيرُ من الهوى والفساد.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته إلا حارًّا، وقال: أهل المروءة في جَهْد. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا لهف نفسي على مالٍ أجودُ به ... على المقلّين من أهلِ المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما لستُ أملك إحدى المصيبات

طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال الذهبي: كان يجتمعُ في مجلس **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلَّمون منه حُسْنَ الأدب والسَّمْت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٤٧.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٢٨٣/ ١.

إذا المرء أعيتْه المُروءة ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): لا يعجبنّك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان؛ فإنّ السلطان أوشك[1] أمور الدنيا زوالًا، ولا يعجبنّك أكرام من يكرمك للمال؛ فإنه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال، ولا يعجبنك إكرامهم إياك للنسب؛ فإن الأنساب أقلّ مناقب الخير غناء عن أهلها في الدين والدنيا.

ولكن إذا أُكْرِمْت على دينٍ أو مروءة فذلك فلْيعجبك؛ فإنَّ المروءة لا تزايلك[2] في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. الأدب الكبير (١١٧-١١٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت رجلًا يحدث حديثًا قد علمته، أو يخبر خبرا قد سمعته، فلا تشاركه فيه، ولا تتعقّبه عليه؛ حرصًا على أنْ يعلم الناس أنك قد علمته، فإنَّ في ذلك خفةً وشُحًّا وسوء أدب وسخفًا. الأدب الكبير (٩٨).

(١) أي: أسرع.

(٢) أي: لا تفارقك.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تصاحبن أحدًا وإن استأنست به - أخًا ذا قرابة، أو أخًا ذا مودة، ولا ولدًا ولا والدًا إلا بمروءة، فإن كثيرًا من أهل المروءة قد يحملهم الاسترسال[1] والتبذل[2] على أن يصحبوا كثيرًا من الخلطاء بالإدلال[3] والتهاون والتبذل.

ومن فقد من صاحبه صحبةَ المروءة ووقارها وجلالها: أحدث ذلك له في قلبه رِقَّةَ شأنٍ، وخفّةَ منزلةٍ. الأدب الكبير (٩٨).

* وقال **بعض الحكماء**: الأدب صورة العقل، فصوِّر عقلك كيف شئت. أدب الدين (٣٦٨).

* وقال **بعض الشعراء**:

أُحِبُّ مَكارِمَ الأَخْلاقِ جَهْدِي ... وأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وأَنْ أُعابَا

وأَصْفَحُ عَنْ سِبابِ النَّاسِ حِلْمًا ... وشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا

ومَنْ هابَ الرِّجالَ تَهَيَّبُوهُ ... ومَنْ حَقَرَ الرِّجالَ فلن يُهَابا

أدب الدين (٤٠٢).

* وسئل **بعض الحكماء** عن المروءة فقال: إنصافُ من هو دونك، والسموُّ إلى من هو فوقك. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٧).

* وقالَ **بَعضُ الشُّعراءِ**:

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنفْسكَ حَقَّها ... هَوانًا بِها كانَتْ علَى النَّاسِ أَهْوَنَا

* وقال **الآخر**:

---

(١) أي: لا تفارقك.

(٢) أي: الانبساط والاستئناس.

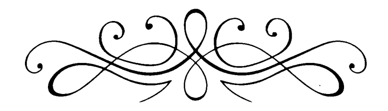
(٣) أي: الاجتراء.

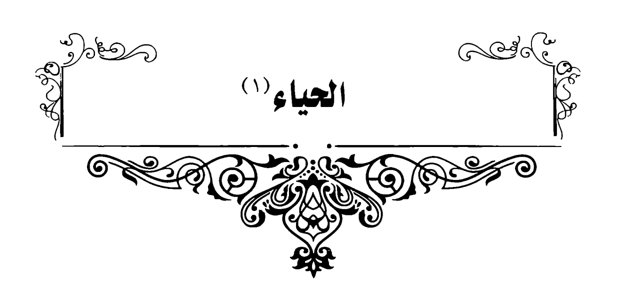
إنَّ الْمُـرُوءَةَ لَيْـسَ يُدْرِكُهَـا امْـرُؤٌ وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَـنْ أبٍ فأَضَاعَهَـا

أمَرَتْـهُ نَفْـسٌ بالدَّنـاءَةِ والْخَنـا ونَهَتْـهُ عَـنْ سُـبُلِ الْعُـلَا فأَطَاعهَـا

فـإِذَا أصَـابَ مِـن الْمَـكَارِمِ خَلَّـةً يَبْنِـي الْكرِيـمُ بِهـا الْمَكارِمَ باعهَـا

أدب الدين (٥١٨-٥١٩).





الحياء[1]

أ- الحياء من الله:

* خطب **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الناس فقال: يا معشر المسلمين استحيوا من الله عَزَّ وَجَلَّ، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياء من ربي عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٧١، الزهد لابن المبارك (٣٠١).

* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال -وذكر **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) وشدة حيائه- فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. تهذيب الحِلْية ٧٦/ ١.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ.. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٦٠٥.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنةٌ تعرف بسماتٍ دالة.

فسمة الخير الحياء، وسمة الشرّ القِحَة والبَذاء.

وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا، وكفى بالقِحَة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا.

وليس لمن سُلب الحياء صادٌّ عن قبيح ولا زاجرٌ عن محظور، فهو يُقْدم على ما يشاء ويأتي ما يهوى، وبذلك جاء الخبر.

قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

أدب الدين (٣٩٤ - ٣٩٥).

* وقال **أبو موسى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي آخذًا ثوبي حياء من ربي عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٥٤.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: ليعظم جلال الله في صدوركم، فلا تذكرونه عند مثل هذا: قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وللحمار والشاة. الزهد لابن المبارك (٢١٠).

* وعن **عبد الله بن أبي الهذيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٢) قال: أدركنا أقوامًا وإن أحدهم يستحيي من الله تعالى في سواد الليل.

قال سفيان: يعني التكشف. تهذيب الحِلْية ٢/١٢٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا استحيى العبد من ربه عَزَّ وَجَلَّ فقد استكمل الخير. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

ب- الحياء من الناس[1]:

* خرج **زيد بن ثابت** (ت: ٤٥) يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا فقيل له: أتستحي من الناس؟ فقال: إنه من لم يستح من الناس لم يستح من الله. الزهد لهناد (٢/ ٦٢٩)، صفة الصفوة ١/ ٣٤٣.

* وعن **سلمان** (ت: ٣٣) قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شرًّا أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا ممقتًا نزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظًّا غليظًا، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان كذلك نزعت ربقة الإسلام من عنقه فكان لعينًا مُلْعَنًا. تهذيب الحِلْية ١/١٦٤.

* وقال **يزيد بن أبي حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٨): من لم يستح من الحلال

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أكمل ما يكون من الحياء: حياء المرء من نفسه، فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة: من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مُسْتَحيًا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحي بإحداهما من الأخرى، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٦٠٨.

خفّت مُؤْنته، وقلّ كبرياؤه.[1] الزهد لابن المبارك (٥٩١).

* وقال **بعض الحكماء**: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال **بعض الشعراء**:

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه ... ولا خير في وجهٍ إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك وإنما ... يدلّ على فعل الكريم حياؤه

وقال **الشاعر**:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء

أدب الدين (٣٩٥).

ج- الحياء من النفس[2]:

* قال **بعض الحكماء**: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

* وقال **بعض الأدباء**: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس

---

(١) فبعض الناس يتحرج من كثير من الحلال؛ كشراء حاجاته من السوق، وهذا باعثه في الغالب الكبر والتكلّف.

وقد كان رسول الله ﷺ: يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويلعق أصابعه بعد الأكل، ويأكل على الأرض، ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وتأخذ الأمة بيده فتنطلق به حيث شاءت.

هذا وهو أطهر وأفضل وأكرم البشر.

الشافع لهم يوم الكرب الأعظم.

وأول من يدخل الجنة.

(٢) حياء المرء من نفسه: هو حياء النُّفوس الشريفة العزيزة مِن رضاها لنفسها بالنقص وقَنَعِها بالدُّون، فيجد نفسه مستحييًا من نفسه، حتّى كأنَّ له نفسان، يستحيي بإحداهما من الأخرى.

وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإنَّ العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.

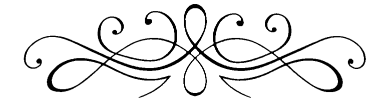
مدارج السالكين (٢/ ٦٢٠)

لنفسه عنده قدر.

* وقال بعض الشعراء:

فسـرِّي كإعـلاني وتلـك خليْقَتـي وظلمـةُ ليلـي مثـلُ ضـوء نهـاري

أدب الدين (٣٩٩).





الكرم، والجود، والإيثار

* قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسلم **أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) وله أربعون ألف درهم، فأخبرتني عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: توفي أبو بكر ولم يترك دينارا ولا درهما. الزهد لأحمد: ٢١٤، الزهد لأبي داود (٥٨).

* وأخذ **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) أربعمائة دينار، فجعلها في صرَّة، فقال للغلام اذهب بها إلى **أبي عبيدة بن الجراح** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨).

فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالَيْ يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى **معاذ بن جبل** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨)، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووصله، تعالَيْ يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأته، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطِنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض. الزهد لابن المبارك (٤٧٢).

* وكان أبو موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول لولده: اذكروا **صاحب الرغيف**،

ثم ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل عبدَ الله سبعين سنة، ثم إن الشيطان حسَّن في عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيامٍ، ثم خرج هاربًا فأقام مع مساكين فتُصُدِّق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريده، فآثره به ثم مات، فوِزن عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته، ثُمّ وُزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها. اختيار الأولى لابن رجب (٧٦) وصححه في جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢١).

* وعن سعدى بنت عوف امرأة **طلحة بن عبيد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قالت: لقد تصدق طلحة يومًا بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه. تهذيب الحِلْية ٩١/ ١.

* وكان **للزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. تهذيب الحِلْية ٩٢/ ١.

* وكان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيثة، فقال: إني سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ قال في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وإني والله إن كنت لأحبّك في الدنيا، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

* وعن نافع قال: كان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اشتد عُجبه بشيء من ماله قرّبه لربه عَزَّ وَجَلَّ.

قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعْنا له. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

* ولما اشتكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتهى حوتًا فصُنع له، فلما وُضع بين يديه جاء سائل فقال: أعطوه الحوت فقالت امرأته: نعطيه درهمًا فهو أنفع له من هذا، واقْض أنت شهوتك منه، فقال: شهوتي ما أريد. الزهد لهناد (٦٣٥)، صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

* واشتكى يوما، فاشتَرى له عنقودًا بدرهم، فأتاه مسكين يسأل، فقال: «أعطوه إياه»، فخالف إنسان، فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه، فلو علم ابن عمر بذلك العنقود لما ذاقَه. الزهد لابن المبارك (٧٣١).

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفًا، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم. تهذيب الحِلْية ١/٢١٢.

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة، فسمع بكاء مسكين، فأخذ نصيبه من اللحم والخبز فدفعه إليه، ورجع إلى مكانه وقد فرغوا مما في الجفنة ثم يصبح صائما. الزهد لأبي داود (٢٦٥).

* وأُتي بعشرين ألفًا، فما قام من مجلسه حتى أعطاها. الزهد لأبي داود (٢٦٧).

* وقال **بعضهم**:

اشْتر العزَّ بما شئْت	**فَما العِزُّ بِغَالِ**
بالقصارِ الصُّفْرِ إن شئتَ	**أو السُّمْرِ الطِّوالِ**
ليس بالمَغبونِ عقلًا	**مَن شرَى عِزّا بمالِ**
إنما يُدَّخَرُ المالُ	**لحاجاتِ الرجالِ**
والفتى مَن جعَل الأموالَ	**أثمَانَ المعاليَ**

البداية والنهاية ١٢/ ٧٠.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إني لأستحي من الرجل يطأ بساطي

ثلاث مرات ثم لا يُرى عليه أثر من آثار بِرِّي. المنتظم ٧٤/٦.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ثلاثة لا أكافئهم:**

رجل وسع لي في المجلس لا أقدر أن أكافئه ولو خرجت له من جميع ما أملك.

والثاني من اغبرت قدماه بالاختلاف إلي فإني لا أقدر أن أكافئه ولو قطرت له من دمي.

والثالث لا أقدر أكافئه حتى يكافئه رب العالمين عني من أنزل بي الحاجة لم يجد لها موضعا غيري. شعب الإيمان (١٠٣٨٢).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صاحبُ المعروفِ لا يقَعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً.

هذا نحوُ قول النَّبيِّ ﷺ: «**المعروف يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**». عيون الأخبار ٣/ ١٧٧.

* وعن أبي حازم قال: انصرفت من العصر إلى **سهل بن سعد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩١)، -وكان صائما- فلما أمسى قلت لغلامه: هات فطره، قال: ما عنده شيء[1]، قال: فتمر، قال: ولا تمر، قال: فجعلت أسبه، وأقول: شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ضيعته؟.

قال: وما ذنبي؟ فتح اليوم خزانته فما ترك فيها بُرَّة ولا شعيرة إلا قسمه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٦.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): إذا جعل أحدكم لله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا، فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أكرم الكرماء، وأحق من اخْتِير له. صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

---

(١) في الأصل:...... علامة على أن الكلام في النسخة غير واضح.

* وقال الشاعر:

أَفْسَدْتَ بالْمَنِّ ما أَسْدَيْتَ مِن حَسَنٍ ... لَيسَ الكرِيمُ إذا أَسْدَى بِمَنَّانِ

أدب الدين (٣٢٨).

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

إذاالجُودُلم يُرْزَقْ خَلاصًا من الأذَى ... فَلاالحَمدُ مكسوبًا وَلا المالُ باقِيَا[1]

ديوان المتنبي (٢٧٢).

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيرهِ وسَترِه[2]. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٧.

وقال الشاعر:

إنّ الحوائج ربما أزرى بها ... عند الذي تُقضَى له تطْويلُها

فإذا ضمنت لصاحبٍ لك حاجةً ... فاعلم بأنّ تمامَها تعجيلُها

أدب الدين (٣١٦).

وقال الآخر:

زادَ مَعْروفَك عندي عِظَمًا ... أنَّهُ عِنْدكَ مَحْقُورٌ صَغيرُ

تتناساهُ كأنْ لمْ تأتِهِ ... وهْو عند الناسِ مَشهورٌ كبيرُ

عيون الأخبار ٣/ ١٧٨.

---

(١) شبه (لا) بـ(ليس) في نصب الخبر؛ فلهذا نصب مكسوبًا وباقيًا.

يقول: إذا لم يكون الجود خالصًا من الأذى، وما يكدره من المن والتكدير، فلم يكسب فاعله حمدًا، وذهب ماله هدرًا.

(٢) نقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام وجعله من كلام ابن عباس وقال: يعني أن تعجَّلَ العطِيَّةُ للمُعطَى، وأن تصْغُرَ في عينِ المُعْطِي، وأن تسترَها عن النَّاسِ فلا تُظهِرَها؛ فإنَّ في إظهارِها فتح بابِ الرياءِ وكسرَ قلبِ المُعْطى، واستحياءَه من النَّاسِ. البداية والنهاية ٩/ ١٠٠.

* وقال **بَعْضُ الْحُكماءِ**: إذا اصْطَنَعْتَ الْمعْروفَ فاسْتُرْه، وإِذا اصْطُنِعَ إِلَيْكَ فانْشُرْه. تفسير القرطبي (٤/ ٣٦٢).

* وكانت غلة **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) في زيتونه خمسمائة دينار في السنة، فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٤).

* وقال **الشاعر**:

ويُظهر عيبَ المرء في الناس بخلُه ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه

تغطَّ بأثواب السخاء فإنني ... أرى كلَّ عيب فالسخاء غطاؤه

أدب الدين (٢٩٦).

* وحُكي أنَّ أبا بكْرِ بْن دُريدٍ قصَدَ بعضَ الوُزراءِ فِي حَاجةٍ فلم يَقْضهَا له وظَهرَ له منه ضجَرٌ، فقال:

لا تَدخُلَنَّك ضَجْرَةٌ مِنْ سائِلٍ ... فلِخَيْرِ دهْرِك أنْ تُرَى مَسْئُولَا

لَا تَجْبَهنْ[1] بالرَّدِّ وجْهَ مُؤَمِّلٍ ... فَبقَاءُ عِزِّك أنْ تُرَى مَأْمُولَا

تَلْقَى الكرِيمَ فَتسْتَدِلُّ بِبِشْرِهِ ... وتَرَى الْعُبُوسَ علَى اللَّئِيمِ دَلِيلَا

واعْلَمْ بأَنَّك عَن قَليلٍ صَائِرٌ ... خَبَرًا فكُنْ خبَرًا يَرُوقُ جَمِيلَا

أدب الدين (٣١٣).

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يُبخَّل فلما مات، وجدوه يَقُوت مائة أهل بيت بالمدينة. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* وكان ناس من أهل المدينة يَعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

---

(١) أي: لا تواجه.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل جرابَ الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به، ويقول: إن صدقة السرّ تطفئ غضَب الربّ عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* ولما مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ فغسَّلوه جعلوا ينظرون إلى آثارٍ سُود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلًا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

* وقال **الشاعر**:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد الْمُفْضَى إليه الْمُعمَّمُ

ولم يعطهم شيئًا أبوا أن يسودَهم ... وهَان عليهم زعمُه وهْو ألْوَمُ

* وقال **المهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): العجب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. الكامل في اللغة / ٤١٣.

* وقال **بعضهم**:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد الْمُفْضَى إليه الْمُعمَّمُ

ولم يعطهم شيئًا أبوا أن يسودَهم ... وهَان عليهم زعمُه وهْو ألْوَمُ

البيان والتبيين ٣/ ٤٥٦.

* وباع **عبد الله بنُ عتبةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) أرضا بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذتَ لولدك من هذا المال ذُخْرًا!.

قال: أنا أجعلُ هذا المالَ ذخرًا لي عند الله وأجعلُ الله ذخرًا لولدي، وقَسمَ المالَ. عيون الأخبار ٣٨٤/ ١.

* وقال **الشاعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: -عيون الأخبار ٣٩٠/ ١-.

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إلى أمور ... ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالِي

فنفسِي لا تُطاوِعُني ببخلٍ ... ومالي لا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لئن أتصدق بدرهم في حياتي، أحب إليّ من أن يُتَصَدق عني بعد موتي بمائة درهم. تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٢.

* وقال بعضهم:

تــراه إذا مــا جِئْتَــه مُتَهَلِّــلاً ... كأنكَ تُعطِيهِ الذي أنتَ سَائِلُهْ

عيون الأخبار ٣٩١/ ١.

* وقال بعضهم:

ومِـن تَكرُّمهـمْ في المَحْـلِ أنّهـمُ ... لا يَحْسَـبُ الجارُ فيهم أنـه جارُ

عيون الأخبار ٣٩١/ ١.

* وقال الشاعر:

فإن يَقْتسِمْ مالي بَنِيَّ ونسوَتي ... فلن يَقْسِمُوا خُلْقِي الكريمَ ولا فعلي

وما وجدَ الأضيافُ فيما يَنُوبُهُمْ ... لهم عند عِلاَّت النفوس أبًا مِثْلي

أُهِينُ لهم مالي وأعْلَمُ أنّني ... سَأُورِثُه الأحياءَ سِيرةَ مَنْ قَبلي

عيون الأخبار ٣٩٣/ ١.

* وجاء رجلٌ إلى **شُرَيح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨): يَستقرِضُ دراهمَ؛ فقال له شريحٌ: حاجتُك عندنا فأْتِ منزلَكَ فإنّها ستأتيكَ، إنّي لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها. عيون الأخبار ٣/ ١٩٢.

* وجاء سائل يسأل على باب **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) فقال: أطعموا هذا السائل سكرًا، فقال أهله: إنما يريد نطعمه كسرة، قال: أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر. الزهد لأحمد: ٥٤٩.

* ومرّ **الحسنُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) برجلٍ يقلّب درهمًا، فقال له: أتُحِبّ دِرهَمك هذا؟ قال: نعم، قال: أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك. عيون الأخبار ٣/ ١٨٢.

* وقال **أبو عبدالله المهدي** (ت: ١٦٩): ما توسل أحد بوسيلة ولا تذرع

بذريعة هي أقرب إلي وأحب من أن يذكرني يدًا سلفت مني إليه أتبعها أختها وأحسن ربها، لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.[1] المنتظم ٨/٢١٠.

* وعن عبد الله بن صالح قال: صحبت **الليث بن سعد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٥) عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى وحده إلا مع الناس. تهذيب الحِلْية ٢/٤٤٧.

* وكان دخْل **الليث بن سعد** رَحِمَهُ اللَّهُ في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله تعالى عليه درهمًا بزكاة قط. تهذيب الحِلْية ٢/٤٤٨.

* وقام رجل من مجلس **خالد بن عبد الله القسريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٦)، فقال خالد: إني لأُبغِض هذا الرجل وما له إليّ ذنب. فقال رجل من القوم. أَوْلِهِ أيّها الأمير معروفًا، ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه. عيون الأخبار ٣/ ١٧٨.

* وقال رجل **لابن شُبْرُمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا. فقال: لا خيرَ في المعروف إذا أُحصِيَ. عيون الأخبار ٣/ ١٧٩.

* وكان يقال: بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف. عيون الأخبار ٣/ ١٧٩.

* وقال **ابن المقفع** (ت: ١٤٤): الجود بالمَجْهود منتهى الجود. البيان والتبيين ٣/ ٥٠٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: أحدُهم يَحْقِر الشيءَ فيأتي ما هو شرٌّ منه -يعني المنع-. عيون الأخبار ٣/ ١٨٠.

* وقال بعضهم:

منْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدمْ جوازيَه ... لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

عيون الأخبار ٣/ ١٨١.

---

(١) نسب ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في عيون الأخبار ٣/ ١٧٨ هذا الكلام لجعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

* وأمر الرشيد **لمحمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراجًا باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة، حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها، فأخبر سراج الرشيد بذاك فقال: لهذا فرغ همه وقوي متنه. تهذيب الحِلْية ٣/١٣٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

وَأَحْسِنْ إِلَى الإِخْوَانِ تَمْلِك رِقَابَهُمْ ... فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَال اكْتِسَابُهَا

ديوان الشافعي (٤١).

* وصدق **القائل**:

أحسنْ إلى الناسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهمُ ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إِحسانُ

من جادَ بالمالِ مالَ الناسُ قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسانِ فتانُ

أَحْسِنْ إِذا كانَ إِمكانٌ وَمَقْدِرَةٌ ... فلن يدومَ على الإِنسانِ إِمكانُ

* وقال **الشاعر**:

ظِلُّ الفتى يَنْفعُ مَنْ دُونهُ ... وما لهُ في ظلِّهِ حَظُّ[1]

أدب الدين (٣٢٩).

* وجاء رجل إلى **عبدالله بن أبي حسان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧) فأعلمه أن داره تهدَّمت، وشاوره في بنيانها، ومن يبني عنده، فدفع ابن أبي حسان إليه ثلاثين دينارًا، وقال: استعن بها على بنائك.

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من المعروف ما لا كلفة على موليه، ولا مشقة على مسديه، وإنما هو جاه يستظل به الأدنى ويرتفق به التابع. أدب الدين (٣٢٩)

قلت: ومثال ذلك: عبارات الثناء والمدح الصادقة لمن يستحقها، فلا كلفة على قائلها، وهي جاه يستظلّ بها من قيلت له، تزيده همة ونشاطًا، وتدفعه للنجاح والعمل دفعًا.

فقال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته!.

قال: لست ببنَّاء، وإنما تعرَّض لمعروفي.[1] ترتيب المدارك (١/ ٥١٣).

* وقَالَ إِسْمَاعِيل بْن العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دعاني الكلوذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقدَّم إلينا طعاما كثيرًا، وكان فِي القوم **أَحْمَد بن حنبل** (ت: ٢٤١)، وَيَحْيَى بْن معين، وأبو خيثمة، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وجماعة، فقدَّم لوزينج[2] أنفق عليها ثمانين درهمًا، فقال أبو خيثمة: هذا إسراف، فقال أَحْمَد: لا، لو أنّ الدنيا جمعت حتى تكون فِي مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم، فوضعها فِي فم أخيه المسلم؛ لما كان مسرفًا، فقال يَحْيَى بن معين: صدقت يا أبا عبدالله. طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٩).

* وقَالَ حبيش بْن مبشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قعدتُ مع أَحْمَد بن حنبل وَيَحْيَى بْن معين** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **والناس متوافرون**، فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٢).

* وحملَ **ابنَ الفرّاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٠) بذلُ يده، وكرم طبعه على أنه استَدان ما لا يمكنه الوفاء، فغلبه الأمر حتى باع مُعظم كتبه، وخرج عن يده أكثر أملاكه، واختفى في بيته لِما فدعه من الديون.[3] ذيل الطبقات (٢/ ٣٣٨).

* وكان **أبو عبدالله بن أبي ذهل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٨) كثير الصدقة والإحسان إلى المستورين من أهل العلم، وكان ذا ثروة، ومروءة، وأخلاقٍ جميلة، وكان يُصِرُّ الدينار الثقيل في الكاغد[4]، ويدفعه إلى الفقير، ويقول: إني لَأُسَرُّ له إذا ظن

---

(١) هذا من ذكائه وكرمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) اللوزينج: من الحلويات شبه القطائف، تُؤْدم بدهن اللوز.

(٣) وهذا حال بعض الناس، يتكلَّف الكرم، فيستدين، ولا يزال كذلك حتى تتراكم عليه الديون، ثم يُبتلى بالفقر، ويُطالبه الناس بحقوقهم، وتعتريه الهموم من كل جانب، ولا يزال كذلك حتى يمل من الحياة، وتعظم مشاكله مع الناس ومع أهله.

(٤) أي: الوَرَق.

أنه وَرِقٌ[1] فإذا هو ذهب.[2] طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

* وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١):

يَدُ المعروف غُنْمٌ حيث كانت تحمَّلها شكورٌ أو كفور

ففي شُكْرِ الشَّكور لها جزاءٌ وعند الله ما كفَرَ الكَفُور

الآداب الشرعية ١/ ٢٣٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مرض **نظام الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٥) فكان يداوي نفسه بالصدقة، فيجتمع عنده خلق من الضعفاء فيتصدق عليهم، فعوفي. المنتظم ٢٩٨/ ١٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو الحارس الأولاسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) شابًّا يغني في أول أمره وقال: بينا أنا في غَفْلتي رأيت عليلًا مطروحًا على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تَشتَهي شيئًا؟ قال: نعم رمّانًا. فجِئْته برمّان، فلما وضعتُه بين يديه رفع بصره، وقال: تاب الله عليك، فما أمسيتُ حتى تغّير قلبي عما كنت عليه. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٥.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: فعل الخير مع الأشرار تقويةٌ لهم على الأخيار، كما لا ينبغي أن يُحرَم الخيرُ أهله لا ينبغي أن يُحرَم الخيرُ حقّه، فإن وضع الخير في غير محلّه ظلمٌ للخير، كما قيل: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها، كذلك البِرُّ والإنعام مُفْسد لقوم حسب ما يفسد الحرمان قوما، فهو كالنار كلما أُطِيب لها مأكلا سَطَت فأفسدت، قال المتنبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) أي: فضة.

(٢) يتفنن في إدخال السرور على قلوب الفقراء، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ووضعُ النَّدى في موضع السيف بالعلا   مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

فالسياسة الكلية افتقاد محال الإنعام قبل الإنعام. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٥.

* وقالوا: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٩.

* وقال الحافظ ابن فضل الله العُمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت تأتيه - أي: **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) - القَناطيرُ المقنطرةُ من الذهب والفضة والخيلِ المُسَوَّمةِ والأنعامِ والحرثِ، فيَهَبُه بأجمعِه، ويَضعُه عند أهل الحاجةِ في موضعِه، لا يأخذ منه شيئًا إلاَّ ليهَبه، ولا يَحفظُه إلاَّ ليُذْهِبَه كُلَّه في سبيل البرّ، وطريق أهلِ التواضع لا أهلِ الكِبْر، لم يَمِلْ به حُبُّ الشهوات، ولا حُبِّبَ إليه من ثلاثِ الدنيا غير الصلاة. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/ ٦٩٥).

* وكان يجيئه من المال في كلّ سنة ما لا يكاد يُحصى، فيُنفقه جميعه آلافًا ومئين، لا يلتمس منه درهمًا بيده، ولا يُنفقه في حاجته، بل كان إذا لم يقدر يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل. ثلاثة كتب في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية: ٧٤.

* وكان الشيخ **منصور البهوتي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥١) في كل ليلةِ جُمعة يجعل ضيافة ويدعو جماعته المقادسة، وإذا مرض أحدٌ منهم عادَهُ، وأخذه إلى بيته ومرَّضه إلى أنْ يُشفى، وكان الناس تأتيه بالصَّدَقات فيُفرّقها على طلبته في المجلس، ولا يأخذ منها شيئًا. السحب الوابلة (٣/ ١١٣٣).

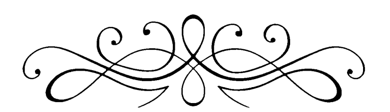
* وكان الشيخ **إبراهيم بن حمد بن جاسر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣٤) سخيًّا جدا، بحيث إنه يأتيه المال الكثير فلا تغرب شمس يومه ذلك إلا وقد فرّقه بين تلاميذه ومستحقيه، لا يدّخر لنفسه شيئًا من ذلك، وكان ربما يأتيه الفقير يسأله فلا يجد ما يعطيه، فيعطيه أحدَ ثيابه إذا كان عليه ثوبان.

ووجد يوما فقيرًا في المسجد في الشتاء في شدة البرد وهو يرتعش من البرد، فأعطاه عباءته التي على ظهره، ورجع إلى بيته بدون عباءةٍ، وكان محبًّا للفقراء والمساكين، منبسطا إليهم واصلا لهم، ليّن الجانب جدًّا، لا يخلو بيته يوما من الفقراء، ولا يأكل طعامه وحده، بل يجتمع عليه من الخمسة إلى العشرين في كل وجبة. علماء نجد (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

* وكان الشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤١٤) متواضعا، طليق الوجه بشوشا، يُحادث طلابه ويُجاذبهم أطراف الحديث بما يُؤنسهم ويقلّل الهيبة منهم له، كما كان لطيفا يُكرم زوَّاره ويرحب بهم مهما كان مستواهم في مجتمعهم.

وكان كريما جوادًا طبعا لا تطبُّعا، وسجية لا استكراها، فكان يبذل ما يستطيع من جهده وماله ووقته بلا منٍّ ولا أذى، وإنما بطيب نفس وإيثار.

وكان عطوفًا رحيما بكلّ ذي روح، لاسيما الضعاف من الصغار والكبار، والمعوزين والمحتاجين، فكان يبذل في ذلك كلّ ما يملك. علماء نجد (٤/ ٤٨).





التواضع وذم الكبر(١)

* خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) في يوم حار واضعا رداءه على رأسه قال: فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار، فقال: اركب يا أمير المؤمنين قال: لا، اركب، وأركبُ أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الخشن، وتركب على المكان الوطيء؟، ولكن اركب أنت، وأكون أنا خلفك، قال: فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٦.

* ولما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية

---

(١) أصل التواضع: ما كان في القلب لا ما كان في الظاهر، فليس التواضع بنزول الإنسان إلى من هو أقلّ وأدنى منه، ولكن بألا يرى في نفسه ما يُميّزها عن غيرها لتنزل إليهم، فيتعاملُ مع الصغير والفقير مُعاملةَ الأخ مع أخيه والصديق مع صديقِه.

فشعورُه بأنّه متواضعٌ عند تعامله مع من هو أقل منه- في الظاهر- دليلٌ على أنّه يرى نفسه أرفع منه، ومن أخبره بذلك؟ فهذا نوعٌ من الترفع الخفيّ.

بل إنَّ التظاهر بالتواضع نوعٌ من الكبر، والمتواضع حقًّا لا يتصنّع، والمبالغة في ذمّ الإنسان نفسه ليس محمودًا، والغالب أنّ صاحبه لا يسلم من الكبر، وعلامة ذلك: أنه لو نقده أحدٌ بمثل ما نقد نفسه لَمَا رضي بذلك، وكرهه واسْتثقله وربما ردّ عليه وخاصمه!

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء. شرح حديث «ما ذئبان جائعان» ص٨٨ مجموع رسائله.

والتواضع مع الجهل والبخل والجُبن أحمد وأسلم وأحسن من الكبر مع الأدب والسخاء والشجاعة.

من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله، فلما لقيه البشير سأله: من أين جاء؟ فأخبره، قال: يا عبد الله، أخبرني، قال: هزم الله العدو، وعمر يحث معه ويستخبره، والبشير يسير يحث ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا عليك يا أخي. المنتظم ١٧٨-١٧٩/ ٤.

* ولما قدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام عرضت له مخاضةٌ[١]، فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه ونزع مُوقيه[٢] فأخذهما بيديه وخاض الماء، فقال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صنعت اليوم صنيعًا عظيما عند أهل الأرض!.

فصك عمر في صدره فقال: إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفَه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلّكم. الزهد لابن المبارك (٥٣٩)، الزهد لأبي داود (٨٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمتَه، فهو في نفسه صغير أو فقير وفي أنفس الناس كبير.

وإن العبد إذا تكبر وعدا طوره[٣] وضعه الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير، حتى أنه أحقر وأصغر في أعين الناس من الخنزير. الزهد لأبي داود (٨٥).

* وعن أَبي المِنْهَالِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ **البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ** (ت: ٧١) **وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ** (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الصَّرْفِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلاَهُمَا يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالوَرِقِ دَيْنًا».[٤] صحيح

---

(١) الْمَخاضَة: مكان ضحل الماء يخوضه النَّاس مشاةً أو رُكبانًا.

(٢) أي: خفّيه.

(٣) أي: تجاوز حدّه.

(٤) من عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: رجوع بعضهم إلى بعض عند الفتوى، ومعرف الواحد منهم قدر=

البخاري (٢١٨٠).

* وأَتَى سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ **ابْنَ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. صحيح مسلم (٧٤٦).

* وسُئِلَ **أَبُو مُوسَى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) عَنْ رجلٍ مات عن بِنْتٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ (ت: ٣٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ».

فَأَتَوا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَروه بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ.[1] صحيح البخاري (٦٧٣٦).

* وكان **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) أميرًا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام، ومعه حِمل تُبْنٍ وعلى سلمان أنْدرا ورْدٍ، وعباءة، فقال لسلمان: تعالَ احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى:

=من هو أعلم منه، والتصريح بفضله وعلمه، والرجوع إلى قوله إذا ظهر له رجحانه، ويُحيل السائل إلى من هو أعلم منه، ويُشير عليه بأن يستفتيه إنْ رآه أهلًا لذلك.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْحَدِيثِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنَ التَّوَاضُعِ وَإِنْصَافِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَمَعْرِفَةِ أَحَدِهِمْ حَقَّ الْآخَرِ، وَاسْتِظْهَارُ الْعَالِمِ فِي الْفُتْيَا بِنَظِيرِهِ فِي الْعِلْمِ. ا.ه فتح الباري ٤/ ٤٨٣.

(١) قَالَ ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالِاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَشَهَادَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالْعلمِ وَالْفضل. ا.ه شرح ابن بطال للبخاري ٨/ ٣٥٠.

إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

* وقال **عتبة بن غزوان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا. صحيح مسلم (٢٩٦٧).

* وأقبل **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسِع الطريقَ للأمير. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

* وخرج **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) ذات يوم، فاتّبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالو: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلّة للتابع، وفتنة للمتبوع. مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣١٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من تطاول تعظّما خفَضَه الله، ومن وضع نفسه خشوعًا رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لهناد (٨٣٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأسُ التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس. عيون الأخبار ٣٠٩/ ١.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إنكم لتُغْفِلون أفضلَ العبادة: التواضع. الزهد لابن المبارك (٣٧٣)، الزهد لأحمد: ٣٠٤.

* وقال رجل **لابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): يا خيرَ الناسِ وابنَ خير الناسِ، فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عبادِ الله، أرجو الله، وأخافُه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلِكُوه. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٣.

* وجاءه رجل فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني. المنتظم ٦/ ٧.

* وقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكة فسألوه، فقال: تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح؟ تهذيب الحِلْية ١٤/ ٢.

* وعن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي، قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

* وقال أيضًا: صحبت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإني أريد أن أخدمه، فكان هو يخدمني. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

* وسَأَله رَجُلٌ: أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَقَدْ أَحْرَمْتُ بِالْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ فُلَانٍ يَكْرَهُهُ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، رَأَيْنَاهُ قَدْ فَتَنَتْهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ: وَأَيُّنَا لَمْ تَفْتِنْهُ الدُّنْيَا؟ صحيح مسلم (١٢٣٣).

* وعن الرباب قال: سألت **ابن عباس** ما (ت: ٦٨) عن شيء فقال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد؟ تهذيب الحِلْية ٤٦٠/ ١.

* وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنْت أُقْرِئُ رِجالًا من المهاجِرينَ منهم عبدالرحمن بن عَوفٍ..

قَالَ **ابْنُ الْجَوْزِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧): فِيهِ تَنْبِيهٌ على أَخذ الْعلم من أَهله وَإِن صغرت أسنانهم أَو قلت أقدارهم.

وَقد كَانَ حَكِيم بْن حزَام يقْرَأ على معَاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقيل لَهُ: تقْرَأ على هَذَا الْغُلَام الخزرجي؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أهلكَنا التكبر. كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٦٣).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): عجبتُ لمن يجري في مَجرى البَول مرَّتين كيف يتكبَّر!. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥١.

* وعن **محمد بن علي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) أنه قال: ما دخل قلبَ امرئ شيء من الكِبْر، إلا نَقص من عقله مثلُ ما دخله من ذلك، قلّ أو كثُر. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشتري الشيء من السوق فيحمله، فيقال: هات نحمله فيأبى، ويقول: «إنه لا يحب المستكبرين». تهذيب الحِلْية ١٥١/ ٢.

* وكان **الربيع بن خيثم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تُكفَى هذا، قال: إني أحب أن آخذ بنصيبي مَن المهنة. الزهد لأحمد: ٥٦٥.

* ولما دفَن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره سمَع للأرض هدّة أو رجّة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذهِ مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُرّبت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها؟ نحُّوها عني، قَرّبوا إليَّ بغلتي، فقُرّبت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشُرَط يسير بين يديه بالحرْبة، فقال: تنحَّ عنّي ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٢.

* وعن عبد العزيز بن عمر قال: قال لي رجاء بن حَيْوَة: ما أكمل مروءةَ أبيك! سمَرْت عنده، فعَشِيَ السِّراجُ، وإلى جانبه وصِيفٌ نامَ، قلت: ألا أُنبِّهُهُ؟ قال: لا، دَعْهُ، قلتُ: أنا أقومُ، قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدامُه ضَيفَه، فقام إلى بطَّةِ الزيت وأصلحَ السِّراجَ، ثم رجع، وقال: قُمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عُمر بنُ عبد العزيز. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٩٠.

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جزاك الله عن الإسلام خيرًا قال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. الزهد لأحمد: ٥٠٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كانت معصيته في الشهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عصى مشتهيًا فغفر له، فإذا كانت معصيته في كِبْرٍ، فاخْشَ[1] على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فُلعِن.[2] صفة الصفوة ٢/ ٥٤٠.

---

(١) في الحلية ٢/ ٤٢٦: فاحث، ولعله تصحيف.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات في الكبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها فعندهم من الإزراء على=

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلًا على من هو دونك. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: من كانت ولايته فوق قدرة تكبر لها، ومن كانت ولايته دون قدرة تواضع لها. أدب الدين (٣٨٥).

* وقال **بعض البلغاء: الناس في الولاية رجلان:**

١- رجل يجِلّ به العمل لفضله ورياسته.

٢- ورجل يجلّ بالعمل لتقصيره ودناءته.

فمن جلّ به العمل ازداد تواضعا وبشرا، ومن جلّ بالعمل ازداد ترفّعا وكبرا. نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ١١٩).

* وقد **قيل**: من تكبّر في ولايته ذلّ في عزْلِه.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): إن قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، ويأبى الله إلا أن يرفعهم. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٩.

* وعن ابن ميسرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ما رأيت أحدا من الناس، الشريف والوضيع عنده سواء غير **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦). مسند الدارمي (٤١٧).

* ومرَّ المهلب بن أبي صفرة على **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) متبخترًا، فقال: أما علمتَ أنها مِشية يكرهها الله إلا بينَ الصَّفينِ؟ فقال المهلَّبُ: أما

=أهل الكبائر واحتقارهم وصولة طاعاتهم ومنتهم على الخلق بلسان الحال واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم اقتضاء لا يخفي على أحد غيرهم وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ليكسر بها نفسه ويعرفه قدره ويذله بها ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه فهي رحمة في حقه كما أنه إذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح وإقبال بقلوبهم إليه فهو رحمة في حقهم وإلا فكلاهما على خطر. مدارج السالكين ١/ ٣٤٨.

تعرفني؟ قال: بلى، أوَّلُك نُطفة مَذِرَة، وآخِرُك جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِل العَذِرَة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وكان **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يُرِهِ بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئًا أراه بأنه استفاد منه.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صار طوائف في زماننا بالعكس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وعن عبيد بن جناد قال: ما رأيت أحدًا مثل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١)، إذا ذكر أصحابه فخَّمهم، يقول: وأين مثل فلان؟ تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقيل **لجبير بن نفير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥): أي الكبرين أشر؟ قال: كبر العبادة. تهذيب الحِلْية ١٦٥/ ٢.

* وعن الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: جهدنا **بإبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) أن نجلسه إلى سارية فأبى. مسند الدارمي (٥٣٥).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كانوا يكرهون أن تُوطأ أعقابهم. مسند الدارمي (٥٤٣).

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا مشى معه الرجل قام فقال: ألك حاجة؟ فإن كانت له حاجة قضاها، وإن عاد يمشي معه قام فقال: ألك حاجة؟ مسند الدارمي (٥٤٢).

* ورأى **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أناسا يتبعون فنهاهم وقال: إنّ مشيكم هذا مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع. مسند الدارمي (٥٤٤).

* وعن **ميمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) أنه أتاه رجل فقال له: لا يزال الناس بخير ما كنت فيهم، قال: لا يزال الناس بخير ما اتقوا الله. تهذيب الحِلْية ٥٦/ ٢.

* وسُئِلَ **يوسفُ بن أسباط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٩): ما غايةُ التَّواضع؟ قال: ألا تلقى أحدًا إلا رأيت له الفَضْل عليك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد. تهذيب الحِلْية ٣/٥٩.

* وعن **سليمان الشاذكوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) قال: جاءني محمد بن مسلم بن واره[1] فقعد يتقعر في كلامه قال: قلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الري، ثم قال: أو لم يأتك خبري، أولم تسمع بنبأي؟ أنا ذو الرحلتين، قلت: مَنْ روى عن النبي ﷺ: «**إن من الشعر حكمة، وإن من البيان سحرًا**»؟ قال: فقال: حدَّثني بعض أصحبنا قال: قلت: مَنْ أصحابك؟ قال: أبو نعيم، وقبيصة قال: قلت: يا غلام، ائتني بالدرة، قال: فأتاني الغلام بالدرة فأمرته فضربه خمسين، فقلت: أنت تخرج من عندي ما آمن تقول حدَّثنا بعض غلماننا. المنتظم ٢٠٥/ ١٢.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): من رأى أنه خير من غيره فهو مستكبر؛ وذلك أن إبليس قال: (أنا خير منه) فكان ذلك استكبارا.[2] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٤.

* وقال أبو وهب المروزي: سألت **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما الكبر؟ قال: أنْ تزدري الناس، فسألته عن العُجْب؟ قال: أنْ ترى أنَّ عندك شيئًا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العُجْب.[3] السِّيَر (١٥/ ٣٩٥).

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان معجبًا بنفسه متكبرًا على أبناء جنسه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ «أَنَا»، «وَلِي»، «وَعِنْدِي»، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ اُبْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ، وَقَارُونُ، فَـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢] لِإِبْلِيسَ وَ ﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف:٥١] لِفِرْعَوْنَ و ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨] لِقَارُونَ
وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ «أَنَا» فِي قَوْلِ الْعَبْدِ أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ الْمُخْطِئُ الْمُسْتَغْفِرُ الْمُعْتَرِفُ وَنَحْوُهُ.
«وَلِي»، فِي قَوْلِهِ لِي الذَّنْبُ وَلِي الْجُرْمُ وَلِي الْمَسْكَنَةُ وَلِي الْفَقْرُ والذلّ.
«وَعِنْدِي» فِي قَوْلِهِ «اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلّ ذَلِكَ عِنْدِي». زاد المعاد ٢/ ٤٣٤، طباعة مؤسسة الرسالة.

(٣) إعجاب الرجل بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان، مع نسيانِ منَّة الله تعالى، فإنْ رَفَعَها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم. المفهم للقرطبي: ٥/ ٤٠٦

* وقيل **لشقيق بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): أيما أكبر أنت أو الربيع بن خيثم؟ فقال: أنا أكبر منه سنًّا، وهو كان أكبر مني عقلًا. المنتظم ٦/٢٥٤.

* وقال **عبد الملك بن مروان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٦): أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ، وأنصف عن قوّةٍ. عيون الأخبار ١/٣٠٧.

* وقال المفضّل بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت آتي **عاصم بن أبي النجود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧) أقرأ عليه، فإذا لم آته أتاني في بيتي. معرفة القراء (١/ ٢٧٦).

* وقال الأصمعي: كنتُ إذا سمعت **أبا عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) يتكلم ظننت أنه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا.[1] معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَقِيَني **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأخذتُ بيده لأقبّلها فسبقني فقبّل يدي، ثم قال: أنتَ أحقُّ بهذا؛ لأنك خَلَفٌ ونحن سَلَف.[2] معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* ومرَّ رباح بن يزيد الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيده قَسط[3] زيت على **ابن غانم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) وهو قاضٍ، فقال له ابن غانم: أحمله لك؟ فقال رباح: شأنك، فرفع القسط إليه وجعل يشق به مجامع الناس، فسلك به حوانيت البزازين، حتى انتهى إلى داره.

فقال رباح: إنما فعلت هذا لأنه بلغني عنكَ أنك تجد بنفسك، فأحببتُ أن أضعَ منك.

---

(١) هذا وهو رأسٌ في معرفة النحو والعربية، ومع ذلك لم يكن يُباهي بذلك، بل يتحدث مع الناس بالكلام السهل الواضح الذي يفهمه كلّ أحد، وهذا دليل على عقله وتواضعه وسلامة قبله من العُجب والغرور وحب الظهور.

(٢) أهل القرآن من أحسن الناس خُلقًا، وأرفعهم أدبًا، ولا يزيد العبد تواضُعُه إلا رفعة وشرفا.

(٣) القِسْط: وعاء من الجلد المدبوغ يحفظ فيه الزيت والدهن والعسل.

فجزاه ابن غانم خيرًا.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤) في مقدّمة كتابه الأدب الكبير (٦٠): أنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة، والأمور الغامضة، التي لو حنَّكَتْك[2] سنٌّ كنت خليقًا[3] أن تعْلَمها، وإن لم تُخْبر عنها.[4].

ولكنني قد أحببت أن أقدم إليك فيها قولًا؛ لتروِّض[5] نفسك على محاسنها، قبل أن تجري على عادة مساوئها.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تكونن نزْر[6] الكلام والسلام، ولا تُفرطنّ بالهشاشة والبشاشة[7]؛ فإن إحداهما من الكبْر، والأخرى من السُّخف. الأدب الكبير (٧٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن استطعت أن تُنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل: فافعل، فإنَّ رفْعَ الناسِ إياك فوق المنزلة التي تَحُطّ إليها نفسك، وتقريبَهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمَهم من أمرك

(١) لا يزال الناس بخير إذا كان فيهم من ينصح ولا يُحابي، وكان العلماء والأمراء يقبلون النصح ولا يتكبرون.

(٢) أي: راضَتك وهذبتك.

(٣) أي: جديرًا.

(٤) ما أعظم أدبه وتواضعه، حيث ذكر أنّ كلّ ما قاله سيعرفه من كبر سنه وكثرت تجاربه، وليس هو شيئًا انفرد به عن غيره، وعرفه بذكائه واطلاعه.

(٥) أي: تذلّلَها وتجعلها مطيعة منقادة.

(٦) أي: قليل.

(٧) الهشاشة، من هش له: تبسم له، والبشاشة، من بش له: أقبل عليه، وفرح به.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الهاء والشين: أصل صحيح يدل على رخاوة ولين. والرخو اللين هش، ومنه رجل هش: طلق المحيا.

والباء والشين أصل واحد، وهو اللقاء الجميل. والضحك إلى الإنسان سرورا به. مقاييس اللغة (١/ ١٨٢)، (٦/ ٩)

ما لم تُعَظِّم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك مالم تزين: هو الجمال. الأدب الكبير (١١٢).

* وقال **بعضهم**:

تواضع وكن في الناس سهلا ميسَّرا لِتُلْقي لهمْ مِن فِيك دُرًّا وجَوهرا

وإياك يُبْس الطبع فيهم ترفُّعا عليهم فترَمَى بالقبيح وتُزْدَرى

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٠).

* وأقبل قوم إلى **معن بن عيسى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) بالمدينة يستأذنون عليه في داره، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم أسوَد ليدخل داره، فسألوه الإذن لهم، فدخل فنادى: يا معن، فاستجاب له، فأعلمه، فأذن ودخلوا.

فقالوا: عجبنا من تسمية هذا الأسود لك! قال: أما إنه مع ذلك مملوكي. قالوا: هذا أكبر.

قال: وما أردتم؟ أكان يدعوني بأفضل من اسمي الذي رضيه الله لي؟[1] ترتيب المدارك (١/ ٤٠٦).

* وعن **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الرَّاحة، وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالوا يزورك أحمدُ وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل في الحالتين له

ديوان الشافعي (١٣٤).

---

(١) غاية في التواضع وعدم التكلف.

* وقال يحيى بن معين: ما رأيت مثل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال إِبْرَاهِيم بْن سعيد الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسلِّمُ عليه، فمددتُ يدي إليه فصافحني، فلما أن خرجت قَالَ: ما أحسن أدب هذا الفتى، لو أنكبّ علينا كنا نحتاج أن نقوم.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجيئُك بِشر -يعنون بشر بن الحارث- فقال: لا تعنّوا الشيخ، نحن أحق أن نذهب إليه.

قيل له: نجيء به؟ قَالَ: لا، أكره أن يُجاء به إلي، أو أذهب إليه؛ فيتصنع لي وأتصنع له؛ فنَهلَك. طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٩).

* وقال سندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيتُ **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قام له رجل من موضعه، فأبى أن يَقعد فيه، وقال للرجل: ارجع إلى موضعك، فرجع الرجل إلى موضعه، وقعد أَبُوعبدالله بين يديه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٥٦).

* وقال عبد الكريم بن الهيثم: كنت مع **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعلت أتأخر عنه فِي الصَّفِّ إجلالًا له، فوضع يده عَلَى يدي فقدَّمني إلى الصف. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠١).

* وقال مُحَمَّد بن زهير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتيتُ أبا عبدالله -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فِي شيءٍ أسأله عنه، فأتاه رجل فسأله عَنْ شيء فقال له: جزاك الله عَنِ الإسلام خيرًا، فغَضِبَ أَبُو عبدالله وقال له: مَن أنا حتى يجزيني الله عَنِ الإسلام خيرًا!، بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠٣).

---

(١) وما أعظم تواضع وأدب الإمام أحمد، حيث عقد العزم على القيام إليه لو انكبّ عليه يقبِّلُه.

* وقَالَ أَحْمَدُ بن الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَأَيْتُ **الإِمَام أَحْمَدَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَشْتَرِي مِن السُّوقِ الْخُبْزَ وَيَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الزِّنْبِيلِ، وَرَأَيْتُهُ يَشْتَرِي الْبَاقِلَّا غَيْرَ مَرَّةٍ وَيَجْعَلُهُ فِي زُبْدِيَّةٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ فَيَحْمِلُهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عبدالله ابْنِهِ، وَقَالَ صَالِحٌ: كَانَ أَبِي رُبَّمَا خَرَجَ إِلَى الْبَقَّالِ فَيَشْتَرِي جِرْزَةَ حَطَبٍ فَيَحْمِلُهَا. الآداب الشرعية ٢/ ٢٢.

* وسئل **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له، ويقبله ممن قاله.[١] مدارج السالكين ٣/ ١١٣.

* وقيل لبعضهم: ما الكِبر؟ قال: حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه.[٢] عيون الأخبار ١/٣١١.

* وقال **بعضهم**: عيون الأخبار ١/٣١٣.

يـا مُظْهِـرَ الكِبْـر إعجابًـا بصورتـه ... انظـر خَـلاءَكَ إن النَّتْـنَ تثريـب

لـو فكّـر النـاسُ فيمـا في بطونهـم ... مـا استشـعر الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

يـا ابنَ التراب ومأكـولَ التراب غدًا ... أَقصِـرْ فإنـك مأكـولٌ ومشـروبُ

* وقال القصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥) يذكر تنازع أصحابنا في المسائل، فربما ذكر في المسألة خمسة أقوال أو ستة. ثم تسيل دموعه، ويقول: أردتَ أن يُقال فقيه؟ فهل معك عمل صالح تنجو به من

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: التكبر شَرٌّ من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره..

ومن تكبر عن الانقياد للحق -ولو جاءه على يد صغير أو من يُبغضه أو يُعاديه- فإنما تكبُّره على الله، فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله وتكبر عليه. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ١٢٠

(٢) لا يتكبر أحدٌ إلا لِشُعوره بالنقص في داخله، فالمتكبر ناقصٌ مهزوز الثقة بنفسه، يرى أَنَّ فيه عيبًا ونقصًا، لا يُزيله إلا بإظهارِه للناس عكسَ ذلك، فَيَتَصَنَّعُ الكبر والغرور، فيرى أنه بهذا قد كمُل، وهو عند الناس في غاية الحقارة والمقت، وعند الله تعالى أحقر وأمقت.

عذاب الله؟ وإلا فما يُغني هذا عنك؟[١].

وكان يقول: ربما أعجبتني نفسي فأقول: يا ابن طالب، هبك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم علمًا، أليس وراء ذلك كله الموت؟[٢] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٥).

* وقال **بعضهم**:

ولا تمشِ فوق الأرض إلاَّ تواضعًا … فكم تحتها قومٌ هُمُ منك أرفعُ

فإنْ كنتَ في عزٍّ وحرزٍ وَمَنْعةٍ … فكم مات مِن قومٍ هُمُ منك أمنعُ

ذيل الطبقات (١/ ١٩٨).

* وقال **ابن الجوزي** (ت: ٥٩٧): وكان ابن الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا استفاد شيئا قَالَ: **أفادَنِيهِ فُلان**، حتى إنه عرض له يوما حديث، وهو «من فاته حزب من الليل فصَلَّاهُ قبل الزَّوال؛ كان كأنه صلى بالليل» فقال: ما أدري ما معنى هذا؟.

فقلتُ له: هذا ظاهر في اللغة والفقه.

أما اللغة: فإن العرب تقول: كيف كنت الليلة، إلى وقت الزوال.

وأما الفقه: فإن أبا حنيفة يُصحح الصوم بنيَّةٍ قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حُكم الليل، فأعجبه هذا القول.

وكان يقول بين الجمع الكثير: ما كنتُ أدري معنى هذا الحديث حتى عرَّفنيه ابن الجوزي، فكنتُ أستَحي مِن الجَماعة. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وصدق **القائل**:

إِذَا أفادك إِنْسَان بفائدة … من العلوم فأَدْمِن شكره أبدا

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما يُغني عن طالب العلم أن يُقال عنه: حافظ، عالم، فقيه، ذكيّ، إن لم يكن معه عمل صالح ينجو به من عذاب الله.

(٢) بلى والله.

وقل: فُلان جزاه الله صالحة[(١)] أفادنيها وألق الكِبر والحسدا

ذيل الطبقات (٣/ ١٨٣).

* وكان **ابن الأنباري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] (ت: ٣٢٨) زاهدا متواضعا، حكى الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حضره في مجلس يوم الجمعة، فصحَّف اسمًا، فأعظمتُ له أنْ يُحْمَل عنه وهْمٌ وهِبْتُه، فلما انقضى المجلس عرَّفت مستمليه، فلما حضرت الجمعة الثانية قال ابن الأنباري للمستملي: عرِّف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، ونبَّهَنا ذلك الشاب على الصواب. معرفة القراء (٢/ ٥٥٨).

* وكان **أبو إسحاق الجُبْنيانيُّ البكري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) قلَّما يترك ثلاث كلمات جامعة للخير، وهي: اتّبع ولا تبتدع، اتَّضع ولا ترتفع، مَن وَرِع لم يقع.[(٣)] طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤).

* وقال **بعضهم**:

فلا تحقرنّ خلْقًا من الناس علّه ولـيُّ إلـه العالميـن ومـا تـدري

فذو القدر عند الله خافٍ عن الورى كما خفِيت عن علمهم ليلة القدر

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣١٢).

* وكان **أبو شامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٥) مع فرط ذكائه وكثرة علمه، متواضعًا مُطَّرِحًا للتكلف، ربما ركب الحِمار. معرفة القراء (٣/ ١٣٣٦).

* وعُيّن الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٢) في إمامة المسجد النبوي الشريف وخطابته والتدريس عام (١٣٥٠)، وكان متواضعا جدا،

---

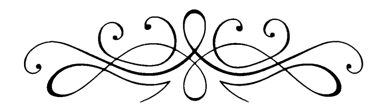
(١) لو قال: جنَّته لكان أحسن وأبين وأبلغ.

(٢) أبو بكر ابن الأنباري المقرئ النحوي البغدادي صاحب التصانيف.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذه الكلمات جامعة لكل خير، ومُجنّبة لكل شر، فحريّ بالمسلم أن يحفظها، ويعمل بها، ويُوصي بها غيره.

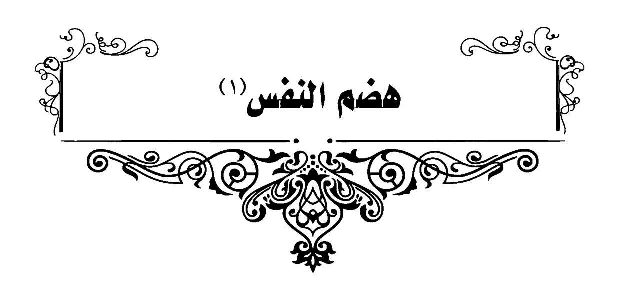
وكان يقضي حوائجه من السوق بنفسه، وإذا أراد أحدٌ أن يحمل عنه الحاجات التي معه لا يُمَكِّنه، وينقلها إلى بيته بنفسه. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

* ولمَّا توفي الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتلمذ **الشيخ عبد الكريم الناصر الجربوع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٤٠) لابنه الشيخ عمر بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أكبر منه بثلاثين سنة، وقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك إظهارَ مكانة الشيخ عمر أمام طلبة العلم والناس، فإذا قيل: إنّ عبد الكريم الناصر يقرأ على الشيخ عمر كان لذلك شأنٌ في نفوس الخاص والعامّ، وأدركوا مكانةَ الشيخ عمر، فقد كان عمره دون الثلاثين عندما كان الشيخ عبد الكريم يقرأ عليه.[1] علماء نجد (٣/ ٤٤٣).



---

(١) انظر إلى هذا الخلق والأدب العظيم الرفيع، وتأمل كيف أداه حبه لرفعة مكانة هذا الشاب إلى أن يتتلمذ عليه، ويجلس بين يديه، لا رغبة في علمه، بل رغبة في رفعته وعلو شأنه.
وهكذا شأن أهل الفضل والإيمان، يحبّون الخير لغيرهم كما يحبونه لأنفسهم.



هضم النفس[(١)]

* قال **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) في خطبته التي خطبها أول إمرته: وُلِّيت أمركم ولستُ بخيركم، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن أنا أسأت فسددوني.

قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغنا عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «بلى والله إنه لخيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه». الزهد لأبي داود (٥٦).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثَيْتم على رأسي التراب. صفة الصفوة ١/ ١٨٦.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله شيء يرجون أن يعطيهم الله به خيرا، أو يدفع عنهم به سوءا إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا. الزهد لأبي داود (١٤٥).

* وزحم **سالمَ بنَ عبدالله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) رجلٌ فقال له سالم: بعض هذا

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل. إغاثة اللهفان١/ ١٥٥.

قلت: وكلّما ازدادتْ معرفةُ العبدِ بربّه وعظمتِه وحقوقِه عليه، ونظر إلى تقصيرِه في جنب الله، ونظر إلى نعم الله عليه في دينه ودنياه: ازداد هضمًا لنفسِه، واستصغر ما عمل، وتعاظم تفريطَه وذُنوبَه.

ولا يُوفَّق لهذا إلا مَنِ امْتَنّ الله عليه، واصطفاه إليه، اللهم اجعلنا منهم.

ومَنْ وقف على أحوال وأقوال الأئمة العلماء الأجلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ الذين سأذكر تواضعهم وهضمهم لأنفسهم: لا يُمكن له أنْ يغتر بثناءِ الناس، أو يغترّ بأعمالِه، وأقوالِه، وطاعاتِه.

رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجل سوء، فقال له سالم: ما أحسبك أبعدت. المنتظم ٧/ ١١٤.

* وقال **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): ما مدَحني أحد قطّ إلا تصاغرتْ إليّ نفْسي. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو بعرَفة: اللهم لا تردّ الجميع من أجلي. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان، والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقتُه إلى الذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظّمونك فقل: هذا فضلٌ أُخِذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرًا، فقل: هذا ذنْب أحدثتُه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٧.

* وقال عبد الله بن **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ إنسانًا يُحَدِّث عن أبي أنّه كان واقفًا بعرفة، فرقَّ فقال: لولا أنِّي فيهم لقلتُ: قد غُفِر لهم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): كذلك ينبغي للعبد أن يُزريَ على نفسِه ويَهضِمَها. تهذيب السِّيَر ٣/ ٥٥٠.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تَدنوا مني، من نَتن رِيحي. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* ورأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابنًا له وهو يخطر بيده[1]، فقال: ويحك تعالَ، تَدري من أنت؟ أمُّك اشتريتها بمائتيْ درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مِثْلَه. تمشي هذه المشية؟. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

---

(١) أي يتمايل ويمشي مشية المعجَب.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا ذُكر الصالحون فأُفٍّ لي وتُفٍّ. صفة الصفوة ٣/ ١٩٨.

* وقال له رجل: يا مرائي! فقال: متى عرفت اسمي؟ ما عرَف اسمي غيرُك. الزهد للخطيب (٩٣).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وقال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) فخرج، ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل: ترى أن تقول في سكوتك شيئًا؟ فأنشأ يقول:

وغَيْـر تقـيّ يأمـر النـاس بالتّقـى طبيـبٌ يُـداوي والطبيـب مريـض

فارتفعت الأصوات بالبكاءِ والضجيج. صفة الصفوة ٤/ ٣٥٢.

* وقرِئ على **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) كتاب المناسك، فانتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ، فقال: مَن كتب هذا من قولي؟ قيل: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكّه بيده حتى درَس، ثم قال: ومن أنا حتى يُكتب قولي؟. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو اجتَمَعَ الخلْقُ جميعًا على أن يَضَعُوني كاتِّضَاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٥.

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُكَ قصير، وأملُك طويل.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إي واللهِ، صدق، وأنت ظالم وترى أنك

مظلومٌ، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسق وتعتقِدُ أنك عَدْلٌ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبُه لله.. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٩.

* ومرَّت امرأتان وبُهلول بن راشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) يصلي، فقالت إحداهما للأخرى: هذا البهلول، فقالت: لئن تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه[١]، فقال البُهلول: **هذه عَرَفتني**.

وقال له رجل يومًا: يا مُرائي، فقال له البُهلول: قد أخبرتها بذلك -يعني نفسه- فأبت عليّ ولم تَقبل، فاجتمع عليها شهادتك وعِلمي.[٢] ترتيب المدارك (١/ ٣٦٨).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): إني لأغضب على نفسي إذا رأيتكم تأتوني، أقول: لم يأتني هؤلاء إلا من خير يظنون بي. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ٢.

* وقال الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) -ودخلتُ عليه وهو مريض- فذكر ما وَضع من كتبه فقال: وددت أنَّ الخلق تَعلَمَه ولا يُنْسب إليّ منه شيء أبدًا.[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٤٥).

* وقال المرُّوذي: قلت **لأبي عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)[٤]: ما أكثر الداعيَ لك! قال: أخافُ أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طَرَسُوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نَمُدُّ المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله. ولقد رُمي عنه بحجر، والعِلج على الحصن متترس بَدَرَقَة فذهب برأسه وبالدَّرَقَةِ، قال: فتغير

---

(١) يضرب مثلًا للذي رؤيته دون السماع به.

(٢) انظر إلى هضمه لنفسه، وسلامة صدره، وصدقه مع ربّه.

(٣) هذا من أعظم الدلالة على إخلاصه وصدقه، وإلا فمن يقوى على هذا؟

(٤) يعني: أحمد بن حنبل.

وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٧.

* وقال رجلٌ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمدُ لله الذي رأيتُك، قال: اقعُد، أيُّ شيءٍ ذا؟ مَن أنا؟. تهذيب السِّيَرِ ٢/ ٩٣٠.

* وعن رجل قال: رأيتُ أثر الغَمِّ في وجه **أبي عبد الله**(١)، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزى الله الإسلامَ عني خيرًا. من أنا وماَ أنا؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وقيل له: إنّي لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار، فقال: إذا عرف الرجلُ نفسه فما ينفعه كلام النّاس. تاريخ الإسلام للذهبي: ٥/ ١٠١٣.

* ونَقَلَ الْأَثْرَمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ سَأَلَ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ شَيْءٍ فَقُلْتُ: كَيْفَ هُوَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَمَا عِنْدِي أَنَا؟ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إنَّمَا هُوَ -يَعْنِي الْعِلْمَ- مَا جَاءَ مِنْ فَوْقٍ. الآداب الشرعية ٢/ ٤٥.

* وقال رجل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أريد أن أكتب هذه المسائل فإني أخاف النسيان؟.

قَالَ له أحمد: لا تكتب شيئًا، فإني أكره أن يُكتب رأيي.

وأحسَّ مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح فِي كمه، فقال: لا تكتب رأيي، لعلي أقول الساعة بمسألة ثم أرجع غدًا عنها. طبقات الحنابلة (١/ ٨٠).

* وقال الميموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبا عبدالله -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عَنْ مسائلَ، فكتبتُها، فقال: إيش تكتب يا أبا الحسن؟ فلولا الحياءُ منك ما تركتُك تكتبها، وإنه عليَّ لشديد، والحديث أحبُّ إليَّ منها.

قلت: إنما تطيب نفسي في الحمل عنك، إنكَ تعلم أنه منذ مضى رسول الله

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

ﷺ قد لزم أصحابَه قوم، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمونه، ويكتبون.

قال: مَن كتب؟.

قلت: أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «وكان عبدالله بن عَمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يكتب ولم أكتب، فحفظ وضيَّعت».

فقال لي: فهذا الحديث.

فقلت له: فما المسائل إلا الحديث، ومن الحديث تُشتَق.

قَالَ لي: أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم، إنما كانوا يحفظون ويكتبون السُّنن، إلا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه، فأما هذه المسائل تدون وتكتب فِي ديوان الدفاتر فلستُ أعرف فيها شيئا، وإنما هو رأي، لعله قد يدعه غدًا وينتقل عنه إلى غيره، والرأي قد يخطئ.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٩٤-٩٥).

* وقال أبو عثمان الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ له يوما: لا يزال الناس بخير ما منَّ الله عليهم ببقائك، فقال: لا تقل هذا يا أبا عثمان. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٥١).

* وكان **موهوب بن أحمد الجواليقي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٥٤٠) متواضعًا في ملبسه ورئاسته، طويل الصمت، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفِكر الطويل، وكثيرًا ما كان يقول: لا أدري. ذيل الطبقات (٢/ ٣).

* ولَمَّا قدم **عيسى بن مسكين بن منصور** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٩٥) إلى القيروان، أتى على حمار، فقام الناس إليه على أقدامهم، فقال: مكانكم رحمكم الله، إنما

(١) في هذا الحوار بين الإمام أحمد وتلميذه فوائد منها:

١- أن الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ كان يُشدد في الكتابة عنه أولًا، ثم سهّل بعد ذلك.

٢- أدب الإمام مع تلميذه، وذلك بقوله له: لولا الحياء منك، فما أجمل بالشيخ والمعلم أنْ يقدّر تلميذه ويُحسن تعامله وأدبه معه.

٣- تورّع الإمام، وهضمه لنفسه، وذلك بتحرجه من تدوين آرائه.

٤- اللطف في الحوار، واستماعه لاعتراضات تلميذه.

يقوم الناس لرب العالمين، ولَمَّا رأته امرأة على حمار وحوله مشايخ القيروان قالت: انظروا أيّ قاض وأيّ شكل؟.

فسمعها، فقال لهم: والله لقد قلتها لهم.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٦).

* ولما جلس **أبو الحسن ابنُ القابسيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) للناس وعُزِمَ عليه في الفتوى تأبّى وسدّ بابه دون الناس، فقال لهم أبو القاسم ابن شَبْلون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اكسروا عليه بابه؛ لأنه قد وجب عليه فرض الفتيا، هو أعلم من بقي بالقيروان، فلما رأى ذلك خرج إليهم ينشد:

لعمر أبيك ما نُسِب المعلَّى إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكنَّ البلاد إذا اقْشعرّت وصَوَّح نبتُها رُعِيَ الهشيم[2]

ترتيب المدارك (٤/ ١٦٩).

* وسأل رجل **أبا عبدالله محمد بن عتاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٢) عن مسائل انتخبها وأعدها فأجابه أحسن جواب، فأثنى عليه الرجل فقال له: يا ابن أخي لا تتخذ هذا عادة، فلولا أني طالعتها البارحة ما أجبتك بمثل هذا.[3] ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٧).

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) كثيرًا يقول: مالي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء. وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكدِّي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

---

(١) هذا هو هضم النفس الذي لا تصنّع فيه، وما أقلّ من يوفق لذلك.

(٢) إذا صدق العبد مع ربه تعالى كان من أشد الناس تواضعا وهضما لنفسه، وبُعدا عن التصدر للفتوى؛ ليقينه بخطرها.

(٣) المؤمن الصادق الورع حريص على ألا يُعظّمه الناس ويرفعوه فوق منزلته، وإذا علم أنّ أحدًا فعل ذلك بيّن له أنه دون ما اعْتقده به صدقًا لا تصنّعًا، وحقيقة لا تكلّفًا.

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أُجدِّد إسلامي كلّ وقت، وما أسلمت بعدُ إسلاما جيدا![(١)].

وقد بعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أَنَـا الْفَقِيـرُ إِلَـى رَبِّ الْبَرِيَّـاتِ ... أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَـا الظَّلُومُ لِنَفْسِـي وَهِـيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْـرُ إِنْ يَأْتِنَـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَاتِـي
لَا أَسْـتَطِيعُ لِنَفْسِـي جَلْـبَ مَنْفَعَـةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْـسَ لِـي دُونَـهُ مَوْلًـى يُدَبِّرُنِـي ... وَلَا شَـفِيعٌ إِذَا حَاطَـتْ خَطِيئَاتِـي
وَلَسْـتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَـا فِـي بَعْـضِ ذَرَّاتِ
وَلَا ظَهِيـرٌ لَـهُ كَـيْ يَسْـتَعِينَ بِـهِ ... كَمَـا يَكُـونُ لِأَرْبَـابِ الْوِلَايَـاتِ
وَالْفَقْـرُ لِـي وَصْـفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَـا الْغِنَـى أَبَـدًا وَصْـفٌ لَـهُ ذَاتِـي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُـمْ عِنْـدَهُ عَبْـدٌ لَـهُ آتِـي
فَمَـنْ بَغَـى مَطْلَبًـا مِـنْ غَيْـرِ خَالِقِـهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْـدُ لِلَّـهِ مِـلْءَ الْكَـوْنِ أَجْمَعِـهِ ... مَـا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِـي

مدارج السالكين ٢/ ١٥٥-١٥٧.

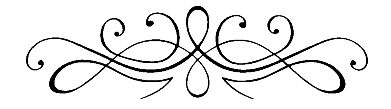
* وكانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدني الْفَقِير الصَّالح ويكرمه، ويؤنسه ويباسطه بحَديثه

---

(١) تأمل إلى هذا التواضع غيرِ الْمتكَلَّف، وإلى هضْمِ النفسِ غيرِ الْمصطَنَع.
ومن يستطيع أن يقول هذه العبارة ولو على جهة التواضع المتكلّف!
لقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مِن أبعد الناس رؤيةً لنفسِه، واعتدادًا بها، ومن أشدهم تهذيبًا لها، ومن أعرفهم بربه وما يستحقه سبحانه.
ومن كان على هذه الصفة لا شك أنه سيرى أنه مُقصّرٌ في حق الله تعالى عبادةً ودعوةً وإسلامًا خالصًا، ويُوجب عليه ذلك أن يُجدّد صدقَ إسلامه لله تعالى كلّ وقت، ويرى من نفسِه أنها لم تُسلم الإسلام الكامل بعدُ.

المستحلى، زِيَادَةً على مثله من الأغنياء، حَتَّى إنه رُبمَا خدمه بِنَفسِهِ، وأعانه بِحمْل حَاجته؛ جبرًا لِقَلْبِهِ، وتقربًا بذلك إلى ربه.

وكانَ لَا يسأم مِمَّن يستفتيه، أَو يسْأَله، بل يُقْبل عَلَيْهِ ببشاشةِ وَجه، ولين عَرِيكَة، وَيقف مَعَه حَتَّى يكون هُوَ الَّذِي يُفَارِقهُ، كَبِيرًا كَانَ أَو صَغِيرًا، رجلًا أَو امْرَأَة، حرًّا أَو عبدًا، عَالِمًا أَو عاميًّا، وَلَا يَجْبَهْه[1]، وَلَا يُحْرِجْه، وَلَا ينفِّره بِكَلَامٍ يوحشه، بل يجِيبه، ويفهمه، ويعرفه الْخَطَأ من الصَّوَاب بلطفٍ وانبساط. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزَّار (٥٠).



(١) أي: لم يستقبله بكلام فيه غِلَظ وجفاء.



الهدايا والهبات

* عن عَبْد اللهِ بْن السَّعْدِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى **عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فِي خِلاَفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فإِذَا أُعْطِيتَ العُمالَةَ[1] كَرِهْتَهَا؟.

فَقلتُ: بلَى.

فقالَ عُمرُ: فما تُرِيدُ إلَى ذلكَ؟.

قُلْتُ: إنَّ لِي أَفْرَاسًا وأَعْبُدًا وأَنا بِخَيْرٍ، وأُرِيدُ أنْ تكُونَ عُمالَتِي صَدقَةً علَى المُسْلِمِينَ.

قَالَ عُمَرُ: لاَ تَفْعلْ، فإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذي أردتَ، فكانَ رسُولُ الله ﷺ يُعْطِينِي العطَاءَ فأَقُولُ: أعْطِهِ أفقَرَ إلَيه منِّي، حتَّى أعطانِي مَرَّةً مالًا فَقُلتُ: أعْطِهِ أفْقَرَ إلَيهِ مِنِّي، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إذَا أُعْطِيتَ شيئًا مِن غيْرِ أنْ تسأَلَ فكُلْ وتَصدَّقْ**». صحيح البخاري (٧١٦٣)، صحيح مسلم (١٠٤٥).

قالَ سالِمٌ: فَمِنْ أجْلِ ذلِكَ كانَ **ابْنُ عُمرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لا يسأَلُ أحدًا شيئًا، ولا يَرُدُّ شيئًا أُعْطِيه. صحيح مسلم (١٠٤٥).

* وكان المختار بن أبي عبيد يرسل إلى **عبد الله بن عمر** بالمال فيقبله، ويقول: لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أرد ما رزقني الله تعالى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٠-٢٤١.

---

(١) أي: أجرة العمل.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما آتاك من هذا المال من غير إسراف ولا مسألة فكله وتموله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٩.

* وسئل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عن الرجل يُهدَى إليه الشيء أفترى أن يقبل؟ فقال: قد «كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»[1]، أرى له إن هو قبل أن يُثِيب. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٣.

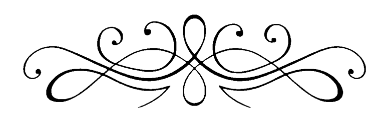
* ويقال: ما ارتُضي الغضبان، ولا استُعطف السلطان، ولا سُلَّت السخائم، ولا دُفعت المغارم، ولا تُوُقِّي المحذور، ولا استُميل المهجور، بمثل الهدية والبر. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.

* وقال **الشاعر**:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوِصَالا

وتزرع في الضمير هوىً وَوُدًّا ... وتُلْبسهم إذا حضروا جمالا

الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.



(١) رواه البخاري (٢٤٤٥).



المدح والثناء

أ- موقف السلف من المدح والثناء[1]:

* عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: المدح الذبح. الزهد لأحمد: ٢٢٦.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إذا أثنيتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكِّه. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وأثنى رجل على **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال له علي: أنا دون ما قلتَ، وفوق ما في نفسك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣١.

---

(١) لا يُلام المسلم على ما يجده من محبةٍ للذكر الحسن، والشهرة في الخير ونفع الناس.

ففي صحيح مسلم أنه قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**».

فأخبر أن حَمْد الناس للمؤمن بشارة معجلة في الدنيا، فكيف لا يفرح أحدٌ ببشارةٍ معجلةٍ له في الدنيا؟

وعند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم بلفظ: «**يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ**»، وهذا القيد لا بدّ منه، فلو عمل أحدٌ عملاً للناس قاصدًا الثناء فلا أجر له في ذلك، ولكنه يعمله لنفسه في الأصل، فينتشر ذكره عند الناس فيحمدونه.

وعلامةُ صدق هؤلاء: أنهم يقبلون النُّصح والعتاب، ويرجعون إلى الحق والصواب، ولا تضيق صدورهم بقلة الأتباع والمحبِّين، ولا يُعجَبون بأنفسِهم ولا بأعمالهم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضرّه ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ، أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) خرجه مسلم. جامع العلوم والحكم / ٢٧.

* وعن **رجل** من أصحاب رسول الله ﷺ من صدر هذه الأمة وكان له فضل أنه كان إذا أثنى عليه أو مدح فسمع قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون. الزهد لأحمد: ٣٦٤.

* وسمع **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) رجلًا يقول: ما أُبالي أَمُدِحتُ أم هُجِيت، فقال الأحنف: استَرحتَ مِنْ حيثُ تعِبَ الكرامُ. عيون الأخبار ٤٤١ / ٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ذَمُّ الرجلِ نفسَه في العلانية مَدحٌ لها في السرّ. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وكان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها.[١] عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وقال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) لابنه: لا يغرنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك. تهذيب الحِلْية ٣١١/١.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨): ليس يضر المدحُ من عرف نفسه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٠.

* وكان يقال: لا يَغلِبنَّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

* وقال بعضهم:

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعالِهِ ... فَمادِحُهُ يَهْذي وإنْ كانَ مُفْصِحا

عيون الأخبار ٣١٩/ ١.

* والعرب تقول: «لا تَهرِف قبل أن تَعرِف» أي لا تُطنِبَنّ في الثّناء قبل الاختبار. عيون الأخبار ٣/ ١٧١.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: كفى بالنفس إطراء أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله شينها. شرح حديث «ما ذئبان جائعان» ص٨٨ مجموع رسائله.

*وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إنَّ الرجلَ إذا ذهب يمدحُ نفسه، ذهب بهاؤهُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٩.

*وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منذ عرفتُ الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمَّهم؛ لأن حامدهم مُفرِطٌ، وذامهم مُفْرِطٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٩.

* وكان **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إذا مُدح في وجهه: غضب، يقول: ما علمك؟ ما يدريك؟. الزهد لأحمد: ٦٤٥.

* وقال **بعض الشعراء**:

لا تحمدنّ امْرأً حتى تجربَه ... ولا تذُمَنَّه من غير تجريب

فحمدك المرءَ ما لم تبْلُه خطأ ... وذمُّه بعد حمدٍ شرٌّ تكذيب

أدب الدين (٢٧٣).

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): سكون النفس إلى المدح، وقبول المدح لها، أشد عليها من المعاصي. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٣.

* وقال **وهب بن منبه** (ت: ١١٤) **وعوف بن أبي جميلة** (ت: ١٤٦) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: من أخلاق المنافق أنْ يحب الحمد ويكره الذم.[1] الزهد لأحمد: ٦١٩.

*وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إذا سمعت من يمدحُك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يَذُمَّك بما ليس فيك**. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٧٩، ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٠.

* وعن مطرف قال: قال لي **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ما يقول الناس فيّ؟. قلت: أما الصديق فيثني، وأما العدو فيقع.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها: أن يستوي عند العبد حامده وذامُّه في الحق؛ فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذمّ، فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذمّ، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق: دلّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبة الحقّ، وما فيه رضا مولاه.. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩- ٣٩٠.

قال: ما زال الناس كذا لهم صديق وعدو، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألْسِنَة كلِّها. تهذيب الحِلْية ٣٥٤/ ٢.

* وقال رجل **لمعاوية بن قرة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠): إني لأحبك فقال: لم لا تحبني ولست لك بجار ولا قرابة؟[1] تهذيب الحِلْية ٣٩٨/ ١.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لابد من ذلك، فليكن المرء مع أهل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٢٦/ ٣.

* وقالَ الشَّاعرُ:

يَهْوى الثَّناءَ مُبَرِّزٌ ومُقَصِّرٌ ... حُبُّ الثَّناءِ طَبيعةُ الإنسانِ

أدب الدين (٣٧٢).

ب- ثناؤهم على من يستحق بلا إطراء:

* ترجم الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ لمجموعة من تلاميذه، فأثنى عليهم ثناءً عطِرًا، منهم:

١- أبو العباس الحسامي الدمياطي (٧٠٠-): الإمامُ، المفيدُ، الحافظُ، محدِّثُ مصر.

كتب، وألَّف، وخرَّج، وتميَّز، وصار من أعيان الطلبة، خرَّج لجماعة، قدم علينا عام أربعين، واستفدنا منه، وظهرت معرفته، وحسن مشاركته، خرجت له جزءا، سمع مني وسمعت منه.

٢- الحافظ ابن كثير (٧٠٢-٧٧٤): الإمام، الفقيه، المحدث، الأوحد، البارع، فقيه متقن، ومتحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية والأصول.

---

(١) قصده بذلك: أنك لم تر عيوبي حيث لم تكن جارًا لي ولا قريبا لي. فالجار في الغالب يعرف جاره ويداخله ويعرف من حاله ما لا يعرفه غيره، وكذلك القريب.

٣- صلاح الدِّينِ الصَّفدِيّ (٦٩٩-٧٦٤): الْإمامُ، الْعادلُ، الْأديبُ، الْبليغُ، الْأكْملُ، وجمع وصنف، والله يمده بتوفيقه، سمع مني وسمعت منه، له تواليف، وكتب، وبلاغة.

٤- خليل بن كليكدي (٦٩٤- ٧٦١) الإمام، الحافظ، الفقيه، البارع، المفتي، وحفظ كتبا، وقرأ، وأفاد، وانتقى، ونظر في الرجال والعلل وتقدم في هذا الشأن، مع صحة الذهن وسرعة الفهم.

٥- عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٦٩٤-٧٦٠): الإمام، المفتي، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام.

وقدم علينا بولده طالبَ حديث، فقرأ الكثير، وسمع وعني بهذا الشأن.

وكان خيرا، صالحا، حسن الأخلاق، كثير الفضائل.

سمعت منه وسمع مني، والله يحسن إليه بمنه.

٦- عبد القادر بن محمد (٧١٧-): الشيخ، الفقيه، المحدث، العالم، علقت عنه فوائد.

٧- محمد بن عبد البر (٧٠٧-٧٧٧): القاضي العلامة بهاء الدين أبو البقاء السبكي.

إمام، متبحر، مناظر، بصير بالعلم، محكم للعربية وغيرها، مع الدين والتقوى والتصوف.[1] المعجم المختص بالمحدثين (١٤، ٧٥، ٩١، ٩٢، ١٤٧، ١٤٩، ٢٣٧).

* وقال **بعض الحكماء**: إذا قصرت يدك عن المكافأة؛ فليطل لسانك بالشكر.

المجالسة وجواهر العلم (١٢١).

---

(١) وأثنى على كثير من طلابه وأقرانه، فضلا عن شيوخه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فانظر وتأمل كيف يفيض بالثناء العجيب على تلاميذه، الذين يكبرهم بأكثر من عشرين عاما، وتجد بعض الناس يبخل بكلمة ثناء على أقرانه، أو طلابه الذين يكبرهم بسنوات قليلة، والقلب إذا سلم من الحسد والكبر وحظوظ النفس كرم اللسان وجاد بالثناء والمدح والشكر، وأذاع محاسن الآخرين، ولهج بذكر فضائلهم، وأحجم عن معايبهم.



الغيرة والعفّة(١)

* عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي قال: حضرت مجلس **موسى بن إسحاق القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة فادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة. قومي! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدعيه ولا يسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق. شعب الإيمان (١٠٣١٣).

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في حق مَن لا يغار إذا انتُهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله-: فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.

ومعلوم أن المؤمن لا يخلو من ذلك بالكلية، ومن خلا من ذلك بالكلية فهو منافق محض، وكافر صريح، إذ المؤمن لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا بد أن يتبرأ من الإشراك بالله وأعداء الله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] الاستقامة: ٣٥٠ .



* شهد أعرابي عند **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك. فقال معاوية وتبسم: هذا جزاء من عجل. الكامل في اللغة / ٢٧٧.

* ومن أمثال العرب: رب عجلةٍ تهب ريثا.(١) الكامل في اللغة / ١٨٤.

* وكان يقال: أناة في عواقبها دَرَك، خير من معاجلة في عواقبها فَوت. عيون الأخبار ٧٥ / ١.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب. تهذيب الحِلْية ٥٠٩ / ٢.

* وقَالَ **إبراهيم الْخَوَّاص** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١): «الْعَجَلَةُ تَمْنَعُ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ». شعب الإيمان (٦٤٧٧).

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة. الزهد لوكيع (٤٥٨).

---

(١) يُضرب مثلا للرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف، والريث الإبطاء والتأخّر. الكامل في اللغة / ١٨٤



الزهد وذم الدنيا(١)

أ- فضل الزهد:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٢.

* وقال **أبو واقد الليثي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): تابعنا الأعمال ولم نجد شيئا أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. الزهد لوكيع (٢)، الزهد لأبي داود (٣٢٢).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يقول: الحمد لله الذي جعل مفر الأغنياء إلينا عند الموت، ولا نحب أن نفر إليهم عند الموت، إنّ أحدهم ليقول: ليتني صعلوك من صعاليك المهاجرين. الزهد لابن المبارك (٦١٣).

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنّ الذمّ الوارد في الكتاب والسنّة للدنيا ليس هو رجعًا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى جعلهما خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا.....
وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا ومسكنًا، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنْبته فيها من الزرع والشجر، ولا إلى ما بثّ فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذمّ راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضرّ عاقبته، أو لا تنفع كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ [الحديد:٢٠]. جامع العلوم والحكم / ٣٩٢- ٣٩٣.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

* وقال رجل **لمحمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): أوصني قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٨.

* وقال **ابن السَّمَّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣): الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لكَ من الباقي قليلٌ، ولم يبقَ من قليلِك إلا قليل.[1].

وقد أصحبتَ في دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نَفسك لعلَّك تنجو. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٢.

---

(١) لو قارن العاقل حياته الدنيويّة بالحياة البرزخية لعلم أنه مغبونٌ ظالمٌ لنفسِه إن سخَّر اهتماماته في تحصيل لذائذه الدنيويّة فحسب.

وحياته الدنيويّة الحقيقية ليست هي كلّ عمره، فلو فرضنا رجلًا عُمِّر ثمانين سنة، فإن معدل عمرِه الحقيقي ما بين (١٥ - ٢٠) سنةً، وتفصيل ذلك: أننا لن نحسب (١٥) عامًا من عمره؛ لأنه زمن لا يُكلّف فيه غالبًا، والناس كلهم متشابهون في قضاء أوقات هذا العمر.

وسيقضي ثلث عمره نائمًا، إضافة إلى جزء من يومه يخلد فيه إلى الراحة بعد عناء التعب والإرهاق من العمل، أي حوالي (٢٥) سنة، وهذه الأوقات لا تُحسب عمره -في الأغلب الأعم-؛ لأنّ النوم أخو الموت، ويشترك الناس فيها.

فبقي من عمره (٤٠) عامًا.

وسيقضي أكثر من نصف عمره المتبقي في العمل، والسفر، والتنقل، وفي أكله وشربه، وقضاء حاجته.

فغالب الناس يعملون من الصباح إلى الظهر، وفترة الظهر يقضونها في الأكل والراحةِ والنوم.

فبقي من عمره الحقيقي في أعلى تقدير: (٢٠) عامًا.

فهل يليق بعاقلٍ أن يُفني هذا العمر القصير في اللهو واللعب، وفعلِ الحرام، وهو يعلم أنّ ضياعه يعني خسارته في الآخرةِ وندامته الشديدة؟

وهل يُقدِّم التمتع في هذا العمر القصير، ويخسر الحياة الباقية التي لا حدّ لها ولا عدّ؟

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

ب- معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد:[1]

* قال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ليس الزُّهد بأكل الغَليظ، ولبس الخشن، ولكنه قِصَرُ الأمل، وارتقابُ الموت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيكون الرجل زاهدًا ويكون له المال؟ قال: نعم! إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر.[2] تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يَقَعُ الْغَلَطُ فِي الزُّهْدِ مِن وُجُوهٍ كَمَا وَقَعَ فِي الْوَرَعِ:**

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْمًا زَهِدُوا فِيمَا يَنْفَعُهُم بِلَا مَضَرَّةٍ، فَوَقَعُوا بِهِ فِي تَرْكِ وَاجِبَاتٍ أَو مُسْتَحَبَّاتٍ، كَمَن تَرَكَ النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ وَنَحْو ذَلِكَ..

وَالثَّانِي: أَنَّ زُهْدَ هَذَا أَوْقَعَهُ فِي فِعْلِ مَحْظُورَاتٍ، كَمَن تَرَكَ تَنَاوُلَ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَنْفَعَةِ وَاحْتَاجَ إلَى ذَلِكَ فَأَخَذَهُ مِن حَرَامٍ، أَو سَأَلَ النَّاسَ الْمَسْأَلَةَ الْمُحَرَّمَةَ، أَو اسْتَشْرَفَ إلَيْهِمْ، وَالِاسْتِشْرَافُ مَكْرُوهٌ.

وَالثَّالِثُ: مَن زَهِدَ زُهْدَ الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ وَالرَّاحَةِ، لَا لِطَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إذَا كَانَ زَاهِدًا بَطَّالًا فَسَدَ أَعْظَمَ فَسَادٍ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُعَمِّرُونَ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةَ. مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٥٠).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزُّهْدُ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الرهبان قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ مَا لَا يطيقه كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. البداية والنهاية ١٠/ ١٤١.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر. فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرك ولو كثر، ومتى كان في قلبك: ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

وإنما يُحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٨

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما =

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء؛ أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثوابًا عند الله تعالى، الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن.

ثم الزهد فيما حرم الله تعالى من الأخذ والإعطاء.

ثم يقبل على القرآء فيقول: زهدكم هذا يا معشر القرآء فهو والله أخسه عند الله؛ الزهد في حلالا الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٤٣٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن زهد رجل فلا يجعلن زهده عذابا على الناس. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩١.

* وسأل رجل **ربيعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) فقال: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها، ووضعها في حقها. الزهد لابن أبي الدنيا ٢/ ١٢٩، تهذيب الحِلْية ١/٥٣٣.

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت **لأبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) يومًا: إني لأجد شيئًا يحزنني قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي الدنيا.

فقال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا

= يخاف ضرره في الآخرة..

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٧٨-١٨٢

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة: ما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها، قال: التحقيق: أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله وكان شاكرا لله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. مدارج السالكين ٢/ ١٨٤.

أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئًا من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئًا من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها. تهذيب الحِلْية ٥٢٧/ ١.

* وقال **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **يحيى بن معاذ الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): كيف لا أحبّ دنيا قُدّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أُدركُ بها طاعةً أنالُ بها الآخرة. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلًا وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيّع لياليه، وكان زاده منها إلى النار. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وقيل له: أي شيء الزهد في الدنيا؟.

قال: من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها، وابتلي ببلية فصبر، فذلك الزهد.

قيل له: فإن أنعم عليه بنعمة فشكر، وابتلي فصبر وهو ممسك للنعمة، كيف يكون زاهدًا؟.

قال: من لم تمنعه البلوى من الصبر والنعمة من الشكر فذلك الزاهد. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وسئل **ابن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الزهد ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما

أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهادًا.[1] تهذيب الحِلْية ٢/٤٤١.

* وقيل **لأبي صفوان الرعيني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان سفيان بن عيينة يجيء فيسلم عليه ويقف عليه-: ما الدنيا التي ذمها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال: كل ما أصبت من الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٥، جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، قال: وأنا أذهب إلى أنّ الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّوَجَلَّ.[2] تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد في القلب. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجاري يؤذي المعدة ولا يروي..

وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود، فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات فإن ذلك يؤذي البدن والدين. تلبيس إبليس:١٧١.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي قال أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته. تهذيب الحِلْية ١٩٤/ ٣.

* وسئل **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد في الدنيا؟ قال: القُنوع هو الزهد، وهو الغنى. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٧.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٩): الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.[1] تهذيب الحِلْية ٥٧/ ٣.

* وجاء رجل إلى **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠)، فجعل كأنه يذكر الزهد، فأقبل عليه وهيب فقال: لا تحمل سعة الإسلام على ضيقة صدرك. تهذيب الحِلْية ٣٥/ ٣.

* وقال **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): الزاهد الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح، وإذا فاتته لم يحزن. ترتيب المدارك (١/ ٣٣٨).

* وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات **مالك بن أنس** (ت: ١٧٩) عن مائة عمامة، فضلًا عن سواها.

وقال ابن أبي أويس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جميع ما في منزله يوم مات من منصات وبرادع وبُسط ومخادد محشوة بريش وغير ذلك، بنيِّفٍ على خمسمائة دينار.

قال محمد بن عيسى بن خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلَّف مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسمائة زوج من النعل، وقد اشتهى يومًا كساء قومسيًّا[2]، فما بات إلا وعنده منه سبعةٌ بُعثت إليه.

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير، ومحال أن يُرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعا وعقلا وعرفا. بدائع الفوائد: ٣/ ١٣٢.

(٢) القومسي: نسبة إلى قومس، وهي مدينة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان. معجم البلدان ٤/ ٤١٤.

فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيّف.[(١)] ترتيب المدارك (١/ ٢٤٧).

---

(١) الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون والعلماء والصالحون **ينقسمون إلى قسمين:**

قسم لا يرون بأسًا في انبساط الدنيا عليهم، بل إنّ بعضهم يسعى في التجارة واكتساب المال والمتاع الحلال كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن المبارك والليث بن سعد رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وبعضهم يَقبل هبات وعطايا الحكام، كالإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وهؤلاء يرون التوسعة على أنفسهم وأهليهم وأكل الطيب من الطعام والشراب ولبس حَسَن الثياب.

وقِسم يرون في ذلك بأسًا وحرجًا، ويرون التضييق على أنفسهم والتقشف والزهد في كثير من الحلال.

ويقنعون بأقل القليل من الدنيا والطعام والشراب والمتاع والمسكن.

ومنهم من لا يقبل هبات وعطايا الحكام، كالفضيل بن عياض وسفيان الثوري وبشر الحافي والإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وقد اختلفوا في سياساتهم للحياة، وتعددت آراؤهم في التعامل مع النفس والناس، كاعتزال الحكام والدخول عليهم، ولزوم بعض العبادات أكثر من غيرها، ولازال الصالحون على هذا الاختلاف إلى يومنا هذا.

ومن المصيب منهم؟

كلهم مصيب في ذلك؛ لأنّ كلّ واحد منهم أخذ بما هو الأصح أو الأصلح له ديانةً أو دنيا.

ولكنهم اتفقوا على شيء واحد، وهو طلب رضا الله تعالى، والصدق والإخلاص في العلم والعمل والدعوة إليه.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الزهد ليس برفض الدنيا من الملك، بل رفضها من تعلق القلب بها، وتقديم محبتها على محاب الله، وعلامة ذلك: أنه لو تعارض شيء منها مع أوامر الله: تُقدم أوامر الله عليها وعلى كل شيء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين عند منزلة الزهد: فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد رَحِمَهُمُ اللَّهُ. ا.هـ.

وما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: التحقيق: أنه إن شغلَتْه هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله =

* وسئل **الإمامُ أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): **ما الزهد فِي الدنيا؟**.

قَالَ: قصر الأمل، والإياس مما فِي أيدي الناس. طبقات الحنابلة (١/ ٨٢).

* وقيل **لأبي الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧): أيها الشيخ تدعو الناس إلى الزُّهد فِي الدنيا، والترك لها، وتلبسُ أحسَنَ الثياب، وتأكُلُ أطيبَ الطعام، فكيف هَذَا؟.

فَقَالَ: كُلُّ ما يُصلحك لله فافعله، إِذَا صلح حالك مَعَ الله بلبس لَيِّن الثياب وأكْلِ طَيِّب الطعام فلا يَضُرّك.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إنْ رأيت نفسك تصاغَرَت إليها الدنيا، أو دعتك إلى الزهادة فيها على حالِ تعَذُّرٍ منها عليك، فلا يغرَّنك ذلك في نفسك على تلك الحال، فإنها ليست بزهادة، ولكنها ضَجر، واسْتِخْذاء[2]، وتغيُّر نفس عندما أعجزك من الدنيا، وغضَبٌ منك عليها مما الْتوى[3] عليك منها.

ولو تَمَّمْت[4] على رفضها، وأمسكت عن طلبها: أَوْشَكْت أن ترى من نفسك من الضَّجر والجزع أشدّ من ضجرك الأول بأضعاف.

ولكن إذا دعتك نفسك إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك: فأسرعْ إلى إجابتها. الأدب الكبير (١٢٣).

=عن الله وكان شاكرا لله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. ا.ه

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا هو الصحيح في فهم معنى الزهد، فالمعنى الحقيقي للزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وتجريد القلب عن التعلق بالدنيا والطمأنينة والركون إليها.

(٢) أي: خُضوع، وذلٌّ، وانْقِياد.

(٣) أي: صعب عليك الوصول إليه.

(٤) أي: أمضيت وأنفذت.

ج- ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها[(١)]:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أمثلة تبين حقيقة الدنيا، **أكتفي بأربعةِ أمثلة**:

١- رجل هيأ دارا وزينها ووضع فيها من جميع الآلات ودعا الناس إليها: فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير وقدم إليه طبقًا من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه وأخدمه عبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار، ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف يجلس حيث أجلسه، ويأكل ما قدمه له ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يفعله مع ضيوفه، فدخل الدار كريمًا وتمتع فيه كريمًا وفارقها كريمًا، ورب الدار غير ذام له.

وأما الأحمق، فحدَّث نفسه بسكني الدار وحوز تلك الآلات إلى ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته، فتخير المجلس لنفسه وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكان في الدار يخبِّئُها فيه، وكلما قدم إليه ربها شيئًا أو آلة حدَّث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف، ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجه من داره حتى إذا ظن أنه قد استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلاتها تصرف المالك الحقيقي واستوطنها واتخذها دارًا له أرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجا عنيفًا وسلبوه كل ما هو فيه ولم يصحبه من تلك الآلات شيء وحصل على مقت رب الدار له وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحشمه وخدمه.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل، فإنه مطابق للحقيقة، والله المستعان.

٢- قوم سلكوا مفازة فاجأهم العطش فانتهوا إلى البحر وماؤه أمر شيء وأملحه فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا، وجعلوا كلما ازدادوا شربا ازدادوا ظمأ حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشًا، وعلم عقلاؤهم أنه مر مالح وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمؤه فتباعدوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضا حلوة فحفروا فيها قليبا فنبع لهم ماء عذب فرات فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر: هلموا إلى الماء الفرات، وكان منهم المستهزئ، ومنهم المعرض الراضي بما هو فيه، وكان المجيب واحدًا بعد واحد. وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: (مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله).

٣- مثل الإنسان ومثل ماله وعشيرته وعمله مثل رجل له ثلاثة إخوة فقضى له سفر بعيد طويل لابد له منه، فدعا إخوته الثلاثة وقال: قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ما كنت إليكم الآن، فقال أحدهم: أنا كنت أخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب وما عندي غير هذا، فقال له: لم تغن عني شيئًا، فقال للآخر: ما عندك؟ فقال: كنت أخاك وصاحبك إلى الآن وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ومن هنالك لست لك بصاحب، =

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): يا معشر المهاجرين، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، فإنه مسخطة للرزق. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد الآخرة أَضَرَّ بالدُّنيا، ومن أَراد الدنيا أَضرَّ بالآخرة، فأَضِرُّوا بالفاني للباقي. الزهد لهناد (٦٦٤)، الزهد لوكيع (٧٠).

* وقيل **لعليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): يا أبا الحسن صف لنا الدنيا؟

= فقال له: أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري، فقال: ما عندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك في صحتك ومرضك وأنا صاحبك الآن وصاحبك إذا ركبت راحلتك وصاحبك في مسيرك فإن سرت سرت معك وإن نزلت نزلت معك وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبدا، فقال: إن كنت لأهون الأصحاب علي وكنت أوثر عليك صاحبيك فليتني عرفت حقك وآثرتك عليهما.

فالأول: ماله، **والثاني:** أقاربه وعشيرته وأصحابه، **والثالث:** عمله.

٤- **وهو من أحسن الأمثلة:** ملك بنى دارا لم ير الراؤون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها، ونصب إليها طريقًا وبعث داعيًا يدعو الناس إليها وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة وألبست أنواع الحلي والحلل، وممر الناس كلهم عليها، وجعل لها أعوانًا وخدمًا، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زادا للمارين السائرين إلى الملك في تلك الطريق، وقال لها ولأعوانها: من غض طرفه عنك ولم يشتغل بك عني وابتغى منك زادا يوصله إلي فاخدميه وزوديه ولا تعوقيه عن سفره إلي، بل أُعينه بكل ما يبلغه في سفره، ومن مد إليك عينيه ورضى بك وآثرك على وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب وأوليه غاية الهوان، واستخدميه واجعليه يركض خلفك ركض الوحش، ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلًا ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله وسلطي عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك وتعظيمك وإكرامك فقابليه بأمثاله، قِلىً وإهانةً وهَجْرا، حتى تتقطَّع نفسُه عليك حسرات. عدة الصابرين/ ٢٧٦-٢٧٧.

(١) أي كوثبته من مكانه، يريد تقليل مدتها.

قال: أطيل أم أقصر؟ قالوا: بل أقصر قال: حلالها حساب، وحرامها النار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن علمه وحلمه، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال، ظل فرحًا مسرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره، ثم لا يُحْزِنُهُ[1] ذَلِكَ، ضل ضلاله، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٣.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنّى أننا مثلهم عند الموت، ما أنصفَنا إخوانُنا الأغنياء: يحبوننا على الدين، ويعادوننا على الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٤.

* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: لا يصيب عبدٌ شيئًا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان عليه كريمًا. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٩٧،.

* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مررت مع **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخربة فقال: يا مجاهد، ناده: يا خربة، أين أهلك؟ قال: فناديت، فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. الزهد لابن المبارك (٥٩٣).

* **وقال الشاعر:**

يُؤَمِّلُ دُنْيا لِتبقَى لهُ ... فماتَ الْمُؤَمِّلُ قَبلَ الأملْ

يُرَبِّي فسيلا ويُعْنَى به ... فعاشَ الْفَسِيلُ وماتَ الرَّجُلْ

* وقال الآخر:

وَكَمْ نائمٍ نام فِي غِبطَةٍ ... أَتَتْهُ الْمَنيَّةُ في نَومتِهِ

(١) في الأصل: يجزيه، والصواب المثبت.

وَكَـمْ مِـن مُقِيـمٍ علـى لَـذَّةٍ دَهَتْـهُ الْحـوادِثُ في لَذَّتِـهِ
وكُلُّ جديـدٍ علـى ظهرهـا سـيأتي الزَّمـانُ على جِدَّتِـه

* وقال الآخر:

هي الدُّنْيا تُعذِّبُ من هواها وتُـورِثُ قلْبـه حُزنًـا وداء

المجالسة وجواهر العلم (٦٨).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوهة خلقها، فتشرف على الخلائق، فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم، واغتررتم، ثم تقذف في جهنم، فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أَلْحِقُوا بها أتباعها وأشياعها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٧٢.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: جاء ملك الموت إلى نوح، فقال: يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان، فقام وسط البيت هُنَيَّة، ثم خرج من الباب الآخر. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٧.

* ولما كبر **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) خرجت له قرحة في ظهره، فكان إذا لبس دثارا ثقيلا -والشام أرض باردة- أثقله ذلك وغمَّه، فقال: اصنعوا لي دثارا خفيفا دفيئا، فصُنع له، فلما ألقي عليه تسار إليه ساعة ثم غمه، فقال: جافوه عني، ثم لبسه، ثم غمه، فألقاه، ففعل ذلك مرارا، ثم قال: قبحك الله من دار! ملكتك أربعين سنة؛ عشرين خليفة، وعشرين أميرا، ثم صيرتني إلى ما أرى؟! قبحك الله من دار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٢.

* وقال **أبو ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥): إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ،

فَقَالَ: «أَتَرَى أُحُدًا؟» فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ».

قال أبو ذر: ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا.

فقيل له: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ؟.

قَالَ: خُذْهُ؛ فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً، فَإِذَا كَانَ ثَمَنًا لِدِينِكَ فَدَعْهُ. صحيح مسلم (٩٩٢).

* وعن **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: ما يُنتظر من الدنيا إلا كلّ محزن أو فتنة تُنتظر. الزهد لوكيع (٦٦).

* وقال **عمرو بن حريث** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٥) وغيره: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصُفّة[1]: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشور:٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أنّ لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا.[2] الزهد لابن المبارك (٥٠٩).

* وكتب **زر بن حبيش** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٣) إلى عبد الملك بن مروان كتابًا يعظه فيه، وكان في آخر كتابه:

ولا يُطْمعنك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال وُلِدت أولادُها ... وبَليت مِن كبر أجسادها

وجعلت أسقامها تعتادها ... تلك زروعٌ قد دنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب، بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر،

---

(١) الصفة: موضع في مؤخر مسجد النبي ﷺ، كان يأوي إليه مِن فقراء أصحاب النبي ﷺ الذين ليس لهم أهل ولا مكان يأوون إليه، فسموا أهل الصفة.

(٢) فإياك أن تسأل الله أن يبسط لك الدنيا، وأن يُكثر مالك، فربما طغيت وبغيت، كما هو حال أكثر من بسط الله له الدنيا، واسأل الله رزقا يكفيك، وأن يبارك لك فيه.

ولو كتب إلينا بغير هذا لكان أرفق. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٣.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): عجبًا لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يوم مرحَلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة!. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٤.

* وكان يُقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة كمثل عبد له ربَّان، لا يدري أيهما يرضي. الزهد لهناد (٦٦٢).

* وكان **عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية** (ت: ٨٩) خِلًّا لعبد الملك بن مروان رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره، وقف[1] عليه، فقال له: أنت عبد الملك الذي كنت تَعدني فأرجوك، وتُوعدني فأخافك؟ أصبحتَ وليس معك من مُلْكك غير ثوبك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين!.

ثم انكفأ إلى أهله، واجتهد في العبادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٣.

* وكان **بشير بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا!، فيجيء بهم إلى السوق -وهي يومئذ مزبلة- فيقول: انظروا إلى دجاجهم، وبطهم، وثمارهم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٧.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها. الزهد لابن المبارك (٥٠٦).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها.[2] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٦٤.

---

(١) في المطبوع: وقل، ولعله خطأ مطبعي.

(٢) وإذا كان المريض ينظر إلى طيِّب الطعام فلا يشتهيه من شدة الوجع، ولو أكله ما تلذّذ به:=

* وقال الشاعر:

رأيـت أخـا الدنيـا وإن بـات آمنـا ... على سفر يسري به وهو لا يدري

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٣.

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

أَشَـدُّ الغَـمّ عِنْـدي في سُـرورٍ ... تَيَقّـنَ عَنـهُ صاحِبُـهُ انْتِقـالا[1]

ديوان المتنبي (١٨٢).

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: مات بشر بن مروان فدفن، ثم مات أسود فدفن إلى جنبه، فمررت بقبرهما بعد ثالثة فلم أعرف أحدهما من قبر صاحبه، فذكرت قول الشاعر:

والعطيَّـاتُ خسـاس بينهـم ... وسـواء قبـر مُثْـرٍ ومُقِـلّ

ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣١.

* وقال الشاعر:

جهـول ليـس تنهـاه النواهـي ... ولا تلقـاه إلا وهـو سـاهي

يُسَـرُّ بيومـه لعِبًـا ولهـوًا ... ولا يـدري وفي غـده الدواهي

مـررت بقصـره فرأيـت أمـرًا ... عجيبًـا فيـه مزدجَـرٌ وناهـي

بدا فوق السرير فقلت: من ذا ... فقالوا: ذلك الملك المباهي

رأيت الباب سُوِّد والجواري ... ينحن وهن يكسرن الملاهي

تبيَّـنْ أي دار أنـت فيهـا ... ولا تسكن إليها وادر ما هي

=فكذلك صاحب الدنيا، الذي صرف جلّ همّه لها، لا يلتذُّ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها، وليس في الدنيا وأحلى ولا ألذّ منها.

(١) يقول: السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه فهو عندي أشد الغم لأنه يراعي وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور. شرح ديوان المتنبي للواحدي (١١١).

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٢.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما في الدنيا شيء يسرّك، إلا وقد ألزق به شيء يسوءك. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأمانيّ. المنتظم ٨/٣٢.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك. تهذيب الحِلْية ١/ ٥٢٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعمةُ الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيتُه أعطاها قومًا فهلكوا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٧.

* وقال **بعض السلف**: ما أدري أنعمة الله عليّ فيما بسط أعظم، أو نعمته علي فيما زوى عني؟ الزهد لابن المبارك (٤٠٤).

* وقد **قيل**: إذا أقْبلت الدنيا على إنسان أعارتْهُ محاسن غيره، وإذا أدْبرتْ عنه سلبتْهُ محاسن نَفْسِهِ.[1] درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (٣٣).

* وقال **محمد بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): الدنيا دار فناء ومنزل بُلْغة، رَغِبت عنها السعداء، وأسرعت من أيدي الأشقياء، فأشقى الناس بها أَرْغب الناس فيها، وأسعد الناس فيها أزهد الناس بها، هي المعذِّبة لمن أطاعها، المهلكة لمن اتَّبعها، الخائنةُ لمن انقاد لها، عِلْمُها جهل، وغناؤها فقر، وزيادتها نقصان، وأيامها دول.

---

(١) صدق وأحسن من قال: متاع الدنيا من الزينة والجاه والغِنى إنما هو لباسٌ لغيرك خُلِع منه وأُلْبِسْتَ إيّاه.

فلا تغترّ به فسوف يُخلع منك كما خُلِع من غيرك.

تهذيب الحِلْية ٥١٦/ ١.

❊ ومر **بعض السلف** على قوم فقيل: هؤلاء زهّاد، فقال: ما قدْر الدنيا حتى يُحمد من زهد فيها؟ أدب الدين (١٩٨).

❊ وقال **الشاعر**:

لَـو كَانَ عُمرُكَ أَلْفَ حَولٍ كامِلٍ   لَـم تَذْهَـبِ الأَيَّـامُ حتَّـى تَنْقَطِـعْ
إنَّ الْمَنِيَّـةَ لا تَـزَالُ مُلِحَّـةً   حَتَّـى تُشَـتِّتَ كُلَّ أَمْـرٍ مُجْتَمِـعْ
لَعِبَـتْ بِنـا الدُّنْيـا وكيـفَ تَغُرُّنـا   أم كيفَ تَخْدَعُ من تشاءُ فَيَنخَدِعْ
والْمَـرءُ يُوطِنُهـا ويَعلـمُ أَنَّـهُ   عنهـا إلـى وطَـنٍ سِـواها مُنْقَلِـعْ

المجالسة وجواهر العلم (٣٩٨).

❊ وأخذ **مسروقٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣) بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها[1]، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم. تهذيب الحِلْية ٣٠٥/ ١.

❊ وقال **أبو العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣):

أرى الدنيـا لمـن هـي في يديـه   عَذابـا كلمـا كثـرت لديـه
تهيـن المكرميـن لهـا بصُغْـر   وتكـرم كل مـن هانـت عليـه
إذا استـغنيت عـن شـيء فدعـه   وخـذ مـا أنـت محتـاجٌ إليـه

❊ وبعث إلي هارون الرشيد، وقد زخرف مجالسه، وبالغ فيها وفي بنائها، ووضع فيها طعامًا كثيرًا، ثم وجه إلى **أبي العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأتاه، فقال: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا؟ فأنشأ يقول:

(١) أنضى البعير: أي هزَله.

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهقة القصور.

فقال: أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

يُسعى عليك بما اشتهيت مع الغدوّ وفي البكور.

فقال: أحسنت أيضًا! ثم ماذا؟ فقال:

فإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور.

فهناك تعلم موقنًا ما كنت إلا في غرور.

فبكى هارون، فقال: الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره، فأحزنته! فقال هارون: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا عمى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٢.

* وقال **بعضهم**: ترك التلبس بالدنيا قبل التشبث بها أهون من رفضها بعد ملابستها. أدب الدين (١٩١).

* **ووُجد في حجر مكتوب**: يا بن آدم، لو إنك رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، ولقصَّرت في حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك بعائد، ولا في عملك بزائد. البيان والتبيين (٣/ ١١٤).

* وقال **بعض السلف**: ابن آدم، إنما أنت جيفة منتنة، طيَّبَ نسيمَك ما رُكِّب فيك من روح الحياة، فلو قد نزع منك روحُك أُلقِيتَ جثةً ملقاه، وجيفةً منتنة، وجسدًا خاويًا، وقد جَيَّف بعد طيبِ ريحه، واستُوحش منه بعد الأنس بقربه، فأيُّ الخليقة ابن آدم منك أجهل؟ وأي الخليقة منك أعجب؟ إذا كنت تعلم أنَّ هذا مصيرك، وأن التراب مقيلك، ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تَقَرُّ بالدنيا عينًا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٧.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): إنّ مَن كان قبلنا كانوا يجعلون

للدنيا ما فضلَ من آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم. صفة الصفوة ٣/ ٧١.

* واحتُضر **رجل** بالمدينة فقال: لا تغرنكم الدينا فقد غرتني!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٦.

* ودخلوا على **رجل** وهو في الموت فقال: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا-. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٢١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يابن آدم بعْ دنياك بآخرتك تربحْهما جميعًا، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسناتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا كذلك على ذلك فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عَزَّوَجَلَّ في كل يوم وليلة. الزهد لأحمد: ٤٨١.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ذكر صاحب الدنيا يقول: والله ما بَقِيتْ له ولا بقي لها، ولا سَلِم من تَبِعَتِها ولا شرِّها ولا حِسَابها، ولقد أُخْرج منها في خِرْقة! تهذيب الحِلْية ٣٣٠/ ١ .

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما أحدٌ من الناس بسط الله عَزَّوَجَلَّ له دنيا فلم يخف أن يكون قد مُكر به فيها إلا كان قد نَقَصَ عِلْمُه وعَجَزَ رأْيُه، وما أمسكها الله عَزَّوَجَلَّ عن عبدٍ فلم يظن أنه قد خِير له فيها إلا كان قد نَقَصَ عِلْمُه وعَجَزَ رأْيُه.[١] الزهد لأحمد: ١٠٤ .

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قول الله ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الليل:٨]: بخل بما لا يَبْقى، واستغنى بغير غَناء.[٢] الزهد لابن المبارك (١١٩٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منهومان[٣] لا يشبعان: منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها.

فمن تكن الآخرة همّه، وبثّه[٤]، وسَدَمه[٥]: يكفي الله ضيعته[٦]، ويجعل غناه في قلبه.

ومن تكن الدنيا همّه، وبثّه، وسَدَمه: يُفشي[٧] الله عليه ضيعته، ويجعل فقره

---

(١) قال ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي فَضْلِ الصَّبْرِ عَلَى الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا، وَفَضْلِ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِالْكَفَافِ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يَكْفِي دُونَ التَّكَاثُرِ الَّذِي يُلْهِي وَيُطْغِي: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا كِتَابٌ، أَوْ يَشْتَمِلَ عَلَيْهَا بَابٌ، وَالَّذِينَ زَوَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمُ الدُّنْيَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً. جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٢٧.

(٢) بخل بما لا يَبْقى، وهي الدنيا الفانية، واستغنى بغير غناء، أي: بغير نفع، وكلّ ما سوى الله فليس غناء ولو كان ملْءُ الأرض، ومن استغنى بالله فهو الغني ولو كان لا يملك من الدنيا إلا ثوبه.

(٣) النّهم: الولوع بالشيء ومحبته والميل إليه.

(٤) أي: أكْثر من ذكره ونشره والتحدّث به.

(٥) أي: لهجه وهمّه وولوعه به.

(٦) ضيعة الرجل: ما يكون منه معاشه، كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك.

(٧) أي: يُكثر معاشه وأشغاله وهمومه.

بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيرا، ولا يمسي إلا فقيرا. مسند الدارمي (٣٤٣).

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدُّنيا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: إنما سميت الدنيا لأنها دنية، وإنما سمي المال لأنه يميل بأهله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٣.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينشد من قول ابن حطان:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ... على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت قليلا كأنها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٠.

* وقال له رجل: أوصني، قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٠٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا؛ فانظر عند من هي![1] ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ازداد عبدٌ علما، فازداد في الدنيا رغبة، إلا ازداد من الله بعدا. مسند الدارمي (٤٠٠).

* وسئل **سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): بِمَ يَسْهُلُ على الْعَبْدِ تَرْكُ الدُّنْيا وَكُلِّ الشَّهواتِ؟ قال: بِتشاغُلِهِ بما أُمِرَ به.[2] تفسير القرطبي (٥/ ٥٧).

---

(١) عند أهل الغفلة والشّره والجهل والطمع -غالبًا-، فهل يليق بالمؤمن اللبيب أنْ يكون في صفّهم، ويتمنى أن يكون مثلهم؟

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبقدر انشغال المؤمن بما أُمر به وجوبًا واستحبابًا انصرف قلبه عن الدار الدنيا وملذّاتها إلى الدار الآخرة، وسهلت عليه الطاعات، وعافت نفسُت مقارفة المعاصي واللهو، وعلت همّتُه، وزكت نفسُه.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): رَهبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتُه في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالًا، لا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥١، تهذيب الحِلْية ٩/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مالكم وللملوك؟ ما أعظم منّتَهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة، فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون، تبيعونهم بالدنيا ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يرضى هذا لنفسه. تهذيب الحِلْية ١٩/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدخول في الدنيا هين، لكن التخلص منها شديد. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أحدا عظم الدنيا فقرت عينه فيها، ولا انتفع بها، وما حقَّرها أحد إلا تمتَّع بها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة الزهد في الناس إذا لم يحبّ ثناء الناس عليه، ولم يبال بمذمتهم، وإن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك ألا يثنى عليك؟ وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله عَزَّوَجَلَّ؟ الآداب الشرعية ٢/ ١٦٧.

* وعن **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): قال: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن أخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك. تهذيب الحِلْية ١/ ٥١١.

* وكان **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار، قرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

قال: الصلاة الصلاة رحمكم الله.

وكان يقول: إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله فليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..﴾ ثم قرأ إلى آخر الآية الزهد لأبي داود (٣٥٦- ٣٥٧).

* وقال **أحمد بن أبي الحواريِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠): من نظر إلى الدنيا نظرَ إرادة وحبٍّ أخرج الله نورَ اليقين والزهدِ من قلبه. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٥.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): عملت في القرآن عشرين سنة، حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ﴾ [القصص:٦٠] تهذيب الحِلْية ٤٩٧/ ٢.

* وقال **بعض الحكماء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما يكفي أهل الدنيا ما يعانون من كثرة الفجائع، وتتابع المصائب في المال والإخوان، والنقص في القوى والأبدان. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٣.

* وقال **بعضهم**:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه — فما فات من شيءٍ فليس بضائر

فما تعدلُ الدنيا جناحَ بعوضةٍ — ولا وزن ريشٍ مِنْ جناحٍ لطائر

فما رضي الدنيا ثوابًا لمؤمنٍ — وما رضي الدنيا عقابًا لكافر

البيان والتبيين ٣/ ٥٠٠.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ألا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثًا: تركَ الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طالبها رفضته ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة. تهذيب الحِلْية ٢٦٠/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكرتك في الدنيا تلهيك عن ربك وعن دينك فكيف إذا باشرتها بجميع جوارحك. تهذيب الحِلْية ٢٦١/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيها المريدون إن اضطُررتم إلى طلب الدنيا، فاطلبوها ولا تحبّوها، وأشغلوا بها أبدانكم وعلِّقوا بغيرها قلوبكم، فإنَّها دار مَمَرّ وليست بدار مقرّ، الزاد منها والمقِيل في غيرها. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدنيا خمرُ الشيطانِ، مَن سكِرَ منها لا يُفيق إلا في عَسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزّقًا ما دام قلبك بحب الدنيا مُتعلقًا. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٢.

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها. تهذيب الحِلْية ٣٤٦/ ١.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: والله لكفى به ذنبًا أن الله يزهدنا

في الدنيا ونحن نرغب فيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦، تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: ألا صابر كريم لأيام قلائل، حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب الحِلْية ٣٠٩/ ٢.

* وقال **الشاعر**:

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ابن أبي الدنيا ٦/ ٩٨.

* وعن **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: أمران لو لم نعذب إلا بهما، لكنا مستحقين بهما العذاب، أحدنا يزداد في دنياه فيفرح فرحًا، ما علم الله منه قط أنه فرح بشيء قط زيد في دينه مثله، وأحدنا ينقص من دنياه، فيحزن حزنًا ما علم الله منه قط أنه حزن على شيء نقصه من دينه مثله. تهذيب الحِلْية ١٢٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: كما لا تنظر الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبدًا. تهذيب الحِلْية ٣١٣/ ٢.

* وأتى رجلٌ **بعضَ الزهاد** فقال له الزاهد: ما جاء بك؟ قال: بلغني زهدك، قال: أفلا أدلك على من هو أزهد مني؟ قال: ومن هو؟ قال: أنت! قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك زهدت في الجنة وما أعد الله فيها، وزهدت أنا في الدنيا على فنائها وذم الله إياها، فأنت أزهد مني!! تهذيب الحِلْية ٣٤٤/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): ليس من أعلام الحب أنْ تحب ما يبغض حبيبك، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهَّدنا فيها فآثرناها ورَغِبنا في طلبها، وعَدَكم خراب الدنيا فحصَّنْتُموها، ونُهِيْتُم عن طلبها فطلبتموها، وأُنْذِرْتم الكنوز فكنزتموها. تهذيب الحِلْية ٤٨٧/ ٢.

* وقال **أبو معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨): الخلق كلهم برهم وفاجرهم، يسعون في أقل من جناح ذباب.

فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟.

قال: الدنيا.(١) تهذيب الحِلْية ٦٧/ ٣.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): قال **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للحواريين: بحق أقول لكم ـ وكان عيسى كثيرًا ما يقول بحق أقول لكم ـ: أن أشدكم حبًا للدنيا أشدكم جزعًا على المصيبة. الزهد لأحمد: ١٤٤.

* وعن **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) قال: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨.

* وقيل **لبعض الحكماء**: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨.

* ونزل **أعرابي** بقوم، فقدموا له طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك، فاقتلعوا الخيمة، فأصابته الشمس، فانتبه وقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيا كظلٍّ بنيتَه ... ولا بدّ يومًا أنَّ ظلَّك زائلُ

ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): من سأل الله تعالى الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف.(٢) تهذيب الحِلْية ٩٠/ ٣.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد روى الترمذي وصحّحه (٢٣٢٠) أنّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**».

وثبت في صحيح مسلم (٢٩٥٧) أنّ رسول الله ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ ميّتٍ مقطوع الأذنين فقَالَ لأصحابِه: «**وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مَنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

فكيف يركن عاقلٌ إلى الدنيا، ويجعل أكثر همّه بها، وجلّ شغلِه لها!

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ثبت في صحيح مسلم (٣٧) أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**».

وإذا كان هذا حال أغنياء الصحابة المهاجرين الفضلاء، فكيف بغيرهم؟

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لنا أن لا نحبّ هذه الدار؛ لأنها دار يُعصى الله فيها، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئا أبغضه الله تعالى لكفانا. الزهد للخطيب (١٣١).

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) قال: رأيت في النوم عجوزا شمطاء، مشوهة، تصفق بيديها، وخلفها خلق يتبعونها، ويصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت علي، فقالت: لو ظفرت بك صنعت بك ما صنعت بهؤلاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١.

* وقَالَ **مُطَرِّف بن الشخّير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): لَوْ كَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا كَمَا هِيَ، ثُمَّ سُئِلْتُهَا بِشَرْبَةٍ أُسْقَاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَافْتَدَيْتُ بِهَا. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٣١٨).

* وقال **الشاعر**:

وكم نائم نام في غبطة ... أتته المنية في نومته
وكم من مقيم على لذة ... دهته الحوادث في لذته
وكل جديد على ظهرها ... سيأتي الزمان على جِدتَّه

ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٢.

* وقال الشاعر:

وحَسْبك مِن صفاتِ الوا ... صفين بأنْ تُعَاينَها
أليس جديدُها يبلى ... ويفني الموتُ ساكنها؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٢.

* وقال **الشاعر**:

لا تغبطن أخا حِرصٍ على سعة ... وانظر إليه بعين الماقت القالي

إن الحريــص لمشــغول لشــقوته عن السرور بما يحوي من المال

ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٥.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧)،قال: الدنيا أمد، والآخرة أبد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٨٩.

* وخطب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) هذه الخطبة، وكان آخر خطبة خطبها: حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سُدى، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه، ليحكم بينكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حَذِر الله اليوم وخافه، وباع نافدًا بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير من بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين.

ثم إنكم تُشيِّعون كل يوم غاديًا ورائحًا، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، ثم في شقِّ صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحاسب، مرتهنٌ بما عمل، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم، أما والله إني لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحدًا، أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولًا، وكنتُ بأسبابه عالمًا، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله. تهذيب الحِلْية ٢٢٢/ ٢.

* وخطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به إنكم لحمقى، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى، إنما خلقتم للأبد، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون.

عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غُصص، ومن شرابكم شرَق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء فنزل. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٨.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): إن من كان قبلكم كانت الدنيا مقبلة عليهم وهم يفرون منها، ولهم من العزم مالهم، وإنكم تطلبون الدنيا وهي مدبرة عنكم، ولكم من الأحداث مالكم، فقيسوا أمركم وأمرهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٥.

* وقال الشاعر:

هذه الدار مُلِّكها قبلنا ... عصبةٌ بادوا وخلوها لنا

فملكناها كما قد ملكوا ... وسيملكها أناس بعدنا

ثم تفنيهم وتفنى بعدهم ... ليست الدنيا لحي وطنا

عجبا للدار كم تخدعنا ... حسرة يا حسرة يا حزنا

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٠٠.

* وقيل **لبعض الحكماء**: صف لنا قدر الدنيا ومدة البقاء؟.

فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك؛ لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، ومالم يأت فلا علم لك به، الدهر يوم مقبل تنعاه ليلته، وتطويه ساعته، وأحداثه تنتصل في الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات، وانخرام الشمل، وتنقل الدول، والأمل طويل، والعمر قصير، وإلى الله تصير الأمور. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٠٣.

* وقال **بعض الحكماء**: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٠.

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بُلْغَتُه بانقضاء مدة أجلك، ثم سوَّفت بعملك، كأنَّ منفعته لغيرك. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢١.

* وكتب **رجل عالم** إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فإن الدنيا ليست بدار مقامة، وإنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، ومثلها مثل الحية مسها لين وفيها الموت، فكن فيها كالمريض الذي يُكره نفسه على الدواء رجاء العافية، وتدع ما تشتهي من الطعام رجاء العافية. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٣.

* وقال **الشاعر**:

عجبا لأمنك والحياة قصيرة ... وبفقدِ إلْفٍ لا تزال تُرَوَّع

أفَقَدْ رضيتَ بأنْ تُعلَّل بالْمُنى ... وإلى المنية كلَّ يوم تُدْفَع

لا تخدعنَّك بعد طولِ تجاربٍ ... دنيا تَكَشَّف للبلاء وتَصْرَع

أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ ... إنَّ اللبيب بمثلها لا يُخْدع

وتزودنَّ ليومِ فقرك دائبا ... ألغيرِ نفسك لا أبالك تجْمَع؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٤.

* وكان **ابن السماك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها: جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشاركوا الحمقى والجهال في جهلهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥٢.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ولكن أين المتّعظ؟

* وقال **بعض الحكماء**: كل شيء فاتك من الدنيا غنيمة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٥٢.

* وقال الشاعر:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذابا كلما كثرت لديه
تُهين المكرَمين لها بصُغْر ... وتكرم كلَّ من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما كنت محتاجا إليه

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٣.

* وقال **الشاعر**:

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

ابن أبي الدنيا ٥/ ١٨٥.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) أنه كان إذا تلى هذه الآية: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر:٥] قال: من قال ذا؟. من خلقها، ومن هو أعلم بها.

قال: إياكم وما شَغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه بابَ شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. ذم الدنيا: (٦٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب بنعيمه، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم

يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩٠.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو أن رجلا دخل على ملك من ملوك الدنيا، فقال: سلني، فقال: أسألك جزَرَةَ بقْل! أكان حازما؟.

فوالله لَلدُّنْيا أهونُ على الله عَزَّوَجَلَّ مِن جزَرَةِ البقْل على الملك.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ١٩٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله من الآخرة. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٥.

* وقال **بعض العلماء**: من زهد في الدنيا ملكها، ومن رغب فيها عبدها، فمن شاء فليعش فيها ملكا، ومن شاء فليعش فيها عبدا. الزهد للخطيب (١٣٤).

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): إنَّ بُغيَتك منها ما يكفيك، فأقلّ عيشها يُغنيك، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما أكثر وألهى. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وسُئِل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) فقيل له: مَن الناس؟ قال: العلماء.

قيل: فمَن الملوك؟ قال: الزهاد.

قيل: مَن السفلة؟ قال: من باع آخرته بدنيا غيره.

وقيل له: مَن أحسن الناس حالًا؟ فقال: من انقطع إلى ربه. ترتيب المدارك (١/ ٣٤٣).

---

(١) فلا يليق بالمؤمن أن يُكثر من سؤال الله تعالى من متاع الدنيا الزائل، ولْيُكثر من سؤال ما ينفعه في آخرته، كالهداية والعلم والثبات على الدين، وسؤال الجنة ورضا الرب جَلَّوَعَلَا.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ومَـنْ يَـذُقِ الدُّنْيَـا فَإنّـي طِعْمَتُهَـا وَسِـيْقَ إِلَيْنَـا عَذْبُهَـا وعَذَابُهَـا

فَلَـمْ أَرَهَـا إِلَّا غُـرُوْرًا وبَاطِـلًا كَمَـا لَاحَ فِـي ظَهْـرِ الفَلَاةِ سَـرَابُهَا

وَمَـا هِـيَ إِلَّا جِيْفَـةٌ مُسْـتَحِيْلَةٌ عَلَيْهَـا كِلَابٌ هَمُّهُـنَّ اجْتِذَابُهَـا

وَ إِنْ تَجتنبها كُنْتَ سِـلْمًا لأَهْلِهَا إِنْ تَجْتَذِبْهَـا نَازَعَتْـكَ كِلَابُهَـا

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنَّ لِلَّـه عِبـــاداً فُطَنـــا تَركـوا الدُنيـا وَخافـوا الفِتَنـا

نَظَـروا فيهـا فَلَمّـا عَلِمـوا أَنَّهـا لَيسَـت لِحَـيٍّ وَطَنـا

جَعَلوهـا لُجَّـةً[1] وَاتَّخَـذوا صالِـحَ الأَعمـالِ فيهـا سُـفُنا

ديوان الشافعي (٤٠، ١٦٣).

* وقَالَت أم ولد **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لَمَّا وَلَدتُ حَسَنًا أعطى مولاي كرامته امرأةً درهمًا وقال لها: اذهبي إلى ابن شجاع -جارٍ لنا قصَّاب- يشتري لك بهذا رأسًا، قَالَتْ: فاشترى لنا رأسًا وجاءت به فأكلنا، فقال لي: يا حُسْن: ما أمْلك غير هذا الدرهم.

وقالت أيضًا: **كان إذا لم يكن عند مولاي أبي عبدالله شيء فَرِح**. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٨٥-٥٨٦).

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): ترك النَّبِيّ ﷺ الدنيا وهو واجدٌ لها، وقد ذمَّها، وقد عُرضت عليه مفاتيحُ خزائنِ الدنيا والخلدُ فيها ثم الجنة، فأبى ذلك ﷺ. طبقات الحنابلة (٢/ ٦١).

* وقال **أبو الحسن البزار المحدث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤١٢): والله ما أحب الحياة

---

(١) اللجة: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه.

للكسب ولا لتجارة، ولكن لذكر الله وللتَّحديث.[١] طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على الأرزاق بذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الإسلام، وتشعّث الأديان، وموتِ السُّنن، وظهور البدع، وارتكابِ المعاصي، وتَقَضِّي العمر في الفارغ الذي لا يُجْدي، فلا أحد منهم ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سببًا **إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا في عيونهم**، ضد ما كان عليه السلف الصالح: **يرضون بالبلاغ**[٢] **وينوحون على الدين**. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٧.

* وقال **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥): لَمَّا وُلِّيتُ وخرجت: وجدت أهل الأرض وقوفًا ينتظروني على الباب، فعلمت هوى الناس للدنيا.[٣] ترتيب المدارك (٢/ ٣٠٩).

* وقال الشاعر:

وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

* وقال **الجنيدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧): ما أخذنا التَّصوّف عن القال والقيل، بل عن الجوعِ، وتَرْكِ الدُّنيا، وقطعِ المألوفات.

(١) كل من كان صادقًا مع الله تعالى مُقبلًا عليه: قال مثل ذلك بلسانِ حاله أو مَقاله.

(٢) أي الشيء اليسير الذي يتبلّغون به في هذه الحياة القصيرة الفانية.

(٣) فعلى كلّ من تولى منصبًا مهما كان كبيرا أن يوقن أن الناس إنما عظَّموه ومدحوه واحترموه -بعدما تولى منصبه- لأجل منصبه، ولو تركَه لَنَسَوْه وهجروه، فلا ينبغي له أن يغتر بثنائهم، ولا يركن إلى تعظيمهم له.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا حسن، ومُرادُه: قطعُ أكثر المألوفات، وتركُ فضول الدُّنيا وجوعٌ بلا إفراط، أمَّا من بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفَضَ سائر الدُّنيا، ومألوفاتِ النَّفس، من الغذاء، والنوم والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خُولِطَ في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفيَّة السَّمحَة، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، والسَّعادة في متابعة السُّنَنِ. فزِن الأمورَ بالعدل، وصُم وأفطِر، ونَم وقُمْ، والزمِ الورعَ في القوت وارضَ بما قسم الله لك، واصمُت إلاَّ من خَير، فرحمة الله على الجُنيد وأين مثلُ الجنيد في علمه وحاله؟.[1] تهذيب

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا يُنكر على من يتقرَّب إلى الله بترك جنس اللذات، كما قال النبي ﷺ للذين قال أحدهم: أمَّا أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أمَّا أنا فلا آكل اللحم. فقال النبي ﷺ: «**لكنِّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مني**»..
والتحقيق: أنَّ العمل لا يُمدح ولا يُذمّ لمجرد كونه لذَّة، بل إنَّما يُمدح ما كان لله أطوع وللعبد أنفع، سواء كان في لذَّة أو مشقة، فربّ لذيذ هو طاعة ومنفعة، وربَّ مُشِقّ هو طاعة ومنفعة، وربَّ لذيذ أو مشقّ صار منهيًا عنه. الاستقامة / ٢٤٨
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تبيَّن هذا، فاعلم أنَّ اللذَّة والسرور أمرٌ مطلوب، بل هو مقصود كل حيّ، وكونه أمرًا مطلوبًا ومقصودًا أمرٌ ضروريٌّ من وجود الحي، وهو في المقاصد والغايات بمنزلة الحس والعلوم البديهية في المبادئ والمقدمات..
وإذا كانت اللَّذَّة مطلوبة لنفسها، فهي إنّما تُذَمُّ إذا أعقبت ألمًا أعظم منها، أو منعت لذَّة خيرًا منها، وتُحمد إذا أعانت على اللَّذَّة المستقرَّة، وهو نعيم الآخرة التي هي دائمة عظيمة)..
وإذا عُرفَ أنَّ لذَّات الدنيا ونعيمها إنَّما هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خُلقت، فكل لذَّة أعانت على لذَّات الآخرة فهو مما أمر الله به ورسوله، ويُثاب على تحصيل اللَّذَّة بما يثوب إليه منها من لذَّات الآخرة التي أعانت هذه عليها، ولهذا كان المؤمن يُثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه، ولباسه ونكاحه، وشفاء غيظه بقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولذَّة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، ولذَّات جسده ونفسه وروحه من اللَّذَّات الحسيَّة والوهمية والعقلية.
وكل لذَّة أعقبت ألمًا في الدار الآخرة، أو منعت لذَّة الآخرة، فهي محرَّمة.
وأمَّا اللَّذَّة التي لا تعقب لذَّة في دار القرار ولا ألمًا، ولا تمنع لذَّة دار القرار، فهذه لذَّة باطلة؛ إذ=

السِّيَر ٣/ ١١٣٣.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ركب - أي: الملك **نور الدين محمود زنكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٨) - يومًا مع بعضِ أصْحابه والشمسُ في ظُهورِهما، وظِلُّها بين أيْدِيهما لا يدْرِكانِهِ، ثم رجَعا فصار الظل وراءَهم، فَساقَ الملكُ نور الدينِ وجعَل يلتَفِتُ وظلُّه يتْبَعهُ، ثم قال لصاحبِه: قد شَبَّهْتُ ما نحنُ فيه بالدنيا، تَهْرُبُ ممَّن يطْلُبُها، وتطلُبُ مَن يُهْرُبُ منها. وقد أنشَد بعضُهم في هذا المعنى:

مثَـلُ الـرِّزْقِ الـذي تطلُبُـه ... مثلُ الظلِّ الذي يمشي معكْ

أنــتَ لا تُـدْرِكُه مُتَّبِعًـا ... فـإذا وَلّيْـتَ عنـه تَبِعَـك

البداية والنهاية ١٢/ ٣٦١.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠):

يلذُّ بهذا العيش مَن ليس يعقل ... ويزهدُ فيه الألمعيُّ الْمُحَصِّلُ

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٦).

د- قصص الزاهدين:

* عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صليت مع **أبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) العصر، ثم انكفأت معه إلى منزله، فقال لامرأته أسماء بنت عميس: هل عندك طعام؟ قالت: لا والله ما من شيء، قال انظري، قالت: لا والله ما من شيء، فاعتقل شاة كانت وضعت من يومها، - وكان ذا شاة - فحلب من لبانها، ثم أفرغه في برمة، ثم أمر

= لا منفعة فيها ولا مضرَّة، وزمانها يسير، ليس لتمتع النفس بها قَدْر، وهي لا بد أن تشغل عمَّا هو خير منها في الآخرة، وإن لم تشغل عن أصل اللَّذَّة في الآخرة..

ومحبّة النفوس للباطل نقص، لكن ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما به يدخلون الجنة، لم يَحْرم عليهم ما لا يمنعهم من دخولها. الاستقامة / ٤١٧ - ٤٢١.

جاريته فطبخت، ثم أُتينا به، فأكل وأكلنا، ثم صلى وصلينا، ما توضأ ولا توضأنا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٢.

* وعن عتبة بن فرقد السلمي قال: قدمت على **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، وكان ينحر جزورا[١] كل يوم أطايبها للمسلمين وأمهات المؤمنين، ويأمر بالعنق والعلباء[٢] فيأكله هو وأهله، فدعا بطعام، فأتي به، فإذا هو خبز خشن، وكسور من لحم غليظ، فجعل يقول: كل، فجعلت آكل البضعة[٣] فألوكها فلا أستطيع أن أُسيغها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* وعن سعد بن أبي وقاص قال: قالت حفصة بنت عمر **لعمر** : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله عَزَّوَجَلَّ من الرزق، وأكثر من الخير؟! فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش، فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعت لأشاركنهما[٤] بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. تهذيب الحِلْية ٧٠/ ١، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٥.

* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقّع بين كتفيه أربع رقاع بعضها فوق بعض. الزهد لابن المبارك (٣٣٣)، الزهد لأبي داود (٧٤).

* وعن الحسن قال: رأيت **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) نائمًا في المسجد في

---

(١) الجَزُور: البَعِير.

(٢) وهي العصبة الممتدة في العنق.

(٣) أي: القطعة من اللحم.

(٤) يعني: النبيّ ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين. تهذيب الحِلْية ٧٧/ ١.

* وعن عبد الملك بن شداد بن الهاد قال: رأيت **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم. تهذيب الحِلْية ٧٨/ ١.

* وعن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلت على **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وهو يرعد تحت سَمَلِ قطيفة[1]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزأكم[2] من مالكم شيئًا، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي. تهذيب الحِلْية ٨٧/ ١.

* وعن علي بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت **عليًا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يبيع سيفًا له في السوق، ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. تهذيب الحِلْية ٨٨/ ١.

* وكانت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) تقسم في اليوم سبعين ألفًا، وإنها لترقع درعها. الزهد لابن المبارك (٧٠٥)، الزهد لأبي داود (٢٨٣).

* وعن **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: كان قُوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعًا، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٣٨/ ١.

* وجاء رجل إلى **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعرض عليه نفقة، فقال أبو ذر: عندنا أعنز نحلبها، وحمر تنقل، ومحرَّرة تخدمنا، وفضل عباءة من كسوتنا، إني أخاف أن أحاسب على الفضل. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ١.

---

(١) السمل: القديم البالي من الثياب، والقطيفة: نسيج من القُطن.

(٢) أي: ما آخذ.

* وبيع متاع **سلمان** (ت: ٣٣) فبلغ أربعة عشر درهمًا. تهذيب الحِلْية ١/١٥٩.

* وعن ميمون بن مهران قال: دخلت منزل **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فما كان فيه ما يسوي طيلساني[1] هذا. تهذيب الحِلْية ١/٢١٦.

* وقَالَ **أَبُو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ**»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ.[2].

قَالَ سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَغَنَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ يَكُنْ يَحُجُّ حَتَّى مَاتَتْ أُمُّهُ لِصُحْبَتِهَا. صحيح البخاري (٢٥٤٨)، صحيح مسلم (١٦٦٥).

* وقيل **للأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ألا تأتي الأمراء؟.

فأخرجَ جرّةً مكسورةً فكبّها فإذا كِسَرٌ، فقال: مَن كان يُجزئه مثلُ هذا ما يصنع بإتيانهم؟. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* ودخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو **بسالم بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦)، فقال له: يا سالم سَلْني حاجةً، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله.

فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتُ، فسلني حاجةً، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ فقال: بل حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها[3]، فكيف أسأل من لا يملكها؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

---

(١) الطَّيْلَسان: كساء يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف.

(٢) لأنّ المملوك له أجران، ولأنه سيُحاسب عن نفسِه وعن سيّده فقط، فيرد يوم القيامة خفيف الظهر، وفقراء المسلمين يسبقون أغنياءهم في دخول الجنة.

(٣) وليس ذلك لأنه لا يرى سؤال الله تعالى مصالح الدنيا التي يحتاجها كالصحة وصلاح الأهل =

* وعن مسلمة بن عبد الملك، قال: دخلت على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسِخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله ثم عُدتُ، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة أَلَمْ آمرُكم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ماله قميصٌ غيره. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٥.

* وعن مالك بن دينار قال: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد. إنما الزاهد **عمر بن عبد العزيز** الذي أتته الدنيا فتركها. تهذيب الحِلْية ١٩٨/ ٢.

* ودخل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنبًا؟ قالت: لا، فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري بها عنبًا!!.

قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدًا في نار جهنم. تهذيب الحِلْية ١٩٩/ ٢.

* وعن سهل بن صدقة، مولى **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: حدثني بعض خاصة آل عمر: أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عاليًا، فسألوا عن البكاء فقالوا: إن عمر خير جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن[1]، فمن أحب أن أعتقه أعتقته، ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء، فبكين إياسًا منه. تهذيب الحِلْية ١٩٩/ ٢.

=والمعاش، فإن ذلك خلاف السنة كما سيأتي في آداب الدعاء، ولكنه كان في أتم الصحة والعافية والغنى، فلم تكن به حاجة لسؤال الله المزيد على ما أعطاه.

(١) لأنه اتخذ الإمارة تكليفًا لا تشريفًا، وشغلًا في مصالح المسلمين، ومن كانت هذه نيّته فلن ينشغل بالمتع والشهوات واللذات.

* وعن عبد الله بن مسلم، يحدث عن أبيه قال: دخلت على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعنده كاتب يكتب، قال: وشمعة تزهر وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرجل، وأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه فرأيت عليه قميصًا فيه رقعة، قد طبق ما بين كتفيه قال: فنظر في أمري. تهذيب الحِلْية ٢٣٢/ ٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أدركت أقواما كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالها فيدعها، فيقول: والله ما أدري على ما أنا من هذه إذا صارت في يدي. الزهد لابن المبارك (٤٧١).

* وقال رجل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): يا أبا عبد الله إن فيك لعَجَبًا، قال: يا ابن أخي ما الذي بان لك مني حتى عجبت؟ قال: تنقلك من بلد إلى بلد، إن للناس مأوى، وللسبع مأوى، ومالك مأوى تأوي إليه! فقال له سفيان: أي رجل كان المغيرة بن مقسم الضبي؟ قال: رجل صالح إن شاء الله، قال: وأي الرجال كان إبراهيم النخعي؟ قال: بخ بخ، قال: فأي الرجال كان علقمة؟ قال: لا تسأل، قال: فأي الرجال كان عبد الله بن مسعود؟ قال: الثقة الصدوق، فقال سفيان: حدثنا المغيرة بن مقسم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: اقتحم على أهل الجنة نور في قبابهم كاد أن يخطف نوره أبصار القوم، فإذا نور سن حوراء ضحكت في وجه وليها، فما كنت أدع هذا الخير أبدًا لقولك، ثم أنشأ سفيان يقول:

ما ضر من كانت الفردوس مسكنَه ... ماذا تجرَّع من بؤسٍ وإقتار

تراه يمشي كئيبًا خائفًا وجلًا ... إلى المساجد يمشي بين أطمار

ثم أقبل على نفسه فقال:

يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تُقْبلي من بعد إدبار

تهذيب الحِلْية ٣٦٦/ ٢.

* وحجّ الحَجَّاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغَداءِ، فقال لحاجبه: انظر من يتغدّى معي وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل، فإذا هو **بأعرابيّ** بين شملتَين من شعرٍ، نائم، فضربه برجله وقال: إيت الأمير، فأتاه فقال له الحَجّاج: اغسل يَدَيْك وتغدَّ معي، فقال: إنه دعَاني من هو خيرٌ منك فأجبتُه قال: ومَن هو؟ قال: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، دعاني إلى الصوم فصُمت قال: في هذا الحرّ الشديد؟ قال: نعم صُمت ليومٍ أشدّ حرًّا من هذا اليوم قال: فأفطِر وصُمْ غدًا قال: إن ضَمِنْتَ لي البقاء إلى غدٍ قال: ليس ذاك إليَّ قال: فكيف تسألني عاجلًا بآجل لا تقدِر عليه؟ قال: إنه طعام طيّب، قال: لم تطيّبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية. صفة الصفوة ٤/ ٥٥٢.

* وحكى حَرْمَلةُ بن يحيى أن **سفيان بن عُيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) قال له -وأراه خبزَ شعير-: هذا طعامي منذ ستين سنة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٣.

* وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخطِّ **أحمدَ بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أيامًا، فدُلِلت على موضعه، فجئتُ فإذا هو في شبيه بكهف في جياد[١]. فقلت: سلام عليكم، أدخلُ؟ فقال: لا ثم قال: ادخلْ، فدخلتُ، وإذا عليه قطعةُ لِبْدٍ خَلِق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استَتَرت. فقلتُ: ما شأنك؟ قال: سُرِقت ثيابي قال: فبادرتُ إلى منزلي فجئتُه بمئة درهم، فعرضتُها عليه، فامتنع، فقلت: قرضًا، فأبى، حتى بلغت عشرين درهمًا، ويأبى، فقمت، وقلت: ما يحل لك أن تقتلَ نفسك قال: ارجعْ، فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي ابن عُيينة؟ قلت: بلى قال: تحب أن أنسخَه لك؟ قلت: نعم قال: اشترِ لي ورقًا قال: فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٥.

(١) قال في الحاشية: موضع بمكة يلي الصفا.

* وكان **أحمدُ بنُ حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصلي بعبد الرزاق، فسها، فسأل عنه عبد الرزّاق، فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٥.

* وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ربما رأيتُ أبي يأخذ الكِسَر، ينفُضُ الغبار عنها، ويُصيِّرها في قصعة، ويَصُبُّ عليها ماءً ثم يأكُلُها بالملح. وما رأيتُه اشترى رمانًا ولا سفرجلًا ولا شيئًا من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعِنبًا وتمرًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٦.

* وعن عبد الملك الميموني أنه قال: حدَّثت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: لما رأيت قَدْر عمي -**عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٥)- عند أبي جعفر قلت: يا عم، لو سألت أمير المؤمنين أن يقطعك قطيعة، فسكت عني، فلما ألححت عليه قال: يا بني، إنك لتسألني أن أسأله شيئًا قد ابتدأني به هو غير مرة، فقد قال لي يومًا: يا أبا عبد الله، إني أريد أن أقطعك قطيعة وأجعلها لك طيبة، وإن أحبابي وولدي وأهلي يسألوني ذلك، فآبى عليهم، فما يمنعك أن تقبلها؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إني رأيت لَهُمُّ الرجل على قدر انتشار ضيعته[1]، وإني يكفيني من همّي ما أحاطت به داري، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني فعل، قال: قد فعلت. فقال أحمد بن حنبل: أعده عليَّ. فأعدته عليه حتى حفظه. المنتظم ٩٣-٩٤ / ٨.

* **وقال البزار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أما زهده فِي الدُّنْيَا ومتاعها فَإِن الله تَعَالَى جعل ذَلِك لَهُ شعارا من صغره.. وَلَقَد اتّفق كلّ من رَآهُ خُصُوصا من أَطَالَ ملازمته أَنه مَا رأى مثله فِي الزّهْد فِي الدُّنْيَا، حَتَّى لقد صَار ذَلِك مَشْهُورا بِحَيْثُ قد اسْتَقر فِي قلب الْقَرِيب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وَجههَا، بل لَو سُئِلَ عَامي من أهل بلدٍ بعيد من الشَّيْخ: من كَانَ أزهد

---

(١) في الأصل: صيته، وهو تصحيف، والمُثبت من كتاب: تاريخ الرقة لأبي علي محمد بن سعيد القشيري الحراني.

أهل هَذَا الْعَصْر وأكملهم فِي رفض فضول الدُّنْيَا وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقَالَ: مَا سَمِعت بِمثل ابْن تَيْمِية رَحْمَة الله عَلَيْهِ.

وَمَا اشْتهر لَهُ ذَلِك إِلَّا لمبالغته فِيهِ مَعَ تَصْحِيح النِّيَّة، وَإِلَّا فَمن رَأينَا من الْعلمَاء قنع من الدُّنْيَا بِمثل مَا قنع هُوَ مِنْهَا أَو رَضِي بِمثل حَالَته الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؟.

لم يسمع أنه رغب فِي زَوْجَة وَلَا سُرِّيَّة وَلَا دَار وَلَا مماليك وَلَا بساتين وَلَا عقار وَلَا شدّ على دِينَار وَلَا دِرْهَم، وَلَا رغب فِي دَوَاب وَلَا نعم، وَلَا ثِيَاب ناعمة فاخرة، وَلَا حشم، وَلَا زاحم فِي طلب الرئاسات، وَلَا رئي ساعيا فِي تَحْصِيل الْمُبَاحَات، مَعَ أَن الْمُلُوك والأمراء والتجار والكبراء كَانُوا طوع أمره، خاضعين لقَوْله وَفعله، وادِّين أن يتقربوا إلى قلْبه مهما أمكنهم، مظهرين لإجلاله. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٤٥-٤٦).

هـ- أقوال وحكم في القناعة[1]:

* قال **سعد بن أبي وقَّاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) لابنه عمر: يا بنيّ إذا طلبت الغِنى فاطْلُبْه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ. عيون الأخبار ٣/ ١٨٧.

* وَسَأَلَ رَجُلٌ **عَبْدَ اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ».[2] صحيح مسلم (٢٩٧٩).

---

(١) ما بين المؤمن وبين عيشة وسعادة الملوك والأغنياء إلا القناعة! بل إنه بالقناعةِ يزيد عليهم أنسًا وسعادةً وراحة.

إذا ما كنت ذا قلب قنوع — فأنت ومالِكُ الدنيا سواء

(٢) لأنه بالزوجة والخادم مطاع في أمره، وفي الدار محجوب إلا عن إذنه. أدب الدين (٣٤٣).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، لهم فضولُ أموالٍ ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، عليهم حسابها، ونحن منها براء. الزهد لابن المبارك (٥٤٧).

* وقال **علي بن سهل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٠٧): اِلتَمَسْتُ الراحة فوجدتُها في اليأس. ذم الهوى: ٣٨٨.

* وقال **بعضهم**:

والنَّفسُ رَاغِبَـةٌ إذا رَغَّبتَهـا ... وإذا تُـرَدُّ إلـى قليـلٍ تَقْنَـعُ

* وقال **الآخر**:

إن كان لا يُغنيـكَ مـا يكفيـكا ... فكلّ ما في الأرضِ لا يُغنِيكا

عيون الأخبار ٣/ ١٨٦ -١٨٧.

* وقال **الآخر**:

غِنى النَّفْسِ ما يَكْفيكَ منْ سَدِّ فاقَةٍ ... فإنْ زادَ شيئًا عادَ ذاكَ الْغنَى فقرًا

المجالسة وجواهر العلم (٥٨٧).

* وقيل **لبعض العُباد** رَحِمَهُ اللَّهُ: قد نلت الغناء؟ قال: إنما نال الغناء من أُعتق من رق الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): القناعة أول الرضا. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وقال **بعض السلف**: الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط.

فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعزّ القناعة.

والأغنياء سُكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغِيَر[1].

---

(١) أي: تغيّر الزمان، وتقلّب الأحوال.

مأخوذ من قولك: غيّرت الشيء فتغيّر، فغِيَر الزمان: تغيّره وتقلّبه بقدرة الله.

وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشرّ مع أكثر الفقراء والأغنياء؛ لسخف الفقر وبَطَرِ الغني.[(١)] عيون الأخبار (١/ ٤٥٣).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إِذا كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ فأنت ومالكُ الدنيا سواءُ

* **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيتُ القناعةَ رأسَ الغِنى فصرتُ بأذيالِها مُتْمَسِكْ

فلا ذا يراني على بابهِ ولا ذا يراني به مُنْهمِكْ

فصرتُ غنيًّا بلا درهمٍ أمُرُّ على الناسِ شِبْه الملكْ

ديوان الشافعي (٣٢، ١٣٣).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): أتدري إذا سألك أهلُك حاجةً لا تقدر عليها، أيّ شيء لك من الأجر؟ **ما قلّ من الدنيا كان أقلَّ للحِساب.**

وقال: لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟.

لبكاء الصبي بين يديْ أبيه متسخطًا يطلب منه خبزًا أفضل من كذا وكذا. الآداب الشرعية ٢/ ١٧٢-١٧٣.

* وقال **الشاعر**:

قنّع النفس بالكفاف وإلا طَلَبتْ منك فوق ما يكفيها

أدب الدين (١٩٩).

* وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدنا **إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠):

لا تعتبن على النوائب فالدهر يرغم كلَّ عاتب

واصبر على حدثانه إنَّ الأمور لها عواقب

---

(١) هذا الكلام يكتب بماء الذهب.

فلكلِّ صافية قذى ولكلِّ خالصةٍ شوائب
كم نعمة مطوية لك تحت أنياب النوائب

قال القاضي إسماعيل: ما عرض لي همٌّ فادح فذكرت هذه الأبيات إلا رجوت من رَوْح الله ما يحلُّ عقالي وينعم بالي، ثم تؤول عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أُوثره. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٤).

* ومر **فتح الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٠) بصبيين مع أحدهما كسرة عليها عسل، ومع الآخر كسرة عليها كامخ[١]، فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل: أطعمني من خبزك، قال: إن كنت كلبًا لي أطعمتك، قال: نعم! فأطعمه من خبزه وجعل في فمه خيطًا وجعل يقوده.

فقال فتح: لو رضيت بخبزك، ما كنت كلبًا لهذا.

قال أبو موسى: فهكذا الدنيا. تهذيب الحِلْية ٧٥/ ٣.

* وقال **الشاعر**:

ما كلُّ ما فوق البسيطةِ كافيًا فإذا اقتنعت فكلّ شيء كافي

نهاية الأرب ٣/ ٦٨.

* وقال الفتح بن خاقان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] (ت: ٢٤٧): دخلت يومًا على **المتوكل**[٣] (ت: ٢٤٧) فرأيته مطرقًا يتفكر فقلت له: ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشًا ولا أنعم منك بالًا، فقال: أطيب عيشًا مني رجل له دار واسعة، وزوجة صالحة، ومعيشة حاضرة، لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاج إلينا فنزدريه. المنتظم ١٨٢/ ١١.

---

(١) نوع من الطعام، وهو لفظ غير عربيّ، ويُطلَق على المخللات.

(٢) وزير المتوكّل.

(٣) هو الخليفة **جعفر بْن محمد بْن هارون**.

* وقيل **بعض السلف**: متى يكون العبد عبدا؟ فقال: إذا رضي بالله وباختياره له. الزهد للبيهقي (٢٨٧).

* وقال **الشاعر**:

ومَنْ كلَّفَتْهُ النَّفْسُ فوقَ كَفافِهَا فَما يَنْقَضي حتَّى الْمَماتِ عناؤُهُ

وقال **الآخر**:

إذا شِئْتَ أنْ تَحْيا غَنِيًّا فلَا تكنْ علَى حالَةٍ إلَّا رضيتَ بدُونِها

* وقال **بعض الأدباء**: ربَّ ضِيق أفضلُ من سَعة، وعَناءٍ خيرٌ من دَعة. أدب الدين (٣٥٤، ٣٦١).

* وقال **الشاعر**:

أفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وهَلْ عِزٌّ أعَزُّ مِنَ الْقناعَه؟

فَصَيِّرْها لِنفْسِكَ رأْسَ مالٍ وصَيِّرْ بَعدهَا التَّقْوى بِضاعَه

الزهد الكبير للبيهقي (١١٦).

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.

وقال **الناظم**:

إنْ شِئْت عَيْشًا طيبا صفوًا بِلَا مُنَازع

فاقنع بِمَا أُوتيتهُ فالعيش عَيْش القانع

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٩، ٢٩٦).

و- ترك ما في أيدي الناس:

* قال عبدالرزاق بن همّام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١١) -وذكر **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- فدمعت عيناه، فقال: بلغني أنَّ نفقته نفدت، فأخذتُ

بيده فأقمته خلف هذا الباب -وأشار إلى بابه-، وما معي ومعه أحد، فقلت: إنه لا يجتمع عندنا الدنانير، وإذا بعنا الغلّة شَغَلْناها فِي شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تُنْفِقها حتى يتهيأ عندنا شيء، قَالَ: فقال لي: يا أبا بكر لو قَبِلْتُ شيئًا من الناس قَبِلْتُ منك. طبقات الحنابلة (٢/ ٨٤).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **الشريف أَبُو جعفر عبدالخالق بن أبي موسى الهاشمي العباسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٠): عالِمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهدًا، **قوَّالا بالحق، لا يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم.**

قال ابن عَقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عند الإمام -يعني الخليفة- معظَّمًا، حتى إنه وَصَّى عند مَوته بأن يُغسِّله، تبركًا به.

وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه، وكان ذلك كفايةَ عُمره، فوالله ما التفتَ إلى شيءٍ منه، بل خَرَج ونَسِيَ مئزره حتى حُمل إليه.

قَالَ: ولم يُشهَد منه أنه شرب ماءً في حلقة على شدة الحر، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

قال أَبُو الحسين ابن أبي يعلى وابن الجوزي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: لما احْتُضِر القاضي أَبُو يعلى أوصى أن يُغَسله الشريف أَبُو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر الله قَالَ: يغسلني أَبُو جعفر، ففعل، ولم يأخذ مما هُناك شيئًا.

فقيل له: قد وصى لك أميرُ المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذَ.

فقيل له: فقميص أمير المؤمنين تتبرك به، فأخذ فوطة نفسه، فنشفه بها، وقال: قد لَحِقَ هذه الفوطَة بركةُ أميرِ المؤمنين، ولم يأخذ القميص.

قال أبو محمد التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حسدتُ أحدًا إلاَّ الشريف أبا جعفر في ذلك اليوم، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك، ورواية الأحاديث،

والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام، فلمَّا كان ذلك اليوم خرج الشريفُ علينا، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك، ثم لم يقبل شيئًا من الدنيا، ثم انسلَّ طالبًا لمسجده، ونحنُ كلٌّ منا جالسٌ على الأرض متَحَفٍّ، متغيرٌ لونُه، مخرِّقٌ لثوبه، يهوله ما يَحدث به بعد مَوت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم، فعرفتُ أن الرجل هو ذلك.

ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قَالَ: لما وُضعتُ في قبري رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، أُدخل من أي أبوابها شئت.

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قَالَ: التقيتُ بأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدتَ في الله حق جهاده، وقد أعطاك الله الرضى. ذيل الطبقات ١/ ٢٩-٤٧.

* وكان **أبو الحسن بن داود المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٢) إمام داريّا، فمات إمام الجامع، فخرج أهل البلد إلى داريّا ليأتوا به، فلبس أهل داريا السلاح وقالوا: لا نمكنكم مِن أخذِ إمامنا، فقال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أهل داريا ألا ترضون أن يُسْمع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام؟ فقالوا: قد رضينا، فقُدّمت له بغلة القاضي فأبى وركب حماره، ودخل معهم، فسَكن في المنارة الشرقية، وكان يُقرئ، ولا يأخذ على الإمامة رَزْقا، ولا يَقبل ممن يقرأ عليه بِرًّا. معرفة القراء (٢/ ٦٩٣).

* وكان **الحسن بن الفضل أبو علي المقرئ المؤدّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥١) من العالمين بالقراءات ووجوهها.

رآه ابن العلاف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] (ت: ٤٤٢) يأكل الورَق، فأخبر الوزير ابن المسلمة[2]

---

(١) العالم، الواعظ، أبو طاهر محمد بن علي.

(٢) وزير القائم بأمر الله، الصدر المعظم، رئيس الرؤساء، أبو القاسم، علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج ابن المسلمة.

(٣٩٧-٤٥٠) فقال: أرسل إليه شيئًا، قال: ما يَقبله، قال: فتحيَّل، وأمر غلامًا له أن يعمل لذلك المسجد مفتاحًا آخر، وقال: احمل إليه كل يوم رغيفًا ودجاجة وقطعة حلاوة، فكان أبو علي يجيء فيفتح فيجد ذلك فيَعجب، ويقول: لعل هذا من الجنَّة، وكتم أمره، فأخصَب جسمه وسمن، فقال له ابن العلاف: ما لك قد سمنت؟ فتمثَّل بهذا الشعر:

من أطلعوه على سرٍّ فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

ثم أخذ يُوَري ولا يُصَرِّح، فما زال به العلاف حتى أخبره بالكرامة، فقال له: ينبغي أن تدعو للوزير، ففَهِم القضية، وانكسر قلبه، ولم تطُل بعدها مدته.[١] معرفة القراء (٢/ ٧٨٧).

* وكان **أبو الفضل الرازي المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٤) من أفراد الدهر عِلمًا وورعًا.

قال عبد الغافر الفارسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخه: كان لا ينزل الخوانق، بل يأوي إلى مسجدٍ خراب، فإذا عُرِف مكانه تركه، وإذا فُتِح عليه بشيء آثر به.

قال أبو عبدالله الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج الإمام أبو الفضل الرازي من أصبهان متوجهًا إلى كرمان، فخرج الناس يشيعونه، فصرفهم وقصد الطريق وحده، وقال:

إذا نحْنُ أدْلَجْنا وأنْتَ أمامَنا   كَفَى لِمَطايانا بذكراك حادِيا

قال الخلال: كان أبو الفضل في طريقٍ ومعه خبز، فقصده قُطّاع الطريق، وأرادوا أن يأخذوا ذلك، فدفعهم بعصاه، فقيل له في ذلك، فقال: إنما منعتهم منه لأنه كان حلالا، وربما كنت لا أجد حلالا مثله.

ودخل كرمان في هيئةٍ رثَّة، فحُمل إلى الملك وقالوا: هو جاسوس، فسأله

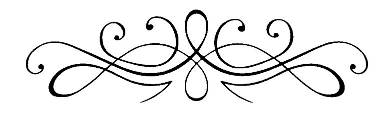
---

(١) كان ينبغي لابن العلاف حينما صنع له المعروف ألا يُحرجه بالسؤال، وألا يخبره عن مصدر الطعام.

الملك ما الخبر؟ فقال: إنْ كنتَ تسألني عن خبر الأرض فـ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن:٢٦]، وإنْ كنتَ تسألني عن خبر السماء فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فتعجب الملك من كلامه وهابه وأكرمه، وعرض عليه مالًا فلم يقبله[1]. معرفة القراء (٢/ ٧٩٥-٧٩٨).

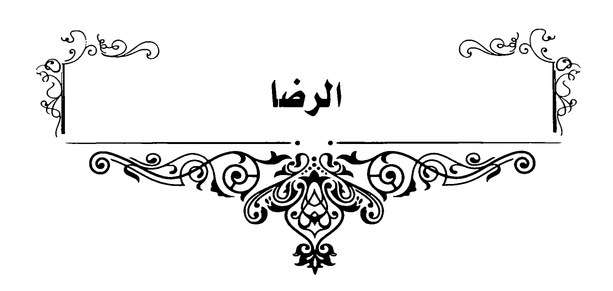
* وقال الفرغاني صاحب **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: كتب **ابن جرير** (ت: ٣١٠) إلى المراغي رَحِمَهُٱللَّهُ يذكر أن المكتفي[2] قال: إني أريد أن أوقف وقفًا، تجتمع أقاويل العلماء على صحّته، ويَسلم من الخِلاف، قال: فأُحضر ابن جرير فأملى عليهم كتابًا لذلك، فأُخرجت له جائزة سَنيَّة فأبى أن يقبله، فقيل له: لابُد من جائزةٍ، أو قضاءِ حاجة، فقال: نعم الحاجة أسأل أمير المؤمنين أن يتقدَّم إلى الشّرط أن يمنعوا السُؤَّال من دخول المقصورة يوم الجمعة فتقدم بذلك، وعظم في نفوسهم.

قال الفرغاني: وأرسل إليه العباس بن الحسن الوزير: قد أحببتُ أنْ أنظُر في الفِقه، وسأله أن يعمل له مختصرًا، فعمل له كتابَ «الخفيف»، وأنفذه، فأرسل ألف دينار فلم يقبلها، فقيل له: تصدق بها، فلم يفعل. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩-٢١٠).



(١) أهل القرآن العاملون به من أشد الناس بحثا عن أكل الحلال، وبعدا عن حظوظ النفس، وحبِّ العلو والظهور.

(٢) الخليفة أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي (٢٦٤-٢٩٥).



الرضا

أ- رضا العبد عن الله وعن أقداره، وعدم الشكوى للمخلوق[(١)]:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يمكن للعبد أنْ تستوي النعمة والبلية عنده في الرضا، إذا **استحضر هذه الأمور:**

١- أنه مُفوض، والمفوض راض بكل ما اختاره له مَنْ فوض إليه، ولاسيما إن علم كمال رحمته ولطفه، وحسن اختياره له.

٢- أن يعلم أن كُلًا من البلية والنعمة بقضاء سابق وقَدَرٍ حَتْم.

٣- أنه عبد محض، والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده البار الناصح المحسن، بل يتلقاها كلها بالرضا به وعنه.

٤- أنه مُحب، والمحب الصادق من رضي بما يعامله به حبيبه.

٥- أنه جاهل بعواقب الأمور، وسيده أعلم بمصلحته وبما ينفعه.

٦- أنه مسلم، والمسلم من قد سَلَّم نفسه لله ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه ولم يسخط ذلك.

٧- أنه حَسَنُ الظن بربه، فحُسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده، ورضاه بما يختاره له سيده سبحانه.

٨- أن يعلم أنه إذا رضي: انقلب في حقه نعمة ومِنْحَةً، وخفَّ عليه حمله وأُعين عليه، وإذا سخطه: تضاعف عليه ثقله، ولم يزدد إلا شدةً وهمًّا وغمًّا.

٩- أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه في جميع الحالات يُثمر رضا ربه عنه.

١٠- أن السخط يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضا إلا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائما بما يلائمه وبما لا يُلائمه.

١١- أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله وقضائه وقدره وحكمته، فَقلَّ أن يَسْلم الساخط من شك يُداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به.

١٢- أن الرضا ينفي عنه آفات الحرص على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصل كل بلية.=

* مرض **أبو بكر** (ت: ١٣) فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد. مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٤٠).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ما أبالي على أي حال أصحبت، على ما أحب، أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٤.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو خير له. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٢.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الرجل ليشرف على الأمر من التجارة أو الإمارة، حتى يرى أنه قد قدر عليه، ذكره الله فوق سبع سموات، فيقول للملك: اذهب فاصرف عن عبدي هذا، فإني إن أيسره له أدخله

= ١٣- أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضا، والطاعات كلها أصلها من الرضا.
١٤- أن كل قدر يكرهه العبد ولا يُلائمه لا يخلو من أمرين:
أ- إما أن يكون عقوبة على الذنب، فهو دواء لمرض لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك.
ب- وإما أن يكون سببًا لنعمة لا تُنال إلا بذلك المكروه.
١٥- أن الرضا يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق على البدن، فيكون رضاه أسهل عليه وألذُّ له وأرفع في درجته.
١٦- أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
١٧- أن الرضا يفرغ قلب العبد، ويُقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٠٧-٥١١.

جهنم، فيجيء الملك فيعوقه فيصرف عنه، فيظل يتطير بجيرانه: إنه دهاني فلان، سبقني فلان، وما صرفه عنه إلا الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٣.

* وقال **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) لما مرض: والله إنّ أحبه إليّ أحبه إلى الله تعالى. الزهد لابن المبارك (٤٣٦).

* وقيل **للحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إن **أبا ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول (ت: ٢٥): الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة. فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء. البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤-٢٠٥.

* واشتكى ابن أخي الأحنف إلى **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وجَع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* وطُعن **عبد الرحمن بن معاذ بن جبل** رَحِمَهُ اللَّهُ -أي أصيب بمرض الطاعون- فدخل عليه أبوه فقال له: كيف تجدك أي بني؟ قال له: يا أبه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة:١٤٧] فقال له معاذ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠٢]. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: عاد نفرٌ من الصدر الأول رجلا، فوجدوه في الموت، فقال له بعض القوم: ما عندك في مصرعك هذا؟ قال: الرضا والتسليم لأمر الله، قال: فما برح القوم حتى قضى، قال الحسن: عرف والله وأن مَوْئِلَهما إلى خير. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

* وقال **ابن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه الدعاء، وما يحبه يلهيه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٧.

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عَزَّوَجَلَّ فيما أحب. تهذيب الحِلْية ١/ ٥١٠.

* وقال عبد الله بن عمر الكوفي: كان عندنا بالكوفة **رجل** قد خرج عن دنيا واسعة وتعبّد، قال: وكان الفضيل بن عياض بالكوفة في أيامه، قال: فقدم ابن المبارك، فقال له الفضيل: إن ها هنا رجلًا من المتعبدين قد خرج عن دنيا فامض بنا إليه ننظر عقله.

قال: فجاؤوا إليه وهو عليل، وعليه عباء، وتحت رأسه قطعةُ لبنة، قال: فسلّم ابن المارك عليه، ثم قال: يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبدٌ شيئًا لله، إلا عوّضه الله ما هو أكثر منه، فما عوّضك؟ قال: الرضا بما أنا فيه. فقال ابن المبارك: حسبك، وقاما على ذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٢٩.

* وعن عبد العزيز بن أبي روّاد قال: رأيت في يد **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): قرْحَة، فكأنه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال: تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكت، فقال: حيث لم يجعلها على حدَقتي، ولا طرَف لساني، ولا على طَرف ذكَرِي قال: فهانت عليّ قرحته. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إني لأغبطُ الرجل يكون عيشه كفافًا فيقنع به، فقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أغبَط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعًا، ويمسي جائعًا وهو عن الله عَزَّوَجَلَّ راضٍ. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

* وقال **عبد الله بن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): لن يصيب العبدُ حقيقة الرّضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي[1] الله في أمرك، ثم

---

(١) أي تطلب من الله أن يقضي لك.

تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك، ولعلّ ما هويت من ذلك لو وُفّق لك فيه هُلْكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك؟ ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣، ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤١.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ١.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

* وعن الربيع قال: لما مات عبد الملك بن **عمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحدًا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله ما رأيت مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع فأعدت عليه ما قلت أولًا قال: لا والذي قضى عليه بالموت ما أحب أن شيئًا من ذلك كان لم يكن. تهذيب الحِلْية ٢٣٧/ ٢.

* ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز قال **عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي وإحسانه إليّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤٨.

* ودخل رجل على **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه فقال: إن أحبه إلي، أحبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٨-٤١٩.

* وعن سفيان قال: كنا نعود **زبيد اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) فنقول: استشف الله؟ فيقول: اللهم خِر لي، اللهم خر لي.[1] ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٩.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَسْأَلَهُ -سبحانه- شَيْئًا مُعَيَّنًا خِيرَتُهُ وَعَاقِبَتُهُ مُغَيَّبَةٌ =

* وقال **أبو معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨) في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل:٩٧] قال: الرضا والقناعة. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٢٤.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): من رضي بما قسم الله له وَسِعه، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يَسَعْه ولم يبارك له فيه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٥٦.

* وقال **بعض الحكماء**: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تَنَلْه.

وقال **بعض الشعراء**:

إذا مَلَكَ القضاءُ عليك أمرا ... فليس يَحُلُّه غيرُ القضاء

فما لك والْمُقامَ بدارِ ذلٍّ ... ودارُ العزِّ واسعةُ الفضاء

وقال **بعض الحكماء**: إن كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل إليك. أدب الدين (٤٦٥).

ب- رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك:

* قال **أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٤): إذا كان رضى الخلق معسورًا لا يُدرك، كان رضى الله ميسورًا لا يُترك. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٣٧.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٠٤.

= عَنْكَ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنْ سُؤَالِهِ بُدًّا فَعَلِّقْهُ عَلَى شَرْطِ عِلْمِهِ تَعَالَى فِيهِ الْخِيَرَةَ، وَقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ الِاسْتِخَارَةَ، وَلَا تَكُنِ اسْتِخَارَةٌ بِاللِّسَانِ بِلَا مَعْرِفَةٍ، بَلِ اسْتِخَارَةُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَصَالِحِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَا اهْتِدَاءَ لَهُ إِلَى تَفَاصِيلِهَا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلْ إِنْ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ هَلَكَ كُلَّ الْهَلَاكِ، وَانْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. مدارج السالكين ١/ ١٠١.



فضل الذكر وبيانُ أثره[1]

* كان **عبد الله بن رواحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) يأخذ بيد بعض أصحابه ويقول: تعال نؤمن ساعة[2]، إن القلب أسرعُ تقلّبا من القِدر إذا استَجْمعت غليانًا. الزهد لابن المبارك (١٠٨٧).

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لأصحابه وهم يمشون: اجلسوا بنا نُؤمِنُ ساعة. صفة الصفوة ١/ ٢٣٢.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل، أحب إلي من أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة حتى الليل. تهذيب الحِلْية ١٨٤/ ١.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لأن أكبر مائة مرة أحب إلى من أن أتصدق بمائة دينار. الزهد لأحمد: ٢٥٩.

---

(١) اعلم أنّ تدبّر الأذكار وفهمها هو المقصودُ من مشروعيّتها، وفضل الذكر الذي جاء على لسان السلف الصالح إنما الذكر بالقلب واللسان.
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلُّ قولٍ رَتَّبَ الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، كقوله ﷺ: «**مَن قال في يوم سُبحَانَ الله وبِحَمْدِه مائة مرّة، حُطّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر**»، وليس هذا مُرتَّبًا على مجرّد قول اللسان». ا.هـ مدارج السالكين ١ / ٣٣١.
وواقعُ كثيرٍ مِمَّن يقول الأذكار على خلاف ذلك، حيث يقولُونها بعجلةٍ وعدمِ تأمُّلٍ بمعانيها ومدلولاتِها، وهذا سببٌ في عدم حصول الأجر الوافر للذاكر، وعدمِ تأثير الذكر عليه، فللذِّكرِ لذّةٌ وحلاوةٌ وبركةٌ على الذاكر الذي يذكر الله بقلبه قبل لسانه.

(٢) أي: تعال نجلس نذكر الله تعالى حتى نزداد إيمانا.

* وقال **أبو بردة الأسلمي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٢): لو أن رجلًا في حجره دنانير يعطيها وآخر ذاكرًا لله لكان الذاكر أفضل. الزهد لأحمد: ٣٣٨.

* وقال **عبد الله بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس:٤]: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سهى وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. الزهد لأبي داود (٢٩٥).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من ضن منكم بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وخاف الليل أن يكابده فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.[1] الزهد لأبي داود (١٤٩).

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: ما اجتمع ملأ يذكرون الله إلا ذكرهم الله في ملأ أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم لم يذكروا الله عَزَّ وَجَلَّ في مجلسهم إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة. الزهد لأحمد: ٢٧٨.

* وعن **سلمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: الحمد لله كثيرًا، قال: فأعْظمها الملَك أن يكتبها حتى راجع فيها ربه عَزَّ وَجَلَّ، قال: اكتبها كما قال عبدي كثيرًا. الزهد لأحمد: ٢٨١.

* وقال **كعب بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.[2] جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الكلام الطيب حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر صاحبه. الزهد لأحمد: ٤١٩.

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٧٥): صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد لهذا المعنى أنّ الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلاّ قليلًا، فمن أكثر ذكر الله، فقد باينهم في أوصافهم، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله، وأن لا يُلهي المؤمن عن ذلك مال ولا ولد، وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين. جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

* وقال جعفر بن **محمد بن علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) بغلةً له، فقال: لئن ردّها الله عَزَّوَجَلَّ لأحمدنّه محامدَ يرضاها، فما لبث أن أُتيَ بها بسرْجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، وقال: الحمد لله، لم يزد عليها!.

فقيل له في ذلك فقال: وهل تركتُ أو أبقيت شيئًا؟ جعلتُ الحمد كلّه لله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٠.

* وعَنِ **الحسن البصري** (ت: ١١٠) **وقَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ -وهما من كبار التابعين- قَالَا: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتَحِبُّونَ خَفْضَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْجَنَائِزِ».[1] مصنف عبدالرزاق (٦٢٨١).

* وقال **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكَره، ومن لم يُطعه فليس بذاكرٍ، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن. صفة الصفوة ٣/ ٥٥.

* وعن **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): أنه لحق **حمالًا** عليه حمله وهو يقول: الحمد لله وأستغفر الله، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير ذي؟ قال: بلى، أحسن خيرًا كثيرًا؛ أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمائه السابغة، وأستغفره لذنوبي. فقلت: الحمال أفقه من بكر. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ٢٠٥): ما يسرني أن لي من أول

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن، مع امتلاءِ القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه، كما أنَّ حالَهم في الصلاة كذلك. وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابْتُلِيَ بها كثيرٌ من هذه الأمة. اقتضاء الصرط المستقيم: ٣٥٨.

الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وأني أغفل عن الله طرفة عين. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٧.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): الذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلْف الفارين. الزهد لابن المبارك (٣٢٥).

قال: ولولا ذلك الرجل هُزمت الفئة، ولولا مَن يذكر الله في غفلة الناس هَلك الناس. صفة الصفوة ٣/ ٧٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لكل رجل سيدًا من عمله، وإن سيد عملي الذكر. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مجالس الذكر شفاء القلوب. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يتلاقون فيتساءلون وما يريدون بذلك؛ إلا أن يحمدوا الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٥.

* دخل **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا جلوسا، فرجا أن يكونوا على ذكر، على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي، فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: قد جهزت غلامي، فنظر إليهم.

فقال: سبحان الله! هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له.

جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، على ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا!.

فقام عنهم. الزهد لابن المبارك (٨٩٤).

* وقال **رجل من العُبّاد** يومًا لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي عَزَّوَجَلَّ؟ قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربّك؟ قال: نعم، قالوا: متى؟ قال: إذا ذكرتُه ذكرني. شعب الإيمان (١٠٩٩).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ما تنعّم المتنعمون بمثْل ذكْرِ الله تعالى. صفة الصفوة ٣/ ١٩٥.

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) إذا أصبح قال: مرحبًا بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. صفة الصفوة ٣/ ٤٥.

* وعن **أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) قال: ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو في الصلاة، وإن كان في السوق فإن يحرك به شفتيه فهو أعظم. تهذيب الحِلْية ٨٦/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن رجلًا جلس على ظهر الطريق ومعه خرقة فيها دنانير لا يمر إنسان إلا أعطاه دنانير وآخر إلى جانبه يكبر لكان صاحب التكبير أعظم أجرًا. الزهد لأحمد: ٦٥١.

* وقال **عبيد الله بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧): إن بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه وأعظمكم الليل أن تساهروه فاستكثروا من قول سبحان الله وبحمده، فوالذي نفسي بيده هذا أوجه عند الله من جبلي ذهب وفضة.[1] الزهد لأحمد: ٦٢٨.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا. تهذيب الحِلْية ١١/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِمَّا هُوَ كَالْإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاَللهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مُلَازَمَةَ ذِكْرِ اللهِ دَائِمًا هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ الْعَبْدُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ. مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠).

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: كان يقال: الذكر ذكران، ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية، إذا أشرفت عليها. تهذيب الحِلْية ٢/٥٥.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: ما عادى عبد ربه بأشد من أن يكره ذكره ومَنْ ذَكَرَهُ. تهذيب الحِلْية ٢/٢٦٦.

* وعن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: ذِكْرُ الناسِ داءٌ، وذِكْرُ الله دواءٌ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟! قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومَنَ أدمن الدعاء ولازَمَ قَرْع البابِ فُتح له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٥٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أراد الله بعبده خيرًا حبب إليه ذكره. تهذيب الحِلْية ١/٤٦٨.

* وكان حجام يأخذ من شارب **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، وكان معروف يسبح فقال الحجام: لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح، فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل؟ تهذيب الحِلْية ٣/١٠٢.

* وقيل **لمحمد بن النضر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١) كأنك تكره أن تزار؟ قال: أجل، قيل: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «**أنا جليس من ذكرني**»؟[1] المنتظم ٨/٢٦٩.

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٠) عن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني.

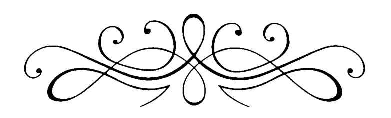
* وكان **أبو يعقوب البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) أبدًا يُحرِّك شفتيه بذكر الله. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٩).

* وقال ابن القيم: رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحادية والستون[1] أنَّ الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

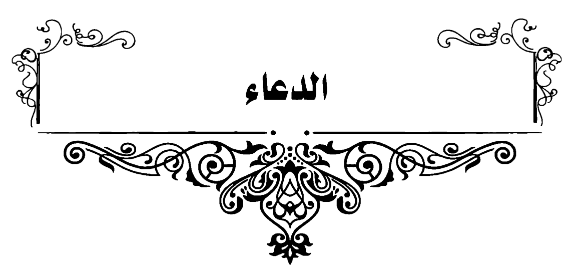
وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيمًا.

وقال: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاما قريبا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاما هذا معناه. الوابل الصيب/ ٤٢، ٧٧.



(١) من فضائل الذكر التي عددها ابن القيم.



الدعاء

أ- أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له، وما قيل في ذلك:

* جاء رجل إلى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: يا أمير المؤمنين احْملني فإني أريد الجهاد، فقال عمر لرجل: خذ بيده فأدخله بيت المال يأخذ ما شاء، فدخل فإذا هو بيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ مالي في هذا حاجة إنما أردت زادا وراحلة، فردوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزاد وراحلة وجعل عمر يَرْحل له بيده، فلما ركب رفع الرجلُ يده فحمد الله وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه.

وعمر يمشي خلفه يتمنّى أن يدعو له، فلما فرغ قال: اللهم وعمر فاجْزه خيرا، وأومأ بيده إلى رحله.[1] الزهد لهناد (٥٦٠).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَذْكُرُ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مَعْرُوفٌ مِنِ امْرِئٍ ضَعِيفٍ فَيَشْفَعُونَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَذْكُرُ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مُنْكَرٌ فَلَمْ يَشْفَعُوا لَهُ». مصنف بن أبي شيبة (٣٤٦٦٤).

* وقال : إن الله حَيِيٌّ كريم يستحي من عباده أن يرفع إليه يده يدعوه فيردها صفرا ليس فيها شيء. الزهد لهناد (١٣٦١).

(١) اختبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاح الرجل وصدقه، فلما تحقق ذلك طمع أن يدعو له؛ لأنّ دعاء الصالحين أقرب للإجابة من غيرهم، ولم يطلب منه صراحة ذلك؛ لأنه قد جاء النهي عن سؤال الناس الدعاء وغيره.

* وعن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق. صفة الصفوة ١/ ٢٩٠.

* وقال **أبو الدرداء** (ت: ٣٢): ادْعُ الله تعالى في يوم سرَّائك، لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك. تهذيب الحِلْية ١٧٨/ ١.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن العبد المسلم ليُغفر الله له وهو نائم.

قيل له: وكيف ذاك يا أبا الدرداء؟.

قال: يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله فيستجيب له، ويدعو لأبيه فيستجيب له. الزهد لأحمد: ٢٦٤.

* وقال **عبد الله بن مسعود** (ت: ٣٢): لَا يَسمعُ اللهُ مِن مُسمِّع[1]، ولا مِن مُراءٍ، وَلَا لاعِبٍ، ولا من داعٍ إِلَّا داعٍ دَعَاءً ثبتًا مِن قَلبه. الزهد لأحمد: ٢٩٤، الأدب المفرد (٦٠٧) وصححه الألباني.

* وعن ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ عن **رجل من العُبّاد** رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه قال يومًا لإخوانه: إني لأعلم حين يستجيب لي ربّي عَزَّوَجَلَّ، فعجبوا من قوله وقالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وَجِل قلبي، واقشعرّ جلْدي، وفاضت عيني، وفُتح لي في الدعاء، فَثمّ أعلم أنْ قد استُجيب لي. شعب الإيمان (١٠٩٩).

* وقال **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابًا، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك الإجابة. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وقال **أبو العتاهية** (ت: ٢١٣):

لا تَسْأَلَنَّ أَخَاكَ يَوْمًا حَاجَةً ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

---

(١) أي من فعل فعلا أراد به التسميع للناس والاشتهار.

الله يَغْضَبُ إن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وبني آدم حين يسأل يغضب
فاجْعَل سُؤَالَكَ للإلهِ فإنَّمَا في فضل نِعمةِ ربنا نتقلب

الجامع المنتخب/ ١٥٨.

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو من الله تعالى، قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ١.

* وقال **بعضهم**:

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوه وسَائِلُ الله لا يَخِيبُ

عيون الأخبار ٥٨٩/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا، ولا نطلب كشفه من ربنا. تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): تعبّد **رجل** زمانًا، ثم بدت له إلى الله حاجة، فصام سبعين سبتًا، يأكل في كلّ سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت، لو كان فيك خير أُعطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. الزهد لأحمد: ٦٢١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك كلّ ما تريد.[1] جامع العلوم والحكم / ٢٦٤.

---

(١) سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق؟ فقال: سبب هذا تحقيق التوحيد: «توحيد الربوبية» و«توحيد الإلهية». مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١)

وذلك بأن تُوْقن حقّ اليقين وتشهد بقلبك انفرادَ الله تعالى بالخلق، وأنَّ ما يحصل من خير وشرّ، =

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما

= ونفع وضرّ، إنما هو بمشيئة الله وتقديره وعلمِه، وجرى به قلمُه، وأنّ كل مصيبة وبليّة وقعت عليك فالله الرحيم العليم الحكيم قَصَدها وساقها إليك، واختارك لها من بين الناس؛ ابتلاء واختبارًا لك؛ لينظر صبرَكَ عليها، ورضاكَ به، وتوجّهك والْتفاتَ قلبك حينها يكون لمن؟

وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الربوبيّة.

وهذا يفتح لك باب الاسْتعاذة به في كلِّ أمورك، ودوامَ الالتجاء إليه والافتقار إليه في كلّ شؤونك.

وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الألوهيّة.

فإذا أُصبت بمصيبة، أو تسلّط عليك عدوّك، أو جفاك صديقك، أو عقّك ولدك، أو كرهك حبيبك: شهدت بقلبك تسلّط عدوّك الشيطاني أو الإنسيّ عليك، وأنت مع ذلك ملتفتٌ إلى ربك وناصرِك ووليك، عالمٌ بأنّ نجاتك بيديه، وناصيته بين يديه، وأَنه لو شاءَ لأعانك وخلَّصك من يديه، فتتضرع إليه وتتذلّل بين يديه وحده.

ومثلك في هذه الحالة كمَثَل عبدٍ مملوكٍ لدى سيّد غنيّ كريم محبّ له، مُشْفق عليه، فأخذه بنفسِه، وقدَّمه ليضرب عنقه بيده، فأَحْكم رَبْطه وأغْمَض عينيه، وقد أَيقن العبد أنه في قبضته، وأنه هو قاتله لا غيره، وقد علم مع ذلك برَّه به ولطفَه ورحمتَه ورأفتَه وجودَه وكرمَه، فجعل يناشده ويتوسّل إليه بأوصافِه، ويَدْخل عليه به: يا سيدي، أنت المشفق علي، والرؤوف بي، والكريم علي، والمحسن إلي، قد أُغلِقت عليّ الأبواب إلا بابك.

قد انْقَطَعت كلّ السُّبل لنجاته إلا السبيل إليه، وتلاشت فرص الحياة إلا من قِبَله، وذهب عن خاطره وفِكْرِه كلُّ سبب، فانقطع تعلُّقه بكلّ شيء إلا به، فهو مُعْرض عن عدوِّه الذي سلّطه سيّدُه عليه عقوبةً أو ابتلاءً واختبارًا لصبره وقوة محبته له، وتعلّقه ورضاه به.

فحاله كحال من جاءته مصيبةٌ ومحنةٌ على يد عدوٍّ من الإنس أو الجنّ، فهو يعلم أنّ الله تعالى هو الذي سلّط ذلك العدوَّ، فهو مشغول بالتوبة والرجوع إلى الله، وطَلَبِ العون منه، ولم ينشغل بالطعن في عدوه، وسبِّه وعيبه.

ومتى فعلت ذلك: قرّبك ربك الرحيم الودود من عتبة العبودية، وطرحك عند بابه فقيرًا عاجزًا مسكينًا، لا تملك لنفسك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فقرّبك وأجاب دعاءك وقضى حاجتك.

يُنظر: طريق الهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٣٨٢-٣٨٤)

أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأُجبت.[1] جامع العلوم والحكم / ٢٦٥.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

أَتَهــزَأُ بِالدُعــاءِ وَتَزدَريــهِ ... وَما تَدري بِما صَنَعَ الدُّعاءُ

سِــهامُ اللَيــلِ نافِــذَةٌ وَلَكِــن ... لَهــا أَمَــدٌ وَلِلأَمَــدِ اِنقِضــاءُ

فيمســكها إذا مــا شــاء ربــي ... ويرســلها إذا نفَــذ القَضــاء

ديوان الشافعي (٣٢).

* **وسُئِل الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كم بيننا وبين عرش ربنا؟.

قَالَ: دعوة مسلم يجيب الله دعوته. طبقات الحنابلة (١/ ١٢٠).

* وقيل لأبي **إسحاق الجُبْنَيَانِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩): عندي دعاء الخليل حين ألقي في النار، ودعاء يونس حين الْتَقمه الحوت، فقال له: يا مسكين، إن كنت تدعو دعاء الأنبياء وتفعل فعل الفراعنة فمن تُخَادِع؟[2] ترتيب المدارك (٤/ ٥١).

ب- الحذر من دعاء المظلوم، وذكر بعض القصص في ذلك:

* **عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْد بن أبي وقاص (ت: ٦٠)** إِلَى عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فقَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ!.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا اللوم أحبّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. جامع العلوم والحكم / ٢٦٥.

(٢) فليست العبرة بصيغة الدعاء، مهما كان عظيما وبليغا، بل العبرة بصدق وإخلاص الداعي، وقوة يقينه وإيمانه، وصلاح سريرته وعلانيته، ومن كان كذلك أجاب الله دعاءه.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.(١) صحيح البخاري (٧٥٥).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إياكم ودعوة اليتيم، ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام. صفة الصفوة ١/ ٣٠١.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكَ ودعواتِ المظلوم، فإنهُنَّ يصعدْن إلى الله كأنهن شراراتٌ من نار. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧٢.

* وادَّعت أروى بنت أويس أنَّ **سعيد بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أَنا كنت آخذ من أَرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال سمعته يقول: «من أخذ شيئًا من الأرض طُوِّقَه إلى سبع أرضين» قال مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها.

قال الراوي: فَرأيتُها عَمْياءَ تَلْتمسُ الْجُدُرَ تقولُ: أصابَتْني دَعْوةُ سَعيدِ بْنِ زيدٍ، فبَيْنما هي تَمشي في الدَّارِ مَرَّتْ على بئْرٍ في الدَّارِ فوقَعتْ فيها، فكانتْ قَبْرَهَا. صحيح مسلم: (١٦١٠)،(٣٠٢٢).

* وكان **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) إذا انصرف من المسجد إلى

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّ سَعْدًا مَعَ كَوْنِ هَذَا الرَّجُلِ وَاجَهَهُ بِهَذَا وَأَغْضَبَهُ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِ فِي حَالِ غَضَبِهِ رَاعَى الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ؛ إِذْ عَلَّقَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا، وَأَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضُ الدُّنْيَوِيُّ. فتح الباري ٢/ ٣١١.

أهله كبّر على باب منزله، فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة، فكبر عند باب داره، فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر، فلم يجبه أحد، فلمّا كان في باب بيته كبّر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه قال: فدخل، فإذا البيت فيه سراج، وإذا امرأته جالسة منكسة تنكث بعودٍ معها، فقال لها: مالك؟ قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك. فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصره قال: وكانت قد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له كتب إلى معاوية بخدمة ويعطيه عشتم قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا، فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو لها الله عَزَّوَجَلَّ أن يرد عليها بصرها. فرحمها أبو مسلم، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ فردّ عليها بصرها. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦١.

* وكذب رجل على **مطرّف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥)، فقال له مطرف: إن كنت كاذبًا، فعجّل الله حتفك، فمات الرجل مكانه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦٣.

* وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فيؤذيهم فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ قال: فسكت عنهم.

فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت.

فخر الرجل والله من قامته فما حل إلى أهله إلا ميتا على سرير.

فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال للناس: ما كان أغره بالله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦٤.

* ووشى رجل **ببسر بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) إلى الوليد، فأرسل إليه

الوليد، والرجل عنده، قال: فجيء به ترعد فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره بسر، وقال: ما فعلت؟.

فالتفت الوليد إلى الرجل، فقال: يا بسر، هذا يشهد عليك بذلك، فنظر إليه بسر، وقال: أهكذا؟ فقال: نعم. فنكس رأسه، وجعل ينكث في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، اللهم فإن كان صادقا فأرني به على ما قال. فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* وعن عبد الواحد بن زياد، قال: كنا عند **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلم مالكًا وأغلظ له في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك، ليكثر غاشيك، وتصرف إليك الوجوه.

قال: فبكى مالك، وقال: والله ما أردت هذا، قال: بلى والله لقد أردته.

فجعل مالك يبكي، ثم قال: اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت.

قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتًا، فحمل إلى أهله على سرير. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* ومر الأمير يومًا فصاحوا: الطريق، ففرج الناس، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي، فجاء بعض الجلاوذة فضربها بسوط ضربة، فقال **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٩): اللهم اقطع يده.

فما لبث إلا ثلاثًا، حتى مرّ بالرجل قد أُخذ في سرقة، فقطعت يده. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٨٠.

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **خالد بن برمك البرمكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٥) مِن رجال العلم، توصَّل إلى أعلى المراتب في دولةِ أبي جَعْفر المنصور، ثم كان ابنُه يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) كاملَ السُّؤْدد، جَليلَ المِقْدار، بحيث إنَّ المهديَّ ضمَّ إليه ولدَه الرَّشيدَ، فأحسنَ تربيتَه وأدَّبه، فلما أفْضَتِ الخلافةُ إلى الرَّشيد، ردَّ إلى يحيى مقاليدَ الأمور، ورفعَ محلَّه، وكان يُخاطبهُ يا أبي، فكان من أعظمِ الوزراء، ونشأَ لهُ أولادٌ صاروا مُلُوكًا، ولا سيَّما جعفر، وما أدراكَ ما جعفر؟ له نَبأٌ عجيبٌ، وشأْنٌ غريبٌ، بقي في الارتقاء في رتبةٍ، شَرَكَ الخليفةَ في أموالِهِ ولَذَّاتِهِ وتصرُّفه في الممالك، ثم انقلب الدَّستُ في يومٍ. فقُتِل، وسُجِنَ أبوه وإخوتُه إلى الممات، فما أجهلَ من يَغْتَرّ بالدُّنيا!.

قيل: إنَّ ولدًا ليحيى قال له وهُم في القيود: يا أَبَةِ بعدَ الأَمْرِ والنَّهْيِ والأموالِ صِرْنَا إلى هذا؟ قال: يا بُنيَّ دعوةُ مَظْلومٍ غَفَلْنا عنها، لم يَغْفُلِ الله عنها. السِّيَر ٢/ ٧٩٧.

* وعن أبي عون الفرائضي قال: خرجت إلى مجلس أحمد بن منصور الزيادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة اثنتين وستين ومائتين، فرأيت رجلًا قد أمر بالقبض **على امرأة** وأمر بجرها، فقالت له: اتق الله. فأمر أن تجر، فلم تزل تناشده الله وهو يأمر بجرها إلى أن بلغت باب القنطرة، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر:٤٦] إن كان هذا الرجل يظلمني فخذه. قال أبو عون: فوقع الرجل على ظهره ميتًا، وأنا أراه، فحُمِل على جنازة، وانصرفت المرأة. المنتظم ١٢/ ١٧٤.

* وقال الحاكم: سمعت أبي يقول: لما قتلَ أحمدُ بن عبد الله السّجستاني

-الذي استولى على البلاد- الإمامَ حيكان بن الذهلي، أخذ في الظُّلم والعَسف، وأمر بحَرْبةٍ رُكزت على رأس المِرْبَعَة[1]، وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيبَ رأسُ الحربة، فقد أحلُّوا دماءَهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فَخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) وقال: قد حلف هذا كما بلغك وواللهِ لا أهتدي إلاّ إلى هذه.

قال: تأذنُ لي أن أفعلَ فيها ما ينفعُك؟ قال: نعم، ففرَّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكُث عندي، وما زال أبو عثمان يترددُ بين السِّكَّةِ والمسجدِ ليلتهُ حتى أصبح، وأذَّنَ المؤذِّن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السُّوق، وانظر ماذا تسمع، فذهبَ، ورجعَ فقال: لم أر شيئًا، قال: اذهب مرَّة أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقِّكَ لا أقمتُ ما لم تُفَرِّجْ عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفرغانيُّ يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شُقَّ بطنُ أحمدَ بن عبد الله، فأخذ أبو عثمانَ في الإقامة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بمثل هذا يعظُمُ مشايخ الوقت. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٢.

* واحتال على **بنان الحمال البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦) أبو عبيد الله القاضي حتى ضُرب سبع درر فقال: حبسك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين. تهذيب الحِلْية ٤١٨/ ٣.

ج- قصص من أجاب الله دعاءَه[2]:

* عن أسلم قال: بينا **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يعرض للناس، إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه. فقال عمر: ما رأيت غرابًا بغراب أشبه بهذا

---

(١) المِرْبَعَةُ: عصا تُحمل بها الأثقال.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذا اجْتمع عَلَيْهِ قلبه وصدقت ضَرُورَته وفاقته وَقَوي رجاؤه: فَلَا يكَاد يُرَدُّ دعاؤه. الفوائد/ ٤٧.

من هذا. فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين، لقد ولدته أمه وهي ميتة قال: ويحك، وكيف ذاك؟.

قال: خرجت في بعث كذا وتركتها حاملًا، وقلت: أستودع الله ما في بطنك، فلما قدمت من سفري أُخبرت أنها قد ماتت.

فبينا أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي، إذ نظرت فإذا ضوء يشبه السراج في المقابر.

فقلت لبني عمي: ما هذا؟ قالوا: لا ندري، غير أننا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة.

فأخذت معي فأسًا، ثم انطلقت نحو القبر، فإذا القبر مفتوح، وإذا هذا في حجر أمه. فدنوت، فناداني مناد: أيها المستودع ربه: خذ وديعتك، أما لو استودعت أمه لوجدتها. فأخذت الصبي، وانضم القبر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

* وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: أخرجوا بنا إلى أرض قومنا قال ابن عباس: فخرجنا، فكنت أنا و**أُبي بن كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤخرة الناس، فهاجت سحابة، فقال أبي: اللهم اصرف عنا أذاها.

فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم. فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا؟.

قلت: إن أبا المنذر دعا الله أن يصرف عنا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتم لنا معكم؟. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٢.

* وصدق **القائل**:

أَلَيْسَ اللهُ في كُلٍ قَرِيْبًا؟	**بَلَى! مِن حَيثُ ما نُودِي أَجَابَا**
ولَمْ تَرَ سَائِلًا للهِ أَكْدَى	**ولَمْ تَرَ رَاجِيًا للهِ خَابَا**

* وشكى قَيِّم[1] **لأنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في أرضه العطش، فصلى

---

(١) أي: الخادم القائم على شؤونه.

أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه فملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه، فنظر، فإذا هي لم تَعْدُ أرضه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٣٧، المنتظم ٣٠٤- ٣٠٥/ ٦.

* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه، **وأم له عجوز** كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا، فقال: يا هذه، احتسبي مصيبتك عند الله قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم.

فمدت يدها إلى الله، فقالت: اللهم إنك تعلم أني أسلمت، وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني على هذه المصيبة اليوم.

قال: فكشفت عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٠.

* وعن عمرة قالت: كنت عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجاءتها **امرأة** متعلقة برجل، تزعم أنه أخذ خاتما لها، ويزعم أن لا، فقالت: أمِّنوا رحمكم الله، اللهم إن كنتُ كاذبة فأيبس يدي، وإن كان كاذبا فأيبس يده، فأصبح الرجل ويمينه يابسة، قالت عمرة: وحججت حجتين أو ثلاثة وأنا أسمع الرجل من أهل مكة وأهل المدينة يقول الرجل منهم: إن كنتُ فعلت كذا وكذا فأظهر الله عَزَّوَجَلَّ علي كما أظهر على صاحب الخاتم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢١.

* وعن **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار يُكنى: **أبا معلق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد

إلا دمك قال: أما إذا أبيت، قذرني أصلي أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصره اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم.

قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٢١-٣٢٣.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلّي إليها بالليل، فقَحط أهل المدينة سنة، فخرجوا يستسقون فلم يُسقَوْا، فلما كان من الليل صلّيتُ عشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتي، فجاء **رجل أسود** تعلوه صفرة متَّزِر بكساءٍ، وعلى رقبته كساء أصغر منه. فتقدم إلى السارية التي بين يدي وكنتُ خلفه، فقام فصلى ركعتين، ثم جلس، فقال: أيْ ربّ خرج أهل حَرم نبيك يستسقون فلم تَسقهم، فأنا أقسم عليك لما سقَيتهم.

قال ابن المنكدر: فقلت: مجنون قال: فما وضع يده حتى سمعتُ الرعد،

ثم جاءت السماء بشيءٍ من المطر، فلما سمع المطر حِمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قطّ قال: ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبتَ لي، ولكن عُذْتُ بحمدك، وعُذْتُ بَطوْلك. ثم قام فلم يزل قائمًا يصلّي حتى إذا أحسَّ الصبح سجد وأوتر، وصلى ركعتي الصبح، ثم أقيمت صلاة الصبح، فدخل في الصلاة مع الناس ودخلتُ معه.

فلما سلّم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشي وأتبعه حتى دخل دارًا قد عرفتها من دُور المدينة، ورجعتُ إلى المسجد.

فلما طلعت الشمس وصلّيت خرجت حتى أتيت الدار، فإذا أنا به قاعد يَخْرز، وإذا هو إسكاف.[1] صفة الصفوة ٢/ ٥١١.

* وعن **بكر بن خنيس** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجنا مرة لنستقي، وخرج الأمير والقاضي، فدعا القاضي ثم أذن الأمير للناس بالانصراف، قال: وما نرى في السماء سحابًا وإلى جنبي أسود.

قال: فالتفت إليه فسمعته يدعو وأعجبت بدعائه، فقال في دعائه لما نظر إلى الناس منصرفين: اللهم اسقنا الساعة وأقلب عبادك مسرورين، قال: فوالله إن كان إلا انقضاء قوله حتى أقبلت السماء بأشد ما يكون من المطر، قال بكر: فحرصت على أن أعرفه أو أدركه فلم أقدر على ذلك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٠١.

* وعن **عمرو السريا** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت أُغير في بلاد الروم وحدي، فبينا أنا ذات يوم نائم، ورد علي علج فحركني برجله، فانتبهت فقال: يا عربي، اختر إن شئت مطاعنة، وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة.

فقلت: أما المسايفة، والمطاعنة، فلا بقاء لهما، ولكن المصارعة.

---

(١) صَانِع أَوْ مُصْلِح الْأَحْذِيَة.

فنزل فلم ينهنهني[١] أن صرعني وجلس على صدري فقال: أي قتلة أقتلك؟.

فذكرت (الدعاء)[٢] فرفعت طرفي إلى السماء فقلت:

أشهد أن كل معبود دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه ففرج عني، فأغمي عليَّ ثم أفقت، فإذا الرومي قتيل إلى جنبي.

قال إسحاق ابن بنت داود: جربته وعلمته الناس، فوجدته نافعًا وهو الإخلاص بعينه. ابن أبي الدنيا ٢/ ١١٩-١٢٠.

* وأمر الحجاج بن يوسف برجل كان جعل على نفسه إن ظفر به أن يقتله.

فلما أدخل عليه، تكلم بشيء فخلى سبيله، فقيل له: أي شيء قلت؟ قال: قلت: يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد، اصرف عني شر كل جبار عنيد. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٧٢.

* وقال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة - جارنا - قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو لي.

فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟.

قلت: رجل سألتني أمي -وهي مقعدة- أن أسألك الدعاء.

فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا.

فوليت منصرفا، فخرجت عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي.

---

(١) قال ابن فارس: النون والهاء كلمةٌ واحدة. يقال: نَهْنَه فلانٌ فلانًا: كفّه وزَجَره.[مقاييس اللغة: مادة: نه.

والمعنى ليس بواضح، والأنسب أن تكون بدلها: يُمهلني.

(٢) هذه اللفظة ليست في المطبوع، لكن السياق يقتضيه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذه الواقعة نقلها: ثقتان، عن عباس. السِّيَر (١١/ ٢١٢).

* وعن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجَّاجُ **سعيدَ بن جُبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ما أراني إلا مقتولًا وسأخبركم: إني كنتُ أنا وصاحبان لي دعَونا حين وَجَدنا حلاوةَ الدُّعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكِلا صاحبيَّ رُزِقَها، وأنا أنتظِرُها.

قال: فكأنَّه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدُّعاء.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمّا علم مِن فضل الشهادة ثَبَت للقَتل ولم يَكْتَرِثْ، ولا عامل عدوَّه بالتقيَّة المباحة له،. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٧.

* وعن الأوزاعي قال: خرج الناس يستسقون وفيهم **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠)، فقال: يا أيها الناس ألستم تقرون بالإساءة؟ قالوا: نعم! قال: اللهم إنك قلت: (ما على المحسنين من سبيل)، وكل يقر لك بالإساءة فاغفر لنا واسقنا، قال: فسقوا. تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال ثابت البناني: أخذ عبيد الله بن زياد ابنَ أخٍ **لصفوان بن محرز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤)، فحبسه في السجن، فلم يدع صفوان شريفًا بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمّل به عليه، فلم يرَ لحاجته نجاحًا، فبات في مصلاه حزينًا قال: فهوّم من الليل فإذا آتٍ قد أتاه في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها قال: فانتبه فزِعًا فقام فتوضأ، ثم صلّى ثم دعا. فأرِق ابنُ زياد، فقال: عليَّ بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء بالحرس وجيء بالنيران، ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل، فقال: ابن أخي صفوان أَخرِجوه، فإنّي قد مُنعت من النوم منذ الليلة، فأخرج فأتي به ابن زياد، فقال: انطلق بلا كفيلٍ ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابَه، قال صفوان: مَن هذا؟ قال: أنا فلان قال: أيّ ساعةٍ هذه الساعة؟ فحدّثه الحديث. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٤٧.

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان **العلاء بن الحضرمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١) في سرية، فعطشوا فصلّى ثم قال: اللهمّ يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوَّك، فاسقنا غيثًا نشرب منه ونتوضأ، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا غيرنا، فساروا قليلًا فوجدوا نهرًا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤوا أوعيتهم، ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر، فلم يرَ شيئًا، وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وكان **صِلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ له (ت: ٧٠) في سرية، فذهبت بغلته بثقلها، وارتحل الناس، فقام يصلي، وقال: اللهمّ إني أقسم عليك أن تردّ عليّ بغلتي وثقلها، فجاءت حتى قامت بين يديه. وكان مرة في برية فقر فجاع، فاستطعم الله، فسمع وجبة خلفه، فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طريّ، فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته معاذة العدوية، وكانت من الصالحات. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وخرج **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) صائمًا حاجًا فتقدّم أصحابه في يوم صائف، فأصابه عطش شديد فقال: اللهمّ إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر، فأظلَّته سحابة، فأمطرت عليه حتى بلت ثوبه، وذهب العطش عنه، فنزل فحوّض حياضًا فملأها، فانتهى إليه أصحابه فشربوا، وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

* وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح أنه قال: إن **أبا حمدون الطيب بن إسماعيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كف بصره، فقاده قائد له ليدخله المسجد فلما بلغ إلى المسجد قال له قائده: يا أستاذ، اخلع نعلك قال: لم يا بني أخلعها؟ قال: لأن فيها أذى، فاغتم أبو حمدون، وكان من عباد الله الصالحين، فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فردَّ الله عليه بصره ومشى. المنتظم ١١/٣٠١.

* وعن عَبْد اللهِ بْن كَثِيرٍ قَالَ: قَدِمَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالِيًا عَلَيْهَا، قَالَ: فَأَتَاهُ عَلِيُّ ابْنُ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَذَكَرَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ** (ت: ٩٤)؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: إِنَّ سَعِيدًا لَيَلْزَمُ مَسْجِدَهُ، وَيَجْفُو الْأُمَرَاءَ، فَقَالَ: تَأْتِينِي أَنْتَ، يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَسَمَّى أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَأْتِنِي؟ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، ثُمَّ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، ثُمَّ وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَضَاقَ بِنَا الْمَجْلِسُ حَتَّى قُمْنَا، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا قَالَ، وَقُلْتُ: تَخْرُجُ إِلَى الْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ: مَا حَضَرَتْنِي فِي ذَلِكَ نِيَّةٌ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ مَا نَوَيْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ فَتَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ إِخْوَانِكَ؟ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهَذَا الْمُنَادِي الَّذِي يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ؟ وَاللهِ لَا يُنَادِينِي إِلَّا أَتَيْتُهُ.

قُلْتُ: أَيْ أَخِي، أَمَا تَخَافُ؟.

قَالَ: أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ يَا أَخِي فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَعْلَمُ أَنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا غَيْرَهُ، وَلَكِنَّ أَوَّلَ مَا أَقُولُ وَأَوْسَطَهُ وَآخِرَهُ حَمْدًا لِلَّهِ، وَثَنَاءً عَلَيْهِ، وَصَلَاةً عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنْسِيَهُ ذِكْرِي.

قَالَ: فَمَكَثَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَا شَاءَ اللهُ لَمْ يَذْكُرْهُ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْزِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَغُلَامٌ لَهُ يُوَضِّئُهُ، إِذْ قَالَ لِلْغُلَامِ: أَمْسِكْ وَاسَوْأَتَاهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسَالِمٍ، إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ أَقْتُلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَاللهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: أَيْ مَوْلَايَ، فَمَا أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ. كرامات الأولياء للالكائي (١٢١).

* وقال موسى بن طريف: ركب **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) البحر، فأخذَتْهم ريح عاصف، فأشرفوا على الهلكة، فلفَّ إبراهيم رأسه في عباءةٍ ونام،

فقالوا له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس ذا شدة، قالوا: ما الشِّدَّة؟ قال: الحاجة إلى النّاس، ثم قال: اللهم أَرِيتَنا قُدرتَك فأرِنا عَفْوَك، فصار البحر كأنه قَدَح زيتٍ. صفة الصفوة ٤/ ٣٨٨.

* ودخل **أبو الحسين النوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٥) يومًا الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلًا حتى رجع إليه اللص معه ثيابه، فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه. فرد الله عليه يده ومضى. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٣.

* وذكر صاحب سيرةِ **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): أنه سمعه يذكر: أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قِتاله، قَالَ: ثم إني فكَّرت في ذلك، ورأيت أنه ليس بصوابٍ مجاهرته، لقُوةِ شوكته، فدخلت على المقتفي، فقلت: إني رأيتُ أن لا وجْه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وصِدق الاعتماد عليه، فبادَر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا، ثم كتبتُ إليه: أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد دعا على رَعل وذَكوان شهرًا، وينبغي أن ندعو نحن شهرًا، فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير: ثم لازمتُ الدعاء في كلّ ليلة وقتَ السَّحر، أجلِس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشَّهر، لم يَزِد يومًا ولم يَنقص يومًا، وأجاب الله الدعاء، وأزال يَد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم.[1] وهذه القصة تُذكر في **كرامات الخليفة والوزير** رحمهما الله تعالى. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وكان بالمهدية نصرانيٌّ ابن أخ لخاصة بَادِيْس بن حَبُوْسَ صاحب القيروان[2]، فافتضّ هذا النصرانيُّ صبيةً شريفة، فلما سمعت بذلك العامة

(١) ذكرها الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٩١).

(٢) من قادة البربر، له شرف وعشيرة، تملك غرناطة، وجيَّش الجيوش، وحارب المعتصم صاحب المريَّة، والمعتضد صاحب إشبيلية، وكان سفاكا للدماء، فيه عدل بجهل. =

رجعوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك باديس، فعظُم ذلك عليه، وأرسل قائدًا بعسكر إلى المهدية، وقال لهم: اقتلوا من هو قدّ السيف إلى فوق، وبلغ ذلك **أبا الحسن ابنَ القابسيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣)، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء في كشف هذا، فلما وصل القائد إلى قصرٍ مسوَّر قرب المهدية بات فيه، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح فمشى في الهواء وسقط على رأسه وانتثر دماغه، وجاءت البُرد[١] إلى باديس بذلك، وأُعلم بدعاء الشيخ أبي الحسن فرُعِب لذلك، وقال لابن أبي العرب وكبراء رجاله: تمشون للشيخ.

فجعل القُواد يقول بعضهم لبعض: والله ما السلطان إلا هذا الشيخ. ترتيب المدارك (٤/ ١٧١).

* ولَمَّا جرت للفقيه الإمام **أبي محمد ابن التبّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] (ت: ٣٧١) المسألة التي تكلم فيها في الإيمان[٣]، وخالفه أبو محمد ابن أبي زيد، وأبو الحسن القابسيّ (ت: ٤٠٣)، وأبو إسحاق السَّبائي (ت: ٣٥٦)، والجماعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[٤]، وحَدَث بينهم وبين بعضهم وحشة بسببها: جعل موعدًا للإلقاء، وألقى عليهم كتاب الوضوء، فخالفوه في مسألة، فقال لهم: اسمعوا ما أقول: درست هذا الكتاب

= وقفت له امرأة، فقالت: يا مولانا، ابني يعقني، فطلبه، ودعا بالسيف، فقالت المرأة: إنما أردت تهديده، فقال: ما أنا بمعلم كُتَّاب، وأمر به، فضربت عنقه. [السِّيَر (٣٦/ ٧٠)

(١) أي: الرسل.

(٢) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٣) وهي الاستثناء في الإيمان، أي: هل يقول: أنا مؤمن، أو يستثني فيقول: إن شاء الله.

(٤) وهؤلاء من علماء المالكية، فكلهم على مذهب واحد، ومع ذلك جرى بينهم من الاختلاف والافتراق بسبب هذه المسألة، التي لو حُررت لعلموا أنّ الاختلاف فيها لفظي.

ألف مرة، فأبوا إلا مخالفته، فقام بهم إلى داره، وأخرج الكتاب وأراهم المسألة كما قال، ثم دعا على نفسه، وقال: اللهم لا تقضِ عليَّ أنْ أُلْقِيَ عليهم بعد هذا شيئًا، اللهم اقبضني إليك، وأرحني منهم، فما قام إلا يسيرًا حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[١] ترتيب المدارك (٤/ ٦٠).

* وحدَثت عداوة بين **القاضي الجليس بن الحبّاب**[٢] والمهذب بن الزبير رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فبلغ شاورَ[٣] أن ابن الزبير يمدح شيركوه[٤] ويحرضه على قتله، فلما سار شيركوه عن القاهرة قبض شاور على ابن الزبير واعتقله وعزم على قتله، فدخل عليه القاضي الجليس بن الحبّاب وما زال به حتى أفرج عنه، فلما كان الليل وقف ابن الزبير على باب ابن الحبّاب واستأذن عليه، فبعث إليه يقول: العداوة باقية، وما فعلت هذا إلا سترا للحرمة والفضيلة، وقد حدث منك قبل هذا ما هو أعظم من هذه فما حفظتَها.

والله لا اجتمعنا إلا يوم القيامة، فاتفق موت القاضي الجليس في أول السنة، ومات بعده ابن الزبير. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٤٠).

---

(١) كلّ مَن شق طريقه نحو القمة سيواجه من المثبطين والْمُنتقدين والحاسدين من يسعى جاهدا في ثَنْيِ عزيمته، وإعاقةِ مسيره، قصدًا أو من غير قصد، فلا ينبغي أنْ يلقي لهم بالا، ولا يعيرهم اهتمامًا.

فانظر إلى هذا الإمام كيف فتّ في عضده انتقاد مَن هم على مذهبه، وكان الأحرى بهم أن يكونوا عونًا له، لا حربًا عليه، ولو لم يُعِرْهم اهتمامًا لاستراح من الهم الذي دعا الله أن يموت بسببه، فما أثخن جرح الحاسدين والْمُثبّطين والْمُكثرين من الانتقاد في قلب من يُصغي لهم، وما أهونه على من أعرض بقلبه وسمعه عنهم.

(٢) هو: عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب أبو المعالي القاضي الجليس السعدي، كان يجالس خلفاء مصر من بني عبيد فسُمّيَ الجليس، وكان أديبًا مترسّلا شاعرا. مات سنة (٥٦١).

(٣) شاور أبو شجاع وزير الديار المصرية في دولة بني عُبيد الرافضية.

(٤) أسد الدين شيركوه، أول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين.

وهو عمُّ السلطان صلاح الدين، وكان من كبار القواد في جيش نور الدين زنكي.

د- نماذج من دعاء السلف[1]:

* كان **معاذ بن جبل** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (ت: ١٨) إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد

---

(١) قاعدة هامة في الأذكار والأدعية التي لم ترد في الكتاب والسنة، وحُكم تقييد الأذكار والأدْعية الشرعية بزمان أو مكان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غايةُ المطالب الصحيحة، ونهايةُ المقاصد العليّة.

والأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرَّاه المتحرِّي من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبِّر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان. ا.هـ.

وأما ما سواها من الأذكار والأدعية فقد ذكر فيها تفصيلا:

١- أنْ يَسُنَّ للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس: فهذا ابتداعُ دينٍ لم يأذن الله به.

٢- أن يدعو به الإنسان أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة، ولم يُعْلم أنه يتضمن معنى محرما: فهذا لا يَجُوز الجزم بتحريمه، وهذا كما أنّ الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت.

٣- أن يتخذ وردًا أو ذكرًا غير شرعي: فهذا مما يُنهى عنه.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قاعدةً في تقييد الأدعية والأذكار الشرعية زمانًا ومكانًا:**

١- إنْ دلت أدلة الشرع على استحباب ذلك، كالذكر والدعاء يوم عرفة بعرفة، أو الذكر والدعاء المشروعين في الصلوات الخمس، والأعياد والجُمع وطرفي النهار، وعند الطعام والمنام واللباس، ودخول المسجد والخروج منه، ونحو ذلك: صار ذلك الوصف الخاص مستحبًّا مشروعا استحبابا زائدا على الاستحباب العام المطلق.

٢- وإن دلت أدلة الشرع على كراهة ذلك كان مكروها، مثل اتخاذ ما ليس بمسنون سنةً دائمة؛ فإنَّ المداومة في الجماعات على غير السنن المشروعة بدعة؛ كالأذان في العيدين، والقنوت في الصلوات الخمس، والدعاء المجتمع عليه أدبار الصلوات الخمس، والمداومة على الاجتماع لصلاة تطوع، أو قراءةٍ أو ذكرٍ كلَّ ليلة، ونحو ذلك: فإنَّ مضاهاةَ غير المسنون بالمسنون بدعةٌ مكروهة.

٣- وإن لم يكن في الخصوص أمر ولا نهي: بقي على وصف الإطلاق، كفعلها أحيانا على غير وجه المداومة، مثل التَّعْريف -أي الجلوس في المسجد يوم عرفة لغير الحاج للدعاء والذكر- أحيانا كما فعلت الصحابة، والاجتماع أحيانا لمن يقرأ لهم، أو على ذكر أو دعاء.

يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٦- ١٩٨)، (٢٢/ ٥١١)، الرد على الشاذلي ص: ٢٧، ٣٠.

نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف؛ اللهم اجعل لي عندك هدى تَرُدُّه إليَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. تهذيب الحِلْية ١٨٣/ ١.

* وكان **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢) يقول : اللهم إن تعذبني فأنا أهل ذاك وإن تغفر لي فأنت أهل ذاك . الزهد لأحمد: ٤٠٥.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): إلهي كيف أفرح وقد عصيتُك؟ وكيف لا أفرح وقد عَرَفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعُوك وأنت كريم؟. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلهي إنَّ إبليس لك عدوّ وهو لنا عدو، وإنَّك لا تَغِيظه بشيءٍ هو أنكأُ له من عفْوك، فاعف عنَّا يا أرحم الرّاحمين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٤.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) في مناجاته: إنّك إن طالَبتني بِشَرّي طالبتُك بكرَمك، وإن أخذتَني بذُنوبي أتيتك بتوحيدك، وإن أسكنتَني النار بين أعدائك لأخبرنّهم بحبي لك. صفة الصفوة ٤/ ٢٤٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حممت بنيسابور، فانْطَبَقت علي الحمى، فدعوت بهذا الدعاء: إلهي، كلما أنعمت علي نعمةً قلَّ عندها شكري، وكلما ابتليتني ببلية قل عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمته فلم يخذلني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يعاقبني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، اكشف ضرِّي.

قال: فذهبت عني. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* وكان **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يقول في دعائه: اللهم ارزقنا من فضلك رزقًا يزيدنا لك به شكرًا، وإليك فاقة وفقرًا، وبك عمَّن سواك غنى وتعفًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧١.

* وعن **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩) أنه كان خلف المقام جالسًا فسمع **داعيًا** دعا بأربع كلمات، فعجب منهن وحفظهن قال: فالتفت فلم أر أحدًا، وهو يقول: اللهم فرِّغْني لما خلقتني له، ولا تُشْغلني بما تكفَّلْت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧١.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قومًا فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين. تهذيب الحِلْية ٢٢٣/ ٢.

* وكان من دعاء **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تجعلنا بين الناس مغرورين، ولا بالستر مفتونين، اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حق خشيتك. تهذيب الحِلْية ١٠١/ ٣.

* وقَالَ عبدالرحمن بن زاذان: كنتُ فِي المدينة وقد صلينا ونحن قُعود، **وأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) حاضر، فسمعته يقول: اللهم مَن كان على هوى أو عَلَى رأي وهو يظن أنه عَلَى الحق، وليس هو عَلَى الحق، فرُدَّه إلى الحق، حتى لا يُضَلّ به من هذه الأمة أحد، اللهم لا تُشْغِل قلوبنا بما تكفَّلْت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولًا[1] لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بِشَرِّ ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تَفْقدنا من حيث أمرتنا، أعِزَّنا ولا تُذِلنا، أعِزَّنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعاصي. طبقات الحنابلة (٢/ ٧٢).

* وقال **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤): اللهم لا تُخِفْ بنا أحدًا من

---

(١) أي: عبيدًا.

خلقك، إنَّ رجلًا يُخِيفه الله خيارَ خلقه رجلُ سوءٍ. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) لأصحابه: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنِفنا برُكنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلكُ وأنت رجاؤنا.

قال **خلف بن تميم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لصٌّ ولا غيره. الزهد للخطيب (١٢٦).

هـ- بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه[1]:

* عن **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٩) قالت: سلوا ربكم حتى الشسع فإنه إن لم

(١) من المعلوم أنّ إجابةَ الدُّعاءِ لا بُدَّ لهَا مِنْ شُرُوطٍ، **ومن أعظم وأهمّ شروطِها:**

١- أَنْ يدْعُوَ المسلم ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنيَّةٍ صادِقةٍ، وحُضُورِ قَلْبٍ، «فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

٢- أَنْ يكون أكلُه حلالًا.

٣- أنْ يدعوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خُفْيةً، قال تَعالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] فقد أَمَرَ تعالى بِإِخْفَاء الدعاء وَإِسْرَارِه.

٤- أن يدعوه تضرُّعًا، وَهُوَ التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ وَالِانْكِسَارُ، كما قال تَعالَى في الآية السابقة: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ومما يُلاحظ على كثير من الناس في دعائهم أنهم لا يستشعرون التضرع والتذلل لله، بل يدعون الله وهم في غفلة، وبعضهم يتثاءب، وبعضهم يلتفت يمنةً ويسرةً وينشغل بالناس وبما حوله!

وعدم التضرّع يدخل الاعتداء المنهي عنه في قَوْله تَعالَى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف:٥٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِن الْعُدْوَانِ أَنْ يَدْعُوَهُ غَيْرَ مُتَضَرِّعٍ، بَل دُعَاءُ هَذَا كَالْمُسْتَغْنِي الْمُدَلِّي عَلَى رَبِّهِ، وَهَذَا مِن أَعْظَمِ الِاعْتِدَاءِ لِمُنَافَاتِهِ لِدُعَاءِ الذَّلِيلِ، فَمَن لَمْ يَسْأَلْ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ مُتَضَرِّعٍ خَائِفٍ فَهُوَ مُعْتَدٍ.

وقَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ عقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَن لَمْ يَدْعُهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً فَهُوَ مِن الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمْ. ا.هـ.

٥- ألا يستعجل ربه في الإجابة، ويترك الدعاء إذا لم يُستجب له.

يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠-٢٧)، بدائع الفوائد: ٣/ ٨٥١.

يبسره والله لم ييسر. الزهد لأحمد: ٣٦١.

* وسئل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء، ربنا ربنا. تهذيب الحِلْية ٣٥٣/ ٢.

* وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كلّ حوائجه حتى ملح عجينه وعلف شاته.[1] جامع العلوم والحكم/ ٣٠٣.

* ومر **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: (ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا.

قال: فقال إبراهيم: **يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:**

أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

---

(١) هذا هو السنة، وهو أن يسأل المسلم ربّه مصالح الدنيا والآخرة، وقد كان بعض السلف يستحي من الله أن يسأله شيئًا من مصالح الدنيا، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والاقتداء بالسنّة أولى. جامع العلوم والحكم/ ٣٠٣.

وقد قال الله تعالى مُثنيًا على عباده المؤمنين: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١]: قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا، لَا حُظُوظَ الدُّنْيَا وَحْدَهَا كَيْفَمَا كَانَتْ كَالْفَرِيقِ الْأَوَّلِ..

وَلَمْ يَذْكُرْ فِي التَّقْسِيمِ مَنْ لَا يَطْلُبُ إِلَّا حَسَنَةَ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ التَّقْسِيمَ لِبَيَانِ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ بِحَسَبِ دَاعِي الْجِبِلَّةِ وَتَأْثِيرِ التَّرْبِيَةِ وَهَدْيِ الدِّينِ، وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ فِي الْبَشَرِ مَنْ لَا تَتَوَجَّهُ نَفْسُهُ إِلَى حُسْنِ الْحَالِ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا يَكُنْ غَالِبًا فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالْجُوعِ وَالْبَرْدِ وَالتَّعَبِ يَحْمِلُهُ كَرْهًا عَلَى الْتِمَاسِ تَخْفِيفِ أَلَمِ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ، وَالشَّرْعُ يُكَلِّفُهُ ذَلِكَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَيْهِ حُقُوقًا لِبَدَنِهِ وَلِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَلِرَحِمِهِ وَلِزَائِرِيهِ وَإِخْوَانِهِ وَأُمَّتِهِ لَا تَصِحُّ عُبُودِيَّتُهُ إِلَّا بِدُعَاءِ اللهِ تَعَالَى فِيهَا.

وَفِي الْآيَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ هَذَا الْغُلُوَّ مَذْمُومٌ خَارِجٌ مِنْ سُنَنِ الْفِطْرَةِ وَصِرَاطِ الدِّينِ مَعًا، وَمَا نَهَى اللهُ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَذَمَّهُمْ عَلَى التَّشَدُّدِ فِيهِ إِلَّا عِبْرَةً لَنَا. تفسير المنار ٢/ ٢١٥-٢١٦.

الثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

الثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

الرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها.

والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

الثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.

التاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.

العاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم. تهذيب الحِلْية ٤٨٢/ ٢.

* وقال **بعضهم**: جامع العلوم والحكم / ١٤٠.

نحنُ ندعو الإله في كلّ كربٍ ثم ننساهُ عندَ كشفِ الكروبِ

كيفَ نرجو إجابة الدعاء وقد سددنَا طريقَها بالذنوبِ

* وقال **عبد الواحد بن زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧): الإجابة مقرونة بالإخلاص، لا فرقة بينهما. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٤.

* ومرَّ **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) برجل في يده حصى يلعب به وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين! فقام عليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصى، وأخلصت لله الدّعاء؟ ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٥.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٥٧): يُقَالُ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ. التمهيد لابن عبد البرّ ٥/ ٣٤٦.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): «ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: هذا في الدعاء.

وقال: وكانوا يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء.

* وقَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ لِأَبِي عبدالله **الإمام أَحْمَدَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: يُكْرَهُ أَنْ يَجْتَمِعَ الْقَوْمُ يَدْعُونَ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ؟ فَقَالَ: مَا أَكْرَهُهُ لِلْإِخْوَانِ إذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى عَمْدٍ إلَّا أَنْ يَكْثُرُوا.

قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: قَالَ إِسْحَاقُ بن رَاهْوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ، وَإِنَّمَا مَعْنَى إلَّا أَنْ يَكْثُرُوا إلَّا أَنْ يَتَّخِذُوهَا عَادَةً حَتَّى يَكْثُرُوا.

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: فَقَيَّدَ أَحْمَدُ الِاجْتِمَاعَ عَلَى الدُّعَاءِ إذَا لَمْ يُتَّخَذْ عَادَةً. الآداب الشرعية ٢/ ٧٦.

* وسمع **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) رجلا رافعًا صوته بالدعاء فرماه بالحصى. الزهد لوكيع (٣٤٠).

* وعن **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: أحدث الناس الصوت عند الدعاء.[1] قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم: (٤٢٩): رواه الخلال بإسناد صحيح.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَفِي إخْفَاءِ الدُّعَاءِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ:**

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ إيمَانًا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُمْ، وَمَن رَفَعَ صَوْتَهُ لَدَيْهِمْ مَقَتُوهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الدُّعَاءِ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ، فَإِنَّ الْخَاشِعَ الذَّلِيلَ إنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ ذَلِيلٍ قَد انْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَذَلَّتْ جَوَارِحُهُ، وَخَشَعَ صَوْتُهُ.

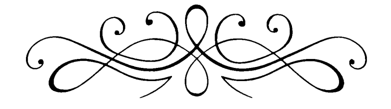
وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي جَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عَلَى الذِّلَّةِ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ يُفَرِّقُهُ.

وَسَادِسُهَا: أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ مِن الله، وأنه لاقترابه منه وشدَّة حضوره يسألُه مَسْأَلَةَ أقرب شَيْءٍ إليه، فيسألُه مَسْأَلةَ مُنَاجاةِ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، لَا مَسْأَلَةَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ وَلِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ الْقَلْبُ قُرْبَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِن كُلِّ قَرِيبٍ أَخْفَى دُعَاءَهُ مَا أَمْكَنَهُ. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠-٢٧)

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): كل حالٍ خصّ الله تعالى في قلب المؤمن فينبغي أن يَغتنم تلك اللحظة فإنها ساعة إجابة، ومن اشتدت فاقته فدعا، أو اشتدّ خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أنْ يدعو فيه فإنه ساعة إجابة، وساعة صدق في الطلب، وما دعا صادقٌ إلا أُجيب. الآداب الشرعية ٢/ ١٩٣.





أ- الخوف والخشية[(١)]:

* لَمَّا طُعن **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) جعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا يَخَافَ أَحَدًا؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَخَافُ اللهَ أَذَلُّ مِنْ أَنْ يُخَافَ، فَإِنَّهُ ظَالِمٌ وَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَالْخَوْفُ مِنْهُ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ.

وَإِذَا قِيلَ: قَدْ يُؤْذِينِي؟

قِيلَ: إِنَّمَا يُؤْذِيك بِتَسْلِيطِ اللهِ لَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ دَفْعَ شَرِّهِ عَنْك دَفَعَهُ، فَالْأَمْرُ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى الْعَبْدِ بِذُنُوبِهِ، وَأَنْتَ إِذَا خِفْتَ اللهَ فَاتَّقَيْتَهُ وَتَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ كَفَاكَ شَرَّ كُلِّ شَرٍّ وَلَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْك، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وَتَسْلِيطُهُ يَكُونُ بِسَبَبِ ذُنُوبِك وَخَوْفِك مِنْهُ، فَإِذَا خِفْتَ اللهَ وَتُبْتَ مِنْ ذُنُوبِك وَاسْتَغْفَرْتَهُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْك كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣]. ا.هـ مجموع الفتاوى: ١/ ٥٦-٥٧

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة، فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين...

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإن تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط. مدارج السالكين ٢/ ١٤٠.

فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ».

وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي.(١) صحيح البخاري: (٣٤١٦)، (٣٧٠٠).

* وقال لأبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلاَمُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِجْرَتُنَا مَعَهُ، وَجِهَادُنَا مَعَهُ، وَعَمَلُنَا كُلُّهُ مَعَهُ، بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ، كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ: لاَ وَاللهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا، وَصُمْنَا، وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ عمر: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا(٢)، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ».(٣) صحيح البخاري: (٣٩١٥).

* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رأس **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حِجري، فقال: يا عبد الله ضع رأسي بالأرض، قال: فجمعت ردائي فوضعته تحت رأسه، فقال: ضع رأسي بالأرض لا أمّ لك، ثم قال: ويلُ عمر وويلُ أمّه إن لم يغفر الله له. الزهد لأبي داود (٦٦).

---

(١) يتمنى عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخرج من الدنيا سالمًا من تبعات الإمارة لا له ولا عليه، وهو الذي جاع لتشبع رعيّتُه، وافتقر لتغنى رعيّته، وكان يتجول في المدينة ينظر في شؤونهم، ويسهر الليل في قضاء حوائجهم، ومات مديونًا بأكثر من ثمانين ألفًا، وجاهد في سبيل الله وفتح الله على يديه بلاد الشام والعراق وخراسان وغيرها.

فكيف بمن تولّى منصبًا فخان وسرق وفرّط؟

(٢) أَيْ ثَبَتَ لَنَا وَدَامَ.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ هَضْمًا لِنَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَقَامُهُ فِي الْفَضَائِلِ والكمالات أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ. الفتح ٧/ ٣١٨

* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما طُعن **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو أنّ لي ما في الأرض من شيء لافتديت به من عذاب الله قبل أن أرى.

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: لم أتَّقِ عذاب الله كما أحب.[1] الزهد لأبي داود (٧٠).

* وقال **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): وددت أني رمادٌ تذروني الرياح. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): وددتُ أن الله غفر لي خطيئةً من خطاياي وأنه لم يُعرفْ نسبي. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٣٩.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

قال أبو شهاب الزهري بيده فوق أنفه. صحيح البخاري (٦٣٠٨).

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. صحيح البخاري: (٣٣٣٨).

* ولما نزل **بحذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت جزع جزعا شديدا، فقيل له: ما يبكيك؟.

قال: ما أبكي أسفا على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٣.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: لن يلج النارَ من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع. الزهد لوكيع (٢٣).

* وبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، فإني أمسيت في صعود مهبطة على جنة ونار، ولا أدري أيتهما يُؤخذ بي. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٤.

---

(١) هذا شرحٌ لكلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* واسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، فقَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ!(١)، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ المُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ».

فَقَالَتْ: وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا. صحيح البخاري: (٤٧٥٣).

* وعاد **خبابَ بن الأرتّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) بقايا من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوتك تقدَم عليهم غدا، فبكى، وقال: «عليها من حال، أما إنه ليس بي جزع، ولكنّكم ذكّرتموني أقوامًا، وسمّيتموهم لي إخوانًا، وإنّ أولئك قد مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثوابُ ما تذكرون من تلك الأعمال ما أتينا بعدهم. الزهد للمعافى (٣٠١)، الزهد لأبي داود (٢٣٧).

* وعن **كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: لوددت أني كبش أهلي فأخذوني فذبحوني فأكلوا وأطعموا أضيفتهم. الزهد لأحمد: ٣٦٣.

* وعن **شداد بن أوس الأنصاري** (ت: ٦٠) أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح. تهذيب الحِلْية ٢٠٢/ ١.

* وعن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت **ابن عباس** (ت: ٨٦) وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. الزهد لأحمد: ٢٧١.

* وعن **ابن عباس** في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] قال: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت وصاروا إلى الله تعالى

(١) عائشة الصديقة بنت الصديق تخشى أن يَمدحها ويُثني عليها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبعض الناس يغضب لو لم يُمدح، ويُقرِّب من يمدحه، ويُبغض من يُبصِّره بعيوبه، فشتان بين الحالين!

استأنفوا[1] في بكاءٍ لا ينقطع عنهم أبدا. الزهد لأسد بن موسى (١٤).

* وقال **فضالة بن عبيد** (ت: ٥٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأنْ أعْلَم أنَّ الله تقبَّل مني مثقالَ حبَّة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٤٧.

* ودخل **ابن عمر** (ت: ٧٣) الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك. تهذيب الحِلْية ٢١٠/ ١.

* وشرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماء مبرّدًا، فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠]. صفة الصفوة ١/ ٢٧٤.

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إليّ من أن أتصدق بوزني ذهبًا. الزهد لأبي داود (٣٧٤).

* وعن ابنةٍ **للربيع بن خُثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَن يخاف البَيات.[2] تهذيب السِّيَر ٣/ ٤٣.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): وددت أني نجوت من عملي كفافا لا لي ولا عليّ. مسند الدارمي (٥٤٨).

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): وددت أن أنجو من هذا الأمر كفافًا، لا علي ولا لي. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت إذا رأيت الرجال يجتمعون إلى أحد غبطته، فلما ابتليت بها وددت أني نجوت منهم كفافًا لا عليَّ ولا ليَ.[3] تهذيب الحِلْية ٣٨٧/ ٢.

---

(١) أي: ابتدؤوا.

(٢) أي: يُبيّته العدوّ بغتة، ويقصد بذلك هجوم ملك الموت عليه في أيّ لحظة.

(٣) وكذا قال الشعبي وأحمد بن حنبل وهشام الدستوائي رَحِمَهُمُ اللَّهُ. انظر تهذيب الحِلْية ١١٢-١٤٥-٣٤٠/ ٢.

=

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أطاق أحد العبادة، ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف. تهذيب الحِلْية ٢/٣٦٢.

* وعن **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه مثل أمثال البحور من النار. الزهد لأبي داود (٣٩٤).

* وقيل في بعض المواعظ: عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل. أدب الدين (٢٠٠).

* واشتكى **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣) عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك، قال: وما هي؟ قال: لا تبك، قال: وما خيرٌ في عين لا تبكي؟. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢١٠.

* وقيل **لعامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): إنك تبيتُ خارجًا، أما تخافُ الأسد؟ قال: إنِّي لأستحيي من ربِّي أن أخافَ شيئًا دونه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٣٤.

* وكان **هرِم بن حيَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦) يخرجُ في بعض اللّيل ويُنادي بأعلى صوته: عجبتُ من الجَنَّة كيف نامَ طالبُها؟ وعجبتُ من النار كيف نام هاربُها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ [الأعراف: ٩٧]. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٠.

* وكان **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يكثر أن يقولَ في مَجلسِه: اللَّهمَّ سلِّم سلِّم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال الشَّاعِر:

وإنَّ اللهَ ذُو حِلْـــمٍ ولكِـــنْ ... بِقَـدْرِ الْحلـمِ يَنتقِـمُ الْحلِيـمُ

المجالسة وجواهر العلم (٣١١).

= يقولون هذا وهم الذين أفنوا أعمارهم في طلب العلم وتحصيلِه، ثم في تزكيتِه ونشرِه وتبليغِه، وعَمَروا أوقاتهم بالتعليم والعمل والعبادة، فكيف بمن كتم علمه، ولم يعمل بعملِه!
اللهم ارحمنا يوم العرض عليك، وأمِّنَّا يوم الفزع الأكبر.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل يذنب فما ينساه وما يزال متخوفًا منه حتى يدخل الجنة. الزهد لأحمد: ٤٦٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول النبي ﷺ **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[(١)]: «والله إنْ أصبح فيها مؤمن إلا حزينًا، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدَّث الله عَزَّوَجَلَّ أنه واردٌ جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها، والله ليلقين أمراضا، ومصيبات وأمورا تغيظه، وليُظلَمن فما ينتصر، يبتغي من ذلك الثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، وما يزال فيها حزينًا خائفا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة».

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئًا. الزهد لابن المبارك (١١٤١).

* وبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.[(٢)] المنتظم ٧/١٣٧.

* وقيل له: إن عندنا قوما يبكون ليسوا بذلك، ونرى قوما أفضل منهم لا يبكون؟ فقال الحسن: أولئك تبكي قلوبهم.[(٣)] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٤.

* وقيل له كذلك: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ مَنْ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَكُوْنَ فِي النَّارِ فَهُوَ مَغْرُوْرٌ قَدْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ بِهِ. السِّيَر ٦/ ٢٩١.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولذلك تجد بعض الوعاظ كثير البكاء، وتصدر منه مخالفات شرعية تدل على ضعف في الورع والتقوى، وتجد عالمًا أو صالحًا قليل البكاء أمام الناس، ولكنه قوي في دينه، شديد الورع والتمسك بالكتاب والسنة.

والبكاء من علامات رقة القلب غالبًا، ولكنه ليس دليلا على قوة الإيمان وصلابته.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْخَائِفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى هُوَ أَنْ يَخَافَ أَنْ يُعَاقِبَهُ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ: لَيْسَ الْخَائِفُ الَّذِي يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، بَلِ الْخَائِفُ الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ. تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٨).

الحسن: والله لئن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يلحقك الخوف. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ١.

* وعن **عبد الأعلى التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): قال: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]. تهذيب الحِلْية ١٤٩/ ٢.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المخافة قبل الرجاء، فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق جنة ونارًا، فلن تخوضوا إلى الجنة حتى تمروا على النار. تهذيب الحِلْية ١٧٢/ ٢.

* واجتمع بنو مروان على باب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١)، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه، فقالوا له: إما أن تستأذن لنا، وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة، قال: قولوا: فقالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا، وإن أباك قد حرمنا ما في يديه قال: فدخل على أبيه فأخبره عنهم، فقال له عمر: قل لهم إن أبي يقول لكم: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. تهذيب الحِلْية ٢٠٣/ ٢.

* وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها دخلت عليه، فإذا هو في مُصَلاَّه يدُهُ على خدِّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! ألشيءٍ حدث؟ قال: يا فاطمةُ! إني تقلَّدت أمرَ أمَّة محمد ﷺ، فتفكَّرْتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائعِ، والعاري المجهود، والمظلوم المقهُور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَ ربِّي سيسألني عنهم، وأن خَصْمَهُمْ دونهم محمَّدٌ ﷺ فخشيتُ ألا تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكيْتُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٩.

* وبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبكت فاطمة فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العَبْرُ قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة مُنْصرفَ القوم من بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير!. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨١.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما ساكتا وأصحابه يتحدثون، فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٢.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان بُدوُّ إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي فقال: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٣٠.

* وقالت فاطمة بنت عبد الملك: قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصوما من **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن لم أر رجلا من الناس قط كان أشدّ فرَقًا[1] من ربه من عمر بن عبد العزيز، كان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع. الزهد لابن المبارك (٨٣٣).

* وعن **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣) قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذْره من الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٣/ ١٦.

* وقال **بعض السلف**: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يَخاف أن يعذَّب عليه. المجالسة وجواهر العلم (٣٦).

* وعن **إبراهيم بن شيبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٨) أنه قال: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا. المنتظم ١١٩/ ١٤.

---

(١) أي: خوفًا.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله، فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجَمَ عليهم، فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رُعْتَ أهْلك؟ فقال له: إني مرت بي آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال: ما هي؟ قال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧] قال: فبكى أبو حازم معه، واشتدّ بكاؤهما قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرّج عنه فزِدْته قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٩.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تَحُول خشيتهُ بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية. صفة الصفوة ٣/ ٥٤.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]. وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦]. صفة الصفوة ٣/ ٦٢.

* وعن **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لو كان لي نفسان، لقدمت إحداهما قبل الأخرى، فإن هجمت على خير، أتبعتها الأخرى وإلا أمسكتها. ولكن إنما لي نفس واحدة ما أدري على ما تهجم؟ خير أو شر. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) فكثيرًا ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأيِّ شيءٍ فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إناَّ لنصلي، ولئن كان يصوم إناَّ لنصوم، وإنْ كان يغزُو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إناَّ لنحجّ.

قال: فكنَّا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشَّى في بيتٍ إذ طفِىءَ السراجُ، فقام بعضنا، فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاءَ بالسّراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلّت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فَقدَ السراج فصار إلى الظُلمة ذكر القيامة. صفة الصفوة ٣/ ٣٧٩.

* وقالَ **ابْنُ الْمُبارَكِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَكثَرُكُمْ عِلمًا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَكُمْ خَوْفًا. جامع بيان العلم وفضله (١٢٧١).

* وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلت **ليزيد بن مرثد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٩): مالي أرى عينيك لا تجفّ؟ قال: وما مَسْألتك عنه؟ قلت: عسى الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفَعَني به، قال: إِنَّ اللهَ قَدْ تَوَعَّدَنِي إِنْ أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجِنَنِي فِي النَّارِ، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدْنِي أَنْ يَسْجِنَنِي إِلَّا فِي الْحَمَّامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ لَا تَجِفَّ لِي عَيْنٌ. شعب الإيمان (٨٧٨).

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): إن لم تخش أن يعذّبك الله على أفضل عملك فأنت هالِكٌ.[1] صفة الصفوة ٤/ ٤٧٥.

---

(١) لأن العمل الفاضل قد يمنعه من القبول: الرياء، أو ضعفٌ في الإخلاص، أو عُجبٌ، أو محبةٌ لاطلاع الناس عليه، وغير ذلك من الآفات التي تمنع قبول الأعمال، وأعظمها أن يمُنَّ به على الله تعالى بلسان الحال أو بلسان المقال.

والله تعالى يقول عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد.. عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ» وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه، وقال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم». ا.هـ كلامه.

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): مَنْ خاف الله لم يضرَّه أحدٌ، ومن خَاف غيرَ الله لم ينفعه أحد. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ **الْخَشْيَةُ**، وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ، إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ.

قال **ابن أبي يعلى** (ت: ٦١٦): هذه والله المحمودة، صفة إمامنا **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن سلك طريقه، وقليل ما هم، فيا ويح من يدّعي مذهبه[١]، ويتحلى بالفتوى عَنْهُ، وهو سِلْم لمن حاربه، عون لمن خالفه، الله المستعان عَلَى وحشة هَذَا الزمان. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٧).

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): واحُزْناه على أَنّي لا أحزن.[٢] صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

---

(١) أي: مذهب الإمام أحمد.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الحزن فلم يأمر اللّه به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧]، وأمثال ذلك كثير؛ وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر اللّه به، نعم! لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي ﷺ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤].
وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر، وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نُهي عنه، وإلا كان حَسْبُ صاحبِهِ رفعَ الإثم عنه من جهة الحزن، وأما إن أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر اللّه ورسوله به، كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى. مجموع الفتاوى (١٠/ ١٦-١٧).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من حَسُنَ ظَنُّه بالله عَزَّوَجَلَّ ثم لا يخاف الله فهو مَخْدوع. صفة الصفوة ٤/ ٤٧٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِكُلِّ شيءٍ عَلَمٌ، وعَلَمُ الخِذْلانِ تركُ البُكاء. السِّير ٨/ ٣٢٧.

* وكان يُقال: ما استعان عبد على دينه، بمثل الخشيةِ من الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥.

* وقال المَرُّوذي: كان **أبو عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1] (ت: ٢٤١) إذا ذكر الموت خَنَقَتْه العَبرة، وكان يقول: الخوف يمنعُني أكْلَ الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان عليّ كلُّ أمرِ الدنيا، إنما هو طعامٌ دونَ طعام، ولباسٌ دون لباس وإنها أيامٌ قلائل، ما أعدِلُ بالفقر شيئًا، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكر. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **دخلت يوما عَلَى أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقلت: كيف أصبحت؟.

فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بنفقتهم؟ طبقات الحنابلة (١/ ١٤٤).

* وقال أَبُو حامد الخُلْقاني: قلتُ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقول في القصائد؟ فقال: في مثل ماذا؟ قلت: مثل ما تقول:

إذا ما قَالَ لي ربِّي ... أمَا استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من غيري ... وبالعصيان تأتيني

قال: فرد الباب، وجعل يقول:

---

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

إذا ما قَالَ لي ربِّي ... أما استحييتَ تعصيني
وتُخفي الذنبَ مِنْ غَيْري ... وبالعصيان تأتيني

فخَرَجتُ وتركته. ذيل الطبقات (١/ ٢٩٩).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد كنت أقرأ على شيخنا **عبد الوهاب الأنماطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥) الحديث في زمان الصّبا، ولم أذق بعدُ طعم العلْم، فكان يبكي بكاءً متّصلًا، وكان ذلك البكاء يَعمل في قلبي، وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته. صفة الصفوة ٢/ ٧٠٣.

* وقَالَ **أبو الحسن بن بشار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٣): ما ينبغي لِمَنْ عصا الله أنْ يستكثر نِقَمَ الله. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٩).

* وقَالَ **الْقَاضِي الفقيه عُمَر بن سَعْد اللَّه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٩): لَمْ أقضِ قضية إلا وَقَدْ أعددت لَهَا الجواب بَيْنَ يدي اللَّه تَعَالَى. ذيل الطبقات (٥/ ١٤٣).

* وقال بعض **السلف**: من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله فلينظر قدر هيبته له وقت عبادته، والتهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر.[1] الزهد للبيهقي (٢٨٩).

* وذُكر في مجلس الإمام أَحْمَد **معروفٌ الكرخي** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) فقال بعض من حضره: هو قصير العلم.

قَالَ أَحْمَد: **أمسك عافاك الله**، وهل يُراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف.

كان معه رأسُ العلم: **خشية الله تعالى**. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٣، طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

* وقيل لمعروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طلبتَ العلم؟ فقال لي: **كيف يخاف الله مَن لم يَعلم**؟ كيف يخاف الله مَن لم يَعلم؟ طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٧).

---

(١) فالعالم بالله العارف به، ليس هو العالم بالحلال والحرام، بل هو الذي يمتلئ قلبُه هيبة ووقارًا وخشية عند قيامه بالعبادة، والمبادر إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

* وكان **يحيى بن وثاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٣) ثقة إمامًا كبير القدر، قال الأعمش: كنت إذا رأيتُه قلت: هذا قد وُقف للحساب(١)، يقول: أي ربِّ أذنبتُ كذا فعفوتَ عني، فلا أعود معرفة القراء (١/ ١٦٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٢٩٥).

ب- الرجاء وإحسان الظن بالله:

* قال **علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): أي آية في القرآن أوسع؟ قال: فجعلوا يذكرون آيًا من القرآن: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠] أو نحوها فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٤-٨٥.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٣.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد شيئا خير من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره ما يحسن عبد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ذلك، فإن الخير في يده. ابن أبي الدنيا ١/ ٩٤.

* وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لو تعلمون من الله ما نعلم لاتَّكَلْتم. الزهد لأبي داود (١٣٩).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): الجبن والبخل والحرص غرائز سوء، يجمعها كلها سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ. الآداب الشرعية ١/ ٤٧.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: يدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه

---

(١) كان علماء السلف أهل عبادة وخوف وزهد، ومحاسبة لأنفسهم.

كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك قال: فيمر بالحسنة فيبيض وجهه ويسر بها قلبه قال: فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له: تعرف يا عبدي، فيقول: نعم أي رب أعرف، قال فيقول: فإني تقبلتها منك، قال: فيخر لله ساجدًا قال: فيقول: ارفع رأسك يا ابن آدم وعد في كتابك قال: فيمر بالسيئة فيسود وجهه ويوجل منها قلبه فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أتعرف يا عبدي؟ قال: فيقول: نعم يا رب أعرف، قال: فيقول: إني قد غفرتها لك، قال: فلا يزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد ولا يرى الخلائق منه إلا السجود قال: حتى ينادي الخلائق بعضها بعضًا طوبى لهذا العبد لم يعص الله قط، قال: ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله مما قد وقفه عليه. الزهد لأحمد: ٣١٦.

* ومرض **أعرابي** فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يُذهب بي؟ قال: إلى الله، قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وعن **المعتمر بن سليمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: قال **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣) حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وقال بعضُهم:

وإني على خوفي من الله واثق ... بإنعامه واللهُ أكرم منعم

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٦٢).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٩.

* وقال **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): وجدت الغفلة التي ألقاها الله

عَزَّوَجَلَّ في قلوب الصدّيقين من خَلْقه رحمةً رحِمهم بها، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدْر معرفتهم به ما هنأهم العيش. شعب الإيمان (١٠٣٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الله ليرحم برحمةِ العصفور.

وأصاب مطرفٌ حمَّرة فأرسلها، قال: أتصدّق بك اليوم على فِراخك. الزهد لوكيع (٤٩٧)، الزهد لهناد (١٣٣٣).

* وقال **الْفُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما يَسُرُّنِي أَنْ أَعْرِفَ الأَمْرَ حقَّ معْرِفتهِ؛ إذًا لطاشَ عَقلي. شعب الإيمان (١٠٣٣).

* وصلى **ابن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) على رجل! فقيل له: تصلي على فلان؟ فقال: إني أستحي من الله أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه. تهذيب الحِلْية ٤٩٤/ ١.

* وقال **بعض السلف**: أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو. المجالسة وجواهر العلم (٢٦٢).

* وعن الزبرقان قال: كنت عند **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له؟!. تهذيب الحِلْية ٦٠/ ٢.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول: ما كان هذا ظني! فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي، فيقول: خلوا سبيله. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٢.

* وكان **أبو الجوزاء أوسُ بن عَبْد الله الرَّبَعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣) يقول: لو أن أناسًا من فقهائكم وأغنيائكم، انطلقوا إلى رجل فقيه غني، فسألوه كوزًا من ماء أكان يعطيهم؟ قالوا: يا أبا الجوزاء، ومن يمنع كوزًا من ماء، قال أبو الجوزاء:

والله لله أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من ماء. تهذيب الحِلْية ٤٥٨/ ١.

* وقال بعضهم:

وإني لأرجو الله حتى كأنَّني ... أرى بجميل الظن ما الله صانع

* وقال الآخر:

فلا تفرح بأمر قد تدنَّى ... ولا تيأْس من الأمر السَّحِيقِ

فإن القرب يبعدُ بعد قرب ... ويدنو البعد بالقَدَر المَسُوق

ومن لم يتق الضَّحْضَاح زلَّتْ ... به قَدماه في البحر العميق

عيون الأخبار ٧٨/ ١.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: إن لكم ربًّا ليس إلى عقاب أحدكم بسريع، يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل، ويعطف على المدبر. تهذيب الحِلْية ١٩٠/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار، قال: فيخرجان من النار، قال: فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه، فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير، فيقول: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، فيأمر بهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت، فيأمر بردهما فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ما حملك على ما فعلت وقد اختبرتها؟ فيقول: يا رب قد ذقت من وبال معصيتك، ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيًا، ويقول للذي مضى وهو يتلفت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظني بك يا رب، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حيث أخرجتني منها أنك لا تعيدني إليها، قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة. تهذيب الحِلْية ١٩١/ ٢.

* وقال **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٥): ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي[1]. تهذيب الحِلْية ٧٢/ ٢.

* وقال **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٧): والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبوي. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ٢.

* وقال **بعض العُبّاد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما علمت أن الله عَزَّوَجَلَّ يلي محاسبتي: زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل. ابن أبي الدنيا ١/ ٦٠.

* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما هو طاعة الله أو النار، فقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): إنما هو عفو الله أو النار. تهذيب الحِلْية ٤١٣/ ١.

* وعن بشر بن المفضل قال: رأيت **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠) في المنام فقلت: يا أبا محمد ما صنع الله بك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل نفسي. الزهد لأحمد: ٥٣٣-٥٣٤.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): لا يذنب المؤمن ذنبًا حتى يكتسب معه مائة حسنة.

فقيل: يا أبا محمد، وكيف هذا؟.

قال: نعم، إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمنا، وخوفه العقاب عليها حسنة، ويرجو غفران الله لها، ولو لم يكن هكذا لم يكن مؤمنًا، ورجاؤه لغفرانها حسنة، وهو يرى التوبة منها، ولو لم يرها لم يكن مؤمنًا، ورؤيته التوبة منها حسنة، ويكره الدلالة عليها، ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمنًا، وكراهة الدلالة عليها حسنة. ويكره

---

(١) لعلمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرحم وألطف وأبر وأكرم به من والديه.

الموت عليها، ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمنًا، وكراهته للموت عليها حسنة، فهذه خمس حسنات، وهي بخمسين حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام:١٦٠] فهذه تصير مائة حسنة فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤] وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه.

ثم بكى سهل وقال: لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلوا ويغتروا، فإن هذه السيئة هي شيء عليه، وحسناته هي أشياء له، وما عليه: فلله أن يأخذه به، ويكون عادلًا بعقوبته عليه، وماله: لا يظلمه الله عَزَّوَجَلَّ، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة؟ ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة حتى تأمنوا العقوبة، وتصيروا أحباب الله، فإن الله يحب التوابين.[1] تهذيب الحِلْية ٣٣٨/ ٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): لولا أن العفو من أحبِّ الأشياء إليه ما ابتلَى بالذنب أكرَم الخلق عليه. الزهد للخطيب (١٣٣).

* وقال سهيل القطعي: رأيت **مالك بن دينار** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١) في منامي فقلت: يا أبا يحيى بماذا قدمت به على الله عَزَّوَجَلَّ؟.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب: أن يتوب فيتوب اللّه عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حيًّا وميتًا، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه اللّه به، أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يبتليه اللّه تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله ﷺ: **«ياعبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**. مجموع الفتاوى١٠/ ٢٩-٣٠.

فقال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة، وحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١١.

* وعن عبد الله بن المبارك قال: كنت آتي **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ أهل الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٩-٩٠.

* وكان **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) إذا تلا ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن من يموت، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة؟ وبكى أبو حفص بكاء شديدًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٤.

* ولما احتُضر **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠) ضحك، وقال: أخرج من بين ظهراني من أخاف فتنته وأقدم على من لا أشك في رحمته. ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٠.

* وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبغض **الحجاج** (ت: ٩٥)، فنفَّس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل، فبلغ ذلك الحسن البصري فقال: أقالها؟ قال: نعم قال: عسى. ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٨.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] قال: إني لأرجو أن لا يعيدكم الله فيها بعد أن أنقذكم منها. ابن أبي الدنيا ١/ ١٢٠.

* وقال **أَيُّوبُ السَّخْتِيانِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إنَّ رحْمَةً قَسَّمها فِي دارِ الدُّنْيا

وأصابَنِي مِنْها الْإِسْلامُ، وإِنِّي لَأَرْجُو مِنْ تِسْعٍ وتِسْعِينَ رَحْمةً مَا هُو أَكْثَرُ مِنْ ذلك. شعب الإيمان (١٠٠٨).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَحْسَنِ ظَنِّي بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ لُطْفِهِ أَنْ وَصَّى وَلَدِي إِذَا كَبِرْت فَقَالَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، فَأَرْجُو إِذَا صِرْتُ عِنْدَهُ رَمِيمًا أَنْ لَا يَعْسِفَ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ تُشَاكِلُ أَقْوَالَهُ. الآداب الشرعية ٢/ ١٢٧.

ج- الموازنة بين الخوف والرجاء[1]:

* قال **مطرف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ١.

* وعن عبد الله الشامي قال: أتيت **طاووسًا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) فخرج إليَّ ابنه شيخ كبير فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه، قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرّف؟ فقال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لي طاووس: سل وأوجز، قلت: إن أوجزت أوجزت لك، قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم! قال: خف الله تعالى مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: الرجاء والخوف مطيتا

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: القلب في سيره إلى الله بمنزل الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان: فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر. ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٤٥.

المؤمن. الزهد لأحمد: ٤٥٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٨): الخوفُ أفضل من الرَّجاء ما دام الرجلُ صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرَّجاء أفضل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وعن المزني قال: دخلت على **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) في علّته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ من الدّنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولكأس المنيّة شاربًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الله تعالى واردًا، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنّيها، أو إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا من نحو عفوك سُلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجودُ وتعفو منةً وتكرُّما

فإن تنتقم مني فلستُ بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنَّما

فلولاك لم يَغْوَ بإبليس عابدٌ ... فكيف وقد أغوى صَفِيَّك آدما

وإني لآتي الذنب أعلمُ قَدره ... وأعلم أن الله يعفو ترحُّما

د- ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك[1]:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت أكمل منه؛ ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا. وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه..

فهذا الذي يصعق صعق موت، أو صعق غشي، فإن ذلك إنما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، وقد يوجد مثل هذا في من يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية، يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله. ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه، وكذلك في غيره، ولا يكون هذا إلا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه، بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تمرضه أو تقتله، أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك. =

* عن حصين بن عبد الرحمن قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عَزَّوَجَلَّ تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم، فقلت لها: إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلبيس إبليس: ٢٨٨.

* وعن عكرمة قال: سألت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا ولكنهم كانوا يبكون. تلبيس إبليس: ٢٨٨.

* ومر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) برجل ساقط من العراق فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال: إنا لنخشى الله عَزَّوَجَلَّ وما نسقط. تهذيب الحِلْية ١/٢٢١.

= فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان، لم يكن فيه ذنب فيما أصابه، فلا وجه للريبة. كمن سمع القرآن السماع الشرعي، ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها؛ فإنه إذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما، بل معذورا..

ولكن من لم يزل عقله، مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم. وهذه حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو حال نبينا ﷺ فإنه أسرى به إلى السماء وأراه اللّه ما أراه، وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى ﷺ الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة، لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل. مجموع الفتاوى١١/ ٨-٩.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قال قائل: فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه؟ فالجواب: إن أول الوجد انزعاجٌ في الباطن، فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه، كما كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال: ما أشد الزكام.

وإن أهمل الإنسان ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه. تلبيس إبليس: ٢٩١.

* وعن عامر بن **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: جئت إلى أبي فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواما ما رأيت خيرا منهم يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ فيرعد أحدهم حتى يُغشى عليه من خشية الله عَزَّوَجَلَّ فقعدت معهم، رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم. المعجم الكبير للطبراني: ١٨/ ٣٦٥.

* وسئل **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) عن من يستمع القرآن فيصعق فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون. تهذيب الحِلْية ٣٨٧/ ١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧) لابنه وقد سقط: يا بني إن كنت صادقا لقد فضحت نفسك، وإن كنت كاذبا فقد أهلكت نفسك. تلبيس إبليس: ٢٩٠.

* وكان رجلٌ يرعد عند الذكر فقال له **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من هو خير منك. شعب الإيمان للبيهقي١٥/ ١١.

هـ- فوائد أخرى:

* **عن ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أنه قال: لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كأنهم حمقى في دينهم. الزهد لأبي داود (٢٧٥)، الزهد لابن المبارك (٢٨١).

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فتكون هي أَحْقر حاقِر».[1] الزهد لابن المبارك (٢٨٠).

---

(١) ومقصود ابن عمر وخالد بن معدان أنّ الناس مهما عملوا واجتهدوا فهم مقصرون في حق الله، ولم يقوموا بحقه حقّ القيام.

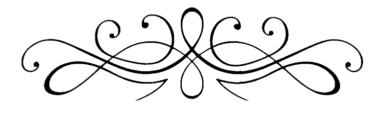
* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة:١٩-٢٠] قال: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل. تهذيب الحِلْية ١/٣٣١.

* وعن معاوية بن قرة قال: دخلت على **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩)، فقلت: ما عندي كبير عمل، إلا أني أرجو الله وأخاف منه، قال: ما شاء الله! مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ، مَا أَدْرِي مَا حَسْبُ رَجَاءِ امْرِئٍ عَرَضَ لَهُ بَلَاءٌ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو، وَلَا أَدْرِي مَا حَسْبُ خَوْفِ امْرِئٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ لَمْ يَدَعْهَا لِمَا يَخْشَى.

قال معاوية: فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا لا أعلم. الحِلْية ٢/ ٢٩٢.

* وعن ابن عون قال: ما رأيت أحدا كان أعظم رجاء لهذه الأمة من **محمد ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، ولا أشد خوفًا على نفسه منه.[1] ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٠.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: من أعظم خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم.[2] ابن أبي الدنيا ١/ ٩٧.



---

(١) هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يأخذ به كلّ مسلم، وبعض الناس على عكس ذلك.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من علامات الإنابة: ترك الاستهانة بأهل الغفلة، والخوف عليهم، مع فتحك باب الرجاء لنفسك، فترجو لنفسك الرحمة وتخشى على أهل الغفلة النقمة، ولكن ارجُ لهم الرحمة واخشَ على نفسك النقمة، فإن كان لابد مستهينًا بهم ماقتًا لهم: فكن لنفسك أشد مقتًا منك لهم، وكن أرجى لهم لرحمة الله منك لنفسك. مدارج السالكين ٢/ ١٣.



* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِم تُطَلِّقُها؟ قال: لا أُحِبُّها قال: أوكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ![1]. عيون الأخبار ٣/ ١٨.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النساءُ عَوْرَةٌ فاستروها بالبيوت، وداووا ضَعْفَهنّ بالسكوت. عيون الأخبار ٤/ ٣٦٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أُعطي عبد مؤمن شيئا بعد الإيمان بالله أفضل من امرأة ولود، ودود، حسنة الخلق.

ولا أصاب عبدٌ شيئًا بعد الكفر بالله أشدّ عليه من امرأة سلَقَة[2]، لها لسان حديد، سيئة الخلق. الزهد لهناد (١٢٦٧).

* وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال: ما زلت أسمع حديث **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا فإنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، فمر بامرأة مغلَّقٌ عليها بابها وهي تقول، فاستمع لها عمر:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرَّقني أن لا حبيب أُلاعبه

(١) قال في الحاشية: التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) أي: بذيئة اللسان، تؤذي زوجها برفع صوتها وصراخها وغلظة ألفاظها.

يقال: سلَقَه بالكلام: آذاه، وهو شدة القول باللسان، قال الله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب:١٩]. مختار الصحاح (١٥٢).

فــوالله لــولا الله لا شــيء غيــره لحــرك مــن هــذا الســرير جوانبــه
يلاعبنــي طــورا وطــورا كأنمــا بــدا قمــرٌ في ظلمــة الليــل حاجبــه
ولكننــي أخشــى رقيبــا مــوكَّلا بأنفســنا لا يَفْتــرُ الدهــرُ كاتبــه

ثم تنفست الصعداء وقالت: أهان على ابن الخطاب وحشتي ببيتي، وغيبة زوجي، وقلة نفقتي.

فقال لها: رحمك الله، فلما أصبح بعث لها نفقة وكسوة، وكتب إلى عامله يسرح لها زوجها. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٢.

* وسأل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته حفصة: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ قالت: ستة أشهر، فقال: لا جرم لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٢.

* وقال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أنفق رجل على نفسه وأهله نفقة إلا له أجرها، وليبدأ الرجل بمن يعول، ثم الأقرب فالأقرب، فإن فَضُل فليبدأ به. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

* وكان **لعلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: أَقَرّ ما أكون عينًا، حين يشكو إلي أهلي الحاجة. تهذيب الحِلْية ١/٢٠٦.

* وكان **لِمعاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ من بيت الأخرى.

وجاءت إليه امرأة فقالت: إنك رسولُ رسولِ الله حقًّا، ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: حقها عليه: ألا يضرب وجهها، ولا يقبحه، وحقها عليه: أن يطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، وحقها عليه: أن لا يهجرها في بيتها. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٥.

فماتتا في طاعون أصابهم في يوم واحد، فقدَّمهما إلى الحفرة، ثم أقرع بينهما أيهما يدخل الحفرة قبل الأخرى. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٦.

* وعَنْ **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قَالَ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا، وَمَا بِهَا مِنْ بَأْسٍ، فَيَسْتَشْرِفُ لَهَا الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: إِنَّكِ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِيهِ، وَمَا عَبَدَتِ امْرَأَةٌ رَبَّهَا بِمِثْلِ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا». المعجم الكبير للطبراني (٩٤٨٠).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) أنه قال: النساء عورة، خُلقن من ضعف، فاستروا عوراتهن بالبيوت. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٥٠.

* وسألته امرأة فقالت: ما يحل لي من بيت زوجي؟ فذكر الخبز والتمر ونحو ذلك، قالت: فالدراهم؟ قال ابن عباس: أتحبين أن يأخذ حليك؟ قالت: لا، قال: فلا تأخذي من دراهمه. ابن أبي الدنيا ٨/ ١١٧.

* وعن ثابت بن عبيد قال: ما رأيت أحدا أفْكه في بيته، ولا أحلم في مجلسه من **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥). ابن أبي الدنيا ٨/ ١٢٨.

* وكان **الزِّبْرِقان بن بدر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥) إذا زوَّج ابنةً له دنا من خِدْرِها وقال: أتسمَعين؟ كوني له أمَةً يكن لكِ عَبْدًا. عيون الأخبار ٤/ ٣٦٤.

* وقال **سفيان الثوريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إذا أردتَ أن تتزوّج فأهْدِ للأمّ. عيون الأخبار ٣/ ١٢٤.

* وقال **الشاعر**:

أرى صاحب النسوان يحسب أنها ... سواءٌ وبونٌ[1] بينهن بعيد

---

(١) أي: فرق.

فمنهنّ جناتٌ تَفيء ظلالها ... ومنهن نيرانٌ لهن وَقود

أدب الدين (٢٥٦).

* وقال **أبو الأسود الدؤلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩) لابنته: إيّاك والغَيْرة فإنها مفتاحُ الطّلاقِ، وعليكِ بالزِّينةِ، وأزينُ الزينةِ الكُحْل؛ وعليكِ بالطِّيبِ، وأطيبُ الطِّيبِ إسباغُ الوضوء؛ وكوني كما قلتُ لأُمك في بعض الأحايين:

خُذِي العفوَ مني تَستدِيمي مَودّتِي ... ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حين أغضَبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يذهبُ

عيون الأخبار ٤/ ٣٦٤.

وقال **بعضهم**:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني ... خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه ... فليس له في وُدّهنّ نَصِيبُ

يُرِدْن ثراءَ المال حيث علمْنَه ... وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

عيون الأخبار ٤/ ٣٣٤.

* وقال **أبو سنان ضرار بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قد سقيت أهلي اليوم وعلفت الشاة، وكان يقول: خيركم أنفعكم لأهله. تهذيب الحِلْية ١٥١/ ٢.

* وقالت امرأة **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم، أصلحك الله، عافاك الله.[1] تهذيب الحِلْية ١٨٦/ ٢، ابن أبي الدنيا ٨/ ١٢٢.

---

(١) حقّ الزوج على زوجته عظيم جدا، فهو أعظمُ الناس حقّا عليها، وأَوْلى بالطاعة حتى من أبَويها.
قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرأة إذا تزوجت كان زوجها أمْلك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها أوجب».
فإذا رفَقت به وأكرمته وصبرت عليه لله: ألان الله قلبه عليها، وأثابها من الأجر مالا يخطر على بالها.

* وعن يحيى بن يحيى قال: كنت عند **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة - يعني امرأته - أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًّا ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزا فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدثه فقال: كنا إخوة أربعة، محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالًا فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئا.

فبقيت في أمرهما، فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة على أربع، على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك**». وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة» فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة نبي الله ﷺ، فجمع الله لي المال مع الدين. تهذيب الحِلْية ٢/٤٣٦.

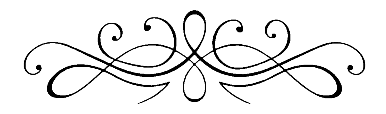
* وسُئل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن المرأة تصوم فيمنعها زوجها ترى لها أن تصوم؟ قال: لا تصوم ولا تحدث في نفسها من صلاة ولا صيام إلا أن يأذن لها، إلا الواجب الفرض، فأما غير ذلك فلا تصوم إلا بإذنه.

وتطيعه في كلّ ما أمرها به من الطاعة. الآداب الشرعية ١/ ٣٢٩.

* وكانت **لأبي بكر ابن اللباد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٣) امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها، فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها أن يُبْتَلى بها مسلم، ولعل الله دفعَ عني بمقاساتها بلاءً عظيمًا.

وكان يقول: لكلِّ مؤمن محنة وهي محنتي. ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٧).

* ورُمِي ببغداد في سُوقٍ بصبيّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها: هذا الشقيُّ ابن الشقيّة، رحم الله مَنِ اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيه؛ وفي آخر الرُّقعة: هذا جزاءُ من عضَل[1] ابنتَه. عيون الأخبار ٤/ ٣٩٦.



(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.



أ- الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك[(١)]:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في هذه الآية ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:٦]: علموهم وأدبوهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٧.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْقُدْرَةِ مِن الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْمُرُوا بِالصَّلَاةِ كُلَّ أَحَدٍ مِن الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى الصِّبْيَانَ.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لِبَاسُ الْحَرِيرِ لِلصِّبْيَانِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا: فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ، لَكِنْ أَظْهَرُهُمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ فَإِنَّ مَا حَرُمَ عَلَى الرّجلِ فِعْلُهُ حَرُمَ عَلَيْهِ أَنْ يُمَكِّنَ مِنْهُ الصَّغِيرَ، بَل عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالصَّلَاةِ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَضْرِبهُ عَلَيْهَا إذَا بَلَغَ عَشَرًا، فَكَيْفَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُلْبِسَهُ الْمُحَرَّمَاتِ؟ وَقَد رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى صَبِيٍّ لِلزُّبَيْرِ ثَوْبًا مِن حَرِيرٍ فَمَزَّقَهُ وَقَالَ: لَا تُلْبِسُوهُم الْحَرِيرَ. وَكَذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ مَزَّقَ ثَوْبَ حَرِيرٍ كَانَ عَلَى ابْنِهِ.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا حَرُمَ عَلَى الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ فَعَلَى الْوَلِيِّ أَنْ يُجَنِّبَهُ الصِّبْيَانَ. ا.هـ
يُنظر: مجموع الفتاوى: (٣/ ٤٢٩)، (٢٢/ ١٤٣)، (٢٩/ ٢٩٨)، (٣٠/ ٥١).
قلت: فلا يجوز إلباس البنات الصغيرات المميزات لباسًا قصيرًا أو ضيّقًا أو شفّافًا.
ويجب على ولي أمر الصبي المميز الذي بلغ سبع سنين أنْ يأمره بالصلوات في أوقاتها، وقد فرط بعض الآباء والأمهات في هذا الأمر، والله المستعان.
ولما أخذ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه قال رسول الله ﷺ له: كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟ رواه مسلم (١٠٦٩).
قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديث ما يدل على أن الصغار يمنعون مما يحرم على الكبار المكلَّفين حتى يُدرَّبوا على آداب الشريعة، ويتأدبوا بها ويعتادوها.
وعلى هذا: فلا يلبس الذكور الصغار الحرير، ولا يحلون الذهب، ويخاطب الأولياء بأنْ يجنبوهم ذلك، كما يخاطبون بأن يجنبوهم شرب الخمر وأكل ما لا يحل. المفهم: ٣/ ١٢٣.

* ووقف **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على حلَقة من قريش فقال: ما لكم قد طرحتم هذه الأُغَيلِمةَ؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوْشَك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم. شرف أصحاب الحديث: ٦٥.

* وعن عكرمة قال: كان **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. مسند الدارمي (٥٧٢).

* وقال **بعض الحكماء**: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

* وقال **بعض الشعراء**:

إنّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخَشَبُ

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ... وليس ينفع عند الشَّيْبة الأدبُ

أدب الدين (٣٧٠).

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: كان يُعلَّم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برِّك. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

* وعن **الرُّبيّع بنت معوذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٥) قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم، قالت: فكنا نصومه بعدُ، ونُصَوِّم صبْياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. صحيح البخاري: ١٩٦٠، صحيح مسلم: ١١٣٦.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: ينبغي للرجل أن يُكرِهَ وَلَدَهُ على العلم، فإنه مسؤول عنه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٩.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: من حق الولد على الوالد: أن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٨.

* وقال بعض السلف: العلم في صغر كالنقش في الحجر. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٣.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) أنه كان يجمع بنيه ويقول: يا بني تعلموا، فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين، وما أقبح على شيخ يسأل ليس عنده علم. مسند الدارمي (٥٧١).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عقلوا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: ما ضرب المعلمُ غلاما فوق ثلاث فهو قصاص. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

* وعن **ابن شوذب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦) أنه كره ضرب المعلم الصبيان، وقال: يضرب من لا ذنب له!. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يعلمون الصبي الصلاة إذا عدَّ عشرين. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٣.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): أدِّب أهلك أو من وُلِّيت أمره على أدبك وخلقك[1]، حتى يتأدبوا على الذي أنت عليه؛ ليكونوا لك عونًا على طاعة الله. ترتيب المدارك (١/ ٤٢٠).

---

(١) أي: كن قدوة صالحة يقتدون بك.

* وكان له ابنة تحفظ علمه -يعني الموطأ-، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نَقَرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه.

وكان ابنه محمد يجيء وهو يحدِّث، وعلى يده باشق[1]، ونعل كيسانية، وقد أرخى سراويله، فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: إنما الأدب أدب الله، هذا ابني وهذه ابنتي!.

قال الفرويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس، فيُقبل علينا ويقول: إن مما يهون عليّ أن هذا الشأن لا يورَّث، وأن أحدًا لم يخْلُفْ أباه في مجلسه إلا عبدالرحمن بن القاسم. ترتيب المدارك (١/ ٩٥).

* ومر رجل **بالأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) وهو يحدّث الصبيان، فقال له: تحدث هؤلاء الصبيان؟ فقال الأعمش: هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك. [شرف أصحاب الحديث: ٦٤].

* وقال **بعض السلف**: لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانُها القرآن. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٥.

* وقال **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥): جَنِّبوا أولادكم قرناء السوء، قبل أن تصبغوهم في البلاء، كما يصبغ الثوب. ذم الهوى: ١٠٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض. ذم الهوى: ١٠٢.

* وبلغ **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أن ابنًا له اشترى فصًّا بألف درهم فتختم به، فكتب إليه عمر: عزيمة مني إليك لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمنه، واشتريت فصًّا بدرهم واحد ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدره والسلام. تهذيب الحِلْية ٢٢٥/ ٢.

---

(١) نوع من جنس البازي، من فصيلة العُقاب النَّسْرِيّة، وهو من الجوارح، يشبه الصقر ويتميّز بجسم طويل، ومنقار قصير بادي التَّقوّس.

* وكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مؤدب ولده: خذهم بالجفاء، فهو أمنع لإقدامهم، وتركِ الصُّبْحَة[1]، فإن عادتها تُكسب الغفلة، وقلةِ الضحك، فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بَدْؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أنّ حضور المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بهما، ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب بالماء، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن، فإذا فرغ منه تناول نَبْله وقوسه، فرمى سبعة أرشاق، ثم انصرف إلى القائلة، فإن ابن مسعود كان يقول: يا بنيَّ قيلوا فإن الشياطين لا تقيل. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٥.

* وعن **علي بن عاصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠١) أنه قال: دفع إليّ أبي مائة ألف درهم، وقال: اذهب فلا أرى وجهك إلا بمائة ألف حديث. المنتظم ١٠٣/ ١٠.

* ودخل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد واستأذن له عليه فأقعده الخادم عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، قال له: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم، فلو أوصيته، فأقبل على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم مغفورة[2] بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علمهم كتاب الله، ولا تُكْرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم زدهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنّهم من علم إلى غيره حتى يتقنوه، فإن ازدحام الكلام في المسمع مضلّة للفهم. المنتظم ١٣٩/ ١٠، الحلْية ٩/ ١٤٧.

* وتفقد **هشام بن عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٥) بعض ولده لم يحضر

---

(١) هي النوم أول النهار؛ لأنه وقت الذكر، ثم وقت طلب الكسب. النهاية (٣/ ٧).

(٢) في الحلية وصفة الصفوة للمؤلف: معقودة، وهيّ الصواب.

الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نَفَقَتْ دابتي، قال: وعجزت عن المشي فتركت الجمعة؟! فمنعه الدابة سنة. المنتظم ٩٨/ ٧.

* وكان **المأمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٨) قد وكّل الفراء يلقن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردًا، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: منْ أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم فردًا. المنتظم ١٧٩/ ١٠.

* وقال الميموني رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت **أبا عبد الله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): أيهما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولا تعود القراءة ثم لزمها. طبقات الحنابلة (٢/ ٩٥).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زمننا هذا.[1] الآداب الشرعية ٢/ ٢٥.

* وقَالَ **ابن نجا الأنصاري الواعظ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٩): حفَّظني خالي مجلسَ وعظ، وعمري يومئذ عشر سنين، ثم نصب لي كرسيًّا في داره، وأحضر لي جماعته، وقال: تكلَّم، فتكلمت، فبكى.[2].

ونشأ له ولد حسن الصورة، فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو، فدعا عليه، فمات، فحضر الناس والدولة لأجلِه، فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسيًّا

---

(١) وإلى زمننا هذا كذلك، والحمد لله.

(٢) ما أجمل تحفيز الصغار وتنمية مهاراتهم.

إلى جانبه، فصعد عليه، وحمد الله تعالى، وقال: اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة، لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة، بقي له ثلاث سنين، نصفها نوم، بقي عليه سنة ونصف، قد أساء فيها إلي وإليك، فأما جنايته عليّ فقد وهبتها له، بقي الذي لك فهبه لي، فصاح الناس بالبكاء، فنزل وصلى عليه. ذيل الطبقات (٢/ ٥٢٩-٥٣٥).

* وكان الفقيه الإمام **أبو محمد ابن التبّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] (ت: ٣٧١) كثير الدرس، ذَكَر أنه درس كتابًا ألف مرة، إلى أن قال لي أبي ذات يوم: يا بني ما يكون منك؟ لا تعرف صنعة، واشتغلت بالعلم ولا شيء عندك، فلما كان ذات ليلة سمعته يقول لوالدتي: عرفتِ أني عُرِفْت اليوم بابني؟ وذلك أني حضرت إملاكًا[٢] في مسجد -سماه- فوجدته ممتلئًا بالناس، ولم أجد مجلسًا، فقام لي رجل من موضعه وأجلسني فيه، فسأله إنسان عني، فقال له: هذا والد الشيخ أبي محمد.

فرجع وحرّض ابنه على طلب العلم، والتزم القيام بشأنه من يومئذ.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٥٩).

ب- فضل الأولاد:

* عن **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إن الرجل لتُرفع له الدرجة فيقول: يا

---

(١) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٢) الإملاك: التزويج.

(٣) الوالدان يرفعهما الله بعلم ابنهما في الدنيا، ويرفعهما أكثر وأشرف في الآخرة إذا سعيا في تعليمه ما ينفعه في دينه ابتغاء وجه الله، فحريّ بكل مؤمن عاقل أن يسعى جاهدا في تعليم أولاده أمور دينهم، ليرفعهم الله في الدنيا والآخرة.

رب أنَّى لي هذه؟ فيقال له: باستغفار ولدك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٧.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) لرجل: لك عيال؟ فقلت: نعم، قال: روعة من روعة عيالك أفضل مما أنا فيه. تهذيب الحِلْية ٤٨٦/ ٢.

ت- الصبر على فَقدِ الولد:

* قال محمد بن عيسى الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما بلغه: إن عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات له ابن، فجزع عليه جزعًا شديدًا، فبلغ ذلك **محمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) فكَتب إليه: اعلم أن أمضّ[1] المصائب فَقْدُ سرورٍ مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتسابِ وِزر؟ فأقول:

إني مُعزّيك لا أني على ثقةٍ ... من الخلود ولكن سنّة الدِّين

فما المعزَّى بباق بعد صاحِبه ... ولا المعزِّي ولو عاشا إلى حين

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٨).

* وقال مُحَمَّد بن خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **لإبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) ابنٌ، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقَّنه من الفقه شيئًا كثيرًا، قال: فمات فجِئتُ أعزيه، فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا!.

قلت: يا أبا إِسْحَاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فِي صبيّ قد أَنْجَب[2] ولقَّنته الحديث والفقه؟!.

قَالَ: نعم، رأيتُ فِي النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم قلالٌ فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكأن اليوم يومٌ حارٌّ شديدٌ حرُّه، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إليّ وقال: لستَ أبي، فقلت: إيش أنتم؟ فقال: **نحن الصبيان الذين متنا فِي دار الدنيا**، فخلَّفْنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قَالَ:

---

(١) أشدّ.

(٢) أي: صار نجيبا ذكيًّا.

فلهذا تمنيت موته. طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): مات ولدي عَقيل، وكان قد تَفقَّه وناظَر وجَمَع أدَبًا حَسَنًا، فتَعَزّيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ، الذي قتله علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقالت أمّه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلتُ أبكي عليه دائم الأبدِ

لكن قاتله من لا يُقاد به ... من كان يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ

فأَسْلاها وعزَّاها جلالةُ القاتل وفَخرها بأن ابنها مقتولُه، فنَظَرتُ إلى قاتِلِ ولدي «الحكيمِ المالك»، فهانَ عليَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل. ذيل الطبقات (١/ ٣٥٨).

* وقال صاحب سيرةِ **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): كنا يوما عنده والمجلس غاصٌّ بولاة الدين والدنيا، والأعيان الأماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فَجَأنا من باب السِّتر وراء ظهر الوزير صُراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكنٌ ساكت، حتى أنهى ابن شافع قِرَاءَةَ الإسناد ومتنه، ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رِسلكم، ثم قام ودخل إلى السِّتر ولم يَلبث أن خَرج، فجلسَ وتقدَّم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرّفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس.

وعاد ابن شافع إلى القِراءةِ حتى غابت الشمس، وقلوب الجماعة متعلِّقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال: كان لي ابنٌ صغير مات حين سمعتم الصياح، ولولا تعيُّن الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذاك الصياح؛ لما قمتُ عن مجلس رَسُولُ اللهِ ﷺ، **فعَجِبَ الحاضرون مِن صَبره**. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

ج- فضل الإنفاق عليهم:

* عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**» قَالَ **أَبُو قِلَابَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؟.[1] صحيح مسلم (٩٩٤).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): لا يقع موقعَ الكسب على العيال شيءٌ، ولا الجهادُ في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): ما ترك عبد مالًا هو فيه أعظم أجرًا، من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس. تهذيب الحِلْية ١١٢/ ٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: المقتر على عياله خائن. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩٠.

* وقيل له رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها، فقال:

---

(١) فشراء المسلم ما يحتاجه لأهلِه من غير إثم ولا سرَفٍ: صدقةٌ يُؤجر عليها، بل من إنفاقُه على نفسِه واشراؤه ما يحتاجه صدقة!

جاء في صحيح مسلم (٩٩٧) أنَّ رجلًا أراد أنْ يتصدّق بمالِه فقال له رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا.**
فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ.
فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ.
فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

فما أكرم الله وأعظم فضله، وأحبّه للإحسان والجود، فقد جعل إنفاقنا على أنفسنا وأهلنا -وهو أمرٌ محبوب للنفس- صدقة يأجرنا عليها، بل إنَّ أحدنا يأتي شهوته فيُثيبه ويأجره!

فحريٌّ بالمؤمن أن يحتسب الأجر في كل شيء، وأنْ يزداد لله محبةً وتعظيمًا وحمدًا على جزيل عطائه، وعظيم فضله.

أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسَّع الله عليك. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

❊ وعن مسلم قال: لقيني **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال: ما صنعت؟ قلت: استبرأت لأهلي كذا وكذا، قال: وأصبته من حلال؟ قال: قلت: نعم، قال: لأن أغدو فيما غدوت فيه كل يوم: أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

د- تحفيزُهم وعدم احتقارهم:

❊ قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا أخي قل ولا تحقِر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعلم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. صحيح البخاري (٤٢٦٤).

❊ وعن ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا.

فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر:٣].

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. صحيح البخاري (٤٠٤٣).

* وعن يوسف بن الماجشون قال: قال لنا **ابن شهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) -أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث-: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب، كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم. تهذيب الحِلْية ٢٤/ ٢.

* وحكى الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قلت **لغلام** حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني بفصاحة وملاحة: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله، فقلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي[1].

وقد قال **الشاعر**:

رأيت العقل لم يكن انتهابا ... ولم يُقْسمْ على عدد السنينا

ولو أن السنين تقاسَمَتْه ... حوى الآباءُ أنصبةَ البَنِينا

أدب الدين (٤٧).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كان الغلام إذا حَذِق قبل اليوم نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٦.

* وعن يحيى بن صالح العبدي، قال: أتيت **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا غلام، فقعدت بعيدا من الحلقة فقال لي: يا بني ادن ما لك قعدت بعيدا؟ قال: قلت: يا أبا سعيد، إني حسَّنْتُ الحُصُر قال: لا تفعل إذا جئت فاجلس إلى جنبي، قال: كنت آتيه فيقعدني إلى جنبه ويمسح رأسي ويملي علي الحديث. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٣.

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو أكبر منه سنًّا، وأكثر تجربة.

هـ العدل بينهم:

* عن **إبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): قال كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القُبَل. ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أنه ضم ابنا له وكان يحبه، فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. ابن أبي الدنيا ٨/ ٢٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتب من الظلمة. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٤.

و- تزويج الأبناء والبنات[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا ينبغي لذوات الأحساب تزوُّجُهُنَّ إلا من الأكفاء. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا يُكرِهنَّ أحدٌ ابنته على الرجل القبيح؛ فإنهن يحببن ما تحبون. مسند سعيد بن منصور (٨١١).

(١) يجب على الوليّ أن يسعى في تزويج من يعول من البنين والبنات، ولا يجوز أنْ يردّ الكفء إذا تقدم لخطبة البنت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صور العضل: إذا امتنع الخطاب من خطبتها لشدة الولي. الإنصاف ٨/ ٧٥.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِذَا رَضِيَتْ -الْمَرْأَةُ الْبَالِغُ- رَجُلًا وَكَانَ كُفُؤًا لَهَا وَجَبَ عَلَى وَلِيِّهَا -كَالْأَخِ ثُمَّ الْعَمِّ- أَنْ يُزَوِّجَهَا بِهِ.

فَإِنْ عَضَلَهَا وَامْتَنَعَ مِن تَزْوِيجِهَا: زَوَّجَهَا الْوَلِيُّ الْأَبْعَدُ مِنْهُ أَو الْحَاكِمُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.

فَلَيْسَ لِلْوَلِيِّ أَنْ يُجْبِرَهَا عَلَى نِكَاحِ مَن لَا تَرْضَاهُ، وَلَا يَعْضُلَهَا عَن نِكَاحِ مَن تَرْضَاهُ إِذَا كَانَ كُفُؤًا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ، وَإِنَّمَا يُجْبِرُهَا وَيَعْضُلُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظَّلَمَةُ الَّذِينَ يُزَوِّجُونَ نِسَاءَهُم لِمَن يَخْتَارُونَهُ لِغَرَضٍ، لَا لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأَةِ، وَيُكْرِهُونَهَا عَلَى ذَلِكَ أَو يُخْجِلُونَهَا حَتَّى تَفْعَلَ.

وَيَعْضُلُونَهَا عَن نِكَاحِ مَن يَكُونُ كُفُؤًا لَهَا لِعَدَاوَةٍ أَو غَرَضٍ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِن عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَهُوَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهِ. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥٢-٥٣).

* وقالت **أسماء بنت أبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): إنما النكاح رِق، فلينظر أحدكم أين يَرِقُّ عتيقته. مسند سعيد بن منصور (٥٩١).

* وقال **سعيد بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧): إذا علمت ولدي القرآن، وحجَّجته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٩.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ثلاث ليس عندي فيهن أناة: الضيف إذا نزل بي أن أعجل له ما كان، والجنازة لا أحبسها، والأيم إذا عرَض لها رغبةٌ أنْ أزوجها. الزهد ابن المبارك (١٠٩٤)، ابن أبي الدنيا ٨/ ٤١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من زوج فاسقا فقد قطع رحمه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وقال رجل **للحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): إن لي بُنَيّة وإنها تُخْطَب، فمِمَّن أُزَوِّجها؟ فقال: زوجها ممن يتقِي اللهَ، فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يَظْلِمها. ابن أبي الدنيا ٨/ ٣٩.

* وعن ابن جريج قال: قلت **لعطاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): أبو بِكْرٍ دعاها إلى رجل، فهويت غيره؟ قال: يلحق بهواها. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٠.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان يقال: حق الولد على والده: أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحججه، وأن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٠.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١١٨) قال: كان يقال: إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه، فأصاب فاحشة: أَثِم الأب. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٠.

* ورُمِي ببغداد في سُوقٍ بصبيّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها: هذا الشقيُّ ابن الشقيّة، رحم الله مَنِ اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيه؛ وفي آخر الرُّقعة: هذا جزاءُ من عضَل[1] ابنتَه. عيون الأخبار ٤/ ٣٩٦.

---

(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.

* وروي عن **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) أنه قَالَ: إِذَا أرادَ الرَّجلُ أن يُزوِّج رجلًا فأرادَ أن تجتمع لَهُ الدنيا والدين؛ فليبدأ فيَسأل عن الدنيا، فإن حُمِدتْ سَأَل عن الدين، فإن حُمِد فقد اجتمعا، فإن لم يُحْمد كَانَ فِيهِ ردّ الدنيا من أجل الدين.

ولا يَبدأ فيسأل عن الدِّين، فإن حُمِد سَأَل عن الدنيا، فإن لم يُحْمد كَانَ فِيهِ ردُّ الدين لأجل الدنيا.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٦).

ل- العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعبتهم:

* قال البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ أَنْتِ يا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا». سنن أبي داود (٥٢٢٢).

* وعن عقبة بن الحارث قال: خَرَجْتُ مَعَ **أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِلَيَالٍ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَمَرَّ بِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ غِلْمَانٍ، فَاحْتَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

بِأَبِي شِبْهُ النَّبِيِّ   لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيِّ

قَالَ: وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. مسند الإمام أحمد (٤٠)، وصحح إسناده محققوه.

* وكان **ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) إذا لقي ابنه سالما قبَّله، ويقول: شيخ يقبل شيخا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٤.

* وعن أبي واثلة أن معاوية دخلته موجدة على ابنه يزيد، فأرِق لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢) فأتاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر كيف رضاك على ولدك، وما تقول في الولد؟.

---

(١) أي حين يطلب الرجل من ولي المرأة الزواج من موليته كابنته وأخته مثلًا، فليبدأ الولي بالسؤال عن الرجل في أمور الدنيا، فإن رضي بها، سأل عن أمر الدِّين، لا العكس، لأنه يريد الأمرين، فلا يردّه وقد رضي دينه.

قال: فقلت في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذه إلا لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت زوَّقت فيه سنة لكنت قد أجدت.

فقلت: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن غضِبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن علهم ثقلا لا تعطيهم إلا نزرا، فيملوا حياتك، ويكرهوا قربك.

قال: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس موجدة على يزيد، فلقد سللت سخيمة قلبي. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: بِرَّ ولدك؛ فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عق ولده. ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٤.

* وعن ربيعة بن كلثوم قال: رآني **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) وأنا صبي فقبلني. ابن أبي الدنيا ٨/ ٦٤.

* ومات الشيخ **ناصر الدين ابن زريق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٣) أسفًا على ولده أحمد، الذي أسره اللَّنْكيّةُ وهو شابٌّ له نحو العشر في رمضان قبل إكمال الخمسين.

ولما مات ولد الشيخ شمس الدين النابلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٢٧-٧٩٧) حصل له اختلاط، وسُلب عقلُه، واستمرّ على ذلك إلى أن مات.[1] السحب الوابلة (٣/ ٩٣٠، ٩٤٢).

---

(١) كثيرا ما يُصاب الأب وتُصاب الأم بمرض أو فقد عقل أو موت بسبب موت الولد أو إصابته أو ضياعه، ولا يكاد يحدث ذلك للولد عندما تكون المصيبة في الأب أو الأم، وهذا يدل على كمال شفقتهما وحنانهما، فالواجب على الأولاد تقوى الله في آبائهم وأمهاتهم، وأن يزيدوا في برهم والإحسان إليهم.

م- التسليم على الصبيان:

* عن عثمان بن إبراهيم قال: رأيت **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يمر بنا ونحن صبيان فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن بشر بن حرب قال: خرجت مع **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى السوق، فجعل لا يمر على صغير ولا كبير إلا قال: سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يسلم على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* ومرّ ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣) بصبيان فسلّم عليهم، وحدّث ثابتٌ أنه كان يمشي مع أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدّث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم. صحيح مسلم (٢١٦٨).

* وكان **الحسن** (ت: ١١٠) **وعروة** (ت: ١٠٠) رَحِمَهُمَا اللَّهُ يسلِّمان على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧١.

* وعن حبش بن الحارث قال: رأيت **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥) مر علينا ونحن في الكُتَّاب فسلم علينا، فنقبل له عمدا، فيمر علينا فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٠.

ن- مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم:

* عن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أنه دخل منزله، وصبيان يلعبون فوق البيت، فنهاهم رجل معه، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣١.

* وذَكَر له رَحِمَهُ اللَّهُ رجلٌ بنتا له وكلب له أو جرو يلعب فقال: دعه، فلعب معه. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

* وعن زيد بن السائب، قال: رأيت الصبيان يلعبون بالجوز والعكامة **وخارجة بن زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) ينظر ولا ينهاهم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٢.

ز- العناية بالأيتام، وتأديبهم:

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: اتقوا دمعه اليتيم ودعوة المظلوم؛ فإنهما يسيران بالليل والناس نيام. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٥.

* وضرب **ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عبيده الأيتام في حجره يقول: أبطأتم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٩.

* وكان **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) يضرب يتيما له عنده واليتيم يقول: لا ترحم هذا اليتيم؟ اتق الله في هذا اليتيم، وميمون يضرب ويقول: اللهم أصلح هذا اليتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٩.

* وقيل **لِابْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): عِنْدِي يَتِيمٌ، قَالَ: اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ. الأدب المفرد (١٤٠).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: كن لليتيم كالأب الرحيم، ورُدَّ المسكين برحمة ولين. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٦.

* وعن **فرقد السبخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١) قال: ما خلق مائدة أعظمَ شرفا من مائدة يُطعم عليها يتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٦.

* وعن الليث بن سعد، أن **عميرة بن أبي ناجية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) حدثه قال: أخذت يتيما من قريش فانقلبت به إلى منزلي وأطعمته ودهنته ووهبت له فلوسا وقلت: اللهم أشرك أمي معي فيما صنعت بهذا اليتيم، قال: ثم نمت فرأيت أمي

أقبلت مُلْتبسة على أحسن ما كانت، معها ذلك اليتيم، حتى وقفت ثم قالت: أيْ بني لو رأيت ما صنع بي هذا الغلام منذ اليوم؟ قال الليث: تقول: أصبت به خيرا للذي كان من عميرة ابنها لليتيم. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٣٧.

ي - فوائد أخرى:

* كتب **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إلى بعض إخوانه -وخاف عليه حب ولده-: أما بعد يا أخي، فإنك لست في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلَك، وستكونُ أهلٌ بعدَك، وإنما تَجْمع لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، وإنما تجمع لأحد رجلين: إما محسن فيسعد بما شقيت له، وإما مفسد فيشقى بما جمعت له، وليس واحد منهما أهلا أن تؤثره على نفسك، ثِق لمن مضى منهم رحمةُ الله، ولمن بقي منهم رزقُ الله، والسلام. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٠٤.

* **وقال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] قال: المؤمن ترفع له ذريته وإن كان دونه في العمل، فيقر الله عَزَّ وَجَلَّ به عينه. ابن أبي الدنيا ٨/ ٨٥.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]: أما إنه لم يكن قرة أعين أن يرونه صحيحا جميلا، ولكن أن يرونه مطيعا لله عَزَّ وَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨/ ٩٩.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: في طاعة الله وما شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله. صحيح البخاري (٦/ ١٠٩).

* وقال رجل عند **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ لآخر: ليهنك الفارس، فقال الحسن: لعله لا يكون فارسا، لعله يكون بقالا، أو جمَّالا، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، بلغ أشده، ورُزقت بره. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٥.

* ورأى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) رجلًا يُسيء صلاته، فقال: ما أرحمني لعياله! فقيل له: يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤.

* ولما كانت الصرعة التي هلك فيها **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٩) دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك. فقال: أسندوني، ثم قال: ما منعتهم حقًّا هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وإن وصيتي فيهم و﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف:١٩٦] بنيّ أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مكب على المعاصي فلم أكن أقويه على معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرًا، فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم، وإني بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بنيّ إن أباكم مثل بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه، قوموا عصمكم الله. المنتظم ٧/ ٧١.

* وقيل **لبعضهم**: أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال: صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يَبْرَأ، وغائبُهم حتى يَقدَم. عيون الأخبار ٣/ ٩٦.

* وكان يقال: ابنُك ريحانُك سَبْعًا، وخادمك سبعًا، ثم عدوٌّ أو صديق. عيون الأخبار ٣/ ٩٨.

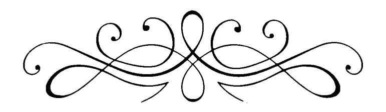
* وقال **بعضهم**:

وإنمـــا أولادُنــــا بينَنـــا أكبادُنـا تمشِـي علـى الأرضِ

لـو هبّـتِ الريـحُ علـى بعضهـم لامتنعـتْ عينـي مـن الغَمْـضِ

عيون الأخبار ٣/ ٩٩.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا هنأ بمولود قال: جعله الله مباركا عليك وعلى أمة محمد. ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٥.

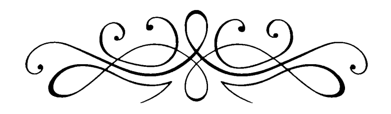




عناية السلف بالجار، وما قيل في ذلك[1]

* قال سُفْيَان الثَّوْرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا اشتريت شيئًا لا تريد أن تنيل جارك منه فواره. تهذيب الحِلْية ٢/٤٠٥.

* وأراد جار لأبي حمزة السكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٨) أن يبيع داره، قال: فقيل له: بكم تبيعها؟ قال: بألفين ثمن الدار، وألفين حق جوار أبي حمزة قال: فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجَّه إليه بأربعة آلاف، وقال: خذها ولا تبع دارك. المنتظم ٨/٣٠٢.



(١) كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَرَبِ حِمَايَةُ الْجَارِ وَالدِّفَاعُ عَنْهُ، حَتَّى صَارُوا يُسَمَّوْنَ النَّصِيرَ جَارًا، وَمِنْهُ قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال:٤٨]. يُنظر: تفسير المنار ١٠/ ١٦٨.



المواساة وتفريج الكُرب

* عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٦٥.

* وجاء رجل إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتَى **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) فأخبره، فقال الحسن: لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٨٥.

* وقيل **لمحمد بن المنكدر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): أيُّ الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٦٦.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن أقضي لأخ حاجة أحبُّ إلي من أن أعتكف شهرين. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وقال **عبدالله بن جعفر بن أبي طالب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠): ليس الجواد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧١.

* وقال **عبيد الله بن عباس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٧): إن أفضل العطية ما أعطيت

الرجل قبل المسألة، فإذا سألك: فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٧٠.

* وجاء رجل إلى **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩)، فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا منه بذلك، فقال له يونس: أيسرّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا قال: فسمعك الذي تسمع به يسرّك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فيَداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا قال: فرجلاك؟ قال: فذكّره نِعَمَ الله عَزَّوَجَلَّ عليه، فأقبل عليه يونس، فقال: أرى لك مئين ألوفًا، وأنت تشكو الحاجة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* ولما ماتت أم صالح رَحِمَهَاٱللَّهُ - زوجة أحمد بن حنبل - قال **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها، قال: فأتتها فأجابته، فلما رجعت إليه قالت: كانت أختها تسمع كلامك قال: وكانت بعين واحدة؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي واخطبي تلك التي بعين واحدة فأتتها فأجابته وهي أم عبد الله. المنتظم ٢٨٨/ ١١.

* وكان رجل من تجار المدينة يخالط **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨)، ويعرفه محسن الحال، فتغيرت حالته فجعل يشكو ذلك إلى جعفر بن محمد، فقال جعفر:

فلا تجزع إذا أعسرت يومًا … فقد أيسرت في الزمن الطويل

ولا تيأس فإن اليأس كفر … لعل الله يغني عن قليل

ولا تظنن بربك ظن سوء … فإن الله أولى بالجميل

قال: فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس. ابن أبي الدنيا ٢/ ١٤٥.

* وقال **أحمد بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٧): جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة، وقالت: أسألك بالله

أن تسترني، فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله عَزَّوَجَلَّ، فسكت عنها ومضت فلم أشعر حتى وضعت، وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها، وقالت: سترك الله عَزَّوَجَلَّ كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك فاعملي فيها ما تريدين. المنتظم ٢٨٤-٢٨٥/ ١٣.

* وجاء رجل إلى **الحسن بن سهل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦) يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة؟[1] ثم أنشأ الحسن يقول:

فُرِضَتْ عليّ زكاةُ ما ملكت يدي … وزكاةُ جاهي أنْ أُعين وأشفعا

فإذا ملكْتَ فَجُدْ وإنْ لم تستطع … فاجْهَدْ بوسعك كلِّه أنْ تنفعا

المنتظم ٢٤٠/ ١١.

* وعن شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠)، إذ مر به رجل من الصُّناع، فقال إبراهيم: أليس هذا فلانًا؟ قيل: نعم!

---

(١) وللعلم زكاة، فلا ينبغي للعالم وطالب العلم والمعلِّم أنْ يشعر بأنه مُحسنٌ على من علّمه وأفتاه، بل ينبغي أنْ يرى أنّ الطلاب الذين حضروا عنده يتعلّمون منه، والسائلين الذين يستفتونه هم المحسنون إليه، لأنهم أعانوه على زكاة علمِه، وبضاعةُ العالم وطالب العلم علمُه، فإذا لم يقصده الطلاب والسائلون كسدت بضاعتُه، فأيّ فضل لهم عليه!

فقال لرجل: أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون، فرجعت إلى إبراهيم وقلت له: فقال: إنَّا لله، غفلنا عن صاحبنا، حتى نزل به الأمر! فقال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق وأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدققت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلانًا، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي، قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. تهذيب الحِلْية ٤٧٦/ ٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه، فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم. تهذيب الحِلْية ٤٧٧/ ٢.

* وعن مضاء بن عيسى قال: ما فاق **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

سيُفتح بـابٌ إذا سـدّ بـاب ... نعم وتهون الأمور الصِّعاب

ويتَّسـع الحـال مـن بعـد مـا ... تضيق المذاهب فيها الرِّحاب

مع الهمّ يُسْران هوِّنْ عليك ... فلا الهمّ يجدي ولا الاكتئاب

فكم ضِقْت ذرعـًا بما هِبْتَه ... فلم يُر من ذاك قدرٌ يُهَاب

ديوان الشافعي (٣٧).

* وحضر يومًا بين يدي القاضي **أبي عمر محمد بن يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠) رجلٌ يدَّعي قِبَل الآخر مائة دينار، ولم تكن له بينة، فتوجهت اليمين على المطلوب بنفي ما زعمه الطالب، فأخذ الخصم الدواة وكتب:

وإني لـذو حَلِـفٍ فاجـر إذا ما اضْطُررت وفي الحال ضيق

وهـل مِـن جناحٍ على معسر يدافـع بـالله مـا لا يطيـق

فأمر القاضي بإحضار مائة دينار ودفعها عنه، فعجب الراضي بالله (ت: ٣٢٩) من أدب الرجل وكرم القاضي، وبحث عن الناظم؛ فلما وجده أمر له بألف دينار، وخمس خِلَع، ومركوب حسن، وملازمة دار السلطان. [تاريخ قضاة الأندلس (٣٦)].

* وحدَّث بعض أصحاب **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥) أنه ركب معه إثر سماء وهو على حمار، فعرض له في طريقه ماءُ مستنقع، فأتى صبيٌّ يرعى غنمًا فأخذ بلجام حماره فجوَّزه الماء، فقال للغلام: من مولاك؟ قال: فلان، فنزل ابن طالب في مسجد، ثم قال للغلام: اذهب فجئني بمولاك، فجاءه.

فقال له: بكم اشتريت هذا الغلام؟ فقال: بعشرة دنانير، قال: فخذها وأعتقه، وولاؤه لك، وعَدَّها له، وكتب عتق الغلام، ثم قال لمولاه: قد وجب أن تجري له على رعايته لغنمك أجرة، فأجرى له دينارين في كل سنة، فقال ابن طالب: الزم مولاك، ولا تقطعنا، فإنا نواسيك.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٠).

* وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْك صَنِيعَةً مِـنْ جَاهِـهِ فَكَأَنَّهَـا مِـنْ مَالِـهِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢١.

---

(١) الصادق المخلص يرى خدمة الناس له معروفا منهم، لا واجبا عليهم، مهما كبر منصبه، وعلا شأنه.



عناية السلف بالفقراء والمساكين(١)

* قال أسلم: خرجتُ ليلةً مع عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) إلى ظاهرِ المدينة، فلاحَ لنا بيتُ شعْرٍ فقصدْناه، فإذا فيه امرأةٌ تمْخضُ وتَبْكي، فسألها عمرُ عن حالها، فقالت: أنا امرأةٌ غريبةٌ وليس عندي شيءٌ. فبكى عمر وعاد يُهَرْوِلُ إلى بيته، فقال لامرأتِه أمِّ كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب: هل لك في أجرٍ ساقه الله إليكِ؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمَل على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أمُّ كلثوم ما يصلحُ للولادةِ وجاءا، فدخلَت أمُّ كلثوم على المرأةِ، وجلس عمرُ مع زوجها- وهو لا

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عَزَّوَجَلَّ والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى. الجامع المنتخب/ ٧٧

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة:**

منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا.

ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين.

ومنها: أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.

ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضا من يجالسهم بزرق الله عَزَّوَجَلَّ وتعظم عنده نعمة الله عَزَّوَجَلَّ بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه. وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٠١] الجامع المنتخب/ ٨٥-٨٨

يعرفُه - يتحدَّث، فوضعت المرأةُ غلامًا، فقالت أمُّ كلثومٍ: يا أمير المؤمنين بَشّرْ صاحبَك بغلامٍ. فلمَّا سمع الرجلُ قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذرُ إلى عمر، فقال عمرُ: لا بأس عليك، ثم أوصلَهم بنفقةٍ وما يُصلحُهم وانصرف.

* وقال أسلمُ: خَرَجْنَا مَعَ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى حَرَّةَ وَاقِمٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِصِرَارٍ إِذَا نَارٌ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنِّي لَأَرَى هَا هُنَا رَكْبًا قَصَّرَ بِهِمُ اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى دَنَوْنَا مِنْهُمْ، فَإِذَا بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صِبْيَانٌ صِغَارٌ وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى نَارٍ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ، فَقَالَ عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فقَالَ: أَدْنُو؟، فَقَالَتِ: ادْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ، فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصَّرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتِ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَحِمَكِ اللهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا قال: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا، فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ، قَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّي وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نُهَرْوِلُ، فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَرِّكُ لَكِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَغَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِمْ وَأَنَا أُسَطِّحُ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، كُنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَدْتِنِي هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرْبَضًا، فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ

هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ. فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٨٢).

* وخرج **عمر بن الخطاب** في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع!. تهذيب الحِلْية ١/٦٩.

* وكان **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئًا اشترى به لحمًا -أو سمكًا- ثم يدعو المُجذَّمين[١] فيأكلون معه. تهذيب الحِلْية ١/١٦١.

* وجاء مسكين أعمى إلى **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) وقد ازدحم الناس عنده، فناداه: يا أبا عبد الرحمن! أدنيت أرباب الخز واليمنية، وأقصيتني لأجل أني مسكين، فقال له: أدن، فلم يزل يدنيه، حتى أجلسه إلى جانبه وبقربه. الجامع المنتخب/ ٨٢.

* وكان **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ. الأدب المفرد (١٣٦)، وصححه الألبانيّ.

* وقال **جابر بن زيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين، أحب إلي من حجة بعد حجة الإسلام. تهذيب الحِلْية ١/٤٦٢.

* وكانت قيمة ثياب **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) أربعة آلاف وكان

---

(١) الجُذَام: هو داء الجرب، ورجل مُجَذَّم: نَزلَ به الجُذَام وأصله من الجَذْم وهو القَطْع.

يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم، ويقول: إنه يعجبهم ذلك. تهذيب الحِلْية ١/ ٣٧١.

* وكان **علي بن حسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) إذا ناول السائل الصدقة قبله ثم ناوله. الزهد لأحمد: ٣٠٦.

* وعن ابن أبي ودَاعة قال: كُنت أجالس **سعيدَ بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، ففقدني أيّاما، فلما جئتُه قال: أين كنتَ؟ قلت: تُوُفِّيت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثتَ امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزوِّجني وما أملِكُ إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتَفعل؟ قال: نَعَمْ، ثم تحمَّد، وصلى على النبي ﷺ، وزوَّجَني على درهمين -أو قال: ثلاثة- فقمتُ وما أدري ما أصنَعُ من الفَرح فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكَّر فيمن أستدين.

فصلَّيت المغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائمًا، فقَدَّمتُ عشائي أُفطِر، وكان خُبزًا وزَيتًا، فإذا بابي يُقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأَفْكَرْتُ في كلِّ من اسمُه سعيد إلاَّ ابن المسيِّب، فإِنَّه لم يُر أربعين سنة إلا بين بَيتِه والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنَّه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تؤتى، إنَّك كُنتَ رجُلًا عَزَبًا فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك، وهذه امرأتُك، فإذا هي قائمةٌ مِن خلفِه في طُوله، ثم أخَذَ بيدِها فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأةُ مِنَ الحياء، فاستوثقتُ مِنَ الباب ثم وضعتُ القصعة في ظِلِّ السراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرمَيتُ الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتُهم. ونزلوا إليها، وبلَغَ أُمِّي، فجاءت وقالت: وجهي مِن وجهكَ حرامٌ إن مَسِسْتَها قَبْلَ أن أصلِحَها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثًا ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجملِ الناس، وأحفظِ الناسِ لكتابِ

الله، وأعلمِهم بسنَّةِ رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحقِّ زوج. فمكثتُ شهرًا لاَ آتي سعيدَ بن المسيِّب. ثم أتيتُه وهو في حَلقَتِه، فسلمْتُ، فردَّ عليَّ السلام ولم يُكلِّمْني حتَّى تقوَّض المجلس، فلما لم يبْقَ غيري قال: ما حالُ الإنسان؟ قلتُ: خيرٌ يا أبا محمد، على ما يُحِبُّ الصديق، ويكرَهُ العدوُّ.

فانصرفتُ إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٥.

* وكان **زبيد اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) إذا كانت ليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أَوَكَفَ[1] عليكم بيت؟، أتريدون نارًا؟، فإذا أصبح طاف على عجائز الحي: ألكم في السوق حاجة أو تريدون شيئًا؟ المنتظم ٢٢٢/ ٧.

* وكتبت حَجَبَةُ بيت الله الحرام إلى **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) أنْ يأمرَ للبيت بكسوة، كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت. تهذيب الحِلْية ٢٢٥/ ٢.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): يعظم المساكين، ويجفُو أهل الدنيا، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء، والأغنياء هم الفقراء.[2] الجامع المنتخب/ ٨٢.

---

(١) وكَف البيتُ: هَطَل وقطَر، وكذلك السطْح، ومصدره الوَكِيف والوَكْف. لسان العرب، مادة: وَكَفَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان النبي ﷺ وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين، غنيهم وفقيرهم في أمورهم، ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك. وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾الآية [الأنعام:٥٢]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨] ولما طلب بعض الفقراء من النبي ﷺ مالا يصلح له نهاه عن ذلك، وقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم). وكانوا يستوون في مقاعدهم عنده، وفي الاصطفاف خلفه، وغير ذلك. ومن اختص منهم بفضل عرف النبي ﷺ له ذلك الفضل، كما قنت للقراء السبعين، وكان يجلس مع أهل الصفة، وكان أيضًا لعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وعباد بن بشر ونحوهم، من سادات المهاجرين والأنصار الأغنياء منزلة ليست لغيرهم من الفقراء، وهذه سيرة المعتدلين من الأئمة في الأغنياء والفقراء. وهذا هو العدل =

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمًا مني، فإن رأيت رجلًا أحسن ثيابًا مني وأطيب ريحًا مني غمني ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. تهذيب الحِلْية ٢/٩٥.

* وعن **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: كانوا يكرهون أن يعطي الرجل صبيه الشيء، فيجيء به فيراه المسكين، فيبكي على أهله، ويراه الفقير فيبكي على أهله. تهذيب الحِلْية ٢/١٥٥.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: نعم القوم السُّؤَّال، يحملون زادنا إلى الآخرة، يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيء؟ تهذيب الحِلْية ٢/٤٨٩.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): من ادعى ثلاثًا بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الله بغير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب. تهذيب الحِلْية ٢/٥٠٥.

* وعن المرُّوذي، قال: لم أر الفقيرَ في مجلس أعزَّ منه في مجلس **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، كان مائلًا إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حِلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثيرَ التواضعِ تَعْلوه السكينةُ والوقارُ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر. تهذيب السِّيَر ٢/٩٢٩.

=والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة، وهي طريقة عمر بن عبد العزيز، والليث بن سعد، وابن المبارك ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم، في معاملتهم للأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء.
وفي الأئمة كالثوري ونحوه من كان يميل إلى الفقراء، ويميل على الأغنياء مجتهدًا في ذلك طالبًا به رضا الله، حتى عتب عليه ذلك في آخر عمره، ورجع عنه.
وفيهم من كان يميل مع الأغنياء والرؤساء: كالزهري، ورجاء بن حيوة، وأبي الزناد، وأبي يوسف ومحمد وأناس آخرين، وتكلم فيهم من تكلم بسبب ذلك. ولهم في ذلك تأويل واجتهاد، والأول هو العدل والقسط، الذي دل عليه الكتاب والسنة. مجموع الفتاوى ١١/ ٦٠-٦١.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانًا وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقًا وعلامته الحقد والغل والغش والحسد. تهذيب الحِلْية ٤٦٥/ ٣.

* ووَقَفَ **محمد بن حسين أبي شجاع الوزير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٨) الوقوف، وبنى المساجد، وأَكْثَرَ الإنعام على الأرامل واليتامى، وكان يبيع الخطوط الحسنة، ويتصدق بثمنها ويقول: أَحَبُّ الأشياء إليّ الدينار والخط الحسن، فأنا أخرج لله محبوبي، ووقع مرض في زمانه، فبعث إلى جميع أصقاع البلد أنواع الأشربة والأدوية، وكان يخرج العُشر من جميع أمواله النباتية على اختلاف أنواعه، وعُرِضت عليه رقعة من بعض الصالحين يذكر فيها: أن امرأة معها أربعة أطفال أيتام، وهم عُراة جياع، فقال للرجل: امض الآن إليهم، واحمل معك ما يصلحهم، ثم خلع أثوابه وقال: والله لا لبستها ولا دفئت حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم، فمضى وعاد فأخبره وهو يرعد من البرد.

حكى حاجبه الخاص به قال: استدعاني ليلة، وقال: إني أمرت بعمل قطائف، فلما حضر بين يدي ذكرت نفوسًا تشتهيه فلا تقدر عليه، فنغّص ذلك عليّ أكله، ولم أذق منه شيئًا فاحمل هذه الصحون إلى أقوام فقراء، فحملها الفرّاشون معه، وجعل يطرق أبواب المساجد بباب المراتب، ويدفع ذلك إلى الأضراء المجاورين بها.[1] المنتظم ٢٢-٢٣/ ١٧.

(١) روى أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧١) عن وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: اتخذوا اليد عند المساكين، فإن لهم يوم القيامة دولة! وهذا لا يصح عنه، في سنده: أصرم بن حوشب الهمداني، وهو متروك الحديث.

وقد شنع شيخ الإسلام ابن تيمية على من قال هذه المقولة؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الحديث الآخر وهو قوله: (اتخذوا مع الفقراء أيادي فإن لهم دولة وأي دولة!) فهذا - أيضًا- كذب، ما رواه أحد من الناس، والإحسان إلى الفقراء الذين ذكرهم الله في القرآن، قال الله فيهم: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٧١] إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ =

* وكان منزل الشيخ **علي المحمد المطلق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٣) كالمدرسة ليلًا ونهارًا، فلا يجلس مجلسًا من ليل أو نهار إلا ويكون فيه قراءة وتعليق، أو بحث ومذاكرة.

وكان منزله منذ أن كانت أحواله المادية متوسطة مرتادًا لطلبة العلم والغرباء والضَّعَفة والمساكين، لا يستأثر بشيء من طيِّب الطعام دُونَهم، ولمَّا وسَّع الله عليه رِزْقَه صار في بيته أمكنةٌ للغرباء، وكنتُ أجد عنده كلَّما زرتُ منزله العشرات من الفقراء والمساكين والمُعْوزين، وكان يقرِّبهم ويتواضع لهم ويعطيهم، ويبْقى بعضهم عنده الأيامَ الطويلة، بل الأشهُرَ، وربَّما بقي عنده بعضهم السَّنةَ والسنتَين، وقد يخصِّص لبعضهم مُرتَّبَات شهرية، واستمرَّ على ذلك حتى توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وله مائدة تقدَّم ثلاثَ مرَّات في اليوم والليلة في حضوره وغيابه، وإذا سافر من بلد إلى بلدٍ كالمدينة ومكة والشام ومصر يصحب معه بعضَ هؤلاء الفقراء، ولم أرَ في زمننا مثَله في التواضع للفقراء والمساكين والعطف عليهم.

=أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٣]، وأهل الفيء وهم الفقراء المجاهدون الذين قال الله فيهم: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ الآية [الحشر:٨]. والمحسن إليهم وإلى غيرهم عليه أن يبتغي بذلك وجه الله، ولا يطلب من مخلوق لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل:١٧-٢١]، وقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الإنسان:٨-٩].

ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية..

وقول القائل: لهم في الآخرة دولة وأي دولة!، فهذا كذب، بل الدولة لمن كان مؤمنًا تقيًّا، فقيرًا كان أو غنيًّا..

فمن أحسن إلى مخلوق يرجو أن ذلك المخلوق يجزيه يوم القيامة كان من الأخسرين أعمالًا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، بل إنما يجزي على الأعمال يومئذ الواحد القهار. مجموع الفتاوى١١/ ٥٤-٥٥.

قال له مرةً أحدُ خواصِّه: يا شيخ علي، إنَّك تدعو بعض الكبراء، فلماذا لا تضع طعامًا وسفرة خاصة لهؤلاء الفقراء؟ فقال: إنَّ هذه عادة لا يمكن أن نغيِّرها، وعلى الذي لا يرغب الأكل معهم عدم إجابة دعوتنا.

وقال له مرة أحد أبنائه عندما زاد عليه السُّكَّر: يا والدي، ألا نضع لك طعامًا خاصًا خاليًا من النَّشَويَّات التي لا تتلاءم مع مرض السكر؟ فقال: يا بُني، لا يمكن أن أنفرد بطعام خاصٍّ عن هؤلاء فتنكسر خواطرهم، ويظنوا أنَّ في طعامي ميزةً عن الذي يأكلون.

وكان جوادًا كريمًا، يُعطي من المال ما لا يتصوره إلَّا مَن يُجالِسه، فلا تمضي ساعةٌ من ليل أو نهار هو فيها جالس إلا ويأتيه من يسأل فيعطيه على قَدْر حاله، وكان يعطي بعض المستحقِّين عشرات الألوف من الريالات.

وقد دخل عليَّ مرةً رجلٌ معه (شيك)، فقال لي: هذه وُرَيقة أعطانيها الشيخ علي المطلق، لا أدري ما فيها، ولم أُطلِع عليها أحدًا غيرك، فقرأت الشيك، فإذا فيه حوالة بمئة ألف ريال على أحد البنوك!.

لمَّا أخبرتُ الرجل كاد أن يُغمى عليه من الفرح؛ لأنَّه لم يُصدِّق ولم يتصوَّر ما في هذه الورقة، وقال: إنَّني ذكرتُ له أنَّني قد اشريتُ بيتًا فأعطاني هذه الورقة، ولم أعلم ما فيها حتى أخبرتني.

وكلُّ من دَخَل عليه تصوَّر أنَّه أعزُّ الناس عنده، فهو يرحِّب بكلِّ زائر.

وقد أُدخل أحدَ المستشفيات بدمشق، وكان معه ابنه أحمد يُلازِمه ليلًا ونهارًا، فكان وهو في شدَّةِ المرض يأمُرُه بقراءة القرآن ويشرح له بعض المعاني، حتى غرغرت رُوحُه وفاضت رَحِمَهُ ٱللَّهُ. علماء نجد (٥/ ٢٢٥-٢٢٦).



المسارعة إلى فعل الخيرات(١)

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر (ت: ١٣) الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه، قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: سل تُعْطَهْ، سل تُعْطَهْ.

---

(١) ينبغي للمؤمن ألا يدعَ بابًا فيه خيرٌ وبرٌّ إلا طرقَه، ولْيقض وقته بما يُرضي الله تعالى، فقد ثبت أن من الناس يوم القيامة مَن يمرُّ على الصراط كَمَرِّ الرِّيح، ومنهم من يمرُّ كَمَرِّ الطَّيْر، قال ﷺ: تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّمْ.. سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلا زَحْفًا.
قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْردسٌ فِي النَّارِ). رواه مسلم (١٩٥)
وقوله: (تجري بهم أعمالهم)، يعني: أنَّ سُرْعة مَرّهم على الصراط بقدر أعمالهم.
فكأنَّ أعمال الناس هي التي يجري بهم في الصراط، فمن عمل عملا قليلا جرى به ببطء، ومن عمل عملا كثيرا خالصًا صالحا: جرى به بسرعة.
فينبغي لكل مؤمن أن يملأ حياته بالأعمال الصالحة والخير والبر، وإن من أشد الحسرات، يوم أن يمر الرجل على الصراط زحفًا، ويرى رجالا يمرون بين يديه كالبرق، فسيتحسر أشدّ الحسرة على تلك الحياة التي لم يعمل فيها لأجل هذا اليوم، ثم لا يدري هل تخدُشه تلك الكلاليب؟ وهل تُمسكه وتقذف به في النار؟
اللهم ارحمنا ونجنا من النار.

قال عمر: قلت: والله لأغدونَّ عليه، فلأبشّرنّه، قال: فغدوت عليه فبشّرته، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه. مسند الإمام أحمد: ١٧٠، وصحح إسناده محققوه.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق وقد وافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، ثم جئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟، قلت: مثله.

وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أُسابقك إلى شيء أبدًا.[1] سنن أبي داود

---

(١) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فكان ما فعله عمر: من المنافسة والغبطة المباحة، لكن حال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل منه وهو أنه خال من المنافسة مطلقًا لا ينظر إلى حال غيره.
وكذلك موسى ﷺ في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له: ما يبكيك: فقال: (أبكي، لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)، أخرجاه في الصحيحين...
وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مشبهًا بموسى، ونبينا حاله أفضل من حال موسى، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك.
وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة، وإن كان ذلك مباحًا؛ ولهذا استحق أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون أمين هذه الأمة، فإن المؤتمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما اؤتمن عليه، كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته؛ ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصيان، ويؤتمن على الولاية الصغرى من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى، ويؤتمن على المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه، وإذا اؤتمن من في نفسه خيانة شبه بالذئب المؤتمن على الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما اؤتمن عليه...
فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم اللّه عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى اللّه، فإذا أحب أن يعطي مثل ما أعطى مما يقربه إلى اللّه فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل. مجموع الفتاوى١٠/ ٦٨-٧٠.

(١٦٧٨)، سنن الترمذي وصححه (٣٧٥٧) وحسنه الألباني.

* وكانَ **ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». صحيح البخاري (٦٤١٦).

* وقَالَ سَعِيدُ ابْنُ مَرْجَانَةَ -صَاحِبُ **عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٠)-: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**»، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ. صحيح البخاري (٢٥١٧)، صحيح مسلم (١٥٠٩).

* وعن **خالد بن مَعدان** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: إذا فتح أحدُكم باب خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلقُ عنه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٢.

* وقال **الشاعر**:

إذا أنت لَمْ تَزْرعْ وأبْصَرْتَ حاصدًا ... نَدِمْتَ على التَّفْرِيطِ فِي زَمنِ الْبَذْرِ

المجالسة وجواهر العلم (٨٠).

* وقيل **لرجل من عبد القيس**: أوص، قال: أنذركم سوف. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وقال **بعضهم**: الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة. أدب الدين (١٩٩).

* وعن شعبة قال: ما وعدت **أيوب** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١) موعدًا إلا وجدته قد سبقني إليه. تهذيب الحِلْية ١/٤٣١.

* وقال **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٩): لا تقعدوا فراغًا، فإن الموت يطلبكم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢١.

* وقال **بعضهم**: من أخّر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.

* وقال **بعض الشعراء**:

إذا هبَّت رياحك فاغْتنمها ... فإنّ لكل خافِقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكونُ متى يكون

أدب الدين (٣٢٥).

* ونزل **روح بن زنباع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤) منزلا بين مكة والمدينة في حر شديد، فانقض عليه راع من جبل، فقال له: يا راعي هلُمَّ إلى الغذاء، فقال: إني صائم، قال: إنك لتصوم في هذا الحر الشديد؟!، قال: أفأدع أيامي تذهب باطلًا؟، فقال روح: لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٤٦.

* وقال **الشاعر**:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ ... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سُقم ... ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلته

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٥٢.

* وقال **الشاعر**:

وأفْضَلُ النَّاسِ ما بَيْنَ الْورَى رَجُلٌ ... تُقْضَى على يَدهِ لِلنَّاسِ حاجَاتُ

لا تَمْنعَنَّ يدَ الْمعْرُوفِ عن أحَدٍ ... ما دُمْتَ مُقْتدرًا فَالسَّعْدُ تاراتُ

واشْكُرْ فضائِلَ صُنْعِ الله إذْ جُعلَتْ ... إليكَ لا لكَ عندَ النَّاسِ حاجاتُ

قَد ماتَ قَومٌ وما ماتَتْ مكارِمُهُمْ ... وعاشَ قَومٌ وهُم في النَّاسِ أمْواتُ

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كل شيء من الخير يُبادَر فيه.

وشاوره رجلٌ في الخروج إلى الثغر فقال له: بادر بادر. الآداب الشرعية ٢/ ١٦٤.

* وقال أَحْمَد بْن ملاعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مالا أحصيه -وكان يكون هو المؤذن- فإذا قَالَ: «الله أكبر الله أكبر» قليلا قليلا قال: «الله أكبر الله أكبر»، كلما قَالَ كلمة قَالَ مثلها قليلا قليلا، حتى يفرغ من الأذان إلى آخره.[١] طبقات الحنابلة (١/ ١٩٥).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله إنْ كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أنْ يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله جدًّا واجتهادا، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقال **الشاعر**:

الخير أنفعه للناس أعجلُه ... وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

* وقال **بعض السلف**: لما بان للأكياس[٢] أعلى الدارين منزلة طلبوا العُلُوّ بالعُلُوّ من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه؛ فبذلوا أكثر ما عندهم؛ بذلوا والله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يومٍ لا يخيب له فيه طالب. المجالسة وجواهر العلم (٢٠٠).

* وصدق **القائل**:

أرى أناسًا بأدنى الدِّين قد قنِعوا ... ولا أراهمْ رضوا في العيش بالدُّون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوكُ بدنياهم عن الدِّين

المجالسة وجواهر العلم (٢١٠).

---

(١) كان الإمام أحمد على جلالته ومكانته يحرص كل الحرص على أن يَرفع الأذان؛ لعلمه بفضله وشرفه، وبعض الناس يترفع عن ذلك، ويرى أن الأذان لصغار السن أو قليلي العلم، والله المستعان.

(٢) أي: العقلاء.



حال السلف مع الطعام والشراب[١]

أ- التقليل من الأكل، والحث على ذلك[٢]:

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أيها الناس، إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعدَ من السَرَف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٢.

* وكان **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) يصنع للناس طعام الأمراء، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْأَكْلُ وَاللِّبَاسُ: فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ خُلُقُهُ فِي الْأَكْلِ أَنَّهُ يَأْكُلُ مَا تَيَسَّرَ إذَا اشْتَهَاهُ، وَلَا يَرُدُّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا.. فَلَمْ يَكُن إذَا حَضَرَ لَوْنَانِ مِنَ الطَّعَامِ يَقُولُ: لَا آكُلُ لَوْنَيْنِ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِن طَعَامٍ لِمَا فِيهِ مِن اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ..
وَكَذَلِكَ اللِّبَاسُ: كَانَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَالْعِمَامَةَ وَيَلْبَسُ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ، وَيَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْفَرُّوجَ، وَكَانَ يَلْبَسُ مِن الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ..
فَسُنَّتُهُ فِي ذَلِكَ تَقْتَضِي أَنْ يَلْبَسَ الرَّجُلُ وَيَطْعَمَ مِمَّا يَسَّرَهُ اللهُ بِبَلَدِهِ مِن الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، وَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْأَمْصَارِ. مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣١٠-٣١١).

(٢) قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقير من طعام يؤول أمرُه إلى ما قد عُلم، ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصون نفسه عنه.
ومن رام الفلاحَ في العلم وتحصيلَ البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مُستحيلًا في العادة.. تذكرة السامع والمتكلم: ١٦٨.
وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إصلاحُ البدن سببٌ لإصلاح الدين. [صيد الخاطر: ١٢٠].

* وعن **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: أهلك ابن آدم الأجوفان: البطن والفرج. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: صنعت **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) وأصحابه ألوانا من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيد إنا قوم عرب، فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد[1]، ومكان هذه الأخبصة الحيس[2]، ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

* وعن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت؛ الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع. تهذيب الحِلْية ١/ ١٨٥.

* وعن **عبادة بن الصامت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) قال: إنما البطن هاتِ هاتِ، كفاكم ما سده عنكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٣.

* وأُتي **لعبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بجوارش، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يهضّم الطعام، قال: إنه ليأتي عليّ الشهر ما أشبع فيه، فما أصنع بهذا؟ الزهد لأبي داود (٢٦٣).

* وعن **أبي جعفر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إذا امتلأ البطن طغى الجسد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٣.

* وقال **مَالِك بْن دِينَارٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) لرجل: لَا تَبِيتَنَّ وَأَنْتَ شَبْعَانُ وَدَعِ الطَّعَامَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ.

فَقَالَ الرجل: هَذَا وَصْفُ أَطِبَّاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا!.

---

(١) الثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحيانا يكون من غير اللحم.

(٢) الحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف، ويضاف لهما السمن.

فَقَالَ **مُحَمَّد بْنُ وَاسِعٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): «نَعَمْ، وَوَصْفُ أَطِبَّاءِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَ **مَالِكٌ**: دَوَاءٌ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٧، الحلْية ٢/ ٣٥١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إنما بطن أحدكم كلب، ألق إلى ذا الكلب كسرة ورأس جوافة يسكت عنك، ولا تجعلوا بطونكم جربا للشيطان يوعى فيها إبليس ما شاء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: والله لقد أدركنا أقواما وصحبنا طوائف منهم، ما أمر أحدهم في بيته بصنعة طعام له قط، وما شبع أحدهم من طعام حتى مات، ما عدا أن يقارب شبعه أمسك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩١.

* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد كان المسلم يُعار أن يقال له: إنك لبطين. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٤.

* ودعا رَحِمَهُ اللَّهُ رجلا إلى طعامه فقال: قد أكلت، ولست أقدر أن أعود، قال: سبحان الله! أوَ يأكل المؤمن حتى لا يستطيع أن يعود؟. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٣.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يا ابن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر. جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: كانت بلية أبيكم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكلة، وهي بليتكم إلى يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال **بعضهم**:

وَإِنَّك مهما تُعْطِ بَطْنك سُؤْلَه ... وفرجك نالا مُنْتَهى الذَّم أجمعا

شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٣٣٣.

* وقال **يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٩): الجوع يرق القلب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) لرجل: ترى هذا البطن؟ إنْ أهنته أكرمك، وإن أكرمته أهانك.[1] ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ملك بطنه، ملك الأعمال الصالحة كلها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان يقال: كثرة الطعام تميت القلب، كما أن كثرة الماء تميت الزرع. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **عمرو بن قيس الْمُلائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: وإياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب. الزهد للمعافى (٣٠٧).

* وقال **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٢): أول ما يعمل فيه العبد المؤمن بطنه، فإن استقام له بطنه استقام له دينه، وأن لم يستقم له بطنه لم يستقم له دينه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٦.

* وعن **صفوان بن سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) قال: ليأتين على الناس زمان، تكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١١٦.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): بؤسا لمن كان بطنه أكبر همه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١١٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): لو كنت آكل كل ما أشتهي ما ساويت حشفة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٣٢.

* وقال سليمان بن عبد الملك **لسالم بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): أيَّ شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدتُ اللحم أكلته، فقال له: أوَ تشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهِهِ تركتُه حتى أشتهيَه. الزهد لأبي داود (٤٢٩).

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإذا أكرمت بطنك وأكلت ما اشتهاه كان سببا في كسلك ومرض بدنك، فأهانك بالبحث عن العلاج، وكثرة الآلام والأوجاع، وإذا أهنته ولم تأكل كل ما اشتهاه ولم تشبع في كل طعام تأكله أكرمك، وكان سببا في صحة بدنك وسلامة عقلك ودينك.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إن النَّفْسَ إذا جاعَتْ وعطشت صفا القلب ورقّ، وإذا شبعت ورَوِيَتْ عميَ القلبُ. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكل شيءٍ صَدَأٌ، وصَدَأُ القلبِ الشِّبَعُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٥.

* وقال **مسعر بن كِدام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥):

وجدت الجوع يطردُه رغيفٌ ... وملءُ الكف من ماء الفرات
وقِلُّ الطُعم عونٌ للمصلي ... وكَثْرُ الطعم عون للسبات

تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٢٣.

* وعن **عبد الواحد بن زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧) قال: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه، فذاك رجل في العابدين أعمى. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٠١.

* وعن **عمرو بن الأسود العبسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١) أنه كان يدع كثيرًا من الشبع مخافة الأشر. جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: من قلّ طعامه، فهم، وأفهمَ، وصفا، ورقّ وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٧، جامع العلوم والحكم/ ٥٥٣.

* وقال المروزي: جعل أبو عبد الله -يعني **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- يعظِّم أمر الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات، فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر؟.

قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو شبع؟.

قال: ما أرى. جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): البطنة أصل الغفلة. تهذيب الحِلْية ٣/ ٣٣٤.

* وكان **الشيخ تقي الدين ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) قليل تناول الطعام والشراب، وينشد كثيرًا:

لها أحاديث من ذكراك تَشغلُها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

الآداب الشرعية ٢/ ٢٤٣.

ب- أكلُ الحلال، والحذر من أكل الحرام:

* قال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك؟ حلال أو حرام؟. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٦.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٨٩.

* وقال **بعض السلف**: إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ هلكة قرية: أظهر فيها الربا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢١.

ج- ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس:

* عن الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنا نحضر طعام **عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣)، فيطعمنا الخبز واللبن، والخبز والزيت، والخل وأقل من ذلك القديد[1]، وأقل من ذلك اللحم الغريض. ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٣.

* ودعا رجل **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٠) إلى طعام، فقال: نأتيك على ألاّ تتكلّف ما ليس عندك، ولا تدّخر عنا ما عندك. عيون الأخبار ٣/ ٢٣١.

* وعن شقيق قال: دخلت أنا وصاحب لي على **سلمان الفارسي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

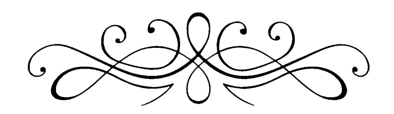
---

(١) القديد: اللحم المقطع والمملح المجفف في الشمس.

(ت: ٣٣)، فقرب إلينا خبزا وملحا، وقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفنا لكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

* وعن شعيب بن الحبحاب قال: جاءنا **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ت: ٩٣) يومًا إلى منزلنا فأردنا أن نتكلف له فقال: أطعمونا من طعام البيت ولا تتكلفوا. الزهد لأحمد: ٥٠٨.

* وعن **الأصمعيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٦)، قال: سُئل أقَرى أهل اليمامةِ للضيف: كيف ضبطتم القِرَى؟ قال: بأنا لا نتكلّف ما ليس عندنا. عيون الأخبار ٣/ ٢٣٤.





التوكل والاعتماد على الله

* لقي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال: بل أنتم المتَّكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٠.

* وعن سعيد بن المسيب، أن **سلمان الفارسي** (ت: ٣٣) **وعبد الله بن سلَام** (ت: ٤٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فالقني وأعلمني ما لقيت، وإن لقيته قبلك لقيتك فأخبرتك، فتوفي أحدهما، ولقي صاحبه في المنام، فقال له: توكل وأبشر، فإني لم أر مثل التوكل، قال ذلك ثلاث مرار. الزهد لابن المبارك (٤٠٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إليّ **أصحاب محمد** ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تتَّكل على غير الله فيكلك الله إلى من توكلت عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وعن **سعيد بن جُبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: التوكُّل على الله جِماعُ الإيمان. الزهد لهناد (٥٣٤).

* وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدقَ التوكُّل عليك، وحُسنَ الظنِّ بك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٥.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): لي أربعةُ نسوة، وتسعةُ أولاد، ما طمع شيطانٌ أن يُوسوسَ إليَّ في أرزاقهم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٠.

* وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خِصَال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنَّت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غَيْرِي، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أُبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مُستَحْيٍ منه. صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): تَوَكلْ تَوَكُّل رجلٍ لا يصيبه إلا ما كتبَه الله عَزَّوَجَلَّ له. تهذيب الحِلْية ٣٩٤/ ١.

* وقال **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢): الجنين في بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَل سُرّته، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تَحيض الحامل، فإذا سقط استهَلّ استهلالة إنكارًا لمكانه، وقُطِعت سُرّته وحَوّل الله رزقه إلى ثدي أمّه ثم حوله إلى الشيء يُصْنع له ويَتناوله بكفّه، حتى إذا اشتدّ وعقل قال: أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حِجْرها تُرْزَق حتى إذا عَقَلتَ وشَبَبت قلتَ: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ: ﴿يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ [الرعد:٨]. عيون الأخبار ٧٣٠/ ٢.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك، إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء. تهذيب الحِلْية ٥٢٦/ ١.

* وقيل **للفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تَحُدُّ لي التوكل؟ فقال: كيف تتوكل عليه وأنت يختار لك فتسخط قضاءه؟.

أرأيت لو دخلت بيتك، فوجدت امرأتك قد عميت، وابنتك قد أقعدت، وأت قد أصابك الفالج، كيف كان رضاك بقضائه؟.

قال: كنت أخاف ألا أصبر.

قال: فكيف لا، حتى يكون عندك واحدًا ترضى بكل ما صنع في العافية والبلاء. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٢-١٤٣.

* وسئل **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) عن التوكل فقال: الرضا عن الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا أوطنا، وأنشد:

يجول الغنى والعز في كل موطن ليستوطنا قلب امرئ إن توكلا

ابن أبي الدنيا ١/ ١٤٢، تهذيب الحِلْية ٣٤٨/ ٢.

* وقال **بعض الحكماء**: التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين. ابن أبي الدنيا ١/ ١٦١.

* وجاء رجل إلى **أحد السلف** يسأله أن يكلم الأمير في حاجة، فبكى ثم قال: أي أخي، اقصد الله في أمرك تجده سريعًا قريبًا، فإني ما ظاهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عَزَّوَجَلَّ فأجده كريمًا قريبًا لمن قصده وأراده وتوكل عليه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٦٥.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهما وما تحت الثرى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٦٩.

* وعن أبي خير إسحاق العزاوي قال: زحف إلينا أزدمهر عند مدينة الكرخ في ثمانين فيلًا، فكادت تنفض الخيول والصفوف، فكرب لذلك **محمد بن القاسم**

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٨)، فنادى عمرانَ بنَ النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمير حمص، وأمر الأجناد فنهضوا بما استطاعوا، فلما أعيته الأمور نادى مرارًا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فكف الله الفيلة بذلك، وسلط الله عليها الحر فأنضجها، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سوَّاسها ولا أصحابها حبسها، وحملت الجند عند ذلك، فكان الفتح بإِذن الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٥-٩٦.

* وسُئِلَ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن التَّوكل فقال: هو قطع الاستشراف، باليأس من الخَلْق. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦).

* وقيل له: أيّ شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلًا.[1] جامع العلوم والحكم / ٥٧٠.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بعد أن ساق جملةً من الآثار-: فمن كان له قوّة على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوّته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنه ينكر عليه ذلك. وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن أبي غنم حيث كان يترك الأكل مدة حتى يعاد من ضعفه..

فمن رزقه الله صدق يقين وتوكل، وعلم من الله أنه يخرق له العوائد، ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه، جاز له ترك الأسباب، ولم ينكر عليه ذلك، وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه -لَو أَنَّكُم تَوكَّلُون على اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَما يَرزُقُ الطَّيرَ، تَغدُو خِماصًا، وتَروحُ بِطانًا- يدلّ على ذلك، ويدلُّ على أَنَّ النَّاس إِنَّما يُؤتون منْ قلَّة تحقيق التوكُّل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم= =ومساكنتهم لها، فلذلك يُتعبون أنفسَهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلاّ ما قُدِّر لهم، فلو حقَّقوا التوكلَ على الله بقلوبهم، لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سببٍ، كما يسوقُ إلى الطَّير أرزاقها بمجرَّدِ الغدوِّ والرواح، وهو نوعٌ من الطَّلب والسَّعي، لكنه سعيٌ يسيرٌ..

ومن هذا الباب من قوي توكله على الله ووثوقه به، فدخل المفاوز بغير زاد، فإنه يجوز لمن هذه صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة، وله في ذلك أسوة بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث ترك هاجر وابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع، وترك عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، فلما تبعته هاجر وقالت له:=

* وقال بعضهم:

سهـرت أعيـن ونامـت عيـون لأمـور تكـون أو لا تكـون
فاطْرد الهمّ ما استطعت عن النفـ ـس فحِمْلانُك الهمومَ جنون
إنَّ ربًّـا كفـاك بالأمس مـا كـا ن سيكفيك في غـد مـا يكـون

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٧).

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): المتوكل لا يتوكل على الله ليُكفى، لو حلّت هذه[١] في قلوب المتوكلة لضجوا إلى الله بالندم والتوبة، ولكن المتوكل تَحِلُّ بقلبه الكفايةُ من الله عَزَّوَجَلَّ.[٢] الحث على التجارة للخلال (١٧٩).

* وعن مؤمل المغازلي قال: كنت أصحب **محمد السمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦١) فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينا نحن في برية نسير، إذ زأر السبع من قريب، فجزعت وتغيرت، وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر،

= إلى من تدعنا؟ قال لها: إلى الله، قالت: رضيت بالله، وهذا كان يفعله بأمر الله ووحيه، فقد يقذف الله في قلوب بعض أوليائه من الإلهام الحقّ ما يعلمون أنه حقّ ويثقون به..

وقد أجاز العلماء التوكل على الصدق..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يرخص في ترك السبب بالكلية إلا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية. جامع العلوم والحكم / ٥٦٨ – ٥٧١.

(١) أي: هذه النيّة.

وفي الأصل: الفضة!

وفي الآداب الشرعية: القصة!

(٢) أي: يقذف الله في قبله اليقين بأنه كافيه؛ لقوة توكّله عليه ورضاه به.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يذكر الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يخالف كلام بشر لا من عنده ولا من عند غيره، فبشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من توكل ليُكفى لم يُخْلص التوكل لله فيقدح فيه ويكون لغير الله، ونظيره: من اتقى الله ليجعل الله له مخرجا، ومن اتقى الله ليجعل له فرقانا، ومن تواضع ليرتفع. ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، ولهذا قال بعضهم لبعض: من تواضع ليرتفع: لا يرتفع بالتواضع، أي لا يقصد هذا.

فضبطني محمد وقال: يا مؤمل، التوكل ها هنا ليس في مسجد الجامع. تهذيب الحِلْية ٣/٤٣١.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال القاضي ابن خلكان: كان **أبو الحسن المصري النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٩) بمصر إمام مصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، من ذلك «مقدمته» و«شرحها» و«شرح الجمل» للزجاجي قال: وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عُرضت عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذُ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيدٌ، قال: فاتفق أنه كان يأكُل يومًا مع بعض أصحابه طعامًا، فجاء قطٌّ فرموا له شيئًا، فأخذه وذهب سريعًا، ثم أقبل فرموا له شيئًا آخر، فانطلق به سريعًا، ثم جاء فرموا له شيئًا أيضا، فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخُ: يا سبحان الله! هذا حيوانٌ بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني وأنا عبده ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على الاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات وقد جمع تعليقةً في النحو قريبًا من خمسة عشر مجلَّدا.[1] البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٨.

* وقال الوزير **ابن هبيرة** (ت: ٥٦٠): تدبرت قوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩] **فرأيت لها ثلاثة أوجه:**

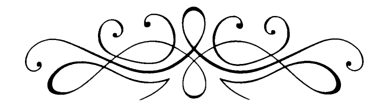
أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويُسَلِّم الأمر إلى مالكه.

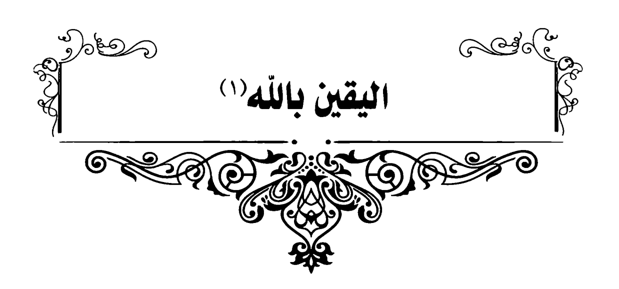
---

(١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واشتهر في سنة ٧٦٢ أن بقرة كانت تجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة، قد ماتت أمهم وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابة، فتجيء إليهم فتنْسَطِحُ على شقِّها فترْضعُ أولئك الجراءُ منها، تكرر هذا منها مرارًا، وأخبرني المحدِّثُ المفيدُ التقي نورُ الدِّين أحمدُ بنُ المقصوصِ بمشاهدته ذلك. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٨.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه ردٌّ على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدَّعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القوي لا يكون إلا بالله. ذيل الطبقات (٢/ ١٤٣).





اليقين بالله(١)

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من برٍّ من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترّين. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣.

* **وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٥.

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: تعلموا اليقين كما تعلموا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: استقرار الإيمان في القلب علمًا وعملًا.
وقال في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم:٦٠]: فإن الخفيف لا يثبت بل يَطِيشُ، وصاحب اليقين ثابت، يقال: أيقنَ، إذا كان مستقرًا، فقد يكون علم العبد جيّدًا، لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ: جَعَلَهُ اللهُ إمَامًا فِي الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤].
فبالصبر تُترك الشهوات، وباليقين تُدفع الشبهات. مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٥)، اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٣، جامع المسائل: ٣/ ٢٦٠
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: هو العلم الثابت الراسخ في القلب. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ٢٢.

القرآن، حتى تعرفوه فإني أتعلمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا أبن آدم، إن من ضعف يقينك: أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): عباد الرحمن، اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، في دار زوال لدار مقام، ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعن. السنن الصغير للبيهقي (١٢).

* وعن **عامر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) قال: الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٤.

* وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) في معرض كلامه عن مناظرته للصوفية، الذين يمشون على الجمر والنار، ويزعمون أن ذلك كرامةٌ من الله لهم، ودليلٌ على صحة منهجهم: ذُكِرَ لِي أَنَّهُ جَاءَهُمْ بَعْضُ أَكَابِرِ غِلْمَانِ الْمُطَاعِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهِمْ لِمَوْعِدِ الِاجْتِمَاعِ، فَاسْتَخَرْت اللهَ تَعَالَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاسْتَعَنْته وَاسْتَنْصَرْته وَاسْتَهْدَيْته وَسَلَكْت سَبِيلَ عِبَادِ اللهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي قَلْبِي أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهَا تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ الْخَلِيلِ[1]، وَأَنَّهَا تُحرِقُ أَشْبَاهَ الصَّابِئَةِ أَهْلِ الْخُرُوجِ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ..

وَكَانُوا لِفَرْطِ انْتِشَارِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَاسْتِحْوَاذِهِمْ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ؛ لِخَفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِبْدَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالنُّورِ الظَّلَامَ، وَطُمُوسِ

(١) ما أعظم توكُّله على الله ويقينه وثقته بالله تعالى!

آثَارِ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ، وَدُرُوسِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ التَّتَارِ، لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ هَائِلٌ، وَلَهُمْ فِيهِمْ مِنَ الِاعْتِقَادِ مَا لَا يَزُولُ بِقَوْلِ قَائِلٍ.

قَالَ الْمُخْبِرُ: فَغَدَا أُولَئِكَ الْأُمَرَاءُ الْأَكَابِرُ وَخَاطَبُوا فِيهِمْ نَائِبَ السُّلْطَانِ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِمْ..

قُلْت لِلْأَمِيرِ: وَأَنَا قَدْ اسْتَخَرْت اللهَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ إنْ دَخَلُوا النَّارَ أَدْخُلُ أَنَا وَهُمْ، وَمَن احْتَرَقَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَكَانَ مَغْلُوبًا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَغْسِلَ جُسُومَنَا بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ.

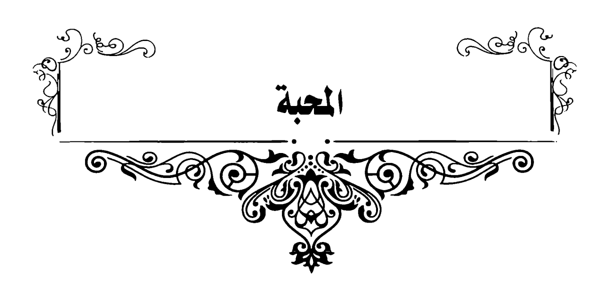
فَقَالَ الْأَمِيرُ: وَلِمَ ذَاكَ؟.

قُلْت: لِأَنَّهُمْ يَطْلُونَ جُسُومَهُمْ بِأَدْوِيَةٍ يَصْنَعُونَهَا مِنْ دُهْنِ الضَّفَادِعِ وَبَاطِنِ قِشْرِ النَّارِنْجِ وَحَجَرِ الطَّلْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِن الْحِيَلِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ، وَأَنَا لَا أَطْلِي جِلْدِي بِشَيْءٍ، فَإِذَا اغْتَسَلْت أَنَا وَهُمْ بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ بَطَلَت الْحِيلَةُ وَظَهَرَ الْحَقُّ، فَاسْتَعْظَمَ الْأَمِيرُ هُجُومِي عَلَى النَّارِ، وَقَالَ: أَتَفعلُ ذَلِكَ؟ فَقُلْت لَهُ: نَعَمْ[1]، قَد اسْتَخَرْت اللهَ فِي ذَلِكَ، وَأَلْقَى فِي قَلْبِي أَنْ أَفْعَلَهُ، وَنَحْنُ لَا نَرَى هَذَا وَأَمْثَالَهُ ابْتِدَاءً؛ فَإِنَّ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ إنَّمَا تَكُونُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِحُجَّةٍ أَوْ حَاجَةٍ، فَالْحُجَّةُ لِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ، وَالْحَاجَةُ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِن النَّصْرِ وَالرِّزْقِ الَّذِي بِهِ يَقُومُ دِينُ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ إذَا أَظْهَرُوا مَا يُسَمُّونَهُ إشَارَاتِهِمْ وَبَرَاهِينَهُمْ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُبْطِلُ دِينَ اللهِ وَشَرْعَهُ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْصُرَ اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَقُومَ فِي نَصْرِ دِينِ اللهِ وَشَرِيعَتِهِ بِمَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَرْوَاحِنَا وَجُسُومِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلَنَا حِينَئِذٍ أَنْ نُعَارِضَ مَا يُظْهِرُونَهُ مِنْ هَذِهِ المخاريق بِمَا يُؤَيِّدُنَا اللهُ بِهِ مِن الْآيَاتِ.

وَلِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا مِثْلُ مُعَارَضَةِ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ لَمَّا أَظْهَرُوا سِحْرَهُمْ أَيَّدَ اللهُ مُوسَى بِالْعَصَا الَّتِي ابْتَلَعَتْ سِحْرَهُمْ. مجموع الفتاوى ١١/ ٤٥٥- ٤٦٠.

---

(١) هذا يدل على عظيم إيمانه وثقته بالله تعالى، وهذه المنزلة قلّ مَن يصل إليها.



المحبة

أ- محبة الناس بعضهم لبعض:

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبدا، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٣]. الزهد لابن المبارك (٣٤٦).

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبرّ ولا تنقص بالجَفاءِ. الزهد للخطيب (٦٧).

* وَسُئِلَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الْحُبِّ فِي اللهِ؟ فَقَالَ: هُوَ أَنْ لا تُحِبَّهُ لِطَمَعِ دُنْيَا. أخبار الشيوخ (٣٧٣).

ب- محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك[1]:

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتّدبر والتّفهم لمعانيه وما أُريد به. كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتّسَنُّم إلى محابه وإن صعب المُرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة. =

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. الزهد لأبي داود (١٤٩).

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) أنه كان يقول: أحببت الله عَزَّ وَجَلَّ حبًّا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضاني في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه، ما أصبحت عليه. تهذيب الحِلْية ٣٠٢/ ١.

* وقال **مطرف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): إن أحب عباد الله إلى الله الشكور الصابر الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. الزهد لأحمد: ٤١٣.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧) قال: إن الدنيا هينة على الله تعالى أن يعطيها من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. تهذيب الحِلْية ٨/ ٢.

* وعن **أبي يزيد البسْطامي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠) قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمِنتُكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبّك لي، وأنت مَلِكٌ قدير. السِّيَر (١٣/ ٨٦).

* وقال **بعض السلف**: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات؛ لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، فقطعتهم عن كل لذة.[1]

= **السادس**: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكُلِّيَّته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم خَتم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مُباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّ وَجَلَّ. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٤٤٨-٤٤٩.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: النُّفُوسُ قَد تَدَّعِي مَحَبَّةَ اللهِ، وَتَكُونُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَحَبَّةَ =

المنتظم ٣٠٢/ ١١.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): قال **حكيم من الحكماء**: إني لأستحيي من ربي عَزَّوَجَلَّ أن أعبده رجاء ثواب الجنة[1]، فأكون كالأجير إن أُعطي أجرا عمل، وإلا لم يعمل، وإني لأستحيي من ربي عَزَّوَجَلَّ أن أعبده مخافة النار[2]، فأكون كعبد السوء، إن رهب عمل، وإن لم يرهب لم يعمل.

ولكني أعبده كما هو له أهل، ويستخرِج مني حبُّ ربي عَزَّوَجَلَّ ما لم يستخرِج منّي غيرُه.[3] الزهد لابن المبارك (٢٠٦).

* وقال **الشاعر**:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هـذا محـال في القيـاس بديـع
لـو كان حبك صادقـا لأطعته ... إن المحـب لمن يحـب مطيع
وفي كل يـوم يبْتديـك بنعمـة ... منـه وأنـت لشكـر ذاك مضيِّـع

ت- محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه:

* دخل **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) يستأذن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسا حوله نساؤه واجمًا[4] ساكتا.

=شِرْكٍ، تُحِبُّ مَا تَهْوَاهُ، وَقَدْ أَشْرَكْتَهُ فِي الْحُبِّ مَعَ اللهِ، وَقَدْ يَخْفي الْهَوَى عَلَى النَّفْسِ؛ فَإِنَّ حُبَّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ الَّتِي يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَعْمَلُهَا لِلَّهِ، وَفِي نَفْسِهِ شِرْكٌ قَد خَفِيَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْمَلُهُ: إمَّا لِحُبِّ رِيَاسَةٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ مَالٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ صُورَةٍ. مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٩-٣٦٠).

(١) أي: فقط.

(٢) أي: فقط.

(٣) فيه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده، قال ابن رجب: وهذا حسن. التخويف من النار: (٢٤).

(٤) أي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام من كثرة مطالبة نسائه له بالنفقة.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأقولنّ شيئا أُضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة[١] سألتني النفقة، فقمت إليها، فوَجْأت عنقها[٢]، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده». «صحيح مسلم» (١٤٧٨).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى[٣]، ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه.

قال: فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدا على أسكفة المشربة[٤]، فناديت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئا، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئا، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ؛ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، **والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها**، ورفعت صوتي، فأومأ إليّ أن ارقه، فدخلت على رسول الله ﷺ. «صحيح مسلم» (١٤٧٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: والله لأنت أحب إليّ من نفسي. صحيح البخاري (٦٢٥٧).

* ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر شاور الصحابة حين بلغه إقبال أبي

---

(١) يعني زوجته.

(٢) أي طعنت عنقها.

(٣) حُزنًا لحزنه، وهمًّا لهمّه، من شدة محبتهم وتعظيمهم له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) هي العتبة السفلى التي توطأ.

سفيان، فتكلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، فقام **سعد بن عبادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥) فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخِيضَهَا البحر لأَخَضْناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الْغِمَادِ[1] لفعلنا. صحيح مسلم (١٧٧٩).

* وقال **عمرُو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه. صحيح مسلم (١٢١).

* ولما جاء عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ليفاوضه على الصلح، جعل يرمق **أصحاب النبي** ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ[2] رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم **أصحاب محمد** ﷺ محمدا، والله إنْ[3] تنخم[4] نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيما له. صحيح البخاري (٢٧٣١).

---

(١) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

(٢) أي: ما.

(٣) أي: ما.

(٤) أي: تفل وبزق.

* ولما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، **وأبو طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ به عليْه بِحجَفَةٍ له[١]، وكان أبو طلحة رجلا راميًا شديد القدّ[٢]، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل[٣]، فيقول: «انشرها لأبي طلحة»، فأَشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فقال أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف[٤]، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.[٥] صحيح البخاري (٣٨١١)، صحيح مسلم (١٨١١).

* وقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا **بغلامين** من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه. صحيح البخاري (٣١٤١)، صحيح مسلم (١٧٥٢).

* وعن **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

* وقال البزَّارُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٩): كَانَ **شيخ الإسلامِ ابن تيمية** (ت: ٧٢٨)

---

(١) مترس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم بترس من الجلد.

(٢) هو السير من جلد مدبوغ والمعنى أن وتر قوسه شديد في النزع والمد.

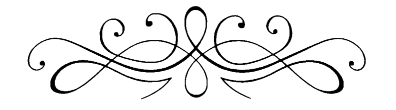
(٣) الكنانة المملوءة بالنبل.

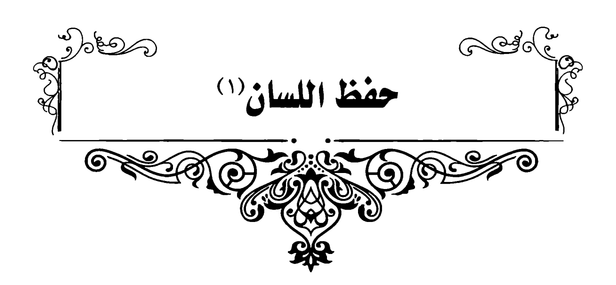
(٤) أي: لا تنظر.

(٥) أي: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك والنحر الصدر وأسفل العنق.

لَا يذكر رَسُول الله ﷺ قطّ إلا وَيُصلي وَيسلم عَلَيْهِ، وَلَا وَالله مَا رَأَيْت أحدا أشد تَعْظِيمًا لرَسُول الله ﷺ وَلَا أحرص على اتّبَاعه وَنصر مَا جَاءَ بِهِ مِنْهُ، حَتَّى إِذا كَانَ أورد شَيْئا من حَدِيثه فِي مَسْأَلَة وَيرى أنه لم ينسخه شَيْء غَيره من حَدِيثه، يعْمل بِهِ وَيَقْضِي ويفتي بِمُقْتَضَاهُ، وَلَا يلْتَفت إِلى قَول غَيره من المخلوقين كَائِنا من كَانَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل قَائِل إِنَّمَا يحْتَج لقَوْله لَا بِهِ، إلا الله وَرَسُوله. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٢٨).





حفظ اللسان(١)

أ- حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): رَحِمَ الله امرَأً أمسكَ فضلَ القول وقدّمَ فضلَ العمل. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيءٌ أحوج إلى طول سجن من اللسان. الزهد لأبي داود (١٥١)، الزهد لابن المبارك (٣٦٨).

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: آفات اللسان أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران، فالأصل: ملازمة الصمت إلى أن تتحقق السلامة من الآفات، والحصول على الخيرات. المفهم: ٥/ ٢٠٠.
وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الكلام ترجمانٌ يعبّر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يُقْدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زَلَلَه بالإمساك عنه أو بالإقلال منه..
واعلم أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعْرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها، **وهي أربعة:**
فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فُرْصته.
والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.
والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.
فهذه أربعة شروط، متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوْهن فضيلةَ باقيها. أدب الدين (٤٤٢- ٤٤٣)

* وعن عبد الله بن مرداس قال: كان **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطبنا كل خميس، فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت، ونحن نشتهي أن يزيدنا. أخرجه الحاكم: ٥٣٨٥.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢١.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنذركم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٢.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ، فإنّما جُعُلَ لك أُذُنَانِ اثنتان وفَمٌ واحدٌ، لتَسْمَعَ أكثرَ ممّا تقول. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٣.

* وتكلّم رجل عند **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): فَهَذَرَ، فلمّا أطال قال: أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: وهل تكلّمتَ!. عيون الأخبار ٥٧١ / ٢.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) قال: إنّ أحقّ ما طهر المسلم لسانه. الزهد لأبي داود (٢٧٢).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): حَتْفُ الرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه. عيون الأخبار ٣٨١ / ١.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: جنِّبوا مجالسَنا ذِكرَ النِّساء والطعام، إني أبغِضُ الرجلَ يكونُ وصَّافًا لفَرجه وبطنه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٣.

* وعن الحسن قال: ذكروا شيئًا عند معاوية فتكلموا فيه، **والأحنف بن قيس**

رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساكت، فقالوا: مالك لا تتكلّم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقت. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٢١.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خَلَّط خلط له. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٤.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحِمْية، وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٦.

* وقال أيضا: إن الرجل ليصمت فيجتمع إليه لُبُّهُ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٩.

* وأثنى رجل على رجل فقال له **بعض السلف**: وما علمك به؟ قال: رأيته يتحفظ في منطقه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر: فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجر إنما لسانه رِسلا رِسلا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

* وعن أبي الأشهب عن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه، ما جرى على لسانه تكلم به.

---

(١) ليس المقصود بالصمت والسكوت في كلام السلف الصالح: مجرد السكوت حتى عن ذكر الله تعالى، فهذا ليس محمودًا أبدًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السُّكُوتُ بِلَا قِرَاءَةٍ وَلَا ذِكْرٍ وَلَا دُعَاءٍ لَيْسَ عِبَادَةً وَلَا مَأْمُورًا بِهِ، بَل يَفْتَحُ بَابَ الْوَسْوَسَةِ، فَالِاشْتِغَالُ بِذِكْرِ اللهِ أَفْضَلُ مِن السُّكُوتِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِن أَفْضَلِ الْخَيْرِ. مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

قال **أبو الأشهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٥): كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. الزهد لأحمد: ٤٦١، الزهد لابن المبارك (٣٧٣).

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كثر كلامه كثر كذبه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم بُسِطتْ لك صحيفةٌ، ووكِّل بك ملكان كريمان يكتبان عملك، فأكثر ما شئت أو أقل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٤.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد أدركت أقواما، إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم فيرون أنه عيي[1]، وما به من عِيّ، إنه لفقيه مسلم. الزهد لوكيع (٨٠).

* وقيل في **منثور الحكم**: إذا تم العقل نقص الكلام. أدب الدين (٤٤٩).

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليطغى في كلامه كما يطغى في ماله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابسا للسانه، يحافظ على صلاته. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): خصلتان إذا صلَحتا من العبد صلح ما سِواهما من أمره: صلاتُه ولسانه[2]. صفة الصفوة ٣/ ٢١٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلّم. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال، إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

---

(١) أي: عاجز عن الكلام.

(٢) لقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] وقول الرسول ﷺ «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**».

* وكان **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) إذا كان في مجلس فخاض جلساؤه في غير ذكر الله، فكأنه ساهٍ، وإذا أخذوا في ذكر الله كان أشد القوم استماعا إليه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٢.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١):

تعاهد لسانك إن اللسان سريعٌ إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد يَدلّ الرجال على عقله

ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٦٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة:

قال كسرى: إذا قلتُ ندمت، وإذا لم أقل لم أندم.

وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقُل، أقْدر مني على ردِّ ما قُلت.

وقال ملك الهند: عجِبت لمن تكلَّم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرَّته، وإن هي لم تُرفع لم تنفعه.

وقال ملك الصين: إن تكلمتُ بكلمةٍ مَلكتني، وإن لم أتكلَّم بها ملكتُها. الآداب الشرعية ١/ ٣٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن يكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن دعت الحاجة إلى خلطة الناس في فضول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فَلْيسُلّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُديم الّلجأ إليه. مدارج السالكين ١/ ٤٥٤.

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): إنَّ المؤمن يقولُ قليلًا، ويعملُ كثيرًا، وإنَّ المنافقَ يتكلَّمُ كثيرًا، ويعملُ قليلًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٤.

* وقال **بعض السلف**: إنما لساني سبع إن أرسلْتُه خفت أن يأكلني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣.

* وكان يقال: كثرة الكلام تذهب بالوقار. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٠.

* وقال **داود الطائي** (ت: ١٧٠): حفظ اللسان أشدُّ الأعمال وأفضلُها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦١.

* وقال **الشاعر**:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... ولم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكائنْ ترى من ساكتٍ لك معجِبٍ ... زيادته أو نقصه في التكلم

ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٥.

* وعن **أبي حيان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥) قال: كان يقال: ينبغي للعاقل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١١.

* وتكلم **ابنُ السَّمَّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) يومًا **وجاريةٌ** له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامي؟ قالت: ما أحسَنَه لولا أنّك تُكثر تَرْدَادَه! قال: أُرَدِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفْهَمْه قالت: إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد ملَّه مَن فَهمه! عيون الأخبار ٥٧٥ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

إذا تحدَّثْتَ في قومٍ لتُؤْنِسَهم ... بما تُحدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تَعُد لحديثٍ إنَّ طبعَهمُ ... مُوَكَّل بمُعاداةِ المُعاداتِ

البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

* وقال رجل **للربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠): قُتل ابن فاطمة، فاسترجع ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر:٤٦] قال: ما تقول؟ قال: ما أقول؟ إلى الله إيابهم وعليه حسابهم. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** (ت: ١٨٧) **وابن المبارك** رَحِمَهُمَا اللَّهُ (ت: ١٨١): أشد الورع في اللسان. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١٠، ١/ ٢١١.

* وقال **الحسن بن حي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٨): إني لأعرف رجلًا يعدُّ كلامه، فكانوا يرون أنه هو[1]. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١١.

* وقال **بعضهم**:

يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِهِ ... وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ

فعثرتُه من فِيهِ تَرْمِي برأسهِ ... وعثرتُه بالرِّجْل تَبْرا على مَهْلِ

عيون الأخبار ٥٧٧/ ٢.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إن أردت أن تلبس ثوب الوقار والجمال، وتتحلّى بحِلْية المودة عند العامة: فكن عالمًا كجاهل، وناطقا كعَيِيٍّ.

فأما العلم: فيُرشدك.

وأما قلة ادعائه: فتنفي عنك الحسد.

وأما المنطق إذا احتجت إليه: فيُبَلِّغك حاجتك.

وأما الصمت: فيُكْسبك المحبة والوقار. الأدب الكبير (٩٦).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن غُلبت على الكلام وقتًا فلا تُغْلبن على السكوت، فإنه لعله يكون أشدَّهما لك زينة، وأجلَبَهما إليك مودةً، وأبقاهما للمهابة، وأنْفاهما للحسد. الأدب الكبير (١١٢).

---

(١) لعل مقصود الفضيل والحسن بن حي: الكلام في أمور الدنيا، لا ما يتعلق بأمور الآخرة، كالتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إني لأدع كثيرًا من الكلام مخافة المباهاة. الزهد لأحمد: ٥٠٥.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه؛ فإنه يُلقّن الحكمة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٨.

* وعن أبي عبد الله الحربي قال: سمعت **بعض العلماء** ممن قدم على **عمر ابن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا؛ وذلك أن منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه، قالوا: يا أمير المؤمنين فكيف بفتنة المنطق؟ قال: فبكى عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكاء شديدا.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٥.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا أخذت في الحديث نشطتَ وأنكرتُك، وإذا كنتَ في غير الحديث كأنك ميت؟.

قال: أما علمت أن الكلام فتنة؟ تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: الصمت زين العالِم، وستر الجاهل. تهذيب الحِلْية ٤٠٩/ ٢.

* وعن خالد الحذاء قال: كنا نأتي **أبا قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤)، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت. تهذيب الحِلْية ٣٩٣/ ١.

* وقال **بعضهم**:

إن كانَ في العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرةٌ ... ففي البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

عيون الأخبار ٥٧١/ ٢.

---

(١) بكى لعلمِه أنه لا يسلم أحدٌ من فتنة المنطق إلا من شاء الله، فقلّ من تكلّم في موعظة، أو خطبة، أو في بحث مسألة من مسائل العلم، أو في ردٍّ على خطأ عالم أو طالب علم إلا شابهُ شيءٌ من فتنة الكلام، فيجب على كلّ من تكلّم أن يستحضر الإخلاص والورع في كلامه، وما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم.

* ونازع **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) رجل، فقال: لولا أن يُكتب عليَّ لقلت[1]. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): لو أن صاحب خَبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحْتَرَزْتَ منه، وكلامُك يُعْرض على الله تعالى فلا تحتَرِز! صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

* وعن سعدون الرازي أنه قال: كنت مع **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يتكلم، فقل كلامه فقيل له: قد كنت تتكلم فينتفع بك الناس؟ قال: إني لا أحب أن أتكلم بكلمة قبل أن أستعد جوابها لله، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة: لم قلت كذا؟ قلت: يا رب لكذا. المنتظم ٢٥٥/ ١١.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) قال: قال **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه: يا بني ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. الزهد لأحمد: ١٢٦-١٢٧.

* وكان يقال: إذا فَاتَك الأدب فالزم الصَّمتَ. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **بعضهم**: لا يَجْتَرِئ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ[2]. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

* وقال **أكثم بن صيفِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩): مَقْتَلُ الرجلِ بين فَكّيهِ. عيون الأخبار ٣٨١/ ١.

* وقال **أبو الحسن القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٥): أصبتُ ببصري، وأظنُّ أني عوقبتُ بكثرة كلامي أيام الرِّحلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق والله، فقد كانوا مع حُسْن القصْدِ،

---

(١) أي: لو أن الملائكة لا تكتب ما أقول: لرددت عليك.

(٢) قال في الحاشية: الفائق: الأديب العالم. والمائق: الهالك حمقًا وغباوة.

وصحَّةِ النِّيَّةِ -غالبًا- يخافونَ من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة[1]، واليوم يكثرون الكلام مع نقصِ العلْمِ، وسوء القصْد. ثم إن الله يفضحهم ويلُوحُ جهلُهم وهواهُم واضطرابُهم فيما علموه. فنسأَلُ الله التوفيقَ والإخلاص. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٥٠.

* وقيل **لإبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): إن فلانًا يتعلم النحو، فقال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٨٣.

* وقال **أبو بكر بن عياش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٣): أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بلية. تهذيب الحِلْية ٣/ ٨١.

* وقال **بعضهم**: إني لأكره أن يكون مقدارُ لسان الرجلِ فاضلًا عن مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلًا على مقدار عقله.

وهذا كلام شريف نافع فاحفظوا لفظه، وتدبروا معناه. البيان والتبيين ١/ ٦٢.

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): يكره كثرة الكلام ويعيبه، وكان يقال: نعم الرجل فلان إلا أنه يتكلم كلام شهر في يوم.

وعندما يُكثَر عليه بالسؤال يَكفّ، ويقول: حسبكم، مَن أكثَرَ أخطأ.

وكان يعيبُ كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مُغْتلم، ويقول هو كذا، هو كذا، يهدر في كل شيء! ترتيب المدارك (١/ ١٤٢، ١٨٠).

* وقال **بعض البلغاء**: الزم الصمت فإنه يكسبك صفْو المحبة، ويؤمّنك سوء المغبّة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مَؤُونة الاعتذار. أدب الدين (٤٤٢).

---

(١) ومن إظهار المعرفة والفضيلة الذي كان السلف الصالح يخافون منه: التحدث بكثرة ما قرأ أو قُرئ عليه من الكتب، وكثرة التحدّث عن الرحلات في العلم والدعوة، وكثرة طلابِه ومن يحضر عنده، والمؤمن ينبغي له ألا يتكلّم عن نفسه إلا عند الحاجة والضرورة.

* وكان إمامنا -**الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١)- يتعجب من **بدر المغازلي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٢) ويقول: مَن مِثل بدر؟ قد ملك لسانه.(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٩).

* وقال حمدان بن ذي النون: ما رأتْ عيني مثل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ورعه وحفظه لسانه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٦).

* ولم يكن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) يخوض في شيْء مما يخوض فيه الناسُ من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلْم تكلم. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٥.

* وقال **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠): إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، أتنكرون أن عليكم حافظين، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. الصمت لابن أبي الدنيا (٧٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار:١٠-١١] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق:١٧-١٨] أما يستحي أحدكم أنه لو نُشرت عليه صحيفته التي أملى صَدْرَ نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه!. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٢.

---

(١) كثيرا ما يثني الإمام أحمد على طلابه النجباء، وهذا خلق عظيم، فينبغي للشيخ والمعلم أن يحرص عليه.

وانظر إلى تعجب الإمام من حفظ (بدرٍ) للسانه، وهذا يدل على أن ذلك من أصعب الأمور، وحريّ بالعاقل الناصح لنفسه أن يحفظ لسانه، مع أن الإمام كان من أحفظ الناس للسانه.

* وعن محمد بن إسحاق أنه قال: جاء أعرابي إلى **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فقال: أنت أعلم أو سالم؟ قال: ذاك منزل سالم، فلم يزد عليها حتى قام الأعرابي.

قال **ابن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١): كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه. الحِلْية ٢/ ١٨٤.

* وقال **بعضهم**:

وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ ... لسانُ المرءِ من خَدَمِ الفُؤادِ

عيون الأخبار ٣/ ١٦٨.

* وقال مَرَّةً رجلٌ: ما أشدَّ البردَ اليوم، فالتفتَ إليه **المُعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤)، وقال: استدفأتَ الآن؟ لو سكتَّ لكان خيرًا لك.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٨): قولُ مثلِ هذا جائزٌ، لكنهم كانوا يكرَهون فُضولَ الكلام، واختلف العلماءُ في الكلام المباح، هل يكتُبه المَلَكان، أم لا يَكتُبان إلا المستحَبَّ الذي فيه أجرٌ، والمذمومَ الذي فيه تَبِعَة؟ والصحيحُ كتابةُ الجميعِ لعموم النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ثم ليس إلى الملكين اطِّلاعٌ على النِّيات والإخلاص، بل يكتُبانِ النُّطْقَ، وأما السَّرائرُ الباعثةُ للنُّطقِ، فالله يتولاَّها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٠.

* ولَمَّا عزم علي بن حمُّود الحسني على القيام على المستعين طالبًا لدم هشام، أحدث بسبتة أشياء لم تكن فيها، فأنكر الناس عليه ذلك، وفزعوا إلى الفقيه **أبي محمد ابن عبُّود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقالوا له: ترى ما أحدث هذا الرجل؟ فقال لهم: لا عليكم، نحن أدخلناه ونحن أخرجناه، فبَلَغه ذلك، فهبط إلى دار الصناعة، ووجَّه وراءه ووراء ولده، فلمَّا أُحضر بين يديه قال له: أنت القائل كذا وكذا؟ -والسيوف

مصلتة على رأسه- لا عشتَ أبدا أنت ولا ولدك، قال الرجل: حسبي الله، عسى يُقدّم ولدي، ليكون في صحيفتي، فتوضَّآ وصلَّيا، فقُتل الولد ثم الوالد.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٤١٥-٤١٦).

* وقال **بعض الحكماء**: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

وقال **بعض البلغاء**: احبس لسانك قبل أن يُطيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب. أدب الدين (٤٤٥).

* وَكَانَ **أبو الحسن بن بشار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٣) إِذَا أراد أن يخبر عن نفسه شيئًا قَالَ: أعرف رجلًا حاله كذا وكذا، فَقَالَ ذات يوم: أعرف رجلًا منذ ثلاثين سَنَة ما تكلَّمَ بكلمةٍ يَعتذِرُ منها. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٩).

* وكان **ابْن دَقِيق الْعِيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠٢) يَقُول: مَا تَكَلَّمت بِكَلِمَةٍ وَلَا فعلتُ فعلًا إِلَّا وأعددتُ لَهُ جَوَابا بَين يَدي الله تَعَالَى. طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يقتلنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيلِ لسانه ... كانت تهاب لقاءَه الشجعان

ديوان الشافعي (١٦٥).

* وقال **الشاعر**:

عجبتُ لإزْراء الْعَيِيِّ بنفسه ... وصمتِ الّذي قد كان للقول أعلما

وفي الصمت ستر للْعَيِيِّ[2] وإنّما ... صحيفةُ لُبِّ المرء أنْ يتكلما

---

(١) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وانظر كيف أدت كلمة صدرت منه إلى قتله وقتل ولده، وكان غنيّا عنها، فما أحرى المؤمن بأن حفظ لسانه.

(٢) العييّ: العاجز عن الكلام.

* وقال آخر:

وزِن الْـكلَامَ إذَا نَطقْــتَ فإنَّمَــا ... يُبْدِي عُيُوبَ ذوِي الْعُقولِ الْمَنْطِقُ

* وقال آخر:

فـإنْ لَـمْ تَجِـدْ قَـولًا سَـديدًا تَقولُـهُ ... فَصمْتُـكَ عَـن غَيـرِ السَّـدادِ سَـدادُ

أدب الدين (٤٤٧، ٤٤٩).

ب- حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات[1]:

* كان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس؛ فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٧.

* ومَرَّ **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على بغل ميت فقال: لأن يأكل أحدكم من لحم هذا البغل حتى يمتلئ بطنه خيرٌ له مِن أنْ يأكل لحم رجل مسلم. الزهد لهناد (١١٧٤)، الزهد لوكيع (٤٣٣).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٧.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ما ذكرت أحدا بسوء بعد أن يقوم من عندي. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٩.

* وعن **خالد الربعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣) قال: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا، ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفوائد (١٥٩): ومن العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل تورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات، لا يبالي ما يقول.

فدخلت معهم في شيء من أمره فلما كان من الليل رأيت في المنام كأن شيئا أسود يشبه الرجل إلا أنه طويل جدا معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير، فقال: كل، قلت: آكل لحم خنزير والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال: كل، وانتهرني انتهارةً شديدة، ودسه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه وأَفْرَق[1] أن ألقيه، واستيقظت، قال: فمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ما آكل طعاما إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٠.

* وقال مولى لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان: رآني **عمرو بن عتبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥) وأنا مع رجل وهو يقع في آخر فقال لي: ويلك! ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها، نزِّه سمعك عن استماع الخنا كما تُنزه لسانك عن القول به، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّت كلمة السفيه في فيه لسعد بها رادها، كما شقي بها قائلها. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٦٥.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: إذا قلت ما في الرجل وأنت تعلم أنه يكره ذلك فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أحسب أحدًا تفرّغ لعيب الناس، إلا من غفلةٍ غَفلها عن نفسه. صفة الصفوة ٣/ ٧٠.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): يصوم الرجل عن الحلال الطيب، ويفطر على الحرام الخبيث، لحم أخيه - يعني اغتيابه -. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٥٥.

* وأنشد بعضهم:

لا تلتمسْ من مساوي الناس ماسَتروا   فيكشف الله سترًا مِن مساويكا

---

(١) أي: أخاف.

واذكرْ محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تَعِب أحدًا منهم بما فيكا

الآداب الشرعية ١/ ١٩٥.

* وقيل **للربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ، فأتفرّغَ من ذمها إلى أن أذمّ الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس، وأمِنوه على ذنوبهم. صفة الصفوة ٣/ ٤٠.

* وقال **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): «لو كنت راضيًا عن نفسي لقلَيْتكم، ولكني لست عنها براض».[١] الزهد لابن المبارك (٢٨٢).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧)، قال: سمعت **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) يقول: يقال يوم القيامة للعبد: قم إلى فلان فخذ حقك منه، فيقول: يا رب ما أعرف لي عنده من حق، فيقال: بلى إنه ذَكَرك يوم كذا بكذا، ويوم كذا بكذا.

قال الأوزاعي: أفناصح لنفسه من يُقضى من حسناته غدًا، وهو ينظر إلى ذل خاشع، يودُّ لو كان بينه وبين أَخِلَّائِه أمدًا بعيدًا؟ ابن أبي الدنيا ٢/ ٧٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه، وتدعو له بخير. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤١٨.

* وسمع **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) رجلا يغتاب رجلا فقال: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٢٠.

* وسمع **قتيبة بن مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) رجلا يغتاب رجلا فقال: أما والله لقد تلمظت[٢] بمضغة طالما لفظتها الكرام. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٢.

* وعاب رجلٌ رجلًا عند **بعض أهل العلم**، فقال له: قد استدللتُ على كثرة

---

(١) أي: لستُ راضيًا عن نفسي فكيف أتفرغ لعيبكم ومقت المقصر منكم؟

(٢) اللَّمظ: هو الأخذ باللسان مما يبقى في الفم والأسنان.

عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأنّ الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. المجالسة وجواهر العلم (١١٣).

* وصدق الشاعر:

وأجْـرَأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بظَهْـر غَيْـبٍ   علـى عَيْـبِ الرِّجَـالِ ذوُو العُيـوبِ

الكامل في اللغة / ٦٥١.

* وقال سفيانُ بن حسين: ذكرتُ رجلًا بسوءٍ عند **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١)، فنظر في وجهي وقال: أغزوْتَ الرومَ؟ قلتُ: لا قال: فالسِّنْدَ والهندَ والترْكَ؟ قلتُ: لا قال: أفسلِمَ منك الرومُ والسِّنْدُ والهندُ والتركُ، ولم يسْلَمْ منك أخوكَ المسلمُ؟! قال: فلم أعُدْ بعدَها.[١] البداية والنهاية١٠ / ٤٦.

* وقال **ميمون بن سياه**[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تذاكروا عندي رجلًا من هؤلاء السلاطين، فوقعوا فيه، ولم أذكر منه خيرًا ولا شرًا، فانقلبتُ إلى بيتي، فرقدت فرأيت فيما يرى النائم، كأن بين يديّ جيفةَ زنجيّ ميّت منتفخٌ منتن، وكأن قائمًا على رأسي يقول لي كلْ، قلت: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتِيبَ عندك فلان، قال: قلت: ما ذَكرت منه خيرًا ولا شرًا. فقال: ولكنك استمعت ورضيتَ. صفة الصفوة ٣/ ١٦٤.

---

(١) إذا رأى المسلم أحدَ العلماء أو المصلحين وقع في زلَّةٍ وهو ممَّن له سابق فضلٍ وخير، فالواجب أنْ يَكفّ لسَانَه عن الوقوع في عرضه، مع بيَان الخطأ الذي وقع به بأسلوبٍ لطيف.
ومِن أعظم سمات أهل السنة والجماعة: الأخذُ بحسن الظن، وعدمُ تتبع الزلات، والْتماسُ الأعذار لمن ظاهره الصلاح، وسترُ العيوب لا فضحُها.
ومن سمات المبتَدِعَة وأهلِ الأهواء: القدحُ في كلٍّ من يُخالفهم، ولو كان مما يسوغُ أو يُعذَرُ الاجتهاد فيه، وتتبعُ الزلات والعثرات، والقدحُ في النيات.
وقد أجمع علماءُ الأمة سلفُهَا وخلَفُها، على أنَّ مَن عُرف عنه الخيرُ والصلاح لا يجوز القدحُ فيه إلا بدليلٍ وبرهانٍ قاطعٍ، فإنْ ثبت بالدليل خطؤه وزللُهُ، في أمرٍ يسوغُ أو يُعذَرُ الاجتهاد فيه، فلا يجوز أيضًا سبُّه والطعنُ فيه، بل يجب أنْ يُردَّ خطؤه ولا يُقدَحُ في شخصه.

(٢) البصري أبو بحر، تابعي عابد، ولم أجد تاريخ وفاته.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك لن تجد حقيقة الإيمان ما كنت تعيب الناس بعيب هو فيك، حتى تبْرأ بذلك العيب من نفسك فتُصلحه، فلا تُصلح عيبًا إلا ترى عيبًا آخر، فيكون شغلُك خاصةَ نفسك. الزهد للخطيب (٨٢).

* وكانوا إذا ذكروا عند **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) رجلًا بسيّئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم. صفة الصفوة ٣/ ١٧١.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ظُلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتُم خَيْره.[1] صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وذكر رجلًا فقال: ذاك الأسود، ثم قال: أستغفر الله أخاف أن أكون قد اغتبته. الزهد لهناد (١١٩١)، الزهد لوكيع (٤٣٤).

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيتم الرجل موكّلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١، ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٩.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا ويقعَ في الصالحين. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وقيل **لبعض السلف**: إن فلانًا يقع فيك، قال: لأغيظن مَن أمره، يغفر الله لي وله، قيل له: من أمره؟ قال: الشيطان. الزهد لابن المبارك (٦٢٢)، صفة الصفوة ٣/ ٤٩.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ربما قال الرجلُ: لا إله إلا

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢]، فليس من العدل أنْ يذكر الإنسان أسوأ ما يعلم عن الجماعة الفلانية، أو الشيخ الفلانيّ، وهم من المسلمين أهل السنة، ويكتم ما يعلم فيه من الخير، وما أعزّ الإنصاف!.

الله؛ أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ، قيل: وكيف ذاك؟ قال: يُغتابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له في نفسه ويقول له: اتّقِ الله.[1] عيون الأخبار ٤١١ / ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن النَّاسِ مَن يَغْتَابُ مُوَافَقَةً لِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَشَائِرِهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْمُغْتَابَ بَرِيءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أَو فِيهِ بَعْضُ مَا يَقُولُونَ، لَكِنْ يَرَى أَنَّهُ لَو أَنْكَرَ عَلَيْهِم قَطَعَ الْمَجْلِسَ وَاسْتَثْقَلَهُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَنَفَرُوا عَنْهُ، فَيَرَى مُوَافَقَتَهُم مِن حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَطِيبِ الْمُصَاحَبَةِ، وَقَد يَغْضَبُونَ فَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِم فَيَخُوضُ مَعَهُمْ.

وَمِنْهُم مَن يُخرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَوَالِبَ شَتَّى:

أ- تَارَةً فِي قَالِبِ دِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ، فَيَقُولُ: لَيسَ لِي عَادَةً أَنْ أَذْكُرَ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أُحِبُّ الْغِيبَةَ وَلَا الْكَذِبَ، وَإِنَّمَا أُخْبِرُكُم بِأَحْوَالِهِ، وَيَقُولُ: وَاللهِ إِنَّهُ مِسْكِينٌ، أَو رَجُلٌ جَيِّدٌ، وَلَكِنْ فِيهِ كَيْت وَكَيْت، وَرُبَّمَا يَقُولُ: دَعُونَا مِنْهُ اللهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ اسْتِنْقَاصَهُ وَهَضْمًا لِجَانِبِهِ، وَيُخْرِجُونَ الْغِيبَةَ فِي قَوَالِبَ صَلَاحٍ وَدِيَانَةٍ، يُخَادِعُونَ اللهَ بِذَلِكَ كَمَا يُخَادِعُونَ مَخْلُوقًا، وَقَد رَأَيْنَا مِنْهُم أَلْوَانًا كَثِيرَةً مِن هَذَا وَأَشْبَاهِهِ.

ب- وَمِنْهُم مَن يَرْفَعُ غَيْرَهُ رِيَاءً فَيَرْفَعُ نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: لَو دَعَوْت الْبَارِحَةَ فِي صَلَاتِي لِفُلَان؛ لِمَا بَلَغَنِي عَنْهُ كَيْت وَكَيْت لِيَرْفَعَ نَفْسَهُ وَيَضَعَهُ عِنْدَ مَن يَعْتَقِدُهُ.

أَو يَقُولُ: فُلَانٌ بَلِيدُ الذِّهْنِ قَلِيلُ الْفَهْمِ؛ وَقَصْدُهُ مَدْح نَفْسِهِ وَإِثْبَات مَعْرِفَتِهِ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ.

ج- وَمِنْهُم مَن يَحْمِلُهُ الْحَسَدُ عَلَى الْغِيبَةِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ: الْغِيبَةِ وَالْحَسَدِ، وَإِذَا أَثْنَى عَلَى شَخْصٍ أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِن تَنَقُّصِهِ فِي قَالِبِ دِينٍ وَصَلَاحٍ، أَو فِي قَالِبِ حَسَدٍ وَفُجُورٍ وَقَدْحٍ؛ لِيُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْهُ.

د- وَمِنْهُم مَن يُخْرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ تمسخر وَلَعِبٍ لِيُضْحِكَ غَيْرَهُ بِاسْتِهْزَائِهِ وَمُحَاكَاتِهِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ.

هـ- وَمِنْهُم مَن يُخرِجُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ التَّعَجُّبِ، فَيَقُولُ: تَعَجَّبْت مِن فُلَانٍ كَيْفَ لَا يَفْعَلُ كَيْت وَكَيْت، وَمِن فُلَانٍ كَيْفَ وَقَعَ مِنْهُ كَيْت وَكَيْت، وَكَيْفَ فَعَلَ كَيْت وَكَيْت، فَيُخْرِجُ اسْمَهُ فِي مَعْرِضِ تَعَجُّبِهِ.

و- وَمِنْهُم مَن يُخْرِجُ الِاغْتِمَامَ فَيَقُولُ: مِسْكِينٌ فُلَانٌ غَمَّنِي مَا جَرَى لَهُ وَمَا تَمَّ لَهُ، فَيَظُنُّ مَن يَسْمَعُهُ أَنَّهُ يَغْتَمُّ لَهُ وَيَتَأَسَّفُ وَقَلْبُهُ مُنْطَوٍ عَلَى التَّشَفِّي بِهِ، وَلَو قَدَرَ لَزَادَ عَلَى مَا بِهِ، وَرُبَّمَا يَذْكُرُهُ عِنْدَ أَعْدَائِهِ لِيَشْتَفُوا بِهِ.

وَهَذَا وَغَيْرُهُ مِن أَعْظَمِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْمُخَادَعَاتِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ.

ي- وَمِنْهُم مَن يُظهِرُ الْغِيبَةَ فِي قَالِبِ غَضَبٍ وَإِنْكَارِ مُنْكَرٍ، فَيُظْهِرُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءَ مِن زَخَارِفِ الْقَوْلِ وَقَصْدُهُ غَيْرُ مَا أَظْهَرَ. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٦-٢٣٨)

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): الغيبة أشد من الدَّين، الدين يُقضى والغيبة لا تقضى. تهذيب الحِلْية ٤٢٨/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: السلام عليكم، يقول: أنت مني سالم، وأنا منك سالم، ثم يدعو له ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فلا ينبغي لهذين إذ سلم بعضهما على بعض، أن يذكره من خلفه بما لا ينبغي له من غيبة أو غيرها. تهذيب الحِلْية ٤٣٢/ ٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إِذا شئتَ أنْ تحيا سليماً من الأذى ... ودِيُنك موفورٌ وعِرضُكَ صيِّنُ

فلا يَنْطقَنْ منكَ اللسانُ بَسوْأةٍ ... فكلُّك سَوْءاتٌ وللناسِ أعينُ

وعيناكَ إِنْ أبدتْ إِليك معايباً ... فصُنْها وقُلْ يا عينُ للناسِ أعينُ

وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ من اعتدى ... ودافعْ ولكن بالتي هي أَحْسَنُ

ديوان الشافعي (١٦٤).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رجل أجازه إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيمَ بألف درهم، قَالَ: لا تُسَمِّين أحدًا.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٤).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي النَّاسِ إِلَّا سَقَطَ وَذَهَبَ حَدِيثُهُ، قَدْ كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْأَفْطَسُ كَانَ يَرْوِي عَنْ الْأَعْمَشِ وَالنَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُ وَكَانَ صَحِيحَ الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَسْلَمُ عَلَى لِسَانِهِ أَحَدٌ فَذَهَبَ حَدِيثُهُ وَذِكْرُهُ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وأُكْبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بِغِيبَةٍ ... وكلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن ما لَه جُهدُ[٢]

ديوان المتنبي (٦٥).

---

(١) إنما نهاه عن التسمية مخافة الغيبة.

(٢) يقول: أرفع نفسي عن مجازاة أحد بغيبة إذا اغتابني، وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على المواجهة، والعاقل يواجه من يسبه ويغتابه باللطف والرفق، ولا يجبن فيغتابه في غَيْبَته.

* وقال **الموفق ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٠) عن **أحد علماء** زمانه ممن ابْتُلي بتتبّع عيوب الناس -وخاصة أهل العلم والصلاح-: ظننتُ أَنَّهُ يَكُون فِي الفتوى مُبرِّزًا عَلَى أَبيهِ وغيره، إِلَى أَن رأيتُ لَهُ فتاوى غيرُه فِيهَا أسدُّ جوابًا، وأكثر صوابًا، **وظننتُ أَنَّهُ ابتُلي بِذَلِكَ لمحبته تخطِئَة النَّاس، واتباعه عيوبهم، ولا يَبعُدُ أَن يُعاقِبَ اللهُ العبدَ بجنسِ ذَنبه**، وقَدْ شَغَل كثيرًا مِن زمانه بالرَّدِّ على النَّاس فِي تصانيفهم، وكشفِ مَا استتر مِن خطاياهم، ومحبة بيان سَقَطاتهم، ولا يَبلغُ العبدُ حقيقةَ الإِيمان حَتَّى يُحِب للناس ما يُحِب لنفسه، أَفَتَراه يُحب لنفسه بعد موته مَن يَنتصِب لكشف سَقَطاته، وعيبِ تصانيفِه وإظهارِ أخطائه؟.

وكما لا يُحب ذَلِكَ لنفسه، ينبغي أَن لا يُحبّه لغيره، سِيَّما للأئمة المتقدِّمين، وَالْعُلَمَاء المبرزين، وَقَدْ أرانا الله تَعَالَى آيةً فِي ذهابه عَنِ الصواب فِي أشياء تظهر لمن هُوَ دونه. ذيل الطبقات (٣/ ٤٣١).

* وترجم ابن السمعاني الحافظ لأحد العلماء في كتابه، فقال: حافظ ثقة، ديِّنٌ خيِّر، مُتقن متثبت، وله حظ كامل من اللغة، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد، كثير الصلاة، دائم التلاوة للقرآن الكريم، مواظب على صلاة الضحى، **غير أنه يحب أن يقع في الناس، ويتكلم في حقهم.**[1] ذيل الطبقات (٢/ ٥٦).

* وقال الشاعر:

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ ... بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلِ

وَإِنَّ أَخَسَّ النَّقْصِ أَنْ يَتَّقِيَ الْفَتَى ... قَذَى النَّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ

الآداب الشرعية ٢/ ٧٧.

* وقال **أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): أرجو

(١) وهذه صفة قبيحة، ومثله في هذا الزمان كثير، تجد بعضهم مبرّزا في العلم، ولكنه أشغل نفسه وغيره في الكلام في الناس، والقَدح والسب واللمز، نعوذ بالله من حالهم وأخلاقهم.

أن ألقى الله ولا يحاسبني أنِّي اغتبتُ أحدًا.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن نظر في كلامه في الجرحِ والتعديل علم وَرَعه في الكلامِ في الناس، وإنصافَه فيمن يُضَعِّفه، فإنه أكثر ما يقولُ: منكر الحديث، سكتُوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلانٌ كذَّاب، أو كان يضَعُ الحديث، حتى إنه قال: إذا قلتُ فلان في حديثه نظر، فهو متَّهم واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبُني الله أني اغتبت أحدًا، وهذا هو واللهِ غايةُ الورع. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٥.

* وقال محمدُ بن أبي حاتم: سمعت **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حلٍّ يا أبا معشر، فقال: من أيِّ شيء؟ قال: رويتُ يومًا حديثًا فنظرتُ إليك، وقد أعجبتَ به، وأنت تُحرِّك رأسَكَ ويدَكَ، فتبسَّمتُ من ذلك قال: أنتَ في حِلٍّ، رحمك اللهُ يا أبا عبد الله. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٦.

* وقال **حمدون بن أحمد القصار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): لا تُفش على أحدٍ ما تحبّ أن يكون مستورًا منك. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

* وجاء رجل إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) فقال: يا أبا يحي ذُكر لي أنك ذكرتني بسوء، قال: أنت إذن أكرم علي من نفسي.[1] ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧.

* وأغلظ رجل **للمهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢)، فسكت، فقيل له: أربا عليك، قال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أبهته بما ليس فيه. المنتظم ٦/٢٤٣.

* وكتب **أشهب بن عبدالعزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) إلى رجل كان يقع فيه: إنه لم يمنعني أن أكتب إليك أن تتزايد مما أنت فيه إلا كراهية أن أعينك على معصية الله،

---

(١) لأنه إذا اغتابه سُيعطيه الحسنات التي جمعها لنفسه، وأتعب زمانه في تحصيلِها، فهل يفعل هذا عاقل؟

واعلم أني أرتع في حسناتك كما ترعى الشاة الخَضِر.[(١)] ترتيب المدارك (١/ ٤٨٢).

* وقال **أبو سنان الأسدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٤): إذا كان طالبُ العلم قبل أنْ يتعلَّمَ مسألةً في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متى يُفْلح؟.

وكان لا يتكلم أحدٌ في مجلسه بغيبةٍ في أحد، فإذا تكلم بذلك نهاه وأسكته. ترتيب المدارك (٢/ ١٢٣).

* وكان بين **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين رجل خصومة، فأسمعه الرجل ما يكرهه، فلقيه رجاء بن حيوة فقال: بلغني أنه كان منه إليك، قال له: لولا أن تكون غيبة مني لأخبرتك بالذي قال لي. تاريخ دمشق ٢٦/ ٢١٧.

* وقال أبو الحسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما خرجنا عن **أبي إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) هربت من يد صبي دابة كان يمسكها لنا، فقلت: أَعْطَوْها لصبيٍّ لا يقوم بها فضاعت، فقال لي أبو إسحاق: قد اغتبته، فقلت له: وصفته بحاله وقلَّة مقدرته، وفي السنّة ما يبيح ذلك، فقال: وأين هو؟ قلت: قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للتي شاورته في النكاح: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فقال لي: ليس في هذا حجة؛ لأن المستشار مؤتمن، وأيضًا: فإنما مشاورته لتُنْكح، فرأيُه يُدْخلها في النكاح أو يصرفها عنه، وليست مسألتنا كذلك.

ثم قال لي: أرأيت هذا الصبي، لو سمعك أليس كانت توجعُه نفسُه؟ وأيهما كان أحب إليك: تجد ذلك في صحيفتك أو لا تجده؟.

فقلت له: صدقت.[(٢)] ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وكان رجلٌ فيه حِدَّة، وكان له على الشّيخ **أبي محمد مكّيّ بن أبي طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٣٧) تسلُّط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه ويُحْصِي عليه سَقَطاته،

(١) يا لها من موعظة بليغة، ورسالة مؤثرة لكل من لوّث لسانه بالغيبة وأعراض الناس.

(٢) نبّه الشيخ على غيبةٍ لا يكاد يسلم منها أحد.

وكان الشّيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقَّف، فجاء ذلك الرّجل في بعض الْجُمَع وجعل يُحِدّ النَّظر إلى الشّيخ ويغمزه، فلمّا خرج ونزل معنا في موضعه، قال: أمِّنوا على دعائي، ثمّ رفع يديه وقال: اللهمَّ اكْفِنِيه، اللهمَّ اكْفِنِيه، اللَّهُمَّ اكفنيه، فأمَّنّا، قال: فأُقْعِد ذلك الرّجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم.[1] [تاريخ الإسلام (٩/ ٥٧٠)].

* وقال الشيخ **عبدالله بن أحمد بن مشرّف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥٣).

ألا إنّ مَن أهدى إليك إساءةً … حقيقٌ بأنْ يُجزَى بحسنى ويُكرَما

أليس الذي أهدى إليك متاعه … تُجازيه بالإحسان منه وأعظما

فكيف بمن أعطاك مِن حَسَناته … فقد كان أولى بالجزاء وألزما

علماء نجد (٤/ ٢٧).

ت- حفظ اللسان من النميمة[2]:

* عن **أبي الدرداء**، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: أيما رجل أشاع على رجل كلمة

---

(١) ما أكثر هذا الصنف من الناس، الذين كانوا ومازالوا من أعظم أسباب تثبيط الهمم، وفتورِ العزائم.
وانظر إلى أثر هذا الرجل على الشيخ أبي محمد مكي المقرئ شيخ الأندلس، حيث كان كثيرا ما يتلعثم ويتوقَّف بسبب كثرة انتقاده وتتبُّع سَقَطاته.

(٢) معنى النميمة: هي نقل الكلام بقصد الإفساد.
وحقيقة النميمة: إفشاء السر، وهتك الستر عما يُكره كشفه.
ومن حُملتْ إليك النميمة، **فيجب عليه تجاه النمام الناقل للكلام عدَّة أمور:**
أولًا: ألا يُصدقه، لأن النمام فاسق، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦].
ثانيًا: أن يزجرَهُ عن ذلك وينصحه، ويُقَبِّحَ لَهُ فِعْله ويُشنِّع عليه عمله السيء.
ثالثًا: أن يُبغضه في الله تعالى إنْ لَمْ يَنْزَجِر.
رابعًا: ألا يظن بأخيه السوء، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].
خامسًا: ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام، ولا يحكِ نميمته فيقول: قد حُكي لي كذا وكذا، فيكون به نمامًا ومغتابًا.

وهو منها بريء لِيَشِينه بها في الدنيا: كان حقا على الله أن يُذيبه بها يوم القيامة في النار. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٧١.

* وعن **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: الناقل الكلمة الزور، والذي يَمُد بحبلها: في الإثم سواء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٩٩.

* وعن **كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: اتقوا النميمة؛ فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٥.

* وعاتب مُصْعَب بن الزبير **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) على شيءٍ بلغه عنه، فاعتذرَ إليه الأحنفُ مِن ذلك ودَفَعه: فقال مُصعَبٌ: أَخبرني بذلك الثِّقَةُ: فقال الأحنفُ: كلاَّ أيها الأميرُ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ. عيون الأخبار ٤١٧ / ٢.

* وقيل **لعطاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠): الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أُخبره؟ قال: لا، المجالس بالأمانة. الزهد لهناد (١٢٢٢).

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩): يفسد النمام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر. تهذيب الحِلْية ٤٥٦/ ١.

* وعن عَطَاء بن السائب قال: قَدِمت مِنْ مكة فلقيني **الشعبيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) فقال: يا أبا زيد أَطْرِفْنَا مما سمعتَ؛ قلتُ: سمعتُ **عبدَ الرحمن بن عبد الله بن سَابِط** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) يقول: لا يسْكنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ، ولا آكلُ رِبًا، ولا مَشَّاءٌ بنميم، فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمة بسَفْكِ الدماء وأَكْلِ الرِّبا، فقال الشعبيّ: وما يُعجِبُك من هذا! وهل تُسفَكُ الدِماءُ وتُركبُ العظَائمُ إلا بالنميمة! عيون الأخبار ٤١٧ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

ومَـنْ يُطِـعِ الواشِـينَ لا يترُكُـوا لـه ... صَديقًـا وإن كانَ الحبيـبَ المقرَّبَـا

عيون الأخبار ٤١٧/ ٢.

* وقال **ذو الرياستين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٢): قبولُ السَّعايةِ شرٌّ من السّعايةِ، لأن السعايةَ دَلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شيءٍ كمن قَبلَ وأجازَ، فامْقُتِ الساعِيَ على سِعَايتِهِ وإن كان صادقًا لِلُؤْمِه في هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحرمةِ مُبَارزةً لله بقول البهتان والزور، وعاقبْهُ إن كان كاذبًا لجمعه بين هتْك العورة وإضاعة الحرمة. عيون الأخبار ٤٢١ / ٢.

* ووَشَى وَاشٍ برجلٍ على **الإسكندر**: فقال له: أَتُحِبُّ أن أقبلَ منك ما قُلتَ فيه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك؟ قال: لا قال: فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفُّ عنك الشَّرُّ. عيون الأخبار ٤٢٢ / ٢.

* وقال **بعضهم**:

إذا الواشي نَعَى يومًا صديقًا ... فلا تدع الصديق لقول واشي

* وساوم رجل بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة، قال: نعم أنت بريء منها، قال: فاشتراه فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى عليك، فإن أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج عليك ولا يتسرى فخذي الموسى فاحلقي الشعر من حلقه إذا نام، وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت، قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بالموسى لتحلق شعرة من حلقه، فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٣.

* وقال **الشاعر**:

لي حيلةٌ فيمن يَنِمّ ... وليس في الكذاب حيله

من كان يخلُق ما يقو ... ل فحيلتي فيه طويله

طبقات الشافعيين (١/ ٢١٦).

ث- ذم ذي اللسانين والحذر منه:

* عن مالك بن **أسماء بن خارجة** قال: كنت مع **أبي أسماء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢)، إذ جاء رجل إلى أمير من الأمراء، فأثنى عليه وأطراه، ثم جاء إلى أبي أسماء فجلس إليه في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، يقول: إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٨.

* وقَالَ أُنَاسٌ **لِابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلاَفَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا». صحيح البخاري (٧١٧٨).

ج- حفظ اللسان من الكذب[1]:

* عن **أبي بكر الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) قال: إياكم والكذب؛ فإنّ الكذب مجانبُ الإيمان. الزهد لابن المبارك (٦٨٧).

* وقال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أحبكم إلينا ما لم نركم: أحسنكم اسما، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا: أحسنكم خلقا، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا: أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تجد المؤمن كذابا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ اللسان الكذوب بمنزلة العضو الذي قد تعطَّل نفعه، بل هو شرٌّ منه، فشرُّ ما في المرء لسانٌ كذوب؛ ولهذا يجعل الله سبحانه شعارَ الكاذب عليه يوم القيامة وشعارَ الكاذب على رسوله سوادَ وجوههم.
والكذبُ له تأثيرٌ عظيمٌ في سواد الوجه، ويكسوه بُرْقُعًا من المقت يراه كلُّ صادق، فسِيْما الكاذب في وجهه ينادى عليه لمن له عينان، والصادق يرزقه الله مهابة وجلالة، فمن رآه هابه وأحبَّه، والكاذب يرزقه إهانةً ومقتًا، فمن رآه مقتَه واحتقره. إعلام الموقعين: ١/ ١٢٢.

يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وكَانَ **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يَقُولُ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيًّا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ. مسند الإمام أحمد (٣٨٩٦)، الأدب المفرد (٣٨٧) وصححه الألباني.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه، ثم يرجع وما معه منه شيء، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا ويقول له: إنك لذيت وذيت[1]، فيرجع وقد أسخط اللهَ عليه. الزهد لابن المبارك (٣٦٦).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضع إبرة يستقر فيها، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبِرِّ في قلبه موضع إبرة يستقر فيها. الزهد لهناد (١٣٦٦).

* وقال **ابن مسعود** و**سعد بن أبي وقاص** (ت: ٦٠) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كل الخلال يُطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة، فلا تجد المؤمن خائنًا ولا كاذبًا. الزهد لابن المبارك (٧٧٧)، الزهد لهناد (١٣٧٠).

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: ما كان من خُلق أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب، فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٧.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): من قال لابنه هاه يريه أنه يعطيه شيئا فلم يعطه كتبت كذب. الزهد لابن المبارك (٣٥٩).

* وقال **سمرة بن جندب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٨): لأن أقول: لا، أحب إليَّ من أن أقول: نعم، ثم لا أفعل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٩٢.

---

(١) أي: يمدحه بما ليس فيه، أو يبالغ في مدحه فيغتر ويُعجَب بنفسه.

* وكان يقال: إن **ربعي بن حراش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) لم يكذب كذبا قط، فأقبل ابناه من خراسان قد تأجَّلا، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن ربعي بن حراش لم يكذب قط، وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: علي به، فما جاء قال: أيها الشيخ! قال: ما تشاء؟ قال: ما فعل ابناك؟ قال: المستعان الله خلَّفتهما في البيت، قال: لا جرم والله لا أسوؤك فيهما، هما لك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: يُعدّ من النفاق: اختلاف والعمل، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق: الكذب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكذب جماع النفاق. الزهد لأحمد: ٤٧١.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): كل خَلَّةٍ يُرجى تركها يوما ما إلا صاحب الكذب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠١.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): لأن أدع لله كذبة أحب إلي من أن أحج حجة. تهذيب الحِلْية ٦٥/ ٣.

* وكان **سمنون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨) يتكلم في المحبة، ثم سمى نفسه الكذاب لموضع دعواه في قوله:

ليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنّي

فامتحن بحصر البول، فصار يدور في المكاتب، ويقول للصبيان، ادعوا لعمكم المبتلى بلسانه. المنتظم ١٢١/ ١٣.

* وكان يقال: لكل شيء حِلية، وحلية المنطق الصدق. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٩).

* وقال **بعض البلغاء**: الصادق مصان جليل، والكاذب مُهانٌ ذليل.

وقال **بعض الأدباء**: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

* وقال **بعض الشعراء**:

وما شيءٌ إذا فكرت فيه ... بأذْهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعدَ بالبَهاء من الرجال

وقال **الشاعر**:

إذا عُرف الكذاب بالكِذب لم يكدْ ... يُصدَّق في شيء وإن كان صادقا

أدب الدين (٤١٨، ٤٢٤).

* وقال **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١)، إن الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه، فأما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بليَّة، أو يجر إلى نفسه بها معروفا، فليس عندي بكذاب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

* وقال **إبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): ما كانوا يرخصون في الكذب في جِدٍّ ولا هزل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠٣.

* وكانت ترمص عينا **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، حتى بلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص؟ فيقول: فأين قولي للطبيب وهو يقول لي: لا تمس عينك، فأقول لا أفعل!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يُخرج أحدُهما صاحبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٣.

* وقال **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إن الكذب يَسقي باب كل شر، كما يسقي الماء أصول الشجر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢١٤.

* وقال **ابن السماك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣): أول عقوبة الكذب من كذبه: أنه يُرد عليه صدْقُه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠.

* وقيل **لبعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرأيت من يكذب الكذبة هل يسمى فاسقا؟ قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠.

* وعن أبي عاصم قال: سألت **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) فقلت: حدثني بهذا الحديث إنْ خَفَّ عليك.

قال: لا تقل إنْ خَفَّ عليك، فقلت: لمه؟ قال: أكره أن أحدثك ولا يخفّ علي فيكون خلافًا لما سألتَ. تهذيب الحِلْية ٤٤٤/ ١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): رأس الذنوب الكذب: هو يؤسسها، وهو يتفقدها، ويثبتها.

ويتلوَّن ثلاثة ألوان: بالأمنية، والجحود، والجدل.

يبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من الشهوات، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى.

فإذا ظهر عليه قابَله بالجحود والمكابرة.

فإن أعياه ذلك ختم بالجدل، فخاصم عن الباطل، ووضع له الحجج، والتمس به التثبت، وكابر به الحق حتى يكون مسارعًا للضلالة، ومكابرًا بالفواحش. الأدب الصغير (٣٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الكذاب لا يكون أخًا صادقًا؛ لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما هو من فُضُول كذب قلبه، وإنما سمّي الصديق من الصدق، وقد يُتّهم صدق القلب وإن صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان؟ الأدب الكبير (١٠٠).

* وقال **بعض حكماء العرب**: إني امتحنت خصال الناس فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عَدِم فضيلة الصدق من منطقه فقد فُجع بأكرم أخلاقه. المجالسة وجواهر العلم (٤٥٦).

* وسُئِل **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الرجل يُعرف بكذبةٍ واحدة، هل يكون فِي موضع العدالة؟ قَالَ: لا، الكذب أشد من ذلك، فقيل له: فإذا تاب عنه بعد ذلك وطال عليه الأمد؟ قَالَ: إن كان قد تاب وظهَرت منه التوبة، وعُرف منه الرجوع، الكذب شديد. طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أكذب الناس: السُّؤَّال والقُصَّاص.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣).

هـ- حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة:

* لعن رجلٌ شيئا فخرج **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) من البيت، فقال: إذا لُعن شيء دارت اللعنة، فإن وجدت مساغا قيل لها: اسلكيه، فإن لم تجد مساغا قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فخفت أن ترجع وأنا في البيت. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٢٨.

* وعن **كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: من لعن شيئا من غير ذنب لم تزل اللعنة تَردَّد بين السماء والأرض حتى تلزم تَرقُوة صاحبها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٠.

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) مضطجعا بين أصحابه، وقد غطى وجهه، فمر عليه قِسٌّ سمين، فقالوا: اللهم العنه، ما أغلظ رقبته! فقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من ذا الذي لعنتم آنفا؟ فأخبروه، فقال: لا تلعنوا أحدا، فإنه ما ينبغي للعان أن يكون عند الله صدِّيقا يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٠.

* وقيل إنَّ رجلًا خاصم **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) قال: لئِن قلتَ واحدة، لتسمعَنَّ عشرًا، فقال: لكنَّك إن قلت عشرًا لم تسمَع واحدة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٢.

---

(١) السُّؤَّال: الذين يسألون الناس المال، والقُصَّاص: الذين يقصّون على الناس الحكايات والأخبار.

* وقال بعضهم:

والقولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ

* وقال بعضهم:

وجَرْحُ اللّسانِ كَجَرْحِ اليدِ

عيون الأخبار ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

وقال الآخر:

وَقَدْ يُرْجَى لجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ ... وَلاَ يُرْجَى لِمَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر:

جِراحاتُ السّيوف لها الْتِئامٌ ... ولا يَلْتام ما جَرَح اللّسان

وقال الآخر:

وجَرْحُ السَّيْفِ يَدْمَى ثُمَّ يَبْرا ... وجَرْحُ الدَّهْرِ ما جَرَحَ اللِّسانُ

* وقال **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): سلاح اللئام قبيح الكلام. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

* وقال عاصم بن أبي النّجود: ما سمعتُ **أبا وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) سبَّ إنسانًا قطُّ، ولا بهيمة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٦٩.

* وكان رجل عند **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعل يسبّ الحجاج ويذكر مساوئه فقال: لا تسبّه، وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له. الزهد لهناد (٩٣١).

* وعن **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) قال: من استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مُروءتُه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٩.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): قلَّ ما ذَكَرَ الشيطانَ قومٌ إلا حضرهم،

فإذا سمع أحدا يلعنه قال: لقد لعنت مُلعَّنا، ولا شيء أقطع لظهره من: لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣١.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا كلب، يا حمار، يا خنزير، قال الله تعالى يوم القيامة: أتراني خلقته كلبا أو حمارا أو خنزيرا؟ الزهد لهناد (١١٩٦).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا كنت في جماعة قوم فلا تَعُمّن جيلًا[١] من الناس، أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك ولا تعلم.

ولا تذمنّ مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء، بأن تقول: إن هذا لقبيح من الأسماء، فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك في بعض أسماء الأهلين والحَرم، ولا تستصغرنّ من هذا شيئًا، فكلُّ ذلك يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. الأدب الكبير (١٢٤).

ع- حفظ اللسان من السخرية:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أُحوّل كلبًا. صفة الصفوة ١/ ١٩١.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): إني لأرى الشيء مما يُعاب، ما يمنعني أن أتكلّم به إلا مخافة أن أُبتلى به. الزهد لوكيع (٣١٣)، الزهد لهناد (١١٩١).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله جل وعز منه: لم يمت حتى يبتليه الله به. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤١٥.

* ومن الأمثال: البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق. مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٦.

---

(١) الجيل: الصنف من الناس، وأهل الزمان الواحد.

* وصدق القائل:

احفظ لسانك لا تقول فتُبْتلى ... إن البلاء موكّل بالمنطق

* وقال الشاعر:

أعيرتني بالنقص والنقص شامل ... ومن ذا الذي يُعطى الكمال فيكمل

وأشهد أني ناقصٌ غير أنني ... إذا قِيس بي قوم كثير تقلّلوا

تفاضَلَ هذا الخلقُ بالفضل والحِجا ... ففي أيِّما هذين أنت مُفَضَّل

ولو منح الله الكمال ابن آدم ... لخلده والله ما شاء يفعل

أدب الدين (٢١٢).

و- حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورعُ في الفتيا والنقلِ عن النبي ﷺ(١):

* عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان **أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر: هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة؟ فإن علِمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئا، فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا: نعم، قضى فيه بكذا وكذا، فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ.

وكان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم. السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٦٧).

(١) قال الحافظ المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو سكت من لا يدري لاستراح وأراح، وقل الخطأ وكثر الصواب. ا.ه تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٣٦٢).

* وعن **عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَة نَزَلَتْ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قَالُوا: الله أَعْلَمُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ».[١] صحيح البخاري (٤٥٣٨).

* وسئل **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: نِعْم ما قال ابن عمر، سُئل عما لا يعلم فقال: لا علم لي به. مسند الدارمي (١٨٥).

* وعن نافع أن رجلًا سأل **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مسألة فطأطأ رأسه، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اترْكُنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به. صفة الصفوة ١/ ٢٦٨.

* وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شيء فقال: لا أدري، ثم قال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم، أن تقولوا: أفتانا بهذا ابن عمر؟. الزهد لابن المبارك (٤٤).

* وعن عبيد بن جريج قال: كنت أجلس بمكة إلى **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فما يقول فيما يُسأل: «لا علم لي»، أكثر مما يُفتي به. مسند الدارمي (١٥٧).

* وعن جابر بن زيد أن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفْت إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت. مسند الدارمي (١٦٦).

---

(١) وذلك لأنَّ الْمسؤول عندما يُجيب بلا أعلم، يُجيب بجوابٍ واضحٍ قاطع، وهو دليلٌ على صدقه وتواضعه، وأما الإجابةُ بـ (الله أعلم) فليست إجابة قاطعة؛ لأن الله يعلم جميع الأشياء، ومن يُجيب بذلك قد يكون لشعوره بالحرج بأنه لا يعلم، وقد تكون المسألة التي سُئل عنها يسيرةً سهلة، فمن التواضع والتجرُّدِ أنْ يُجيب المسلم بـ (لا أعلم) حين لا يعلم.

* وقال **عَبْدُ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص:٨٦]. صحيح البخاري (٤٧٧٤)، صحيح مسلم (٢٧٩٨).

* وسئل عن شيء فقال: إني لأكره أن أحل لك شيئا حرمه الله عليك، أو أحرم ما أحله الله لك. مسند الدارمي (١٤٨).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الذي يُفتي الناس في كل ما يُستفتى لمجنون. مسند الدارمي (١٧٦).

* وصح عن **ابن مسعود وابن عباس** (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

* وعن عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت لا تفوتني عشية خميس إلا وآتي فيها **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما سمعته يقول لشيء قط: قال رسول الله، حتى كانت ذات عشية فقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فاغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه، فأنا رأيته محلولةً أزرارُه، وقال: أو مثله، أو نحوه، أو شبيهٌ به. مسند الدارمي (٢٧٨).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ارتعد، ثم قال: نحو ذلك. مسند الدارمي (٢٨٩).

* وكان **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قليل الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إذا حدث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أو كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مسند الدارمي (٢٨٤).

* وسُئل **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) عن حديث، فقيل له: إنه يُرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقصان كان على من دون النبي ﷺ. مسند الدارمي (٢٧٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أدري» نِصفُ العلم. مسند الدارمي (١٨٦).[١].

* وعن عمر بن أبي زائدة قال: ما رأيت أحدا أكثر أن يقول إذا سئل عن شيء «لا علم لي به» من **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ. مسند الدارمي (١٣٤).

* وقيل **للشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟ قال: كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه: أفْتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.[٢] مسند الدارمي (١٣٨).

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومائة من **أصحاب** النبي ﷺ، فما كان منهم محدّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا.[٣] الزهد لابن المبارك (٥١)، مسند الدارمي (١٣٧).

* وقال **محمد بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١٦٦)، وصححه ابن حجر. موافقة الخُبر الخَبر (١/ ٢٣).

* وقال **بعض الحكماء**: لا تقل فيما لا تعلم؛ فتُتَّهم فيما تعلم. المجالسة وجواهر العلم (٣٠١).

---

(١) وذكر هذا الأثر ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونسبه لأبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصحّحه. الانتقاء في فضائل الثلاثة (٣٨).

ولم أجده مرويًّا عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فأين هذا ممن يُبادر إلى الإفتاء، ويجد في نفسه غضاضة إذا استُفتي غيره وهو حاضر، ويأنف أن يُحيل السائل إلى من هو أعلم منه.

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى. أعلام الموقعين ١/ ٣٨.

* وكان **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا سُئِل عن الحَلالِ والحَرام، تغيَّر لونُه حتى تقول: كأنَّه ليس بالذي كان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٩.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يفتي في الفرج بشيء فيه اختلاف. مسند الدارمي (١٥٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يموت الرجل جاهلا خير له من أن يقول ما لا يعلم. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): لأن يعيش الرجل جاهلا بعد أن يعلم حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم.

إنا والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم. مسند الدارمي (١١٢-١١٣).

* وقيل **للقاسم بن عبيد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه قبيح على مثلك عظيم أن تُسأل عن شيء من أمر هذا الدين، فلا يوجد عندك منه علم ولا مخرج.

فقال: أعظم من ذلك -والله- عند الله وعند من عقل عن الله: أن أقول بغير علم، أو أُخبر عن غير ثقة. مقدمة صحيح مسلم.

* وعن **ابن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده، فليطلب لنفسه المخرج. مسند الدارمي (١٣٩).

* وقال بعضهم:

رأيتُ اللسانَ على أهله ... إذا ساسه الجهلُ لَيْثًا مُغِيرَا

عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقال **عبد الله بن يزيد بن هُرْمُز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: «لا أدري»، حتى يكونَ ذلك أصلًا يَفْزَعُونَ إليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٩.

* وعن مروان بن محمد قال: سمعت **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨)،

وسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له: يا أبا محمد إنها قد كانت، فقال له سفيان، فإذا قد كان: قد كانت، وأنا لا أدري فايش يعمل. تهذيب الحِلْية ٢/٤٤٠.

* وقال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠): ليتّق أحدكم أن يقول أحلّ الله كذا وحرّم كذا، فيقول الله: كذبت لم أحل كذا ولم أحرّم كذا. جامع العلوم والحكم / ٣٧٥.

* وسُئل **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): أيَسَعُ العالِمَ أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمَّا ما فيه كتابٌ أو سنةٌ ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي، فإِنَّه يَسَعُهُ ذلك، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطِئ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٨٢.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): لأن أفتي يومًا بعَدلٍ وحقٍّ، أحبُّ إليَّ مِن أن أغزُوَ سنة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٥.

* وعن حَنظلة بن أبي سفيان قال: ما رأيتُ عالمًا قطُّ يقول: لا أدري أكثرَ مِن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦). تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٧٨.

* وقال **الأشعث**: كان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا سئل عن شيءٍ من الفقه، الحلال والحرام، تغيّر لونه، وتبدّل حتى كأنه ليس بالذي كان.[1] صفة

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي الْمُوَفَّقِ إذَا نَزَلَتْ بِهِ الْمَسْأَلَةُ أَنْ يَنْبَعِثَ مِنْ قَلْبِهِ الِافْتِقَارُ الْحَقِيقِيُّ الْحَالِيُّ لَا الْعِلْمِيُّ الْمُجَرَّدُ إلَى مُلْهِم الصَّوَابِ، وَمُعَلِّم الْخَيْرِ، وَهَادِي الْقُلُوبِ، أَنْ يُلْهِمَهُ الصَّوَابَ، وَيَفْتَحَ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ، وَيَدُلَّهُ عَلَى حُكْمِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَتَى قَرَعَ هَذَا الْبَابَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التَّوْفِيقِ، وَمَا أَجْدَرَ مَنْ أَمَّلَ فَضْلَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَحْرِمَهُ إيَّاهُ، فَإِذَا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ هَذِهِ الْهِمَّةَ فَهِيَ طَلَائِعُ بُشْرَى التَّوْفِيقِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَجِّهَ وَجْهَهُ وَيُحَدِّقَ نَظَرَهُ إلَى مَنْبَعِ الْهُدَى وَمَعْدِنِ الصَّوَابِ وَمَطْلَعِ الرُّشْدِ، وَهُوَ النُّصُوصُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الصَّحَابَةِ، فَيَسْتَفْرِغُ وُسْعَهُ فِي تَعَرُّفِ حُكْمِ تِلْكَ النَّازِلَةِ مِنْهَا، فَإِنْ ظَفِرَ بِذَلِكَ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَادَرَ إلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورُ اللهِ يَقْذِفُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، وَالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةُ رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ أَوْ تَكَادُ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُضْعِفَهُ.

وَشَهِدْت شَيْخَ الْإِسْلَامِ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ إذَا أَعْيَتْهُ الْمَسَائِلُ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ فَرَّ مِنْهَا إلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاللهِ وَاللَّجَأِ إلَيْهِ، وَاسْتِنْزَالِ الصَّوَابِ مِنْ عِنْدِهِ، وَالِاسْتِفْتَاحِ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، فَقَلَّمَا يَلْبَثُ الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ أَنْ يَتَتَابَعَ عَلَيْهِ مَدًّا، وَتَزْدَلِفُ الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إلَيْهِ بِأَيَّتِهِنَّ=

الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن زبيد اليامي قال: ما سألت **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) عن شيء إلا عرفت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون وعسى. مسند الدارمي (١٣٣).

* وقال الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما سمعت **إبراهيم النخعي** يقول قطّ: حلال ولا حرام، إنما كان يقول: كانوا يتكرهون، وكانوا يستحبون. مسند الدارمي (١٩٠).

* وقال **بعضهم**:

إذا ما علِمْتَ الشَّيءَ جَزْمًا فقلْ بهِ ... ولا تَقلِ الشَّيءَ الذي أنْتَ جاهلُهْ

فمنْ كانَ يَهْوى أنْ يُرى مُتَصَدِّرًا ... ويَكْرهُ (لا أدْري) أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ

* وعن ابن مهدي قال: سأل رجل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) عن مسألة، فقال: لا أحسِنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعتَ إلى مكانك وموضعك فأخبرْهم أني قلتُ لك: لا أحسِنها. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وعن ابن وهب قال: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أدري، فعلت. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٥٦.

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت رجلًا جاء إلى **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسأله عن شيء أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج قال: فأطرق طويلًا ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٥٦.

= يَبْدَأُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ وُفِّقَ هَذَا الِافْتِقَارَ عِلْمًا وَحَالًا، وَسَارَ قَلْبُهُ فِي مَيَادِينِهِ بِحَقِيقَةٍ وَقَصْدٍ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظُّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَمَنْ حُرِمَهُ فَقَدْ مُنِعَ الطَّرِيقَ وَالرَّفِيقَ، فَمَتَى أُعِينَ مَعَ هَذَا الِافْتِقَارِ بِبَذْلِ الْجَهْدِ فِي دَرْكِ الْحَقِّ فَقَدْ سَلَكَ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. أعلام الموقعين ٢/ ٤٩٧.

* وقال ابن وهب: سمعت **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أدركت علماءنا يقول أحدهم إذا سئل: أكره هذا، ولا أحبه، ولا يقول حلال ولا حرام. جامع العلوم والحكم / ٣٧٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون نكره كذا، ونرى هذا حسنا، فينبغي هذا، ولا نرى هذا، ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ ﴾ [يونس:٥٩] الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. أعلام الموقعين ١ / ٤٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق» قال: وكان يقال: «التأني من الله والعجلة من الشيطان. أعلام الموقعين ١ / ٥١٦.

* وقَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: «قَالَ لَنَا المغيرة: تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا ما نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُ مَالِكًا.

فَمَكَثْنَا نَجْمَعُ ذَلِكَ، وَكَتَبْنَاهُ فِي قُنْدَاقٍ[1] وَوَجَّهَ بِهِ الْمُغِيرَةُ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ الْجَوَابَ، فَأَجَابَهُ فِي بَعْضِهِ وَكَتَبَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ: لَا أَدْرِي.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا قَوْمِ! لَا وَاللهِ مَا رَفَعَ اللهُ هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا فَيَرْضَى أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي؟ ».

وَالرِّوَايَاتُ عَنْهُ فِي لَا أَدْرِي وَ«لَا أُحْسِنُ»: كَثِيرَةٌ؛ حَتَّى قِيلَ: لَوْ شَاءَ رَجُلٌ أَنْ يَمْلَأَ صَحِيفَتَهُ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ «لَا أَدْرِي» لَفَعَلَ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ.

---

(١) بضم القاف: صحيفة الحساب.

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً عن نيِّفٍ وعشرين مسألةً فما أجابَ منها إلا في واحدة!.

* وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ لِلسَّائِلِ: «انْصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ فِيهَا»، فَيَنْصَرِفُ وَيُرَدِّدُ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَبَكَى وَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْمَسَائِلِ يَوْمٌ، وَأَيُّ يَوْمٍ؟»!.

* وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْقَطْعُ فِي حُكْمِ اللهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِبَلَدِنَا وَإِنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَأَنَّ الْمَوْتَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ.

وَرَأَيْتُ أَهْلَ زَمَانِنَا هَذَا يَشْتَهُونَ الْكَلَامَ فِيهِ وَالْفُتْيَا، وَلَوْ وَقَفُوا عَلَى مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ غَدًا لَقَلَّلُوا مِنْ هَذَا، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَلِيًّا وَعَامَّةَ خِيَارِ الصَّحَابَةِ كَانَتْ تَرِدُ عَلَيْهِمُ الْمَسَائِلُ وَهُمْ خَيْرُ الْقَرْنِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَسْأَلُونَ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يُفْتُونَ فِيهَا، وَأَهْلُ زَمَانِنَا هَذَا قَدْ صَارَ فَخْرُهُمُ الْفُتْيَا؛ فَبِقَدْرِ ذَلِكَ يُفْتَحُ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ». الموافقات للشاطبي ٥/ ٣٢٨، ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ١٨٣.

* وقال الإمام **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) في إحدى المسائل الفقهية: «هَذَا مِمَّا أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ»!.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ راوي كتاب الأم عن الشافعي: وَقَد اسْتَخَارَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ.[1] الأم للشافعي: ٥/ ٢٤١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس لأحد أبدًا أن يقول في شيء حلَّ ولا حرُم إلا من جهة العلم. وجهةُ العلم الخبرُ: في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس.[2] ا.هـ

---

(١) وقد توقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الأم في إحدى عشرة مسألة ويقول فيها: أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيها!

(٢) تأمل كيف يتورّع هؤلاء الأئمة عن القول على الله بلا علم، وعن تحريم ما ليس فيه نصّ صريح.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا=

الرسالة للشافعي: ٧٦.

* وقال **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): أما الحديث فقد استرحنا منه، وأما المسائل فقد عزمتُ إن سألني أحد عَنْ شيء أن لا أجيبه. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٩).

* وقال أبو طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الخُفّاش يكون فِي المسجد يبول فيصيب الرجل، فقال: أرجو أن لا يضره.

قلتُ: إن كان كثيرًا نجسٌ؟.

قَالَ: **ما أدري**.

قلت: أليس البول قليله وكثيره يُغسل؟ قَالَ: ذاك بول الإنسان.

قلت: هذا لا يؤكل لحمه يُغسل؟.

= حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل:١١٦]: فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِالْوَعِيدِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَقَوْلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ: هَذَا حَرَامٌ، وَلِمَا لَمْ يَحِلَّهُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ إِلَّا بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ. ا.هـ أعلام الموقعين: ١/ ٤٢-٤٣.

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وأمّا الْمُتَقَدِّمون من السلف، فإنَّهم لم يكن من شأنهم فيما لا نص فيه صريحًا، أنْ يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ويتحامون هذه العبارة، خوفًا مما في الآية من قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾. ا.ه الاعتصام: ٣٣٣.

وتأمل كيف يتورع سلفنا الصالح عن الجزم بصواب آرائهم واجتهاداتهم المبنيّة على الظن.

والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كرر في كتابه الرسالة قول: «إن شاء الله»، «والله أعلم»: ستّا وثمانين مرة في المسائل والآراء التي يرجح فيها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستدرك والفتاوى توقف في ست عشرة مسألة.

والعلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرح الممتع توقف في: أكثر من خمس عشرة مسألة.

ثم تجد بعض طلاب العلم وغيرهم من المتجرئين في الفتوى: لا يتردد في أيّ مسألةٍ!

وربما جاء بالأغاليط والأقوال الغريبة والشاذة!

قَالَ: إن كان كثيرًا يُغسل.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٨٣).

* وسأله رجل فقال له: سَلْ مَن يَعلم، سَلْ من يعلم. طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٤).

* وقال الشيخ عطية سالم عن شيخه العلامة **محمد الأمين الشنقيطي** (ت: ١٣٩٣) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: ومما لُوحظ عليه في سنواته الأخيرة تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر يقول: لا أتحمل في ذمتي شيئًا، العلماء يقولون: كذا وكذا.

وسألته مرة عن ذلك، فقال: إن الإنسان في عافية ما لم يبتل والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله ولا تدري أتصيب حكم الله أم لا، فما لم يكن عليه نص قاطع من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وجب التحفظ فيه.

ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علما فقل به ... ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يرى متصدرا ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

ا.هـ

أضواء البيان (٩/ ٥٠٤).

ي- حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني:

* دُخل على **أبي دجانة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١١) وهو مريض، ووجهه يتهلَّل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليما. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٧.

* وقال رجل **للأحنف** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢) وأراد عيبَه: بم سدَّت قومك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك. عيون الأخبار ٢٥٨ / ١.

---

(١) تورّع الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ عن الجزم بأن بول ما لا يُؤكل لحمه نجس، بل اكتفى بالأمر بغسله، وكان رَحِمَهُٱللَّهُ لا يكاد يقول عن شيء بأنه حرام أو واجب أو نجس ونحو ذلك إلا إذا ورد به النصّ.

* وقال **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد.

وكان لا يدع أحدًا يغتاب في مجلسه أحدًا، يقول: إن ذكرتم الله أعنّاكم، وإن ذكرتم الناس تركناكم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٠، المنتظم١٨١/ ٧.

* وروي أن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال **لرجل**: ما بقي من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٩.

* وقال **بعض الحكماء**: بترك ما لا يعنيك تدرك ما يعْنيك. أدب الدين (٩٤).

* وقال **بعض السلف**: من تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.[1] الزهد للبيهقي (٢٨٦).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تكلمتَ فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): لا يَصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشكَ أن يفتح الله في قلبه. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان من الله تعالى. تهذيب الحِلْية ١٠٢/ ٣.

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): كنا نسأل محمد بن عبد الباقي عن مولده، فقال: أقبلوا على شأنكم، فإني سألت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنه، فقال: أقبل على شانك، فإني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن تكلّف ما لا يعنيه من الحديث في الناس والقدح في الآخرين -لاسيما أهل الخير والعلم- ضيّع ما يعنيه من صلاح نفسه ومعرفة عيُوبها.

الهاشمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت البويطي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، ثم قال لي: ليس من المروءة أن يخبر الرجل عن سنه. المنتظم ١٣/ ١٨.

* وقال **بعض السلف**: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه. تهذيب الحِلْية ٣/٤٥٣.

ل- كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحيانًا، والعكس:

* وعن **عبيد الله بن أبي جعفر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا كان المرءُ يحدث في مجلس فأعجبه الحديث، فليمسك، وإذا كان ساكتًا، فأعجبه السكوتُ فليتحدَّث.[(١)] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٠.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلَّم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه. تهذيب الحِلْية ٣/٩٢.

* وسأل **ابنُ دقيق العيد** الشافعيُّ (ت: ٧٠٢) ابنَ المنيّر المالكيّ (ت: ٦٨٣) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ يوما عن الحجّة في كون عمل أهل المدينة حجّة؟ فقال: وهل يتّجه غير

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا حسن، فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، ومن كان كذلك كان جديرًا بتوفيق الله إياه وتسديده في نطقه وسكوته، لأن كلامه وسكوته يكون لله عَزَّوَجَلَّ.
وبكلّ حال فالتزام الصمت مطلقًا واعتقاده قربة إما مطلقًا أو في بعض العبادات، كالحج والاعتكاف والصيام منهيّ عنه. جامع العلوم والحكم / ١٧٨

هذا! وذكر كلاما طويلا، فلم يتكلم ابنُ دقيق العيد معه، فلمّا خرج سُئل عن ترك الكلام معه، فقال: رأيت رجلًا لا يُنْتَصَف منه[١] إلا بالإساءة إليه.[٢] طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٩١).

م - حفظ اللسان من التقعر بالكلام[٣]:

* **قال عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن شقاشق الكلام من شقاشق

---

(١) يُقال: انتصف منه: إذا استوفى حقه منه كاملًا، حتى صار كلٌّ على النّصف سواء. تاج العروس (٢٤/ ٤١٤)

(٢) يا لها من حكمة تزن جبال الذهب، فمن الحِكمة إذا جرى جدال بينك وبين أحد فيه حدّة وانتصار لقوله، وتهجَّمَ عليك تصريحا أو تلميحا؛ ألا تتمادى في الجِدال؛ لأنك لن تتغلب عليه إلا بالإساءة، بزجره على حدّته، أو على تسفيهه لك أو لحججك، أو على بذاءته وسوء خلقه في جداله.

(٣) قال الجاحظ: كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا، ولا ساقطًا سوقيًا؛ فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشيًا، إلا أن يكون المتكلم به بدويًا أعرابيًا؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.
وقال أيضا: أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه ظاهرًا في لفظه، وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا، واللفظ بليغًا، صحيح الطبع، بعيدًا من الاستكراه، منزهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلف: صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة: كساها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة. البيان والتبيين: ١/ ٥٩، ٦١ دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.
وقال ابن رشيق: الوحشي من الكلام: ما نفر عنه السمع، والمتكلف: ما بعد عن الطبع، والركيك: ما ضعفت بنيته، وقلت فائدته، واشتقاقه من الركة، وهي المطر الضعيف، وقيل: من الرك، وهو الماء القليل على وجه الأرض.
وإذا كانت اللفظة خشنة مستغربة: لا يعلمها إلا العالم المبرز، والأعرابي القح؛ فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت غير موقعها، وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها. (العمدة) مكتبة الناشر بالقاهرة، الطبعة الأولى ١/ ٤٢).
وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: البلاغة ليست على معانيَ مفردة، ولا ألفاظًا عارية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة مستودعةً في ألفاظ فصيحة.
فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة. أدب الدين والدنيا (٤٥١).

الشيطان. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣١٣.

* وقال الأصمعي: كنت إذا سمعت **أبا عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) يتكلم، ظننته لا يعرف شيئا، كان يتكلم كلاما سهلا. السِّيَر ١١/ ٤٩٧.

* وقال **إبراهيم بن المهدي** (ت: ٢٢٤) لعبد الله بن صاعد كاتبه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعًا في نيل البلاغة؛ فإن ذلك هو العي الأكبر، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السُّفَّل. العمدة لابن رُشيق ١/ ٢٠٢.

ز- مَن تجوز غيبته[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ليس لفاجر حرمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨٠.

* وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا ذكره هرَّته.[2] ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨٠.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الخائن، وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه، والفاسق المعلن فسقه. الزهد لأحمد: ٤٨٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بينك وبين الفاسق حرمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس لمبتدع غيبة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ظهر فجوره فلا غيبة له، نحو المخنث، ونحو الحرورية. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥٤.

---

(١) وقد جمع محمد بن عوجان المواضع التي تباح فيها الغيبة ببيتين، فقال:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقًا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر

انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/ ١

(٢) أي: طعن فِيهِ.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٠): ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم، والفاسق، وصاحب البدعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا لا يرونها غيبة ما لم يُسمَّ صاحبها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاث كانوا لا يُعدونَهنَّ من الغيبة: الإمام الجائر، والمبتدع، والفاسق المجاهر بفسقه. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥١.

* وكان **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) لا يرى غيبةً للمبتدع. مسند الدارمي (٤٠٨).

ط- حفظ اللسان من إخلاف الوعد:

* لما حضرت **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) الوفاةُ قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجلٌ من قريش، وقد كان مني إليه شبيهٌ بالوعد، فو الله لا ألقى الله بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٦٩.

* وكان أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقولون: إذا وعَد **ابن مسعود** (ت: ٣٢) فقال: إن شاء الله: لم يخلف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٢.

* وعن عبد ربه القصاب قال: واعدت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) أن أشتري له أضاحيَّ فنسيت وعده بشغلٍ، ثم ذكرت بعدُ فأتيته قريبا من نصف النهار، وإذا محمد ينتظرني، فسلمت عليه، فرفع رأسه، فقلت: شُغِلتُ! - وكان قد عنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة- فقال: لو لم تجيء حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لابد منها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٠.

* وكان **يقال**: إذا سُئلت فلا تَعِد، وقل: أسمع ما تقول، فإن يُقدَّر شيءٌ يكن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧١.

* وعن شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما واعدت **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) موعدا قط إلا قال لي حين يريد أن يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئتُ وجدتُه قد سبقني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٧٢.

* وقَالَ **الناظم**:

مَنْ قَالَ لا فِي حَاجَةٍ ... مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمْ

وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ ... قَالَ لا بَعْدَ نَعَمْ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢٤.

ن- حفظ اللسان من الفظاظة والحدّة:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٠): من لانت كلمته وجبت محبته. الكامل في اللغة / ٩٧.

* وقال **بعض السلف**: ما تكلم الناس بكلمة شديدة إلا وإلى جنبها كلمة هي ألين منها تجزئ مجزأتها. مكارم الأخلاق للخرائطي (١٤٩).

* وقال **أَبُو الْعَالِيَةِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قوله تعالى في الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ [البقرة:٨٣]: أي: قُولُوا لَهُمُ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، وَجَازُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُجَازَوْا بِهِ. [1] تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٣).

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): **مكتوب في الحكمة**: ليكن وجهك منبسطا، وكلمتك لينة: تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء.

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا كُلُّهُ حَضٌّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فينبغي للإنسان أن يكون قول لِلنَّاسِ لَيِّنًا، وَوَجْهُهُ مُنْبَسِطًا طَلْقًا، مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالسُّنِّيِّ وَالْمُبْتَدِعِ، مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي مَذْهَبَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه:٤٤]، فَالْقَائِلُ لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ، وَالْفَاجِرُ لَيْسَ بِأَخْبَثَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ أَمَرَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِاللِّينِ مَعَهُ. تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٣).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

لا خَيْـلَ عِنـدَكَ تُهْديهَـا وَلا مـالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ(١)

ديوان المتنبي (١٩٢).

* وقال **بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

ش- حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع:

* جاء رجل يوما إلى **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣)، فسأله عن شيء لا أدري ما هو، فقال له: ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت **عمر بن الخطاب** رضوان الله عليه (ت: ٢٣) يلعن من سأل عما لم يكن. مسند الدارمي (١٢٣).

* وقال **عمر** رضوان الله عليه على المنبر: أُحرّج بالله على رجل سأل عما لم يكن، فإن الله قد بيّن ما هو كائن. مسند الدارمي (١٢٦).

* وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت أمشي مع **أبيّ بن كعب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٠) فقال فتى: ما تقول يا عماه كذا وكذا؟ قال: يا ابن أخي، أكان هذا؟ قال: لا، قال: فأعفنا حتى يكون. مسند الدارمي (١٥٢).

* وقال الصلت بن راشد: سألت **طاووسا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) عن مسألة فقال لي: كان هذا؟، قلت: نعم، قال: آلله، قلت آلله.

ثم قال: إن أصحابنا أخبرونا عن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) أنه قال: يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فيُذهب بكم هاهنا وهاهنا، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سُدّد، وإذا قال وُفق. مسند الدارمي (١٥٥).

---

(١) يقول لنفسه: ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها للذي تحبّ، مكافأة على إحسانه، فأنت قادر على مدحه، فساعده بالقول الجميل، إن لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل..

* وسُئل **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) عن رجل أدركه رمضانان، فقال: أكان أو لم يكن؟ قال: لم يكن بعد، قال: اترك بليّته حتى تنزل. مسند الدارمي (١٥٦).

ك- فوائد أخرى:

* **عن أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(ت: ٣٢)** قال: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من لسانه، به يدخله الجنة، وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله عَزَّوَجَلَّ من لسانه، به يدخله النار. تهذيب الحِلْية ١٧٦/ ١.

* وعن **سلمان الفارسي (ت: ٣٣)** قال: أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١٦٣/ ١.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسانه منه لموضع قدميه. تهذيب الحِلْية ٥١٩/ ١.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): لا تسأل أحدًا في يوم واحد أكثر من حاجة واحدة. تهذيب الحِلْية ٤٠٥/ ٢.

* وعن **ابن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨) قال: انتهى **حكيم** إلى قوم يتحدثون، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال: تحدثوا بكلام قوم يعلمون أن الله يسمع كلامهم، والملائكة يكتبون. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ٢.

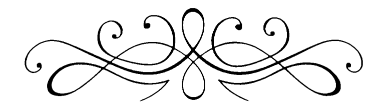
* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغترافُ لسانه. تهذيب الحِلْية ٢٦٥/ ٣.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧): الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب. تهذيب الحِلْية ٣٨٠/ ٣.

* وقال **بَعضُ الْحُكماءِ** لِبنيهِ: أصلحوا ألسنتكم، فإنّ الرجل تنوبه النائبة، فيستعير دابةَ أخيه وثوبَ أخيه، ولا يجد أحدًا يعيره لسانه. أخبار الشيوخ (٣٤٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أن لسانك أداة مُغلّبة، يتغالب عليه عقلك، وغضبك، وهواك، وجهلك، فكل غالب عليه مُسْتمتِع به، وصارفه في محبته، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيءٌ من أشْبَاه ما سميت لك فهو لعدوك.

فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، لا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل. الأدب الكبير (١٠١).





الأمانة، والمسؤولية[1]

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل: كيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها، وساد[2] القبيلَ منافقوها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٠.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو مات جمل ضائعًا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عَزَّ وَجَلَّ عنه.[3] المنتظم ٤/١٤١.

* وحينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسيّ نادى ابنه عبدالله فقال: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. صحيح البخاري (٣٧٠٠).

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو لم يكن من ذمّ الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة لكفاه زاجرا، ولو تصور عقبى أمانته وجدوى ثقته لعلم أنّ ذلك من أربح بضائع جاهه، وأقوى شفعاء تقدُّمه، مع ما يجده في نفسه من العز ويقابَل عليه من الإعظام. أدب الدين (٥٢٧).

(٢) في الأصل: وسار، ولا معنى لها، والمثبت من جمع الأحاديث للسيوطي.

(٣) قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ [النمل:٢٠] قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا يَدُلُّ مِنْ سَلِيمَانَ عَلَى تَفَقُّدِهِ أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمْ، فَانْظُرُوا إِلَى الْهُدْهُدِ وَإِلَى صِغَرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْهُ حَالُهُ، فَكَيْفَ بِعَظَائِمِ الْمُلْكِ؟ وَيَرْحَمُ اللهُ عُمَرَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى سِيرَتِهِ قَالَ: «لَوْ أَنَّ سَخْلَةً بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ أَخَذَهَا الذِّئْبُ لَيُسْأَلُ عَنْهَا عُمَرُ، فَمَا ظَنُّك بِوَالٍ تَذْهَبُ عَلَى يَدَيْهِ الْبُلْدَانُ، وَتَضِيعُ الرَّعِيَّةُ، وَتَضِيعُ الرُّعْيَانُ!. أحكام القرآن ٣/ ٣٦٦.

* وتقرقر بطن **عمر** وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرَّم على نفسه السمن، قال: فنقر بطنَه بأصبعه وقال: تقرقر ما تقرقر، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ١.

* ولَمَّا قدم عتبةُ بن فرقد أذربيجان، جيء بالخبيص[1] فذاقه فوجده حلوًا، فقال: لو صنعتم لأمير المؤمنين **عمر** من هذا، فجعل له سَفَطَين[2] عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين فبعث بهما إليه، فلما قدما على عمر قال: أيّ شيء هذا؟ قال: هذا خبيص، فذاقه فإذا هو حلو، فقال: أكُلّ المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قالوا: لا، قال: فردهما، ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا من كدّ أمك، أشْبِع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٩١٧)، وأصله في صحيح مسلم (٢٠٦٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا ننحر كل يوم جزورا، فأما ودَكها وأَطْيابها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين، وأما عنقها فلآل عمر يأكل هذا اللحم الغليظ، ويشرب هذا النبيذ الشديد، يَقْطَعه في بطوننا أنْ يؤذينا. الزهد لهناد (٦٩٥).

* وعن معاوية بن خُدَيْج قال: بعثني عمرو بن العاص إلى **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد إذ خرجت جارية من منزل عمر فرأتني ساحبًا علي ثياب السفر فانصرفت فقالت: أجب أمير المؤمنين فذكر الحديث، قال: يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت قال: كل فأكلت على حياء قال: كل، فإن المسافر يحب الطعام ثم قال: يا جارية هل من تمر؟ فأتتني بتمر في طبق، قال: كل، فأكلت على حياء ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: إن أمير

---

(١) الخَبيصُ: المَعْمُولُ مِنَ التَّمْرِ والسَّمْنِ.

(٢) السَّفَط: وِعَاءٌ مصنوع من أغصان الشجر أو القصب، تُوضع فيه الفاكهةُ ونحوُها.

المؤمنين قائل، قال: بئس ما قلت: أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!! الزهد لأحمد: ٢٣٤.

* وكان معيقيب على بيت مال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال معيقيب: فانصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقيب أوجدت علي في نفسك شيئًا؟ قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟.

قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم. ابن أبي الدنيا ١/ ١٣٦-١٣٧.

* وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «**حججت مع عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيته ضرب فُسْطاطًا[1] حتى رجع.

قيل له: كيف كان يصنع؟ قال: كان يستظلّ بالنِّطع[2] والكساء. الزهد لأبي داود (٨٣).

* وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلت فإذا الناس قعود بين أيديهم قِصاع، فدعاني **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتيته، فدعا بخبز غليظ وزيت، فقلت له: أتمنعني أن آكل الخبز واللحم ودعوتني إلى هذا؟ قال: إنما دعوتك على طعامي، وهذا طعام المسلمين. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٦.

* وأُتِيَ له بخبز وزيت، فمسح على بطنه، وجعل يأكل ويقول: والله لَتُمَرَّرَنَّ أيها البطن على الخبز والزيت ما دام السمن يباع بالأَوَاق. الزهد لأبي داود (٧٥).

* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: قدم على أمير المؤمنين **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفدٌ من

---

(١) أي: خيمة.

(٢): أي: البِسَاط من الْجلد.

أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فكنا ندخل عليه، وله كل يوم خبز يلت، وربما وافيناه ما دوم بسمن، وأحيانا بزيت، وأحيانا باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل.

فقال لنا يوما: إني والله لقد أرى تعذيركم، وكراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، وأرقكم عيشا، ولكني سمعت الله تعالى عير قوما بأمر فعلوه، فقال ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠].

فقال أبو موسى الأشعري: لو كلمتم أمير المؤمنين، ففرض لكم من بيت المال طعاما تأكلونه، فكلموه، فقال: يا معشر الأمراء، أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يُغشى، ولا يؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يُغشى، وإن طعامه يؤكل.

فنكّس عمر ساعة، ثم رفع رأسه فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

* ولما أجْدب الناسُ على عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما أكل سمينًا ولا سمنًا حتى أكل الناس. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه لا أجده يحلّ لي أكل مالكم إلا عما كنت آكلا من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن. الزهد لهناد (٦٩٠).

* وعن إبراهيم النخعي قال: كان عند **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل يريد أن يستعمله، فجاء ابنٌ لعمر، فقبّله، فقال الرجل: إن لي منهم أربعة أو خمسة ما قبلت منهم صبيا قط، فقال عمر: أنت بالمؤمنين أقل رحمة، لا تل لي على عمل أبدا. الزهد لوكيع (٥٠٢).

* وقدم الشام، فتلقاه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين

أخي؟ قالوا: من؟ قال: **أبو عبيدة** (ت: ١٨): قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو اتخذت متاعا؟.

قال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلّغنا المقيل. الزهد لابن المبارك (٥٤١).

* وعن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على **أم كلثوم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٩) فقالت: ائتوا أبا صالح بطعام، فأتوني بمرقة فيها جنوب، فقلت: أتطعموني هذا وأنتم أمراء؟!.

قالت: كيف لو رأيت أمير المؤمنين **عليًّا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وأتي بأترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجةً لصبي لهم، فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٨.

* ولما ولي **عياض بن غنم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقيهم بالبشْر، وأنزلهم، وأكرمهم، فأقاموا أيامًا، ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردّوها وتسخّطوا ونالوا منه. فقال: أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعْد شقّتكم، ولكن والله ما حصلتُ إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي، وببيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني قالوا: والله ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام وتعطي الرجل منا ما جهْده أن يبلّغه إلى أهله؟ قال: فتأمرونني أسرق مال الله؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلسًا أو أتعدى.[1] صفة الصفوة ١/ ٣٢١.

(١) فكيف بمن سرق الملايين، وتعدى على أموال المسلمين وأراضيهم!

* وكان **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) يقسم تفاح الْفيء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة، فانتزعها مِن فِيه فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعْبرًا، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحًا، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيتِ شيئًا من هذا الفيْء؟ قالت: لا. وقصّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها عن قلبي، ولكن كرهتُ أن أُضَيِّع نصيبي من الله عَزَّوَجَلَّ بتفاحةٍ من فيء المسلمين.[١] صفة الصفوة ٢/ ٤٦٥.

* وقال مولى **لعمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ له حين رجع من جنازة سليمان: ما لي أراك مغتما؟ فقال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لمثل ما أنا فيه يُغتم، ليس أحد من أمة محمد ﷺ في شرق ولا غرب إلا وأنا أريد أن أودي إليه حقه غير كاتب إليَّ فيه ولا طالبه مني. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٧٠.

* ولما قدمَ **عمرُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ المدينة واليًا، فصلَّى الظهر دعا بعشرة: عروة، وعُبيد الله، وسليمان بن يسار، والقاسِم، وسالمًا، وخارجة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وعبد الله بن عامِر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني دعَوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكونُ فيه أعوانًا على الحق، ما أريدُ أن أقطع أمرًا إلاَّ برأيكم، أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتُم أحدًا يتعدَّى، أو بلغكم عن عاملٍ ظُلامة، فأُحرِّجُ بالله على مَنْ بلغه إلاَّ أبلغني، فجَزَوْهُ خيرًا، وافترقوا.[٢] تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٦.

---

(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يخاف أنْ يضَيِّع نصيبه من الله عَزَّوَجَلَّ بتفاحةٍ واحدة من فيء المسلمين! فكيف بنصيب من ضيّع الأموال العظيمة، وحرمها أهلها، واسْتأثر هو وخاصّته بها! سيقف كلّ مسؤول أمام الله تعالى وسيسأله عن كلّ صغير وكبير.

(٢) الواجب على من ولي أمر المسلمين مِن الولاة والأمراء والوزراء أنْ يُقربوا أهل العلم والفضل والأمانة، وأن يجعلوهم أصحاب مشورتهم، ويسمعوا لنُصْحهم، حتى يسود العدل، ويحفظ الله البلاد والعباد من الفتن، وتسلّطِ الأعداء عليهم.

* وكان **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، وكتب إلى عامل له يشتري له عسلًا ولا يُسَخِّر فيه شيئًا، وأن عامله حمله على مركبةٍ من البريد، فلما أتى قال: على ما حمله؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك. تهذيب الحِلْية ٢٢١/ ٢.

* وعرض **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) حمارًا له على البيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُه لك لم أبِعْه. صفة الصفوة ٣/ ١٩٣.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخَوَنة. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وعن غسان بن المفضل قال: جاءت امرأة بِمِطْرَف خزّ[١] إلى **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩)، فألقته إليه ليعرضه في السوق فنظر إليه. فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا قال: فألقاه إلى جاره. فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومائة قال: أرى ذلك ثمنه أو نحوًا من ثمنه قال: فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمسة وعشرين ومائة قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين قال: ارجعي إليهم فاستأمريهم. تهذيب الحِلْية ٤٣٦/ ١.

* وجاءت **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) امرأةٌ بجبّة خز، فقالت له: اشترِها فقال: بكم تبيعينها؟ قالت: بخمسمائة قال: هي خير من ذلك قالت: بستمائة قال: هي خير من ذلك، فلم يزل يقول: هي خير من ذلك حتى بلغت ألفًا، وقد بذلَتْها بخمسمائة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

* وكانَ يَشْتَري الإبريْسمَ مِن البصْرةِ، فيبْعثُ به إلى وكيْلِه بالسُّوْسِ، فإنْ

---

(١) المطرف: الثوب الذي في طرفيه علمان. والخزّ: ثياب تنسج من صوف.

كتَبَ وكِيلُه إلَيهِ: إنَّ المَتاعَ عندهُم زائدٌ، لَمْ يَشترِ مِنهم أبدًا حتَّى يُخْبرهُم أنَّ وكِيله كتَبَ إليهِ أنَّ المَتاعَ عندهُم زائدٌ. السِّيَر ٦/ ٢٨٩.

* وعن وكيع: حدثني أبي قال: كنت جالسًا مع **زبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) فأتاه رجل ضرير يريد أن يسأله. فقال له زبيد: إن كنت تريد أن تسألني عن شيء فإن معي غيري[1]. تهذيب الحِلْية ١٣٤/ ٢.

* وعن عبيد بن غنام أنه قال: حدثني أبي قال: مرض **حفص بن غيّاث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٦)- القاضي- خمسة عشر يومًا فدفع إليّ مائة درهم فقال: امض بها إلى العامل وقل له: هذه رزق خمسة عشر يومًا لم أحكم فيها بين المسلمين لا حظ لي فيها. المنتظم ٣٢/ ١٠.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): مكتوب في الحكمة: لا تخن الخائن، خيانته تكفيه. الزهد لأحمد: ٢٠٩.

* وجاء رجل إلى **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) فقال: يا أبا عمرو، هذا كتاب صديقك وهو يقرأ عليك السلام، فقال: متى قدمت؟ قال: أمس، قال ضيَّعت أمانتك.

قال الشاعر:

إذا أنت حَمَّلت الأمانة خائنًا فإنك قد أسندتها شرّ مُسْنَد[2]

الآداب الشرعية ١/ ٤١.

* وقال ابن وضاح: كان سعيد الخير -عمُّ الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن ابن معاوية- وكَّلَ وكيلًا يخاصم له عند **محمد بن بشير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

---

(١) أخبره بذلك حتى لا يظن هذا الضرير أنه ليس عنده أحد فيقول ما في خاطره وهو لا يريد أن يسمع كلامه غير زبيد.

(٢) المشهور في كتب الشعر والأدب:

إِذا أَنْت حمّلتَ الخؤون أَمَانَة فَإِنَّك قد أسندتها شرّ مُسْنَد

١٩٨) في مطلب، قِيم به عنده عليه، وكانت في يد سعيد وثيقة فيها شهادات جماعة من العدول، أتى الموت عليهم ما عدا شاهدًا واحدًا من أهل القبول، مع شهادة الأمير الحكم ابن أخيه، فاضطر عمّه إليها في خصومته.

فدخل سعيد على الأمير وعرَّفه حاجته إلى شهادته، وكان الحكم معظِّمًا لعمِّه، فقال له: يا عم، أعفني من هذه الكلفة، فقد تعلم أنا لسنا من أهل الشهادة عند حكامنا؛ إذ الْتَبَسْنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا[1]، ونخشى أنْ تُوقفنا مع هذا القاضي موقفَ خزيٍ نفديه بملكنا، فَسِرْ في خصامك حيثما صيّرك الحق، وعلينا خُلْف ما ينقصك وأضعافه.

فلجّ[2] سعيد في ذلك وعزم عليه، إلى أنْ وجَّه شهادته مع فقيهين يؤدِّياهما إلى القاضي، فأدَّياها إليه، فقال لهما: قد سمعت منكما فقوما راشدين.

وجاءت دولةُ وكيلِ سعيد الخير، فتقدم مدِلًا واثقًا، فقال أيها القاضي: قد نقلت إليك شهادة الأمير، فما تقول؟.

فأخذ كتاب الشهادة وأعاد النظر فيها، ثم قال: هذه شهادة لا تَعْمل عندي، فجئني بغيرها.

فمضى الوكيل إلى سعيد فأعلمه، فركب من فوره إلى الحَكم، فقال: ذهب سلطاننا، وأهينت عزَّتنا، بتجري قاضيك الحروري[3] على ردّ شهادتك! هذا ما لا يجب أن نتحمله عليه.

وأَكْثَر من هذا وأغرى بابن بشير، والأمير مطرق.

فلما فرغ من كلامه، قال له: يا عم، هذا ما قد ظننته، وقد آن لك أن تُقْصِر عنه بالحق، فالحقّ أولى بك.

---

(١) هذا يدل على رجاحة عقلِه.

(٢) أي: ألحّ.

(٣) أي: الخارجي، وهذا ديدن الضعفاء في رمي من خالفهم بأقبح الأوصاف، وأبشع التُّهم.

والقاضي قد أخلص يقينه لله، وفعل ما يجب عليه ويلزمه، ولو لم يفعل ما فعله لأَجَال[١] الله بصيرتنا فيه، فأحسن الله جزاءه عنا، وعن نفسه، ولست أعترض للقاضي بعدُ فيما احتاط لنفسه.[٢].

قال ابن حارث: إن حظيَّةً[٣] للأمير الحكم بات عندها في بعض الليالي، فافتقدته في بعض الليل، ولم تصبه، فهاجت غيرتها وقامت تقفو أثره، فأصابته قائمًا تحت شجرة في الحائط يصلي ويدعو ويجتهد، فلما انصرف إلى مرقده ألّحت عليه في السبب الموجب لذلك، وظنت أنَّ أمرًا طرقه، فقال: ما ذاك إلا أن محمد بن بشير القاضي مات فأشفقت من فقده، وأعجزني الاعتياض منه، فقد كنت جعلته فيما بيني وبين الله في أحكام الناس، فاستندت منه إلى ثقة؛ إذ كانت نفسي مستريحة إلى عدله، فناجيت الله تعالى ودعوته دعوة مضطر إلى إجابته، في أن يحسن عزائي عنه، ويجعل عِوَضي منه. ترتيب المدارك (١/ ٥٣٠-٥٣١).

* وسافر الشيخ **إبراهيم بن محمد الجردان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٩) للعمرة، وبعد أدائها عاد من مكة إلى بريدة يوم الخميس ليخطب ويصلي الجمعة إمامًا في مسجده على أن يعود يوم السبت لمكة.

قال الشيخ **عبدالله البسام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): ومن هذا يتضح حرصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الخطابة يوم الجمعة، وعدم الاعتماد على الغير؛ لمعرفته بحرص الكثير من المصلين على سماع خطبته والصلاة خلفه، فعاد يوم السبت إلى مكة. علماء نجد (١/ ٣٥٠).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرني الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٢) أنه في مدة إمامته في المسجد النبوي التي تجاوزت عشرين سنة لم يتخلّف أبدًا، وكان لا يُنيب أحدًا. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

---

(١) أي: أدار وصرف.

(٢) يا له من ردّ صدر من عاقل حكيم، وليت كلّ مسؤول يفهمه ويعيه.

(٣) المرأة الحظيّة: هي التي تُفضَّل على غيرها في المحبّة.



الثبات على الدين والتضحية لأجله

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكونن إمَّعة قالوا: وما الإمَّعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطِّننّ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر. المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا اشتد البلاء فلا يقولنّ أحدكم: لي بالناس أسوة. الزهد لأبي داود (١٤٢).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ **بِلَالٌ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠)، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ. مسند الإمام أحمد (٣٨٣٢) وحسّن إسناده محققوه.

* وسأل عمر بلالًا عمَّا لقي من المشركين، فقال **خباب بن الأرتّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧): يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، قال: أوقدوا لي نارًا فما أطفأها إلا ودك ظهري. تهذيب الحِلْية ١٢٨/ ١.

* وعن سعيد بن المسيب قال: لما أقبل **صهيب بن سنان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٨) مهاجرًا نحو النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته،

ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلًا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم! فلما قدم على رسول الله ﷺ المدينة قال: (ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى) قال: ونزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧] الآية. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ١.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١): إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يقول: ليس العجب ممن عطب كيف عطب، إنما العجب ممن نجا كيف نجا. الكامل في اللغة / ١٥٥.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): مر رجل من العباد على رجل فوجده مهموما، فقال: ما شأنك؟ فقال: أعجبني أمر فلان، قد بلغ من العبادة ما قد علمت، ثم رجع إلى أهل الدنيا، فقال: لا تعجب ممن يرجع، ولكن اعجب ممن يستقيم. الزهد لابن المبارك (٤٩٤).

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: مر رجل **عابد** على رجل عابد، فقال: مالك؟ قال: أعجب من فلان، إنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام. الزهد لأحمد: ١٣٠ - ١٣١.

* وقيل لابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بم ارتفع **ابن عون** (ت: ١٦٠)؟ قال: بالاستقامة.[1] تهذيب الحِلْية ٤٤٤/ ١.

* **وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): «كَانَ يُقَالُ: اسْلُكُوا سُبُلَ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشُوا مِنْ قِلَّةِ أَهْلِهَا».[الحِلْية (٧/ ٣٠٦)].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. مدارج السالكين ٢/ ٣٣٩.

* وعن **عطاء بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: تبدّى إبليس لرجل عند الموت، فقال: نجوت مني!.

قال: ما أمِنتك بعدُ. الزهد لابن المبارك (٢٩٣).

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: لمّا حضرتْ أبي الوفاةُ جلستُ عنده، وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييْه، فجعل يَعرق، ثم يَفيق، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد، ففَعل هذا مرّة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة أيّ شيء هذا قد لهجْتَ به في هذا الوقت؟ تعرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود، فتقول: لا بعد لا بعد.

فقال لي: يا بنيّ ما تدري ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فتّني، فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت. صفة الصفوة ٢/ ٦١٥.

* وعن ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد، فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُمتحن، فدخلت، فلما ضُرِب سوطًا قال: بسم الله، فلما ضُرب الثاني قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، فلما ضُرب الثالث قال: القرآن كلام الله غيرُ مخلوق، فلما ضُرب الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فضُرب تسعة وعشرين سوطًا. صفة الصفوة ٢/ ٦١١.

* وقال إسحاق بن راهويه: لولا **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبذلُ نفسِه لِمَا بَذَلَها له لذهب الإسلام. تهذيب الحِلْية ١٤٠/ ٣.

* وقَالَ الحسن بْن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد المحنة فقلت له: يا أبا عبدالله قمتَ مقام الأنبياء.

فقال لي: **اسكت**[1]، فإني رأيتُ الناس يبيعون أديانهم، ورأيتُ العلماء ممن

---

(١) أمره بالسكوت كراهةً لسماعه المدح؛ هضمًا لنفسه وخوفًا عليها، وإلا فلا محذور في ذلك، قال=

كان معي يقولون ويميلون، فقلت: مَن أنا؟ وما أنا؟ وما أقول لربي غدًا إذا وقفتُ بين يديه جَلَّجَلَالُهُ فقال لي: بعتَ دينك كما باعه غيرك؟.

ففكرتُ فِي أمري، ونظرتُ إلى السَّيف والسوط فاخترتهما وقلت: إنْ أنا مُت صِرتُ إلى ربي عَزَّوَجَلَّ، فأقول: دُعيتُ إلى أنْ أقول فِي صفةٍ من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه، إن شاء عذب وإن شاء رحم.

فقلت: وهل وجدتَ لأسواطهم أَلَمًا؟ قَالَ لي: نعم، وتجلّدت إلى أن تجاوزَت العشرين، ثم لم أدْر بعد ذلك، فلما حُلَّ العَقَابان كأني لم أجد له ألمًا، وصلَّيت الظهر قائمًا.

قَالَ الحسن: فبكيتُ، فقال لي: ما يُبكيك؟ قلت: بكيت مما نزل بك، قَالَ: أليس لم أَكْفُر؟ ما أبالي لو تَلِفْت. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥-٣٧٨).

* وذكر يَحْيَى بْن معين رَحِمَهُ اللَّهُ **أَحْمَدَ بْن نصر الخزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣١) فترحم عليه وقال: قد ختم له بالشهادة.

وقتل فِي خلافة الواثق؛ لامتناعه عَنِ القول بخلق القرآن، سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وكان قد أخذه الواثق فقال له: ما تقول فِي القرآن؟ فقال: كلام الله، قَالَ: أَفترى ربك يوم القيامة؟ قَالَ: كذا جاءت الرواية به، فدعا الواثق بالصمصامة وقال: إذا قمتُ إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع فأُجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب

= الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحا ويُرى في عمل الصالحين، إذا قَصَدَ به وجه الله تعالى.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس من الرياء أن يَفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته، لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أيضا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه). مجموع فتاواه (٢/ ٢٩، ٣٠).

عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب فِي الجانب الشرقي أياما وفي الجانب الغربي أياما.

قَالَ جعفر بن محمد الصائغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بصر عيني وإلا فعميتا، وسمع أذني وإلا فصمتا أَحْمَد بْن نصر الخزاعي حيث ضربت عنقه يقول رأسه: لا الله إلا الله.

وذكره الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه.

وقال إِبْرَاهِيم بْن إِسْمَاعِيلَ بْنِ خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيته فِي المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله بك يا أخي؟ قَالَ: غفر لي وأدخلني الجنة. طبقات الحنابلة (١/ ١٩٨-٢٠٣).

* وقال الربيع بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت على **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) أيام المحنة[١]، فرأيته مقيَّدًا إلى أنصاف ساقيه، مغلولةً يداه إلى عنقه.. وهو يقول: إنما خلق الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة، فكل مخلوق خلق بمخلوق، ولئن أُدخِلتُ عليه[٢] لأصدُقَنَّه - يعني الواثق -، ولأموتَنَّ في حديدي هذا، حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم.[٣].

قال الربيع: وكتب إليَّ من السجن يقول: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خُلُقَك مع أهل حلقتك، واستوصِ بالغرباء خاصة خيرًا، فكثيرًا ما كنت أسمع الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمثل بهذا البيت[٤]:

---

(١) أي: محنة القول بخلق القرآن، التي تزعمها المعتزلة بتحريضٍ من القاضي أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) أي: المأمون.

(٣) كم ثبت وصبر وضحى علماء المسلمين، ولم يقبلوا التنازل عن دينهم أو تحريف حرف منه رغبة ولا رهبة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، فلولا توفيق الله ثم صبرهم وثباتهم لما وصلنا الدين نقيًّا كما أُنزل.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا البيت: وغلط هذا القائل؛ فإن ذلك لا يصلح إلا لله وحده؛ فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه وأعزه، بخلاف المخلوق، فإنك كلما أهنت نفسك له ذللت عند الله وعند أوليائه وهِنتَ عليه. إغاثة اللهفان١/ ١٩٨.

أُهين لهم نفسي لكي يكرمونها ... ولا تُكْرَم النفس التي لا تُهِينُها

المنتظم ١١/ ١٧٥.

* وقال أبو عمر المستملي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقْرأ علينا كتاب **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إليه، وإذا فيه: والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث، لعل الله يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة، قال: فضج الناس بالبكاء والدعاء له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبلغني أنه كان يغتسل يوم الجمعة، ويتطهر، ويتطيب، ويلبس ثيابه، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء فيرده السجان، ويقول له: ارجع يرحمك الله، فيقول: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني. طبقات الشافعيين (١/ ١٦٠)، المنتظم ١١/ ١٧٥.

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩): كان يقال: القول بالحق والصبر عليه يُعْدَل بأعمال الشهداء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٠.

* وقال **شيخ الإسلام الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١): عُرضتُ على السيف خمسَ مرات لا يقال لي: ارجعْ عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكُتُ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٣٧.

* وقال **أبو الوفاء ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: من صدَر اعتقادُه عن برهانٍ لم يبق عنده تلوُّنٌ يراعي به أحوال الرجال، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]؟ الآداب الشرعية ١/ ٢٠١.

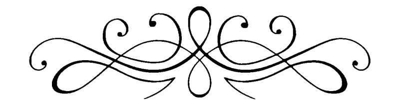
* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يعظم عندكَ بَذْلُك نفسك في ذاتِ الله فهي التي بذلتها بالأمس في حبِّ مغنية، وخاطرتَ بها في الأسفار لأجل زيادة الدنيا. فلما جئت

إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلتَه، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد، وإذا أعاد أفاد، وإذا أفاد خلد فائدته على الآباد، وذاك الله الذي يحسن فيه بذل النفوس، وإبانة الرؤوس.. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقال **القاضي أَبُو بَكْرِ بن أبي طاهر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥): أسرَتْني الروم، وبقيتُ في الأسر سنة ونصفًا، وكان خمسة أشهر الغل في عنقي، والسَّلاسل على يدي ورِجلي.

وكانوا يقولون لي: قل: المسيح ابن الله حتى نفعل ونصنع في حقك، فامتنعتُ وما قُلت. ذيل الطبقات (١/ ٤٣٨).

* ولما عُقِد مجْلِس **لِابْنِ تَيْمِية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) عُيِّن الشَّيْخ صفي الدَّين لمناظرته، فَلَمَّا وَقع الْكَلَام قَالَ لَهُ الصفي: أَنْت عُصْفُور تطير من هَا هُنَا وَهَا هُنَا.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).



(١) لاقى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خصومه الأشاعرة والمعتزلة من الإهانة والاستهزاء الشيء العظيم، فصَبر وثبت حتى أظهره الله عليهم، ونشر علومه رُغم سعيهم في إتلافها.



أحوال المنتكسين

* قيل **لكرز بن وبرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٩): من ذا الذي يبغضه البر والفاجر؟ قال: العبد يكون من أهل الآخرة ثم يرجع إلى الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٢٨.

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **بشر المريسي** (ت: ٢١٨) من كبار الفقهاء، ونَظَر في الكلام، فَغَلب عليه، وانسلَخَ من الوَرَع والتقوى، وجَرَّد القولَ بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عينَ الجَهمِيَّة في عصره وعالِمَهُم، فمقته أهلُ العلم، وكفَّره عِدَّةٌ.

ذكره النديم، وأطنب في تعظيمه، وقال: كان دَيِّنًا وَرِعًا متكلِّمًا. ثم حكى أنَّ البلخي قال: بلغَ من وَرَعِه أنه كان لا يَطأُ أهلَهُ ليلًا مخافَةَ الشُّبهَةِ ولا يتزَّوج إلا من هي أصغرُ منه بعشر سنين مخافَة أن تكونَ رضيعَتَه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٧.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الملحد، عدوُّ الدين، **أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرِّيونِدي** (ت: ٢٩٨) صاحبُ التصانيف في الحطِّ من المِلَّة، وكان يلازم الرَّافضة والملاحدة، فإذا عُوتِبَ قال: إنما أريدُ أن أعرفَ أقوالَهم.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبي كيف لم يُقتل! وقد صنَّف الدَّامغَ يدمغُ به القرآن، والزُّمُرُّدة يُزرِي فيه على النُّبوَّات.

وقال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعلَّق بشبهة! يقول فيه: إن كلام أكثم ابن صيفي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر! وإن الأنبياء وقعوا بطَلاسِم! وألَّف لليهود والنَّصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوَّةِ سيِّدِ البشر.

قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الراوندي مثلُه في المعقول، وكان أوّل أمره حَسَنَ السِّيرة، كثيرَ الحياء، ثم انسلَخَ من ذلك لأسباب وكان علمُهُ فوقَ عقله.

لعَنَ الله الذَّكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادَةِ مع التَّقوى[1]. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **عمران بن حطَّان بن ظبْيان** (ت: ٨٤)، السَّدوسي البصريّ، من أعيان العُلماء، لكنَّه مِن رؤوس الخوارج.

عن ابن سيرين قال: تزوج عمران خارجيَّة وقال: سأردُّها، قال: فصرفته إلى مذهبها.

ومن شعره في مصرع عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا لِيَبْلُغَ من ذي العرشِ رضوانا

إنِّـي لأذكُـرُهُ حينًـا فأحسـبُهُ ... أوفى البريَّـة عنـدَ الله ميزانـا

تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨١.

* وعن عبدة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا **شاب** لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه ولا أفرض، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن، فعشقها فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنصَّر ويفتح لك الباب وأنا لك قال: ففعل فأدخل الحصن، قال: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كأن كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فليحذر كل من رزقه الله ذكاء وفهما أن يغتر ويُعجب بهذا الذكاء. بل يجب عليه أن يعرف أن الفضل لله وحده، ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه وأن يثبته على الدين.

صلواتك وصيامك قال: اعلموا أني نسيت القرآن كله ما أذكر منه إلا هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر:٢ -٣]. المنتظم ٣٠٢/ ١٢.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو -أي **أحمد بن كليب الشاعر** (ت: ٤٢٦)- أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له «أسلم» من بني خالد، وكان فيهم وزارة -أي كانوا وزراء للملوك وحجابًا- فأنشد فيه أشعارًا تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ، فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس، وانقطع في داره، وكان لا يجتمع بأحد من الناس، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضًا شديدًا بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء فسأله عن مرضه، فقال: أنتم تعلمون ذلك، ومن أي شيء مرضي، وفي أي شيء دوائي لو زارني أسلم ونظر إليَّ نظرة، ونظرته نظرة واحدة برأت، وإلا فأنا هالك، فرأى ذلك العالم أن من المصلحة أن لو دخل عليه أسلم، وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته فانطلقا إليه فلما دخلا دربه تغيَّر الغلام، واستحى من الدخول عليه، ورجع، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى وانصرف، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلامه دخل عليه قبل ذلك، وبشره بقدوم أسلم عليه، ففرح بذلك جدا، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده:

أسلم ياراحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليلِ

فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى ما هذه العظيمة، فقال: قد كان، فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا على ذلك.

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أنَّ هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد. البداية والنهاية ١٢/ ١٠٦.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد الله الزَّاغُوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يحكي أنّ رجلًا اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهوِيَها من وقته، وزاد الأمرُ به حتى غلَب على عقْله، فحُمِل إلى المارِسْتان[1]، وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمُّه لصديقه: إنِّي أجيء إليه ولا يُكلّمني، فقال: تعالي معي. فأتَتْ معه، فقال له: إنّ صاحبتك قد بعثت إليك برِسَالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رسالتها، فجعلت أمُّه تحدِّثه عنها بشيء منَ الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجلُ وحان الوقت، وما لقِيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أُريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرْجِع عن دين محمدٍ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، فقال ذلك ومات! فمضى صديقُه إلى تلك المرأة، فوجدها مريضة، فدخل عليها وجعل يحدّثها، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا، وأريدُ أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النّصرانية، فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة، فوقف، فماتت. ذم الهوى: ٣١٥.

(١) أي: دار المرضى.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبلغني عن رجل كان ببغداد، يقال له **صالح المُؤَذِّن**، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعرَف بالصّلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذِّن، فرأى بنتَ رجلٍ نصرانيّ كان بيته إلى جانبِ المسجد، فافتَتَنَ بها، فجاء فطرَق الباب، فقالت: مَن؟ فقال: أنا صالحُ المؤذِّن، ففتَحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟! فقال: إنْ وافَقْتيني على ما أريد وإلاّ قتلتُكِ، فقالت: لا، إلا أن تترك دِينك، فقال: أنا برئ من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنّما قلتَ هذه لتقضي غرَضك ثم تعود إلى دينك، فكلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرَبِ الخمر، فشرب، فلما دبَّ الشّراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقَت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوَّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجتْ فلفَّتْه في مَسْح، فجاء أبوها فقصّت عليه القصّة، فأخرجه في الليل فرَماه في السِّكة، فظهر حديثُه، فرُمي في مزبلة!.[1] ذم الهوى: ٣١٥.

---

(١) للثبات على الهداية والاستقامة عدّة أسباب، منها:
السبب الأول: الدعاء الصادق بالثبات على الدين، فإذا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»! فغيرُه أحوج بالإكثار من هذا الدعاء.
السبب الثاني: البعدُ عن مواقع الفتن والشهوات، قال بعض السلف: مَن أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولًا: لم ينج أخيرًا وإن كان جاهدًا. ذم الهوى: ١٤٤
وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقلَّ أنْ يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. صيد الخاطر/ ٢١٧
فجلّ من انتكس وارتدّ عن الإسلام كان بسبب تساهلِه أوّل الأمر في التعرض للفتن.
فمَن قلَّب مواقع الشبكةِ العنكبوتية، ومقاطع الفيديو وغيرها، ليستمتع ويبحث عن الغرائب والعجائب، فلا بد أن تظهر له صورٌ فاتنة، ومقاطعُ فاضحة، وشبهاتٌ مُضلّلةٌ، ومع الأيام يعتادُ على ذلك، ويستمرئُ هذا الشيء، ويُصاب بالفتنة وهو لا يشعر، فيصعب عليه التخلص من هذه الفتن والشهواتِ والشبهات. =

* وقال إِبْرَاهِيم بن محمد بْن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرتُ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) وقد أُدخل عَلَى الخليفة، وعنده ابن أبي دُؤاد وأبو عبد الرحمن أَحْمَد بْن يَحْيَى بْن عبدالعزيز الشافعي[١]، فأُجلِسَ بين يدي الخليفة، فقال لأبي عبدالرحمن: أيّ شيء تحفظ عَنِ الشافعي فِي المسح؟[٢].

قَالَ ابن أبي دؤاد: انظروا رجلًا هو ذا يَقدُم لضَربِ العنق، يناظر فِي الفقه!.

هذا أبو عبدالرحمن كان يأخذ عَنِ الشافعي من القديم، ثم تغيَّر وذهبَ إلى الاعتزال.[٣] طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٠).

= قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما استُعين على التخلص من الشر، بمثل البعد عن أسبابه ومظانه. ا.ه عدة الصابرين / ٨٦.

السبب الثالث: صدق النيّة في طلب الهداية والاستقامة، فالذي انتكس إنما انتكس لِأَنَّ نيّتَه في الالتزام لم تكن صادقة وخالصة لله.

السبب الرابع: الْإِيمَانُ الصادق، المبنيُّ على العلم بالله ودينِه، أما الإيمان والصلاح الناشئ عن التقليد: فإنه لا يكفي لثبات الإنسان، بل لابد من العلم الشرعي المؤصل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُؤْتَى إيمَانًا مَعَ نَقْصِ عِلْمِهِ، فَمِثْلُ هَذَا الْإِيمَانِ قَدْ يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ مَعَ الْإِيمَانِ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَرْتَدُّ عَنْ الْإِسْلَامِ قَطُّ، بِخِلَافِ مُجَرَّدِ الْقُرْآنِ أَوْ مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَرْتَفِعُ، فَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ.

لَكِنْ أَكْثَرُ مَا نَجِدُ الرِّدَّةَ فِيمَنْ عِنْدَهُ قُرْآنٌ بِلَا عِلْمٍ وَإِيمَانٍ، أَوْ مَنْ عِنْدَهُ إيمَانٌ بِلَا عِلْمٍ وَقُرْآنٍ.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ فَحَصَلَ فِيهِ الْعِلْمُ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ». مجموع الفتاوى: ١٨/ ٣٠٥

السبب الخامس: اختيار الصحبة الصالحة، وقضاء الوقت معهم، والبعدُ عن الفراغ والصحبة السيّئة.

اللهم ثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال عَليّ بْن عُمَر الدارقطني: أَبُو عَبْد الرحمن الشافعي المتكلم البغدادي: كَانَ من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابْن أَبِي دؤاد واتبعه عَلَى رأيه. [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٤١٠).

(٢) المؤمن لا يزداد عند المحن والشدائد إلا قوة وثباتا وعزّة ويقينا وإيمانا.

(٣) حينما صحب المبتدع ابن أبي دؤاد انتكس وترك ما عليه شيخه الإمام الشافعي، فإياك وصحبة المبتدعة والفساق والبطالين.

* وقرأ **إِبْرَاهِيم بن بكْروس** (ت: ٦١١) الفقيه الْقُرْآن عَلَى عمِّه، وسمع الْحَدِيث من أَبيهِ وعمِّه، وجماعة كثيرة من المتأخرين، واشتغل بالمذهب عَلَى أَبيهِ وعمه، وبالخلاف عَلَى أَبِي الفتح بن المنّيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولازمه مدةً لسماع دَرسه، حَتَّى برع وأفتى وناظر، ثُمَّ أَقبَل عَلَى إلقاء الدروس، ووُلي نظر وُقوف الجامع.

ثُمَّ ولي النيابة بباب النوبي سنة أربع وستمائة، فغيّر لباسه، وتغيرت أحواله، وأساء السيرة بكثرة الأذى، والمصادرة، والجنايات لِلنَّاسِ، والسعي بهم، وَلَمْ تكن تأخذه فِي ذَلِكَ لومة لائم.

قَالَ ابْن الساعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنِي عبدالعزيز الناسخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أَنَّهُ وَعظ ابْن بكروس يومًا، فَقَالَ لَهُ: يا شيخ: أعلمُ أني فَرشت حصيرًا فِي جهنم!.

قَالَ: فقمتُ متعجبًا من قَوْله.

وَلَمْ يزل عَلَى ذَلِكَ، إِلَى أَن قُبض عَلَيْهِ سنة إحدى عشرة وستمائة، وضرب حَتَّى تلف. ذيل الطبقات (٣/ ١٤٩-١٥٠).

* وقال ابن الفرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أحمد بن عبدالله بن عروس (ت: ٣٦٦)** فقيه بلده، وكُتِب عنه.

قال ابن الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان الخليفة يُصرِّفه في الأمانات.

قال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أولا مرجوًّا، قرأ الحديث والفقه، وسلك سبيل العلماء.

وليَ القضاء ببعض النواحي، ثم صحب ابن أبي عامر، فتجرّد لطلب دنياه، وتحوَّل عن طبقته[1]، فلحق أهلَ الخدمة[2]، ونال الوزارة وتقلّد المدينة، وارتكب الجرائم، وأغرق في ظلم العباد.

---

(١) وهي طبقة العلماء الربانيين.

(٢) أي: خدمة الأمير ابن عامر، فشتان بين كونه في خدمة دين رب العالمين، وبين خدمة مخلوق مسكين!

فلم تطل مدته حتى اخْترمته المنية في شهر رمضان من سنة ست وستين وثلاثمائة.

وترك من المال ما لا كفاية له مما غلَّه، فحاز ابن أبي عامر أكثره.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٢٤٠-٢٤١).

* وكان الشيخ **خضر الكردي** (ت: ٦٧٦) شيخ الملك الظاهر بيبرس ينسب إليه أحوال ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلي الملك، فلهذا كان الملك الظاهر يعتقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة، ويعظمه تعظيما زائدا، وينزل إلى عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره، ويكرمه ويحترمه ويستشيره، فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة إما رحمانية أو شيطانية، أو حال أو استفادة، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء، وكن لا يحتجبن منه، فوقع في الفتنة.

وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس، فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب، فلا يسلم العبد البتة منهن.

فلما وقع ما وقع فيه حُوقق فاعترف، فأمر بسجنه. البداية والنهاية (١٧/ ٥٣٨).

---

(١) تأمل: كان هذا الرجل فقيه بلده، وولي القضاء، وسلك سبيل العلماء، ثم أخلد إلى الدنيا واتبع هواه فطلب الإمارة ونالها، فظلم وتجبّر وارتكب الجرائم وأغرق في ظلم الناس!

فكم بين الحالين!

وماذا عن أمواله الكثيرة التي جمعها ظلما وجورا؟ أُخذت كلها منه، وسيُحاسب عليها كلّها، فما أعظمها من خسارة، وما أشأمها من تجارة.

وسبب نكوصه وهبوطه من مرتبة أهل الدين والعلم إلى حضيض أهل البغي والظلم: حبّ الدنيا، التي صاد الشيطان بها من كان ما بينه وبين الجنة إلا خروج نفسه من جسده، فكبّلها بحبال لذاتها، وألقى عليها شراك مناصبها، وأغرقها بدنس شهواتها.

فاللهم لا تعظّم في قلوبنا دنيا قد حقّرتها، ولا تملأ في نفوسنا حبّ حياة قد زهّدتنا فيها.

* ومن تلاميذ الشيخ عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩): **عبدالله بن علي القصيمي** (ت: ١٤١٦) صاحب «الأغلال».[1].

ومن المكاشفات الغريبة أنّ الشيخ عبدالعزيز بن بشر قد تفرّس شرّ الإلحاد بتلميذه عبدالله القصيمي من حين كان يأخذ عنه في الأحساء، فصدق حدسه فيه.

وقد اجتمع كلٌّ من الشيخ عبدالله بن علي اليابس والشيخ عبدالعزيز بن راشد وعبدالله القصيمي، وعقدوا العزم على السفر إلى الهند لأخذ الحديث وعلومه عن علمائه، فمرُّوا بالأحساء، فأقاموا فيه للقراءة على قاضيه عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وبعد فترة غير قليلة توجّهوا إلى بغداد في طريقهم إلى الهند، فأقاموا فيه للأخذ على علمائه، وأشهرهم السيد شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

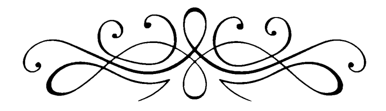
ولأمور سياسية عدلوا عن الهند، وتوجّهوا إلى مصر، فالْتحق الثلاثة بالأزهر، فأخذوا عن علمائه واستفادوا منهم فائدة كبرى، فكان الثلاثة من كبار العلماء، ولم تتأثر عقيدتهم السلفية بشيء، بل ظلوا على تمسُّكهم بعقيدة السلف الصالح، يُوالونها ويدعون إليها ويُدافعون عنها، وهذا لم يردّهم عن الاستفادة مما عند الأزهريين من علم التفسير والحديث وأصولهما، ومن توسُّعٍ في علوم اللغة العربية.

وكان من أشدهم مدافعة ومهاجمة وردودا على المنحرفين -ولاسيما

---

(١) هو عبدالله بن علي النجـدي القصيمي ولد في عام ١٩٠٧م، وتوفي ١٩٩٦م/ ١٤١٦هـ، قدم أجداده إلى نجد مع جيش إبراهيم باشا عندما هاجمها. وكتابه «هذي هي الأغلال» ثار فيه على كل شيء عُرف عن المسلمين، لا فرق عنده بين عادات وتقاليد وخرافات وعقائد، وأثار الكتاب ضجَّة عنيفة في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، وما إن وصل خبر الكتاب إلى الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى بادر بإرسال برقية إلى الشيخ فوزان السابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلب فيها منه أن يُعلن براءته في الصحف من القصيمي.

الشيعة- هو عبدالله القصيمي، صاحب القلم السيّال، والحجة القوية، واللسان الذرب، فكبتهم بكتاباته العظيمة، وبرسائله «البروق النجدية»، وغيرها، إلا أنه انحرف -والعياذ بالله- بعد ذلك، وصار من أكبر الملاحدة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].[1] علماء نجد (٣/ ٣٤٢)، (٤/ ٢٦٠-٢٦١).



(١) تأمل كيف كان القصيمي من كبار العلماء، وكيف كان أشدهم ردودا على المبتدعة، ومع ذلك انسلخ انسلاخًا كاملًا من الدين! نعوذ بالله من ذلك.
فاجعل جلّ وأكبر اهتمامك في صلاح سريرتك، وصلاح قلبك، بتجريد الإخلاص لله في كل أقوالك وأعمالك.
وقد عُرف عن القصيمي بحبه للبروز والظهور والغلبة على الآخرين، وغروره وعُجبه بنفسه، وقد قال من اطلع على كثير من كتبه قبل إلحاده: «من يقرأ كتب القصيمي خصوصًا القديمة يلحظ بوضوح وجلاء نبرة الإعجاب بالنفس».



التوبة والرجوع إلى الله(١)

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة.(٢) تهذيب الحِلْية ١/ ٧١.

---

(١) صاحبُ الإيمان الصحيح يرى أنَّ له نسبةً إلى الرب العظيم خالق السماوات والأرض، وأنه سنده ومُمِدُّه، وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع كما قيل:

قومٌ يُخَالِجهم زَهْوٌ بسيدهم   والعبد يزهو على مقدار مولاه

ومن كان يشعر لنفسه بقيمةٍ، أو يجد لها حقًّا في أنْ تعز وتكرم: تراه إذا خلا بنفسه وتذكر أنه أَلَمَّ بنقيصةٍ أو معصيةٍ: يتألم ويتململ ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وإذا تذكر أنَّ قلبه الذي تشرف بمعرفة الله تعالى، وأن شرف تلك المعرفة خلَّصه من العبودية لغيره، وصيَّره مربوبًا لربِّ العالمين وحده: لم ير من اللائق بمثل هذا الاختصاص أنْ يُقابل الإحسان بالإساءة، وأنْ يرتكب ما يكون سببًا لانتقال من عزّة العبوديّة له، إلى ذلّ العبوديّة لغيرِه.

والقاعدة تقول: كلُّ من أعرض عن شيء من الحق وجحده: وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده ولابد، حتى في الأعمال: من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، فرغب عن العمل لمن ضَرُّه ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده فابتُلِيَ بالعمل لمن لا يملك له شيئا من ذلك.

وكذلك من رغب عن الإنفاق في طاعة الله: ابتُلي بإنفاقه لغير الله وهو راغم.

ومن رغب عن التعب لله ابتلي بالتعب في خدمة الخلق ولابد.

ومن رغب عن الهدى بالوحي ابتُلي بكِناسة الآراء وزِبالة الأذهان ووسخ الأفكار.

فالعاقل لا يرغب عن ربّه وخالقِه، ومن لا مفرّ له عن لقائه والوقوف بين يديه.

يُنظر: تفسير المنار ١/ ٣٠١، مدارج السالكين ١/ ١٦٥.

(٢) الذي في صفة الصفوة ٣/ ٧١: أن هذا القول هو من قول عون بن عبد الله.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إني لأرجو أن يكون توبة العبد من ذنبه: ندامته عليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٨.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أربع آيات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أحب إليّ من حمر النعم وسودها، إذا مرّ بهن العلماء عرفوهن، قالوا له: في أي سورة؟ قال:

١- في سورة النساء قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء: ٦٤].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠] الزهد لهناد (٩٠٣).

* وقال زاذان رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت غلاما حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أُغَنِّيهم، فمر **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدخل فضرب الباطية[1] بددها وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فأُلقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل علي فاعتنقني وبكى وقال: مرحبا بمن أحبه الله، اجلس، ثم دخل وأخرج لي تمرا. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٨.

---

(١) قال في الحاشية: الباطية: هو كل إناء يجعل فيه الخمر.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قال: طُوبى لمن وَجد في كتابه استغفارا كثيرا. الزهد لهناد (٩٢٣).

* وعن **عبد الله بن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: لو أن رجلًا انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، والموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة، فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح للتوبة، ولا يزال العبد يهتم بالذنب يصيبه حتى يكون أنفع له من بعض حسناته. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقالت **رابعة العدوية** رَحِمَهَا اللَّهُ (ت: ١٨٠): أستغفر الله مِنْ قلَّةِ صدقي في قولي: أَسْتَغْفر الله. صفة الصفوة ٤/ ٢٩٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): للتائب فخرٌ لا يعادله فخر، فرح الله بتوبته. صفة الصفوة **٣/ ٣٤٢.**

* وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا قال: الدّاءُ الذّنُوبُ، والدواءُ الاستغفارُ، والشفاءُ أن تتوب فلا تعود. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وقال بعضهم: -البداية والنهاية ١٢/ ٦٣-.

أَسيرُ الخَطايا عندَ بابِك واقفُ ... على وَجَلٍ مما به أنت عارفُ

يَخَافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عنك غيبُها ... ويَرْجُوك فيها فهو راجٍ وخائفُ

ومَن ذا الذي يُرْجَى سواك ويُتَّقَى ... وما لك في فَصْلِ القَضاء مُخالفُ

فيا سيِّدي لا تُخْزِني في صَحِيفتي ... إذا نُشرت يومَ الحسابِ الصَّحائِفُ

وكُنْ مُؤْنِسي في ظُلْمة القَبْرِ عندَ ما ... يَصُدُّ ذَوُو القُرْبَى ويجْفُو المُؤالَفُ

لئن ضاق عني عَفْوُك الواسعُ الذي ... أُرَجِّي لإِسْرافي فإنيَ تالِفُ

*وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٧.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقلْ ... خلوت ولكنْ قُل عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ... ولا أنّ ما تُخفي عليه يغيبُ

لهونا لعمر الله حتى تتابعتْ ... ذنوبٌ على آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إن أنتم تكثرون من الذنوب، فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد في صحيفته بين كل سطرين استغفارًا سره مكان ذلك. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه قيل له: من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله. تهذيب الحِلْية ١٠٥/ ٢.

* وعن سعيد الجريري قال: قلت **للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا أبا سعيد الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، حتى متى؟ قال: ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين. تهذيب الحِلْية ٣١٥/ ٢.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم الدين، فقال: وعزتك لا أخرج من جوف - أو من قلب - ابن آدم ما دام فيه الروح قال: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح. تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ١.

* وعن **طَلق بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: إنَّ حقوق الله أعظمُ مِن أن يقومَ بها العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن تُحصى، ولكن أصْبِحوا تائبين، وامْسُوا تائبين. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٧.

* وقال: المتنبِّي:

يا من ألوذ به فيما أؤمِّلُه ... ومن أعوذ به مما أحاذرُهُ

لا يجبُرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد بلغني عن شيخنا العلاّمة **أبي العباس أحمد ابن تيميّةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أنه كان ينكرُ على المتنبِّي هذه المبالغة ويقول: إنما يصلحُ هذا لجناب الله عَزَّوَجَلَّ.

وأخبرني العلاّمة شمس الدِّينِ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلتُ هذين البيتيْن في السجود. البداية والنهاية ١١/ ٣٣٢.

* وعن **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) قال: كُلُّ حزن يبلى إلا حزن التائب عن ذنوبه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٦٠.

* وكان **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): شاطرًا يقطعُ الطريقَ بين أَبيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦] فلَما سَمِعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبحَ فإن فُضَيلًا على الطريق يقطعُ علينا.

ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين ها هنا

يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدعَ، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورة البيت الحرام. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٣.

* وقال الإمام **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ولَمّا قسا قلبي وضاقت مذاهِبي	جعلتُ رجائي نحو عفوكَ سُلّما
تعاظَمَنِي ذنبِي فلمّا قرنتهُ	بعفوكَ ربّي كان عفوكَ أعظَما
فمازلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَل	تجودُ وتعفو مِنّةً وتكرُّما

ديوان الشافعي/ ١٢٠.

* وقال ابن أبي الطيب: حَدَّثَنِي جَعْفَر الصائغ أنه كان فِي جوار **أَحْمَدَ بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) رجلٌ، وكان ممن يُمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أَحْمَد بن حنبل فسلَّم عليه، فكأنَّ أحمد لم يرده عليه مَرَدًّا تامًا وانقبض عنه، فقال له: يا أبا عبدالله لم تنقبِض عني؟ فإني قد انتقلت عما كنتَ تعهد مني برؤيا رأيتها، قَالَ: وأي شيءٍ رأيت؟ قَالَ: رأيت النَّبِيّ ﷺ فِي النوم كأنه عَلَى علوٍّ من الأرض، وناس كثير أسفل منه جلوس، فيقوم رجل إليه فيقول: ادع لي، فيدعو له، حتى لم يبقَ من القوم غيري، فأردتُ أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنتُ عليه، فقال لي: يا فلان لم لا تقوم إلي تسألني أدعو لك؟ قلتُ: يا رَسُول اللهِ يقطعني الحياء لقبح ما أنا عليه، فقال: إن كان الحياء فقُم فسلني أدعو لك، فإنك لا تسبُّ أحدًا من أصحابي، فقمتُ فدعا لي، فانتبهت وقد بغَّض الله إلي ما كنتُ عليه، قَالَ: فقال لنا أَبُوعبدالله: يا جَعْفَر، يا فلان، حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينتفع به.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٨).

(١) لعلنا نستفيد فائدتين: معاملة العاصي بما هو أهله، مع تحري حسن معاملته رجاءَ حيائه وتوبته، والثانية: أن المعصية يرجى الإقلاع عنها، أما البدعة فالتوبة منها صعبة.

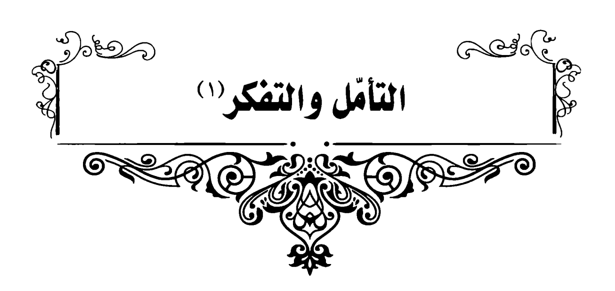
* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكروا أن **أبا نواس** (ت: ١٩٩) لما أراد الإحرام بالحج قال: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٦.

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملكْ
لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لكْ
والملك لا شريك لك ... ما خاب عبدٌ سألكْ
لبيك إن الحمد لك ... والملك لا شريك لكْ
أنت له حيث سلكْ ... لولاك يا رِبي هلكْ
لبيك إن الحمد لكْ ... والملك لا شريك لكْ
والليل لما أن حلكْ ... والسابحات في الفلكْ
على مجاري المنسلك ... كلُّ نبيٍّ وملكْ
وكلُّ من أهلَّ لك ... سبح أو صلى فلكْ
لبيك إنَّ الحمد لكْ ... والملك لا شريك لكْ
يا مخطئًا ما أغفلك ... عجلْ وبادرْ أملكْ
واختمْ بخير عملكْ ... لبيك إن الحمد لك

* وعن **شقيق بن إبراهيم البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٤) قال: علامةُ التَّوبة البُكاءُ على ما سلف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، وهِجرانُ إخوانِ السُّوء، وملازمةُ الأخيار. السِّيَر ٨/ ٧٢.

* وقال بعضهم: - البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥-.

يا مَن يرى مَدَّ البَعوضِ جَناحَها ... في ظُلمةِ الليلِ البَهيم الأَليَلِ
ويَرَى مَنَاطَ عُروقِها في نحرِها ... والمخَّ في تلك العظامِ النُّحَّلِ
امنن عليَّ بتوبةٍ تَمْحُو بها ... ما كان مني في الزمانِ الأوَّلِ



التأمّل والتفكر(١)

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد للإمام أحمد ٢٦٢.

* وسئلت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان أفضل عمل **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قالت: التفكر والاعتبار. الزهد لأحمد: ٢٥٦، الزهد لابن المبارك (٢٧٢).

* وعن محمد بن واسع: أن رجلًا من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يسألها عن عبادة أبي ذر، فأتاها فقال: جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر قالت: كان النهار أجمع خاليًا يتفكر. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ١.

* وعن عصام بن يزيد قال: ربما كان يأخذُ **سفيانُ الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) في التفكر، فينظر إليه الناظر فيقول: مجنون. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

---

(١) أمر الله تعالى بالتفكر في خلق النفس والسموات والأرض في آيات كثيرة جدًّا، منها: قولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وقولُه تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠]، وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية:١٧].
إلى غَيْرِ ذلكَ مِن الآياتِ الْكثيرةِ، وإكْثارُ القُرآنِ منْ شيْءٍ دليلٌ على تَعْظيمِ شأْنِهِ ووُجوبِ الاهْتِمام بهِ.
قال العلامة محمد رشيد رضا: فالْقُرْآنُ الكريمُ يُلِحُّ أَشَدَّ الإلْحاحِ بالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّذَكُّرِ، فَلَا تَقْرَأُ مِنْهُ قَلِيلًا إِلَّا وَتَرَاهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ الْأَكْوَانَ، وَيَأْمُرُكَ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِ أَسْرَارِهَا، وَاسْتِجْلَاءِ حُكْمِ اتِّفَاقِهَا وَاخْتِلَافِهَا. ا.ه تفسير المنار: ١/ ٢٠٨.
ومن يُوَفّق للتفكر في خلق الله تعالى في الكون وفي بدن الإنسان وفي الأرض: سيجد عبرًا عظيمة، وآيات جليلة، تزيدُه إيمانًا، وتعظيمًا لله جل في علاه، وستتجلى له عظمته وقوته وسطوته من خلال آياته.

* وعن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨) يقول: الفكرة نور تدخله قلبك.

قال: وبلغني عن سفيان بن عيينة قال: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب؟ تهذيب الحِلْية ٤٤٣/ ٢.

* وعن عبد الأعلى بن زياد قال: رأيت **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا، فقلت: ما يوقفك ها هنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى. تهذيب الحِلْية ٤٦٦/ ٢.

* وعن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: قلت لعلي بن بكار: كان **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) كثير الصلاة؟ قال: لا ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر. تهذيب الحِلْية ٤٨٣/ ٢.

* وقيل **لإبراهيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك لتطيل الفكرة، قال: الفكرة مخ العمل. تهذيب الحِلْية ٢٦/ ٣.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): ولو أن رجلًا كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون فعلُه التفكرَ والعِبر، وقلبُه فارغًا للتفكر وعينُه فارغةً للعِبر، كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة.

والمؤمن مشغول بخصلتين، والمنافق مشغول بخصلتين، المؤمن بالعِبر والتفكر، والمنافق مشغول بالحرص ولأمل.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى أغفل العبد قلبه عن الله، والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصيا؛ لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبدًا مع الله، يقول: يا رب أعطني الإيمان، وعافني من البلاء واستر لي عيوبي، وارزقني، واجعل

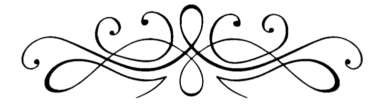
نعمك متوالية علي، فهو أبدًا متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في منّة الله شكر، والغفلة عنه سهو. تهذيب الحِلْية ٢/٥٠٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. تهذيب الحِلْية ٣/٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد لأحمد: ٤٦٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام، وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني. تهذيب الحِلْية ٣/٢٦٥.

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): سبحانك، ما أغفل هذا الخلق عمّا أمامهم! ذيل الطبقات (١/ ٣٠١).





العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم

أ- اعتزال الناس وعدم الإكثار من مخالطتهم والحذر منهم[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): خذوا بحظكم من العزلة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٣.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: نعم صومعة المرء المسلم بيته،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكلما طالت المخالطة: ازدادت أسباب الشر والعداوة وقويت. وبهذا السبب كان الشر الحاصل من الأقارب والعُشراء: أضعافَ الشر الحاصل من الأجانب والبُعَداء. مفتاح دار السعادة ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

وقال أيضًا: فكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟. والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر: أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لابد أن يؤذوه. وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فَلْيسُلّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى، وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُديم اللّجأ إليه. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٩.

يكف فيه بصره وسمعه وفرجه، وإياكم ومجالس الأسواق؛ فإنها تُلغي[1] وتُلهي. الزهد لأبي داود (٢٠٣)، الزهد لوكيع (٢٥١).

* وعن **طلحة بن عبيد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) - وكان من دهاة قريش - قال: أقلُّ لعيب المرء أنْ يُكثر الجلوس في بيْتِه. الزهد لأبي داود (١٢١)، صححه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في المطالب العالية (١٢/ ١٢٩).

* وعن **عثمان بن أبي العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أنه قال: لولا الجمعة والجماعة لبنيت في أعلى داري هذه بيتًا فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبري. الزهد لأحمد: ٢٨١، الزهد لأبي داود (٣٣٣).

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلًا غفر لي ذنبًا فيما بيني وبينه، ولا وَصلني إذا قطعته، ولا ستَرَ علي عورة، ولا أمِنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس، فعالجت نفسي على الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٧.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من أراد أن يَسلم دينُه، ويستريح قلبه وبدَنه، ويقلّ غمّه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن قلة الصدق كثرة الخُلَطاء. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: العزلة عبادة. صفة الصفوة ٣/ ١٧٤، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٣.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: إن كان الفضل في الجماعة، فإن

---

(١) أي: تبعث على اللغو، وهو الكلام الذي لا يُفيد ولا ينفع.

السلامة في العزلة. تهذيب الحِلْية ٢/١٨٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: كان المؤمن لا يُرى إلا في ثلاثة مواطن: في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٠.

* وقال **بعض العقلاء**: إن الرجل ليجفوني، فإذا ذكرت استغنائي عنه وجدت لجفائه بردا على كبدي. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥١٠.

* وعن **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه كان يقول: احترسوا من الناس بسوء الظن.[1] الزهد لأحمد: ٤١٧.

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): إذا صلّيتَ معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتّابعين!.

قالوا: ومن أين الصحابة والتابعون؟.

قال: أذهب أنظرُ في علمي فأدرِكُ آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، والبُعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله، وفرّ من الناس كَفِرَارِك من أسد، وتمسّك بدينك يسلَمْ لك مَجهودُك. الحِلْية (٨/ ١٦٥).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكثر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تستوحِشُ؟ فقال: كيف أستوحشُ وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

.... **وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ**[2]

ديوان المتنبي (٢٢٨).

---

(١) وهو مرويٌّ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال بعضُ العلماء: المعنى: احْترس بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم.

وقال بعضهم: المعنى: احْترس بسوء الظن بالناس، إذا كان المظنون به ظاهر الفسق. وكلا المعنيين صحيح.

(٢) لأنك لا تخشى غوائله ويؤدبك بآدابه، ويؤنسك عند الوحشة بحكمه. معجز أحمد (٤٠٤).

* وعن يزيد بن توبة قال: قال لي **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

* وعن عطاء بن مسلم الخفاف قال: قال لي **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): يا عطاء احذر الناس واحذرني، فلو خالفت رجلًا في رُمَّانة، فقال: حامضة وقلتُ: حلوة، أو قال: حلوة وقلتُ: حامضة، لخشيت أن يشيط بدمي. تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ٢، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٨.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم من ترك الدنيا. تهذيب الحِلْية ٤٨٥/ ٢.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا. تهذيب الحِلْية ٩٤/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ازهد في الناس، فعن معرفة مني بهم زهدت فيهم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من خالط الناس لم يسلم، ولم ينج من إحدى اثنتين:

- إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في باطل.

- وإما أن يسكت إذا رأى منكرا أو سمعه من جلسائه، فلا يغير؛ فيأثم، ويَشْرَكهم فيه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٦.

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٣.

* وكان **حبيب أبو محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٩) يخلو في بيته، فيقول: من لم تقر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٠.

* وقال **بعض السلف**: من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم[1]. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٤٢.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيرًا في أمر دينك: ففر منه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٣.

* وقال **محمد بن أسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٢): مالي ولهذا الخلق! كنتُ في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت إلى الدنيا وحدي، ثم تقبض روحي وحدي، فأدخل في قبري وحدي، فيأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي، فأصير إلى حيث صرت وحدي، وتوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي، فما لي والناس!. المنتظم ٣٠٣/ ١١.

* وسُئل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لم لا تصحب الناس؟ قَالَ: لوحشة الفراق. طبقات الحنابلة (٢/ ١٧).

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان أبي أصبر الناس على الوحْدة، لم يرَه أحد إلاّ في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض. وكان يكره المشْي في الأسواق. صفة الصفوة ٢/ ٦١٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه، كيف يعيش

---

(١) في الأصل: راياهم، وهو خطأ، والتصحيح من المصادر الأخرى؛ ككتاب العزلة والانفراد للمؤلف ابن أبي الدنيا.

مع غيره.[1] تهذيب الحِلْية ٤٥٨/ ٣.

* ومَا أحْسنَ قَولَ **الْجُنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧). مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة. فتح الباري ١١/ ٤٠٢.

* وقالَ **الْخطَّابيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٨): لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يَقْدر على إزالته لكان ذلك خيرًا كثيرًا. فتح الباري ١١/ ٤٠٢.

* وقالَ **الْقُشيريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٤): طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع والثاني شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر. فتح الباري ١١/ ٤٠٤.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي ... وإنْ كَثُرَ التّجَمّلُ والكَلامُ[2]

ديوان المتنبي (٢٢٨).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): كان الوزير **أبو شجاع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٢) كثير البر للخلق، كثير التلطف بهم، فقدم من الحج وقد اتفق نفور العوام نفورًا أريقت فيها الدماء، وانبسطوا حتى هجموا على الديوان، وبطشوا بالأبواب والستور، فخرج من الخليفة إنكار عليه، وأمره أن يلبس أخلاق السياسة لتنحسم مادة الفساد، فأدَّب وضرب وبطش، فانبسطت فيه الألسنة بأنواع التهم، حتى قال قوم: ها هو إسماعيلي، وهبط عندهم ما تقدم من إحسانه.

قال **ابن عقيل**: فقلت لنفسي: أفلسي من الناس كل الإفلاس، ولا تثقي بهم،

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) يقول: ليس لك صديق في الحقيقة إلا نفسك، فأنت صديق نفسك، لا من تسميه خليلًا، وإن كثرت مجاملته، وأظهر لك الود بالكلام. معجز أحمد (٨٦)

فمن يقدر على إحسان هذا إليهم وهذه أقوالهم عنه. المنتظم ٢٥/ ١٧.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى حدَّثَتْك نفسُك وفاءَ الناس فلا تصدّق، هذا ابنُ رسول الله ﷺ[١] أكثرُ الناس حقوقًا على الخلق، فقتلوا أصحابه وأهلكوا أولاده. الآداب الشرعية ١/ ٢٠٥.

ب- أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم، وقطع منتهم[٢]:

* عن أم الدرداء قالت: قال لي **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تسألي الناس شيئًا، قالت: فقلت: فإن احتجت؟ قال: فإن احتجت فتتبعي الحصادين فانظري ما سقط منهم فاخبطيه ثم اطحنيه ثم كليه ولا تسألي الناس شيئًا. الزهد لأحمد: ٢٦٦.

* وقال **الشاعر**:

لا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال

---

(١) الحسين بن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سؤال الناس مع القدرة على الكسب: حرام بلا نزاع؛ فمن حج على أن يسأل مع إمكان القعود فهو عاص، فقد جاء بضعة عشر حديثا في النهي عن المسألة.

ويجوز سؤالهم إذا كان للسائل حقّ، كسُؤالِ الْعلم؛ فإنَّ الله أمرَ بسُؤالِ أهل الْعلمِ كمَا في قوْله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

وكسُؤالِ من له عند غيره حقٌّ؛ كالأمانات، فلصاحبها أن يسألها ممن هي عنده وكسؤال النفقة لمن تجب عليه، وكسُؤالِ المسافر الضيافة لمن تجب عليه، كما استطعم موسى والخضر أهل القرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إذَا لَمْ يَحْتَجْ إلَيْهِمْ بِوَجْه مِن الْوُجُوه، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إلَيْهِمْ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَى احْتَجْتَ إلَيْهِمْ -وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ- نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَلَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ..

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ: أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إلَيْهِ، وَأَفْقَرُ مَا تَكُونُ إلَيْهِ.

وَالْخَلْقُ أَهْوَنُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ: أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إلَيْهِمْ».

يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨١-١٩٣) (١/ ٣٩-٤٠)، مختصر الفتاوى (٥٧٥).

كلاهما موت ولكنَّ ذا أشدُّ مِن ذاك لِذُلِّ السؤال

ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٥١.

* وقال الشاعر:

لاتخضعنّ لمخلوقٍ على طمع فإنّ ذاك مضرٌّ منك بالدين

واسترزقِ الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون

أدب الدين (٥٢٩).

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) لعلي بن الحسن فيما يوصيه:

يا أخي، عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي، إن تناولت من الناس شيئًا قطعتَ لسانك، وأكرمتَ بعض الناس، وأهنتَ بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإنَّ الذي يعطيك شيئًا من ماله فإنما هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب.

وإن أنت تناولت من الناس شيئًا: إن دعوك إلى منكرٍ أجبتَهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يُقاسمهم.

يا أخي، جوعٌ وقليلٌ من العبادة خيرٌ من أن تشبع من أوساخ الناس وكثيرٍ من العبادة.

وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**»[1].

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه، وقال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما في

---

(١) رواه البخاري (٢٣٧٤).

القلب، اسْتَبِقوا في الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على الناس، فقد وضح الطريق.

وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره.

فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئًا إلا صار حقيرًا ذليلًا عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، وإياك أن تكسب خبيثًا فتنفقه في طاعة الله، فإنَّ تركَه فريضةٌ من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيبًا، أرأيتَ رجلًا أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره؟ كلا! إن القذر لا يطهر إلا بطيب، فكذلك لا تُمحى السيئة إلا الحسنة، وإنَّ الحرام لا يُقبل في شيءٍ من الأعمال. تهذيب الحِلْية ٢/٤٠٨.

* وعن قتادة قال: وجدت **خليد بن عبد الله العصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1] قال: تلقى المؤمن عفيفًا سؤولًا، وتلقاه غنيًّا فقيرًا.

قال: تلقاه عفيفًا عن الناس، سؤولًا لربه عَزَّوَجَلَّ ذليلًا لربه، عزيزًا في نفسه، غنيًّا عن الناس، فقيرًا إلى ربه.

قال **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨). تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة وأيسر الناس مؤونة. الزهد لأحمد: ٤١٠.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: حدثني علي بن الجهم بن بدر قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتابًا فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقصدنا أحمد بن حنبل أيامًا فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا

(١) من العُباد الزهاد، ولم أقف على تاريخ وفاته.

إليه، والباب مردود عليه، وإذا عليه خُلْقان[1]، فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك لم نرك منذ أيام؟ فقال: سُرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت خذ قرْضا، وإن شئت صلة، فأبى أن يأخذه، وقال: اشترِ لي ثوبًا واقطعه بنصفين، فأومى أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر، وقال: جئْني ببقيَّته، ففعلت وجئت بوَرق وكاغَد[2] فكتب لي، فهذا خطه. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٢.

* وحُمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحَمَل إلى **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراثٍ حلالٍ، فخذها واستعن بها على عيلتك[3]، قال: لا حاجة لي بها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٢.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا، ما ذاق إلا مقدار ربع سويق، كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت موقيه دخلتا في حدقتيه. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٣.

* وعن إسحاق بن موسى الأنصاري قال: دفع إليّ المأمون مالًا أقسمه على أصحاب الحديث، فإن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه أبى. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٤.

ج- أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم:

* جاء رجل إلى **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) فقال: إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس فما ترى؟ قال: لا تفعل، إنه لا بد للناس منك، ولا بد لك

(١) جمع خَلَق، وهو الثوب البالي القديم.

(٢) أي: قرطاس.

(٣) أي: حاجتك وفقرك.

منهم، لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعا، أعمى بصيرا، سكوتا نطوقا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٤.

* وذكروا عند **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبادة بني إسرائيل وسياحتهم قال: فقال وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من خالط الناس فورع وصبر على أذاهم كان أفضل عندي. الزهد لأحمد: ٦١٧.

* وقال **الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): الانْقباضُ عن الناس مكسبَةٌ للعداوةِ، والانبساطُ إليهم مَجلَبَةٌ لقُرناء السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٣.

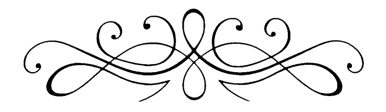
* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يروى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**الذي يخالِطُ الناس ويصبر عَلَى أذاهم**»[1]، من يصبر عَلَى أذاهم؟ طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كانت الفِتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيثُ شاء، وأما إذا لم تكن فتنة فالأمصار خير. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤٣).

* وسُئل **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): فقيل له: ما تقول في عزلة الجاهِل؟.

فقال: خبالٌ ووبال، تضرُّه ولا تنفعه.

فقيل له: فعُزلة العالِم؟ قَالَ: مَا لَكَ ولها، معها حِذَاؤها وسِقاؤُها، تَرِد الماء وترعى الشجر، إلى أن يلقاها ربها. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).



(١) لفظ الحديث: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». رواه أحمد (٢٣٠٩٨)، وغيره.



حال السلف عند الموت(١)

أ- قصص وأخبار:

* لما احتُضر **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) جاءت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتمثَّلت بهذا البيت:

مـن لـم يـزل دمعـه مُقنَّعـا فإنـه لا بـدّ مـرةً مدْفُـوق

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩]. الزهد لأبي داود (٦١).

* ودخلوا عليه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي، قالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٢.

* وعن ابن عمر قال: كان رأس **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك

(١) الموت مصيبة وأيّ مصيبة! قال تعالى: ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [المائدة:١٠٦]، ولو لم يكن من مصيبة الموت إلا أنّ الأعمال الصالحة التي كانت تُرفع تنقطع وتتوقف!

إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بأسبابِ دوامها، كالولد الصالح الذي يدعو له، والعلم الذي يُنتفع به، والصدقة الجارية، ومَن سنّ سنة حسنة فعمل الناس بها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي يَحْصلُ لِلْمُؤْمنِ منَ الْبشْرى، ومسَرَّةِ الْملائكةِ بلقائِه، ورفْقهم بهِ، وفرَحهِ بلقاءِ ربِّهِ: يُهَوِّنُ عليه كُلَّ ما يَحصلُ لهُ منْ أَلَمِ الْموتِ، حتَّى يصيرَ كأَنَّهُ لا يُحسُّ بشيءٍ منْ ذلك. ا.ه فتح الباري ١١/ ٣٦٥.

كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يَغْفِرْ لي ربي. الزهد لأبي داود (٤٤).

* وعن عثمان بن عفان قال: دخلت على **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين طعن، ورأيته في التراب، فذهبت أرفعه، فقال: دعني، ويلي وويل أمي إن لم يغفر لي، وويلي وويل أمي إن لم يغفر لي. الزهد لأحمد: ٢٣٨.

* وبعث النبي ﷺ سبعين من القرّاء إلى بني عامر فلما قدموا: قال لهم **حرام ابن ملحان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤): أتقدّمكم، فإن أمّنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم منّي قريبًا، فتقدم فأمّنوه، فبينما يحدّثهم عن النبي ﷺ إذ أَوْمؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. صحيح البخاري (٣٨٦٥)، صحيح مسلم ٦٧٧).

* وعن زياد مولى ابن عباس، قال: حدَّثني من دخل على **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رَحِمَهُ اللَّهُ. المنتظم ١٠٦/ ٥.

* وعن سلم بن بشير بن حجل قال: بكى **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني ما أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيهما يُسْلك بي. «الزهد الكبير للبيهقي» (٢٢١).

* ولما حضر **معاذَ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) الوفاةُ قال: انظروا أصبحنا؟

فأتي فقيل: لم نصبح، حتى أُتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مُغَيَّب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْي الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُكَب عند حِلَق الذِكر. صفة الصفوة ١/ ٢٣٤.

* ولما احتُضر **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جعل يقول: مَن يَعملُ لمثل يومي هذا؟ من يعملُ لمثل مضجعي هذا؟. الزهد لأبي داود (١٩٤).

* واجتهد **أبو موسى الأشعريُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت ورفقتَ بنفسك؟ قال: إنَّ الخيل إذا أُرسِلَت فقاربت رأس مَجراها، أَخْرَجَتْ جميعَ ما عندها، والَّذي بقي من أَجَلي أقلُّ من ذلك. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٨١.

* ودعا **أبو موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا، وأعمقوا فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: وَاللهِ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ، إِمَّا لَيُوَسَّعَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى تكُونَ كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْهُ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَزْوَاجِي وَمَنَازِلِي وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِي مِنَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ لَأَكُونَنَّ أَهْدَى إِلَى مَنْزِلِي مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِنْ رِيحِهَا وَرَوْحِهَا حَتَّى أُبْعَثَ، وَلَئِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى - وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا - لَيُضَيَّقَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى يَكُونَ فِي أَضْيَقِ مِنَ الْقَنَاةِ فِي الزَّجِّ، ثُمَّ لَيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جهَنَّمَ فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَقُرَنَائِي، ثُمَّ لَأَكُونَنَّ إِلَى مِقْعَدِي مِنْ جَهَنَّمَ أَهْدَى مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لَيُصِيبُنِي مِنْ سَمُومِهَا وَحَمِيمِهَا

حَتَّى أُبْعَثَ.[١] تهذيب الحِلْية ١/٢٠١.

* وقال **عمرُو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): عجبًا لمن نزلَ به الموتُ، وعقلُه معه كيف لا يصفُه؟ فلما نزلَ به الموتُ، ذكَّره ابنُه بقوله، وقال: صِفْهُ، قال: يا بُنَيَّ! الموت أجلُّ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبال رضْوى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأنَّ نفَسِي يخرجُ من إبرة. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٣٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث احتُضر: اللهم أمرتنا بأمور، ونهيت عن أمور، فتركنا كثيرا مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت، ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلل حتى فاض. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٨.

* وبكى وهو في سياقة الموت طويلا وحوله وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟.

فأقبل بوجهه فقال: إنّ أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.[٢].

إني قد كنت على أطباق ثلاث. لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني. ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته. فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار.

فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال فقبضت يدي، قال «مالك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟».

---

(١) حقٌّ على كلّ عاقل أن يستعد لما بعد الموت، بأنْ يعمر أوقاته بالطاعات والقربات، وأن يكفّ عن المعاصي، فالقبرُ أول منازل الآخرة، فإما أن يُنعّم فيه أو يُعذّب.

(٢) في كتاب الزهد لابن المبارك (٤١٦): تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله..

وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم وَلينا أشياء ما أدري ما حالي فيها.

فإذا أنا مت، فلا تصبحني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا.

ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. صحيح مسلم (١٢١).

* ولما حضرت **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) الوفاةُ جعلوا يديرونه في القصر فقال: هل بلغنا الخضراء؟ فصرخت ابنته رملة! فقال: ما أصرخك؟ قالت: نحن ندوِّر بك في الخضراء، وتقول هل بلغت الخضراء بعد؟ فقال: إنْ عزُب عقلُ أبيك فطالَمَا وقَر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٩.

* ولما نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلا من قريش بذي طِوى، وأني لم آلِ[1] من هذا الأمر شيئا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢١.

* وقال **بلال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) حين حضرته الوفاة: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبَه، وتقول امرأته: واويلاه، يقول: وافرحاه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧١.

* وبكى **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عند الموت فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضنًّا بدنياكم، ولا جزعا من الموت، ولكن قلةُ الزاد، وبعد المفاز. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٨.

* وقال أنس بن سيرين: شهدت **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) وحضره

---

(١) أي أتولّ ولاية.

الموت، فجعل يقول: لقنوني: لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قبض. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٧.

* ولما أن حضر **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) الموتُ بكى بكاء شديدا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي؟ وإنما تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجًّا؟، وإنما أراد أن يطيب نفسه، فو الله ما زاده إلا بكاء وانتحابا، وقال: يا أخي إني أقدم على أمر عظيم، وهول لم أقْدَم على مثله قط!.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٩.

* وعن **رجل من أصحاب رسول الله** ﷺ، أنه لما حضره الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أما إني لا أبكي على الدنيا، ولكني أبكي أني أخاف أن أكون كنت أقول قولا أحسبه هينا، وهو عند الله عظيم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٦.

* وبكى **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولًا يبشرني بالجنة أو بالنار!. الزهد لابن المبارك (٤١٣)، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

* ولما احتضر **عبد الرحمن بن الأسود** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩) بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة، ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران:١٨٥] ألا إن الأعمال محظورة، والأجور

---

(١) نعم والله! إنه أمر عظيم، وهولٌ لم يقْدم الحيّ على مثله قط، اللهم أحسن ختامنا، واجعل قبورنا رياضًا من رياض الجنة.

مكملة، ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟.

ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا أخوتاه لا تغترن بشبابكم، فكأنْ قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر، وشدة كرب الموت، النجاء النجاء، الحذر الحذر، يا إخوتاه المبادرة رحمكم الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٧.

* وحضرت الوفاةُ **رجلا من عِلْيَة هذه الأمة**، فجزع جزعا شديدا، وبكى بكاء كثيرا، فقيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلي له المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، فذاك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٨.

* وقال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): دخلت على رجل من أصحابي وهو بالموت، فرأيت من جزعه شيئا ساءَني، فقلت له: ما هذا الجزع؟ فقال: وما لي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتتني المغفرة من الله للحقني الحياء من الله فيما أفضيت به إليه. الزهد لابن المبارك (١١٤٨).

* وحضرَ الموتُ **رجلا من الصالحين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبكى فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفها!، فقال: ليس عليها أبكي، ولكني والله أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٠.

* ولَمَّا احتُضِر **عامر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) بكى، فقيل: ما يُبكيك؟

قال: ما أبكي جَزعًا من المَوت، ولا حِرصًا على الدُّنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجِر وعلى قيام ليالي الشتاء.[١] الزهد لابن المبارك (٢٦٥).

* وسمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤذن وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعةً، ثم مات. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٢.

* وعن الحسن بن صالح بن حيّ أنه قال: قال لي أخي **علي بن صالح بن حيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء، وكنت قائمًا أصلي، فلما قضيت الصلاة أتيته بماء فقلت: يا أخي، فقال: لبيك، فقلت: هذا ماء، فقال: قد شربت الساعة، فقلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه رحمة الله عليه. كرامات الأولياء للخَلَّال (٤٣).

* وكان **عبد الرحمن بن أبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يشتري أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويذهبون، ثم يعرضون عليه فيقول: أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت.

فمات وهو قائم في مسجده. المنتظم ٧/ ١٢٢.

* ولما حُضِر **صفوان بن سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) حضره إخوانه، فجعل يتقلب، فقالوا: كأن لك حاجة قال: نعم، فقالت ابنته: ما له من حاجة، إلا أنه يريد

---

(١) كان كثيرٌ من السلف الصالح يبكي عند الموت، فيُقال لهم: ما يبكيكم؟ فيقولون: ما نبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن نبكي على قيام ليالي الشتاء!

فكم فرّط الكثير من المسلمين في قيام ليالي الشتاء الطويلة، التي طالما بكى على فراقها الصالحون حتى عند الموت، وتحسروا على لذاتها والدمعات التي سُكبت فيها.

أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده فصلى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه فحملوه ومات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٧.

* وعن فضالة بن دينار قال: حضرت **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وقد سُجي للموت، فجعل يقول: مرحبا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها، قال: ثم شَخَصَ ببصره فمات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٩.

* وأتى صفوان بن سليم **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) وهو في الموت، فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟!، فما زال يهون عليه الأمر ويتجلى عن محمد، حتى لكأن وجهه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه: لقرت عينك! ثم قضى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لا نعلم أحدًا رأى حور العين عيانًا إلا في المنام إلا ما كان من **أبي مخرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإنه دخل يومًا لحاجته فرأى حوراء في قبتها وعلى سريرها فلما رآها صرف وجهه عنها، قالت: إليَّ يا أبا مخرمة فإني أنا زوجتك وهذه زوجة فلان، قال: فانصرف إلى أصحابه فأخبرهم فكتبوا وصاياهم فلم يكتب أحد وصيته إلا استشهد. الزهد لأحمد: ٣١٠.

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) لما حضره الموت: اللهم خِرْ لي في الذي قضيته علي من أمر الدنيا والآخرة، وأمرهم بأن يحملوه إلى قبره، فختم فيه القرآن قبل أن يموت!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* ولما احتضر **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة، قيل له: فافعل رحمك الله، فدعا بطهور فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ

برأسه مرتين أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

* وقال أبو جعفر التُّسْتَري: حضرنا **أبا زرعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤) وكان في السَّوْق[١]، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شَاذَان، وجماعة من العلماءِ، فذكروا حديث التَّلقين، وقولَه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لَقِّنوا موْتاكم لا إله إلا الله»[٢]. فاستحْيَوْا من أبي زرعة وهابوا أن يلقِّنوه، فقالوا: تعالَوْا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: أنبأ الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا فقال أبو زرعة وهو في السَّوْقِ: حدثَنَا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرّة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله »[٣] وتُوفّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. صفة الصفوة ٤/ ٣٣٩.

* وكان **الأسودُ بن يزيد النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥) يجتهد في العبادة، ويصومُ حتى يخضَرَّ ويصفرَّ، فلما احتُضِر بكى، فقيل له: ما هذا الجَزَعُ؟ فقال: مالي لا أجزعُ، والله لو أُتِيتُ بالمغفرةِ من الله لأهمَّني الحياءُ منه ممَّا قد صنعْتُ، إن الرجل ليكون بينَهُ وبين آخرَ الذَّنبُ الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيًا منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٠.

* واحتضر **سيبويه النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠)، فوضع رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده، فأفاق من غشيه، فقال:

أُخَيَّيــن كنــا فــرَّق الدهــرُ بيننــا ... إلى الأمد الأقصى فمن يأمنُ الدهرا

ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٩.

---

(١) أي يحتضر.

(٢) رواه مسلم (٩١٦).

(٣) رواه أبو داود (٣١١٦).

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧] فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب. صفة الصفوة ٢/ ٤٨١.

* وكان **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠)؟ يقول عند الموت: السنّة، السنّة، وإيّاكم والبدع، حتى مات. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* واحتضر **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. تهذيب الحِلْية ٣٧٨/ ٢.

* ولما حضرت **مسعرًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) الوفاة، دخل عليه سفيان الثوري، فوجده جزعًا، فقال له: لم تجزع؟ فوالله لوددت أني مت الساعة، فقال مسعر: أقعدوني فأعاد عليه سفيان الكلام فقال: إنك إذًا لواثق بعملك يا سفيان، لكني والله لكأني على شاهق جبل، لا أدري أين أهبط[1]، فبكى سفيان فقال: أنت أخوف لله عَزَّوَجَلَّ مني. تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ٢.

* وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار.

فقلت له يوما: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تُغْفي شيئا، فإنك لم تنم؟.

---

(١) وصفٌ دقيق لحال فراق الروح من عالَم الدنيا إلى عالَم الآخرة.

قالت: فخرجت عنه إلى جنب البيت الذي هو فيه، فجعلتُ أسمعه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣] يرددها مرارا، ثم أطرق، فلبث طويلا لا أسمع له صوتا، فدخلت عليه، فوجدته ميتا، قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينه. الزهد لابن المبارك (٨٣٦)، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٥.

* وقال رجاءُ بنُ حيْوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **عمرُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أوصى إليَّ أن أغسِّله وأكفِّنه، وأدفنَه فإذا حللتُ عقدةَ الكفَنِ، أن أنظُرَ في وجهه، قال: فلمَّا فعلتُ ذلك إذا وجهُه كالقراطيسِ بياضًا، وكان قد أخبرني أنَّه دفن ثلاثةً من الخلفاء فيحُلُّ عن وجوههم فإذا هي مسودَّةٌ. البداية والنهاية ٩/ ٣٥٩.

* وعن محمد بن **ثابت البناني** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قال: ذهبت ألقّن **أبي** (ت: ١٣٣) عند الموت فقال: يا بني خل عني، فإني في وردي السابع، كأنه يقرأ ونفسه تخرج. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٢.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرون أين يُذهب بي؟ يُذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار، أو يعفو عني!.

وجعل يقول: وما يُغني عني ما يقول الناس إذا أُخذ بيدي ورجلي فأُلقيت في النار؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٦.

* ودخلوا على **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبي يحيى.

ورفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٦، ٣٧١.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل،

فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري، فلما احتضر بكى وقال: قد كنت أعلم أن لي مِن كرِّكُما علي يوما شديدا كربه، شديدا غُصَصه، شديدا غمه، فلا إله إلا الذي قضى الموتَ على خلقه، وميزه عدلا بين عباده، ثم جعل يقرأ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:٢] ثم تنفس فخرجت نفسه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٩.

* ونزل الموت **برجل** من أهل المدينة فجزع، فقيل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسولُ أمير المدينة لَيأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٤.

* وقال **عطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) عند الموت: اللهم ارحم في الدنيا غُربتي، وارحم عند الموت صَرعتي، وارحم في القبر وَحدتي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٩.

* ومرض **جليس للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فسأل عنه فقيل: مريض وقد أحب أن تأتيه، فأتاه فدخل عليه، وإذا الرجل لما به فقال: إنَّ أمرًا[1] يصير إلى هذا لأهلٌ أنْ يُزهد فيه، ثم قال: إنَّ أمرًا[2] أهونه هذا لأهل أنْ يُتقى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٠.

* وصدق **القائل**:

إن عيشا يكون آخره الموتُ ... لعيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

* وعن ثابت قال: دخلت أنا والحسن على **صفوان بن محرز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤) نعوده وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب.[3] ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٠.

---

(١) أي: الدنيا.

(٢) أي: الآخرة.

(٣) فينبغي للمؤمن أن يُوقن بهذا في صحته فينفعه ذلك، قبل أن يُوقن به عند موتِه فلا ينفعه ولا يستفيد بوقوفِه على هذه الحقيقة التي أَكْثر الله تعالى من بيانها في كتابه.

* ولما حضرتِ الوفاةُ الشيخَ **الكاساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٨٧) شرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] فخرجت روحه عند فراغه من قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾. طبقات الحنفية (٢٤٥).

* وقال **أبو علي الحسن بن نصر السّوسي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٤) ليلة من الليالي لابنه في مرضه الذي توفي فيه: يا بني، اربط لي حبلًا في السقف، لعلي أقدر أصلي قائمًا، قال: ففعلت، وحملناه حتى وقف، وغُلب ولم يستطع القيام فبكى، وقال: واحزناه، حيل بيني وبين طاعة ربي، فذكرت له الصلاة جالسًا، فقال: يا بني، العمر قصير، والعمل قليل، وإنما أردت أن أعمل أكثر مما عملت، ولَمَّا أطال به المرض قال لزوجته: قد تولَّيتِ مني خيرًا، فاصبري، فما أشك أن أجلي قد اقترب، فإني سمعت هاتفًا من هذا الطاق يقول: أحْسِنْ غدًا صلاة الظهر يفرج عنك، فمات ذلك الوقت. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٨).

* وجَدَّ **الفخر ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢٢) فِي الاشتغال والبَحث، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتَّصنيف، وشرع في إلقاء التفسير بُكرة كل يومٍ، بجامع حران في سنة ثمان وثمانين، وواظبَ على ذلك حتى قرأ الْقُرْآن الكريم خمس مرات، انتهى آخرها إِلى سنة عشر وستمائة، فكان مجموع ذَلِكَ فِي ثَلاث وعشرين سنة، ذكر ذَلِكَ فِي أول تفسيره الذي صنَّفه.

وَكَانَ الشيخ فخر الدين رجلًا صالحًا..

قرأتُ بخط ولده: لما مَات الوالد كَانَ فِي الصلاة؛ لأني ذكرته بصلاة العصر، وأخذته إِلَى صدري، فكبَّر وجَعَل يُحرّك حاجِبه وشفتيه بالصلاة، حَتَّى شَخَصَ بصره.

وَقَدْ ذكر ولده لَهُ منامات صالحة رُئيت لَهُ بَعْد وفاته.

منها: أَن رجلًا حدَّثه أَنَّهُ رأى والده الشيخ فخر الدين جالسًا عَلَى تَختٍ[1] عالٍ، وعليه ثياب جميلة، فَقُلْتُ لَهُ: يا سيِّدي مَا هَذَا؟ فقرأ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الإنسان:١٣].

ورأى آخر الشيخ الفَخر في المنام.. قال: فَقُلْتُ للشيخ الفخر: يا سيدي أخبرني، الْمَوْت كَيْفَ هُوَ؟.

قَالَ: والله الْمَوْت وقت حضوره صعبٌ شديد، وبعد الْمَوْت كلّه هين.

ثُمَّ قَالَ لي: الصلاة يا عبدالله، مَا شَيْء أفضل منها، **فمَن واظبَ عَلَيْهَا وحافظ عَلَى السُّنّة، والجماعة؛ مَا يلقى إلا الخير الكثير.**

قَالَ: وأخبرني رجل سمّاه -وَكَانَ فِيهِ دين وصلاح- قَالَ: رأيتُ فِي النوم قائلًا يَقُول: الشيخ الفَخر كَانَ صادقا مَعَ الله، ثُمَّ قَالَ: الشيخ الفخر كَانَ من الصديقين، قَالَ: وبعدُ رأيت كأنني دخلتُ إِلَى الجامع، فَإِذَا الشيخ عَلَى الكرسي يتكلم، وَهُوَ يردد هذه الأبيات:

طوبى لعبد أحبَّ مولاه ... إِذَا خلا فِي الظلام ناجاه

قَدْ كشف الحُجُبَ عَن بواطنه ... فنورُ مولاه قَدْ تَغَشَّاه

يَقُول يا غايتي ويا أملي ... مَا خابَ عَبْدٌ تكون مولاه

وَكَانَ من عادَتِه فِي مجالسه أَيَّام حياته يرددها كثيرًا فِي كلامه فِي الوعظ، قَالَ: فطربتُ لسماعِ صوته فِي المنام. ذيل الطبقات (٣/ ٣٢٣-٣٣٥).

* **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): أخبرني بَعْض أقارب **فخر الدين بن البعلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٣٢) -وَكَانَ يخدمه فِي مرضه الذي توفي فِيهِ- قَالَ: آخر مَا

---

(١) أي: سرير.

سمعت عِنْدَ موته أَن قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (من كَانَ آخر قَوْله لا إله إلا الله) ثُمَّ مَات. ذيل الطبقات (٥/ ٣٩).

* وجمع **القاضي ابن الصائغ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٣) أهله عند احتضاره، وتوضأ وصلى بهم، وقال: هلِّلوا معي، وبقي يُهلل معهم ساعة حتى تُوفي، وذكروا أن آخر كلامه لا إله إلا الله، فرحمه الله. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٦، طبقات الشافعيين (٢/ ٣٦٠).

* وعن جعفر قال: شهدت **أبا عمران الجوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت، قال: فدخل عليه أيوب السختياني فقال لابنه: لقن أباك: لا إله إلا الله، فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟ قال: يقول: لقن أباك، فقال أبو عمران: يا أيوب إنها أمامي لا أعرف غيرها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٢.

* ودخلوا على **ورقاء بن عمر** [(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في الموت فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله، وجعل الناس يدخلون عليه أرسالا يسلمون فيرد عليهم ويخرجون، فلما كثروا عليه أقبل على ابنه فقال: يا بني اكفني رد السلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن ربي. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وعن سيار بن سلامة قال: دخلت على **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه، فقال: إن أحبَّه إلي أحبُّه إلى الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وعن مالك بن أنس قال: كان **عمر بن حسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل الفضل والفقه والمشورة في الأمور والعبادة، وكانت القضاة تستشيره، قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات:٦١] فقيل لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٦.

---

(١) الإمام الثقة العابد، أبو بشر اليشكري، ولم أقف على تاريخ وفاته.

* وحضرت **إبراهيم بن هانئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥) الوفاة، فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان، فجاءه بماء، فقال: غابت الشمس؟ قال: لا قال: فَردّه، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت روحه. المنتظم ١٩٨/ ١٢.

* لما تغير الحال على **أبي عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر، رياءٌ باطنٌ في القلب. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وعن أبي محمد الحريري أنه قال: كنت واقفًا على رأس **الجُنَيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) وقت وفاته وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم أرفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو يطوي صحيفتي. المنتظم ١١٩/ ١٣.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال: أسندته ـ أي **عبد الأول بن عيسى الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٥٣) ـ إلي فمات فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس:٢٦-٢٧]. ومات. المنتظم ١٢٧/ ١٨.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني شيخنا أبو الفضل بن ناصر عن **عبدالله بن إبراهيم الخبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٩)، قال: كان يكتب المصاحف فبينا هو يومًا قاعدًا مستندًا يكتب وضع القلم من يده واستند، وقال: والله إن كان هذا موتًا فهذا موت طيب ثم مات. المنتظم ٣٤/ ١٧.

* وعن محمد بن إبراهيم قال: حضرت وفاة **الشبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) فأمسك لسانه وعرق جبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل، تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت:

أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٦١/ ٣.

* وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن بشر النهشلي قال: دخلنا على **أبي بكر النهشلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٦) وهو في الموت، وهو يومئ برأسه يرفعه ويضعه، وكأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إني أبادر طي الصحيفة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢.

ب- أهمية تذكر الموت والاستعداد له:

* قالت صفية بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إن امرأة اشتكت إلى **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قساوة القلب، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٤٢.

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من ارتقب الموت سارع في الخيرات. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٢.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إذا مات الميت قالت الملائكة: ما قدم؟ ويقول الناس: ما ترك؟ الزهد لأبي داود (٢٥٢).

* وجاء رجل إلى **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال: أوصني، قال: اذكر الله في السراء والضراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ما تصير. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٣.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما أكثر عبد ذكر الموت، إلا قل فرحه وقل حسده. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٤.

* وعن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: ما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٩.

* وروي عن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه قال: لو فارقَ ذِكر الموتِ قلبي، لخشيتُ أن يفسد عليَّ قلبي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٦.

* وقال **مطرّف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موتَ فيه. صفة الصفوة ٣/ ١٥٩.

* وصدق **القائل**:

وكُلُّ سَـلامَةٍ تَعِـدُ الْمَنَايَـا ... وكُلُّ عِمـارَةٍ تَعِـدُ الخَرابَـا

وكُلُّ مُمَلَّـكٍ سَـيَصِير يَوْمًـا ... ومـا مَلَكَـتْ يَـداهُ مَعًـا تُرابَـا

كَأَنَّ مَحَاسِـنَ الدّنْيـا سَـرابٌ ... وأيُّ يَـدٍ تَنَاوَلـتِ السـرَّابَا

فَيـا عَجَبًا تَمُوتُ وأَنـتَ تَبْني ... وتَتَّخِـذُ الْمَصانِـعَ والقِبَابَـا

أَرَاكَ وكُلَّمَـا فَتَّحْـتَ بَابًـا ... مِنَ الدّنْيا فَتَحْتَ عَلَيْكَ نَابَا

أَلـمْ تـرَ أنّ غُـدْوَةَ كُلِّ يَـوْمٍ ... تَزيْـدُكَ مِـن مَنِيَّتِـكَ اقْتَرابـاَ

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): أكثر من ذكر الموت، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلا ضيَّقه عليك، ولا تكون في ضيق من الأمر إلا وسَّعه عليك. الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٧٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما عُزي على ابنه عبد الملك: إن الموت أمرٌ كنّا وطّنّا أنفسنا عليه، فلما وقع لم نستنكره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤١٠.

* وقال الإمام الحافظ **البخاريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦):

اغتنـم في الفـراغ فضـلَ ركـوع ... فعسـى أن يكـون موتُـك بغتـة

كم صحيح رأيتُ من غير سُقْم ... ذَهَبَـتْ نفسُـه الصحيحةُ فلتـة

وكانَ من الْعجائِب أنه هُوَ وقع لهُ ذَلك، حيث تهيَّأ لركُوب دابّتِه في آخر حياتِه، وَلبس خُفَّيْه وعمامته، فَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرسلوني فقد ضعفت، فَدَعَا بدعواتٍ

* وقال الشاعر:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِين ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ

فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِيناً بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ؟[1]

نفح الطِّيب: ٢/ ٧٤.

* وكتب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعض أهل بيته: أما بعد، فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك بغَّض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باق، والسلام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٣.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): عجبًا لِمَن يعلم أن الموت مَصيره، والقبر مورده، كيف تقرُّ بالدنيا عينُه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ ثم يبكي. صفة الصفوة ٣/ ١٩٨.

* وقَالَ **الشَّاعِرُ**:

نَرُوحُ ونَغْدُو لِحاجاتِنَا ... وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضي

تَمُوتُ مع الْمَرءِ حاجاتُهُ ... وتَبقى له حاجةٌ ما بَقي

أدب الدين (٨٧).

* وعن عبد الواحد بن صفوان قال: كنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فقال: رحم الله امْرأً عمل لمثل هذا اليوم، إنكم اليوم تقدرون على ما

---

(١) الحياة الدنيا كساعة بالنسبة للحياة الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥]، وكما قال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فالعاقل يستغلّ هذه الساعة القصيرة، ولا يُضيعها فتضيع عليه آخرته الباقية التي لا نهاية لها.

لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاغتنموا الصحة والفراغ قبل يوم الفزع والحساب. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤.

* وعن مالك بن دينار قال: كنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جنازة، فسمع رجلًا يقول لآخر: من هذا الميت؟ فقال الحسن: هذا أنا وأنت رحمك الله، أنتم محبوسون على آخرنا حتى يلحق آخرنا بأولهم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٨.

* وأنشد **أبو العباس بن أبي العرب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥):

الموت لابدّ آتٍ فاستعدّ له ... إنّ اللبيب بذكر الموت مشغولُ

وكيف يلهو بعيشٍ أو يلذُّ له ... مَنِ التُّرابُ على العينين مجعول

ترتيب المدارك (٢/ ٣٩٧).

* وقيل **لأبي الفضل يوسف بن مسرور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٥) فلان يتكلّم فيك، فقال: إنما مثلي ومثله كمثل رجل حُمل لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق، فقال لنفسه: أنتَ تُحمل للقتل، تَسأل عمن يقذفك؟ وأنا سائر إلى الموت، لا أدري متى يأتيني، أسأل عمن يتكلّم فيّ؟ في الموت ما يُشغلني عن ذلك. ترتيب المدارك (٣/ ١١٨).

* وقال **بعض السلف**: قصّر أملك فإن العمر قصير، وأحسن سيرتك فالبِرُّ يسير.

وقال **الشاعر**:

نسير إلى الآجال في كل ساعة ... وأيامنا تُطوى وهن رواحل

ولم نر مثل الموت حقًّا كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطل

ترحّل عن الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تُعدُّ قلائل

أدب الدين (٢٠٣).

* وقال الشاعر:

تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيَـا فَإِنَّـكَ ظَاعِـنٌ وَإِنَّـكَ مِثْـلُ الرَّكْـبِ سَـوْفَ تَسِـيرُ

وقال الآخر:

تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيَـا بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَـى فَـكُلٌّ بِهَـا ضَيْـفٌ وَشِـيكٌ رَحِيلُـهُ

* وقال الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته التي يرثي فيها ولده:

حكـم المنيـة في البريـة جـار مـا هـذه الدنيـا بـدار قـرار

بينمـا يـرى الإنسـان فيهـا مخبِـرًا حتـى يُـرَى خبـرًا مـن الأخبـار

طُبِعت على كـدر وأنـت تريدهـا صفـوًا مـن الأقـذار والأكـدار

ومُكَلِّـف الأيـام ضـد طباعهـا متطلـبٌ في المـاء جـذوة نـار

كان الشيخ تقي الدين **ابن تيمية** (ت: ٧٢٨): يتمثل كثيرًا بالبيت الثالث والرابع. الآداب الشرعية ٢/ ١٧١.

* وقال معروف **الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): رأيتُ **أَحْمَد بن حنبل** (ت: ٢٤١) فتى عليه آثار النسك، سمعتُه يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعتُه يقول: **مَن عَلِم أنه إذا مات نُسي أحسن ولم يُسِئ**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

ج- ما قيل في الموت ورهبته:

* **عن عبد الله بن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) أنه سئل عن نفْسَين اتفق موتهما في طرفة عين، واحد في المشرق، وواحد في المغرب، كيف قدرة ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب، والظلمات والهواء، والبحور، إلا كرجل بين يديه مائدة، يتناول من أيها شاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٦٤.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن المؤمن ليعمل السيئة فيشدد

عليه بها عند موته ليكون بها[١]، وإن الفاجر ليعمل الحسنة، فيخفف بها عليه عند موته ليكون بها.[٢] الزهد لوكيع (٩٢).

* وعن **زيد بن أسلم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغها بعمله شُدد عليه الموت، ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا يهون عليه الموت، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا، ثم يصير إلى النار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥٠.

* وسأل بعض ولاة المدينة **إبراهيم بن يزيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) عن ملك الموت، كيف يقبض روحا في الهند وروحا في أقصى المغرب، وآخر بمصر، وآخر بالعراق في وقت واحد؟.

فقال له إبراهيم: لما صعب عليك عرض هؤلاء الحرس والأعوان بين يديك حسبتَ أمر الخالق عليه وقدرته، وسأمثل لك مثلا: الشمس تطلع على كل بلد في حين واحد، فلو أُمِرَت بقبض الأرواح في جميعها لكانت تقدر؟ قال: نعم، قال: فكذلك ملك الموت، أُعْطي من القدرة مثل ذلك. ترتيب المدارك (٢/ ٤١١).

* وقيل **لكعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): أخبرني عن الموت فقال: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، وليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوك، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥١.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٥١.

---

(١) أي: ليكون تشديد الموت عليه تكفيرا لسيئته.

(٢) أي: ليكون تخفيف الموت عليه مُكافأةً على حسنته..

* وقال الشاعر:

ومؤمـلٍ والمـوت دون رجائـه ومحـاذرٍ أكفانـه لـم تُغـزل

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٩.

وقال الشاعر:

هبك قد نلت كل ما تحمل الأر ض فهـل بعـد ذاك إلا المنيـه؟

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٠.

* وكان **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه تعالى نفسه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.[1] تهذيب الحِلْية ١/ ٣٧٩.

* وقال الشاعر:

وقِـفْ بالقصـور علـى دجلـةَ حزينـا فقـل: أيـن أربابهـا

وأيـن الملـوك ولاة العهـو د رقـاة المنابـر غُلابَّهـا

تجيبـك آثارهـم عنهُـمُ إليـك، فقـد مـات أصحابهـا

ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك، أتاهم حادٍ من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت، ويذكره في الرخاء، فيُقَدِّم لنفسه خيرًا يجده بعدما يفارق الدنيا وأهلها، ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء، فقام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٤.

* وعن عبد العزيز أبي مرحوم، قال: دخلنا مع **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

---

(١) وإذا كان بين المقابر وحده، والقبر الذي قد جُهّز بين يديه: كان أنفع وأخشع للقلب.

١١٠) على مريض نعوده، فلما جلس عنده قال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أشتهي الطعام، فلا أقدر أن أسيغه، وأشتهي الشراب فلا أقدر على أن أتجرعه، قال: فبكى الحسن، وقال: على الأسقام والأمراض أُسِّست هذه الدار، فهبك تصح من الأسقام، وتبرأ من الأمراض، هل تقدر على أن تنجو من الموت؟ قال: فارتُج البيت بالبكاء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٢٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَلْفُوفُ نَزَلَ تَرَى وَأُيْتِمَتِ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٥١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فضح الموتُ الدُّنيا، فلم يَترك فيها لِذي لُبٍّ فرحًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٣.

* وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: أصبت رقعة في الجنازة فيها مكتوب: وهَبْتم همكم للدنيا، وتناسيتم سرعة حلول المنايا، أما والله ليحلنَّ بكم من الموت يوم مظلم، ينسيكم طول معاشرة النعمة، ولتندمن ولا تنفعكم الندامة، الحذر! الحذر! الحذر! قبل بُغْتان المنايا، ومجاورة أهل البلى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٥٨.

* وقال **الشاعر**:

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعده عن كل شي

ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٠.

* وقال رجل **لبعض السلف**: أوصني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٢.

* وسئل **عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): أيبصر الأعمى ملك الموت إذا جاء يقبض روحه؟ قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٦١.

وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: «ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت». الزهد لابن المبارك (٢٥٩).

* وقال **الشاعر**:

الموت بابٌ وكل الناس داخله ... فليت شعريَ بعد الباب ما الدار
الدار جناتُ عدن إنْ عملت بما ... يرضي الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للناس غيرُهما ... فانظر لنفسك ماذا أنت مختار

أدب الدين (٢٠٧).

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه، أتاه ملك الموت، فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٢.

* وقال **الشاعر**:

لو كنت تعقل يا مغرور ما رَقَأت ... دموعُ عينك من خوف ومن حذر
ما بال قوم سهام الموت تخطفهم ... يفاخرون برفع الطين والمدر

ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٥.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: ما أحد يُنزل الموت حقَّ منزلته، إلا عدّ غدًا ليس من أجله، كم من مستقبل يومًا لا يستكمله؟ وراجٍ غدًا لا يبلغه؟ لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره. تهذيب الحِلْية ٢/ ٩٥.

* ومر **بعض السلف** بقوم يسوون نعشًا لميت، فقال: من هذا الغريب بين أظهركم؟.

قالوا: ليس بغريب بل هو قريب حبيب.

فبكى وقال: ومن أغرب من الميت بين الأحياء!!.

فبكى القوم جميعًا. تهذيب الحِلْية ٣٤٣/ ٢، ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٨.

* وعن إبراهيم بن الأشعث قال: كنا إذا خرجنا مع **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.[1] تهذيب الحِلْية ٣/ ٣.

* وعن عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨)، وسئل عن الرجل يتمنى الموت، قال: ما أرى بذلك بأسًا، إذ يتمنى الموت الرجل مخافة الفتنة على دينه، ولكن لا يتمنى الموت من ضرٍّ به أو فاقة أو شيء مثل هذا.

ثم قال عبد الرحمن: تمنى الموت أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومن دونهما.

وسمعته ونحن مقبلون من جنازة عبد الوهاب فقال: إني لأشم ريح فتنة، إني لأدعو الله أن يسبقني بها.

وسمعته يقول: كان لي أخوان فماتوا ودفع عنهم شر ما نرى، وبقينا بعدهم، وما بقي لي أخ إلا هذا الرجل - يحيى بن سعيد - وما يغبط اليوم إلا مؤمن في قبره. تهذيب الحِلْية ٣/ ١١٥.

* وقال **الشاعر**:

تَرى الْمَرءَ يَبْكيهِ الَّذي عاشَ بَعْدَهُ ... ومَوْتُ الَّذي يَبكي عليه قَريبُ

المجالسة وجواهر العلم (٣٢٢).

---

(١) نُقل عن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: لو خفت الموت ما نفعك طعام أو شراب ولا شيء من الدنيا، ولو عرفت الموت حق معرفته ما تزوجت ولا طلبت الولد!

وهذا الكلام -إن صح- مردود، فإنّ النبيّ ﷺ إمام المتقين وأعرف الناس برب العالمين، تزوج ورزق الولد وتسرى وأكل الطيب، مع أنه رأى النار والجنة عيانًا ودخل الجنة، وهو أخوف الناس من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

د- ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار[1]:

* عن **أبي هريرة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار، قال: (رب ارجعون)، حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال: قد عُمِّرت ما كنت معمرًا، فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض، حياتها وعقاربها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٧٨.

* وخرج **أبو الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) إلى جنازة، وأتى أهلُ بيت الميت يبكون عليه، فقال: مساكين، موتى غدٍ يبكون على ميت اليوم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٨.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: إن كانوا يشهدون الجنازة فيظلون الأيام محزونين، يُعرف ذلك فيهم. الزهد لابن المبارك (١٨٦).

قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وعن **الأعمش** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٤٨) قال: إن كنا لنشهد الجنازة، فلا ندري أيّهم يُعزّى من حزن القوم. الزهد لوكيع (٢٠٨)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وقال رَحِمَهُٱللَّهُ: أدركت الناس وإذا كانت فيهم جنازة جاءوا فجلسوا صموتا

---

(١) من المخالفات الشرعية في المقابر:

١- الكلام في أمور الدنيا، ووصل الحال ببعضهم إلى أنه يرد على جوّاله، وبعضهم مشغول بالسلام على الأصدقاء، وبعضهم مستغرقٌ في الضحك!

وهذا يدلّ على الغفلة والجهل وقسوة القلب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا لم يخشع القلب في هذا المكان فمتى يخشع؟ وإذا لم يتعظ في هذا الموطن فمتى يتعظ؟

٢- رفع الصوت ولو بالوعظ والنصيحة، فقد روى الإمام أحمد (١٨٦١٤) عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فجلس على القبر وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير.

فقوله: كأن على رؤوسنا الطير: قال العلماء: هو كناية عن السكون والوقار، وعن إطراقهم رؤوسَهم، وسكوتَهم، وعدم التفاتهم يمينا وشمالا؛ لأن الطير لا يكاد يقع إلا على شيء ساكن.

لا يتكلمون، فإذا وُضعت نظرت إلى كل رجل واضعا حبوته على صدره، كأنه أبوه أو أخوه أو ابنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

* وتوفي محمد بن **عمر بن لُبانة** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ (ت: ٣١٤) وتزاحم الناس على نعشه، فقال أبوه: لو تزاحموا على علمه لا على نعشه!.

فسُمعت منه، وكُتبت عنه. ترتيب المدارك (٣/ ١٢٩).

* وسمع **أبو قلابة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قاصًا رافعًا صوته في جنازة فقال: إنْ كانوا ليعظّمون الموت بالسكينة. الزهد لوكيع (٢٠٩)، الزهد لأحمد: ٥١٠.

* وكان **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٩) إذا حضر جنازة لم يتعش تلك الليلة، ولم يقدر أحد من أهله أن يكلمه من شدة حزنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وقال **صالح المري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٧٢): أدركت بالبصرة شبابا وشيوخا يشهدون الجنائز، يرجعون منها كأنهم نشروا من قبورهم، فيُعرف فيهم والله الزيادة بعد ذلك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٣) أنه حضر جنازة، فلما رجع إلى أهله أُتي بغدائه فبكى، وقال: هذا يوم منغَّصٌ علينا نهاره، وأبى أن يطعم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

* وعن **سلام بن أبي مطيع** رَحِمَهُٱللَّهُ قال: شهدت **قتادة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٨) في جنازة فلم يتكلم حتى انصرف، وشهدت **الحريري** رَحِمَهُٱللَّهُ في جنازة فلم يزل يبكي حتى تفرق القوم، وشهدت **محمد بن واسع** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٢٣) في جنازة فلم يزل مقنّع الرأس، مطرقا، ما يلتفت يمينا ولا شمالا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

* وقيل **لسفيان بن عيينة** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت ١٩٨): لأي شيء كان يُستحب خفض الصوت عند الجنائز؟ قال: شبهوه بالحشر إلى الله، أما سمعته يقول: ﴿وَخَشَعَتِ

ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٨]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

* وكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فرأى رجلا يحدث صاحبه ويتبسم إليه، فقال: يا سبحان الله! أما كان في الذي بين يدك مشتغل عن التبسم؟! قال الحسن: كانوا يعظمون الموت أن يُرفع عنده صوت. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط، ليلة تبيت مع أهل القبور لم تبت قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوما يأتيك البشير من الله إما بالجنة وإما بالنار، ويوما تُعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه كره رفع الصوت عند الجنازة، وعند قراءة القرآن، وعند القتال. الزهد لوكيع (٢١٢).

* وعن **أيوب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كان يقال: من كرامة الميت على أهله تعجيله إلى حفرته. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٨.

* وكان **عمرو بن عتبة بن فرقد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥) يخرج على فرسه ليلًا، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم يبكي ويصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح. تهذيب الحِلْية ٢/ ٧٣.

* وقال **مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ** (ت: ١٣١):

أتـيت القبـورَ فناديتُـهـ ـنَّ أين المعظَّـم والمحتقَـرْ

وأيـن المُـدِلُّ بسلطانـه وأيـن المزكَّـى إذا مـا افتخَـرْ

قال: فنوديت من بينها ولا أرى أحدًا:

تفانَـوْا جميـعًا فمـا مُـخبِرٌ ومـاتوا جميعًا ومـاتَ الخبَـرْ

تـروحُ وتغـدو بنـاتُ الـثرى ... وتُمْحَى محاسنُ تلك الصُّوَرْ

فيا سائلي عـن أنـاسٍ مَضَـوْا ... أَمَـا لـك فيمـا تـرى مُعتبَـرْ

قال: فرجعت وأنا أبكي. عيون الأخبار ٦٧٩/ ٢.

* وعن محمد بن كعب قال: أتيت **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) وهو خليفة، فلما دخلت عليه أدمت النظر إليه، فقال: إنك لتنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي بالمدينة -لما كان واليًا عليها- قلت: أجل يا أمير المؤمنين، أعجبني ما كَلَّ من جسمك، وتغير من لونك، ورث من شعرك، فقال: كيف لو رأيتني بعد ثلاث في القبر، وقد سقطت حدقتي على وجنتي، وخرج الصديد والدود من منخري وفمي، كنت أشد لي نكرة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٠.

* ووُجد على قبر مكتوب:

أنـا في القبـر وحيـدا ... قـد تبـرأ الأهـل منـي

أسلمـتوني بـذنـوبـي ... خبـت إن لـم يعـف عنـي

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وكان على قبر مكتوب:

عشـت دهـرا في نعيـمٍ ... وسـرورٍ واغتبـاطٍ

ثـم صـار القبـر بيتـي ... وثـرى الأرضِ بساطـي

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* ودخل قوم قصرا قد خرب، فإذا بفنائه قبر، وعلى بعض حيطان القبر مكتوب:

يـا مـن يعلـل باللـذات مُهْجَتـه ... أمـا ترى قبـر رب القصـر مهجورًا؟

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وقال الشاعر:

باتوا على قُلَلِ الجبال تَحْرُسُهُمْ   غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَمْنعْهمُ القُلَلُ
وَاسْتُنْزِلُوا مِن أعَالِي عِزِّ مَعْقِلِهِمْ   فأُسْكنُوا حُفْرةً يا بِئْسَ ما نَزَلُوا
ناداهُمْ صارِخٌ من بَعْد ما دُفِنُوا   أيْن الأسِرَّةُ والتِّيجانُ والْحُلَلُ
أين الوجوهَ التي كانت مُحجَّبةً   من دُونها تُضْرَبُ الأستارُ والكُلَلُ
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنهُم حين ساءَلَهُمْ   تِلك الوُجوهُ عليها الدُّودُ يَقتَتِلُ
قَد طالَ ما أكَلُوا دَهْرًا وما نَعِمُوا   فأصْبَحُوا بَعْد ذلك الأَكْلِ قَد أُكِلُوا

المجالسة وجواهر العلم (٢١).

* ومر **صالح المري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٢) بقصر خرب، بفنائه قبران، وأسود جالس عندهما، فقال: يا صالح هذان ربا هذا القصر صارا إلى ما ترى!، وعلى القبر مكتوب:

يا أيها الركب سيروا اليوم واعتبروا   فعن قليل تكونوا مثلنا عِبَرا
كنا وكانت لنا الدنيا بلذتها   فما اعتبرنا وما كنا لنَنْزَجِرا
حتى رمانا الردى منه بأسهمه   فلم يُبَقِّ لنا عينًا ولا أثرا

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٥.

* وقال **الشاعر**:

مُلْكُ المدائن بالآفاق خاويةٌ   أمْسَتْ خرابا وذَاقَ الموتَ بانيها
أين الملوك التي عن حظّها غفلت   حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٩.

* وقَالَ رجل **للإمام أحمد بْن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): أوصني؟ فقال له: انظر إلى أحبّ ما تريد أن يجاورك فِي قبرك فاعمل به. طبقات الحنابلة (١/ ١٩٢).

* ووُجد على قبر مكتوب: قهرنا مَنْ قهرنا فصرنا للناظرين عبرة. أدب الدين (٢٠٥).

* وقال الشاعر:

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقَمْنَا قليلًا بَعْدَهُمْ وتَقَدَّمُوا

المجالسة وجواهر العلم (٥٤٨).

ل- القبر راحة المؤمن:

* عن أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: **كان أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إذا مات الرجل على الحال الصالحة، قال: هنيئًا لك، يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين أن الرجل يصبح مؤمنًا، ويمسي منافقًا، يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٧.

* وعن **أبي أيوب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: إذا قُبضت نفسُ العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يَلْقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أَنْظِروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربّية، قال: فيَعْرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءا قالوا: اللهم راجع بعبدك.[1] الزهد لابن المبارك (١٤٩).

---

(١) وروى النسائي (١٨٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ حديثا ذكر فيه سؤال الأموات بعضهم لبعض. وصححه الألباني وغيره. =

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إذا مات الميت استقبله ولده كما يُستقبل الغائب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٨٢.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩١.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس:٦٤]، قال: يعلم أين هو قبل أن يموت. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٤.

* وغسل **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) رجلا فقال: أما إنه الآن يرى ما نصنع به. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): ما من بيت خيرٌ للمؤمن من لحد، قد استراح فيه من هموم الدنيا، وأمن عذاب الله. الزهد لوكيع (٨٧)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): نعم المنزل القبر لمن أطاع الله. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

هـ- تلقين المحتضر الشهادة:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): احضروا موتاكم وذكروهم،

= قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأرواح قسمان:
أرواح معذَّبة، وأرواح منعَّمة.
فالمعذَّبة في شغل مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.
والأرواحُ المنعَّمةُ المرسَلَةُ غيرُ المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كلُّ روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها.
وروحُ نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى.
وقد تواترت المرائي بذلك.. وجاءت سنّةٌ صريحةٌ بتلاقي الأرواح وتعارُفِها.
الروح: ١/ ٤٤ - ٥٠.

فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٥.

* وقال **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إذا احتضر الميت فلقنوه: لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٠٤.

* وقال الحسن بن الربيع: سمعت **ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) حين حضرته الوفاة وأقبل نُصَير يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله إلاَّ الله، فقال له: يا نُصَير قد تَرى شدّة الكلام عليَّ، فإذا سمعتَني قُلتُها فلا تردّها عليّ حتى تَسْمَعني قد أحدثتُ بعْدها كلامًا، فإنما كانُوا يستحبّون أنْ يكُون آخر كلام العَبْد ذلك. صفة الصفوة ٤/ ٣٨٠.

ن- ذكر مَن تُوفي فجأةً وكان بحال طاعة:

* توفي شرف الدين أَبُو مُحَمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ فجأةً وَهُوَ يتوضأ للمغرب. ذيل الطبقات (٥/ ٣٤).

* وتوفي أَبُو الحسن العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ فجأةً فِي الصلاة، فِي شهر رمضان، سنة ثمان وستين وأربعمائة. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٥).

* وتوفي الْمَزْرقي المقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ ساجدًا، سنة سبع وعشرين وخمسمائة. معرفة القراء (٢/ ٩٣٨).

* وتوفي إسماعيل بن عللي الحنفي الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتبَّسم. تاج التراجم (٦٦).

* وتوفي سعد بن عثمان بن مرزوق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ساجدًا في صلاته..

وذكر ابن النجار رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان قد قرأ يومًا في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨،٨٩]. ذيل الطبقات (٢/ ٤١٧- ٤٢١).

* وكان موت أبي علي الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجأة؛ فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر، فقاء فمات، وكان قد تزوَّج وعزم تلك الليلة على الدخول بزوجته. ذيل الطبقات (٢/ ٣٩).

* وكانت وفاة العلامة أبي سعد الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الجمعة في صلاة المغرب، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] ثم فاضت نفسه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٧٨).

* وذكر الحافظ بن موسى المديني أَن الْحَاكِم أَبَا عبدالله رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ٤٠٥) دخل الحمام، واغتسل وخرج، فقال: آه، وقبض روحه، وهو متزر، ولم يلبس القميص بعد. طبقات الشافعيين (١/ ٣١٧).

* ولم يزل الحافظ الكبير الدمياطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦١٣-٧٠٥) في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء غشي عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته. [البداية والنهاية (١٨/ ٦١)].

* وتوفي أَبُو بكر الخيّاط المقرئ البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٧٦-٤٦٧)، في الصلاة في رمضان. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٣).

* وتوفي عبدالعزيز بن أبي حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ يوم الجمعة، في آخر سجدة منها. ترتيب المدارك (١/ ٣٢١).

* ولما انصرف أبو مروان بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صلاة العشاء بمسجده آوى بعد حين إلى فراشه فقُبض أسهل قبض، لم يعلم به ضجيعه حتى جفّ. ترتيب المدارك (٤/ ٣٩٠).

* ومات محمد بن شجاع رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساجدا في صلاة العصر. تاج التراجم (١٩١).



وممن تُوفُّوا فجأةً[1]

١- المقرئ المعروف بالدهان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٣٣٩).

٢- أبو محمد التُّونيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٤١٦).

٣- الإمام العلامة ابن جبارة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٤٨٤).

٤- الإمام المقرئ اللبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٥٠٠).

٥- أبو عبدالله البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (١/ ٢١٤).

٦- أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

٧- الحافظ السِّلَفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (٢/ ١٩٩).

٨- ضياء الدين الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٣).

٩- أَبُو الْعَبَّاس ابْن صصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٤٢).

١٠- تَقِيّ الدِّين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٤٨).

١١- القاضي ابن البارزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٥٨).

١٢- ابن سيّد الناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٨١).

١٣- أبو عبدالله المرّاكشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٢٧).

١٤- الإمام العلامة أبو محمد الإسنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ١٧٣).

١٥- إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحِيم الْكِنَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢١٢).

---

(١) كنت قد قيّدت مَن ماتَ فجأةً بلا سببٍ ظاهر، وهناك غيرهم ممن لم يتيسَّر لي تقييده، وأكثرَ منهم من يُذكر في الكتب، وقد كثر في زماننا موت الفجأة، والعاقل يستعد للموت الذي قد يُباغته، نسأل الله حُسنَ الخاتمة.

١٦- الشيخ فخر الدين البرماوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٤).

١٧- القاضي إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٢/ ٢٩٠).

١٨- القاضي هارون بن إبراهيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٢).

١٩- القاضي أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ١٩٤).

٢٠- ابن الضُّحى رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٢٢٨).

٢١- أحمد بن أيوب بن أبي الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٣١٨).

٢٢- إبراهيم بن محمد الضويان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب كتاب: منار السبيل في شرح الدليل. علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٦٦).

٢٣- الشيخ حسن بن عبدالله بن حسن آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يوقع معاملات وزارة التعليم العالي عام (١٤٠٧). علماء نجد (٢/ ٣٧).

٢٤- الشيخ راشد بن عبد اللطيف آل مبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ. علماء نجد (٢/ ١٤٣).

٢٥- شيخ المحدثين أبو محمد الدمياطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لم يحصل له مرض، بل حضر الميعاد وأصابه عقب ذلك غشي، فحمل إلى منزله، فمات ساعته، سنة خمس وسبع مائة. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧٤).

٢٦- وقُدِّم إلى الخليفة المقتدي بأمر الله الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار قالت: فنظر إلي وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحدا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض، قالت: فظننت أنه غشي عليه فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعيا، فأغلقت عليه الباب وخرجت. البداية والنهاية (١٦/ ١٤٠).



أ- أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته:

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤١٢.

* وعَن عَائِشةَ أنَّ **سَعْد بن معاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥) قال -وتحجر كلْمه للبُرْء[1]- اللهم إنك تعلم أن ليس أحدٌ أحَبَّ إلَيَّ أن أجاهد فيك من قوم كذَّبوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني أجاهدهم فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنتَ وضعت الحرب بيننا وبينهم فافْجرها، واجْعل موتي فيها.

فانْفَجَرَ مِن لَيلتِهِ، فَما زال يَسيلُ حتَّى ماتَ. صحيح البخاري (٤١٢٢)، صحيح مسلم (١٧٦٩).

* ودُخل على **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسن الله عافيتك أبا عبد الله؟ فقال: الإلحاق بمن يُرجى عفوه، خير من البقاء مع من لا يؤمن شره. تهذيب الحِلْية ١٨٠/ ٢.

* ولما ثَقُل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم؟ قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني

---

(١) أي يبس جرحه وكاد أن يبرأ.

أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خِر لعمر في لقائه، فلم يلبث إلا أياما حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٦.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ما نفس تخرج أحب إليّ من نفسي، ولو كانت في يدي لأرسلتها. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

ب- حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس يُنتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٧١/ ١.

* وعن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢)، أنه قال: لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا. فقلت: وما هن؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي، في اختلاف الليل والنهار، يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة، وتمام التقوى أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ العبد، حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حاجزًا بينه وبين الحرام. إن الله تعالى قد بين لعباده الذي هو يصيرهم إليه، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨] فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله[1]. تهذيب الحِلْية ١٦٩/ ١.

* ولما بلغ **مصلح الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٠) عقد الثمانين قَالَ: أسأل الله أن **يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كلّ يومٍ لختمة**، فاستُجيبت دعوته، فكان يختم كل يومٍ ختمة. ذيل الطبقات (٢/ ٤٠٦).

---

(١) وقد تقدم في باب: «حال السلف عند الموت» تأسف كثير من السلف عند الموت على فراق قيام الليل والصيام والذكر ونحوها من الطاعات.



حال بعض الملوك والأمراء والمذنبين عند الموت

* قال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): وهو في الموت: اللهم لا ذو قوة فأنتصر، ولا ذو براءة فأعتذر، اللهم إني مقرٌّ، مذنب، مستغفر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٠.

* ولما **حضرت عبدَ العزيز بن مروان** (ت: ٨٥) الوفاةُ قال: ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه، فلما وضع بين يديه، ولأَّهُم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أفٍّ لكِ[1]، أفٍّ لكِ، ما أقصر طويلك، وأقل كثيرك. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣١.

* ولَمَّا أتاه البشير يُبشِّرُهُ بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاث مئة مُدي من ذهَب قال: مالي وله، لَوَدِدتُ أنَّه كان بعرًا حائلًا بِنَجد.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قولُ كلِّ ملكٍ كثيرِ الأموال، فهلاّ يُبادر ببذله؟. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٠.

* ولما احْتُضر **بشر بن مروان** (ت: ٧٣) قال: والله لوددت أني كنت عبدا حبشيا لأسوأ أهل البادية مَلَكةً، أرعى عليهم غنمهم، وأني لم أكن فيما كنت فيه.

* ومرض **عبد الملك بن مروان** (ت: ٨٦) فجعل في مرضه يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وأنا منك لفي غرور.

ونظر إلى غسال يلوي ثوبًا بيده، فقال: لوددت أني كنت غسالًا آكل من كسب يدي ولم آل شيئًا من هذا الأمر.

فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا احتضروا يتمنون ما نحن فيه، وإذا احتضرنا لم نتمن ما هم فيه.

---

(١) أي: الدنيا.

وقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم. المنتظم ٦/ ٢٧٣، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٢، ٥/ ٣٣١.

* ولما احتُضر **هشام بن عبد الملك** (ت: ١٢٥) أبصر أهله يبكون حوله، فقال: جاد عليكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جَمع وتركتم عليه ما حَمل، ما أعظم متقلَّب هشام إن لم يغفر له!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٨.

* وجعل **المنتصر** (ت: ٢٤٨) يقول وهو يكيد بنفسه وقائل يقول: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال: ليس إلا هذا؟ لقد ذهبت الدنيا والآخرة!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٩.

* وجعل **هارون** (ت: ١٩٣) أمير المؤمنين يقول وهو في الموت: واسوءتاه من رسول الله ﷺ!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٢٩.

* وعن عكرمة بن خالد، أنه دخل على **أحد الأمراء** يعوده، فرآه ثقيلا فقال له: اتق الله وأكثر ذكره، فولى بوجهه إلى الجدار فلبث ساعة، ثم أقبل علي فقال: يا أبا خالد ما أُنكر ما تقول، ولوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان بن كنانة- أشقى أهل بيت من كنانة- وأني لم ألِ من هذا العمل شيئا قط. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨١.

* وقال الربيع بن برة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت بالشام **رجلا** يقال له وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، فقال: اشرب واسقه!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦١.

* وقيل **لرجل** وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، قال: هيهات! حيل بيني وبينها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦١.

* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضرت **رجلا** في النزع فجعلت أقول له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول، فلما كان في آخر ذلك قلت له: قل لا إله إلا الله، قال: كم تقول؟ إني كافر بما تقول، وقُبض على ذلك، فسألت امرأته عن أمره

فقالت: كان مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنما هي أوقعته.[١]
جامع العلوم والحكم/ ٧٨، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٠.

* وعن زرقان بن أبي داود قال: لما احتضر **الواثق** (ت: ٢٣٢) جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشتِركُ لا سُوْقَةٌ منهمُ يبقى ولا ملك
ما ضرَّ أهلَ قليل في تَفَاقُرهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت، وألصق خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم مَنْ قد زال ملكه. المنتظم ١١/ ١٨٥.

* واحتُضر رجلٌ فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي فبداء الهوى يموت الكرام

ثم قال: يا من لا يموت أرحم من يموت، ثم لم يلبث أن مات!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لمَّا احتضر **عضد الدولة** (ت: ٣٧٢) جعل يتمثل بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوًا ولم أُمْهل على ظَنِّه خَلْقا

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول رسول الله ﷺ: «**إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»: زاد البخاري في رواية له: «**إنما الأعمال بالخواتيم**». وقوله: «**فيما يبدو للناس**» إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأنّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة. جامع العلوم والحكم / ٧٨.

وأخليت دور الملك من كل نـازل فشـردتهم غربـا وبددتهـم شرقـا
فلمـا بلغـت النجـم عـزًا ورفعـة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهمًا فأخمد جمرتي فهـا أنـا ذا في حفرتـي عاطـلا ملقـى
فأذهبـتُ دنيـايَ ودينـيْ سفاهــةً فمن ذا الذي مني بمصرعة أشقى

ثم جعل يقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩] فرددها إلى أن توفي. المنتظم ٢٩٥/ ١٤.

* وقال أيضًا: قال علماء السير: لما احتضر **محمد المعتصم بن الرشيد** (ت: ٣٢٧) جعل يقول: ذهبت الحِيَلُ ولا حيلة، ولو علمت أن عمري قصير هكذا ما فعلت. المنتظم ١٢٨/ ١١.

* وقال **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل **لبعضهم**: قل: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها. وقيل **لآخر**: قل (لا إِلَه إِلا الله) فقال:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

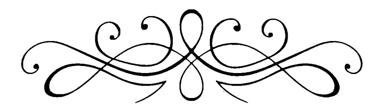
ثم قضى. وقيل **لآخر**: قل (لا إِله إِلا الله) فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تاتنا تنتنا، حتى قضى. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول، ولم أَدَعْ معصية إلا ركبتها، ثم قضى ولم يقلها. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: وما تغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها. وقيل **لآخر** ذلك، فقال: هو كافر بما تقول، وقضى.

وقيل **لآخر** ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأخبرني من حضر بعض **الشحاذين** عند موته، فجعل يقول: فلس لله، فلس لله، فلس لله، حتى قضى. وأخبرني بعض التجار عن **قرابة** له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه (لا إِله إِلا الله) وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا

مشترى جيد، هذه كذا، حتى قضى.[(١)] الداء والدواء / ٩٧-٩٨.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد سمعت بعض من كنت أظن فيه كثرة الخير وهو يقول في ليالي موته: ربي هو ذا يظلمني.[(٢)] صيد الخاطر/ ٩٥.



(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسبحان الله! كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم، فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوّته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريده من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطّل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع؟ وجمَعَ الشيطان له كل قوّته وهمّته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يَسلم على ذلك؟ فهناك ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فُرُطا؟ فبعيد مِن قلبٍ بعيدٍ من الله تعالى، غافل عنه، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته: أن يوفق للخاتمة بالحسنى. الداء والدواء / ٩٨.

(٢) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلم أزل منزعجا بتحصيل عدة ألقى بها ذلك اليوم.

وقال أيضًا: ولا بد من لقاء البلاء ولو لم يكن إلا عند صرعة الموت فإنها إن نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب الرضى أو الصبر أخرجت إلى الكفر.



الرؤى والمنامات[1]

* عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت جارًا **لعمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر؛ إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس. فلما توفي عمر سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يرنيه في النوم، فرأيته في النوم مقبلًا متشحًا من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علي ثم قلت: كيف أنت؟ قال: بخير، فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربًّا رحيمًا. تهذيب الحِلْية ٧٤/ ١.

* وعَنِ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) الرؤى لا تثبت حكمًا شرعيًّا جديدًا، ولكن يُمكن أنْ تؤكِّد عليه؛ لأن الله -تعالى- أكمل الدين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**».

لكنَّ لها منافعَ عظيمة، وأسرارًا لطيفة، **ومِن أهمِّ منافعها وثمارها:**

١ - البشرى بما يرد على الإنسان من خير.

٢ - الإنذار بما يتوقعه من شر.

٣ - الاطلاع على الحوادث في العالم قبل وقوعها.

٤ - أنها سببٌ في هداية ضال، وتعليم جاهل، وإسلام كافر.

٥ - اسْتصلاح أحوالِ الناس والنجاةُ بهم من الهلكة، فكم تغيرت حال مِصْرَ، بعد تعبير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لرؤيا الْمَلِك!

ولقد كانت رؤيا ملك مصر بعد إيمانه بها وبعد أنْ نفَّذ مقتضاها: منجاةً لشعبٍ بكامله مما ينتظره مِن مآسٍ وويلات.

ﷺ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. صحيح البخاري (١١٢١) صحيح مسلم (٢٤٧٩).

* وقال أبو مُعَاوِيَةَ: رَأَيْتُ **الثَّوْرِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) فِي النَّوْمِ، وَهُوَ فِي بُسْتَانٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَوْ يَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر ٧٤]. أخبار الشيوخ (١٠٣).

* وعن بشر بن المفضل قال: رأيتُ **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠) في المنام، فقلت: ما صَنعَ الله بك؟ قال: وجدتُ الأمرَ أهونَ مما كنت أحملُ على نفسي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٤.

* وقال محمد بن فضيل بن عياض: رأيت **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) في المنام، فقلت: أيّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه. قلت: الرّباطُ والجهاد؟ قال: نعم.

قلت: فأيّ شيءٍ صَنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلّمَتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحُور العِين. صفة الصفوة ٤/ ٣٨١.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت آتي قبر أبي كثيرا، قال: شهدت جنازة، فلما قُبر صاحبها تعجلَتْ لي حاجة ولم آت قبر أبي، فأريته في النوم، فقال: يا بني لم لم تأتيني؟ قال: قلت: يا أبت وإنك لتعلم بي؟ قال: إي والله يا بني، إنك لتأتيني

فما أزال أنظر إليك من حين تطلع القنطرة حتى تقعد إلي، وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك موليا حتى تجوز القنطرة.[١] ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩.

* وكان الرجل إذا سأل **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) عن الرؤيا قال: اتّق الله عَزَّوَجَلَّ في اليقظة، ولا يضرك ما رأيت في المنام. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥.

* وعن إسماعيل بن طاهر البلخي قال: رأيت **سليمان الشاذكوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) في النوم، فقلت: ما فعل الله بك يا أبا أيوب؟ فقال: غفر الله لي.

قلت: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان أمر إليها فأخذتني مطرة، وكانت معي كتب، ولم أكن تحت سقف ولا شيء، فانكببت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر، فغفر لي الله بذلك. المنتظم ١١/٢١٤.

* وعن مالك بن دينار قال: رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩).في منامي، بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، فقلت: لم لا ترد عليّ السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد السلام، فقلت: ماذا لقيت يوم الموت؟ قال: لقد لقيت

---

(١) ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أَنّ أَرْوَاح الْأَحْيَاء تتلاقى فِي النّوم، كَمَا تتلاقى أَرْوَاح الْأَحْيَاء والأموات. الروح: ٣٢.

بل إنّ روح النائم قد تلْتقي مع روح اليقظان، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فَإِن قيل: فالنائم يرى غَيره من الْأَحْيَاء يحدثه ويخاطبه، وَرُبمَا كَانَ بَينهمَا مَسَافَة بعيدَة، وَيكون المرئيُّ يقظان، روحُه لم تفارق جسده، فَكيف الْتقت روحاهما؟

قيل: هَذَا إِمَّا أَن يكون مثلًا مَضْرُوبًا ضربه ملك الرُّؤْيَا للنائم، أَو يكون حَدِيث نفس من الرائي، تجرد لَهُ فِي مَنَامه.

وَقد تتناسب الروحان وتشتد علاقَة إحداهما بِالْأُخْرَى، فيشعر كلٌّ مِنْهُمَا بِبَعْض مَا يحدث لصَاحبه، وَإِن لم يشْعر بِمَا يحدث لغيره لشدَّة العلاقة بَينهمَا، وَقد شَاهد النَّاس من ذَلِك عجائب. ا.ه الروح: ٣٢

وأرواح الأحياء تتلاقى أيضًا، قال ﷺ: **«الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»**. رواه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).

أهوالًا وزلازل عظامًا شدادًا، قلت: وماذا كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات. تهذيب الحِلْية ٣٩٦/ ١.

* وقال أحمد بن أبي الحواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): يا أحمد إني محدّثك بحديث فلا تحدّث به أحدًا حتى أموت: نمت ذات ليلةٍ عن وِرْدِي فإذا أنا بحوراءَ تنبّهني وتقول: يا أبا سليمان تنام وأنا أُربَّى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟. صفة الصفوة ٤/ ٢٤٢.

* وعن أبي بيان الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، **محمد بن إدريس الشافعي** (ت: ٢٠٤) ابن عمك، هل نفعته بشيء؟ أو خصصته بشيء؟ قال: نعم، سألت الله تعالى أن لا يحاسبه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قال: إنه كان يصلي عليّ صلاة لم يصل بمثل تلك الصلاة أحد، فقلت: وما تلك الصلاة؟ قال: كان يصلي عليّ اللهم صلى على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون. المنتظم ١٣٨-١٣٩/ ١٠.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد رأى **أبا نواس** بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تفكـر في نبـات الأرض وانظـر إلـى آثـار مـا صنـع المليـك

عيـون مـن لجيـن شـاخصات بأبصـار هـي الذهـب السبيك

علـى قصـب الزبرجـد شـاهدات بـأن الله ليـس لـه شريـك

وفي رواية عنه أنه قال: غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي، فجاؤوا فوجدوها برقعة في خطه:

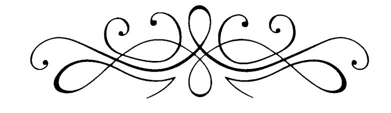
يـا رب إن عظمـت ذنوبـي كثـرة فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم

البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨.

* وقال الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: روينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان قال: سمعت **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) يقول «رأيت النبي ﷺ وكأني واقفٌ بين يديه، وبيدي مروحةٌ أذبُّ بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: «أنت تذبُّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح». فتح الباري: ١/ ٧.

* وكان الشيخ عبدالله بن منصور آل زامل رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان من الأتقياء الصالحين- يكره الشيخ المقرئ الفقيه النحويّ **عبدالله بن عائض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٤٩-١٣٢٢)؛ لِمَا يسمع من أعداء ابن عائض المغرورين، فرأى في المنام النبي ﷺ فقال له: بشّر أول من يدخل المسجد الجامع بالجنة -وذلك في آخر الليل-، فذهب عبدالله آل زامل إلى المسجد، فكان أول داخل هو الشيخ ابن عائض، فسكتَ عنه ولم يبشّره، ولم يزل هكذا ثلاث ليال، ثم قابله في الثالثة وأكبّ عليه يُقبّله، ويطلب منه السماح ويبشّره بهذه الرؤيا المتكررة.[1] علماء نجد (٤/ ١٤٢).



(١) فإياك ومعاداة من ظاهره الصلاح، مهما بلغك عنه من كلام، ما لم تتحقق بنفسك حقيقة ما يُقال عنه، فربما كان مِن أولياءِ الله، وممن رضي الله عنه وأحبه، فهل يليق أن تعادي من يحب ربك؟



أهوال يوم القيامة، والحساب

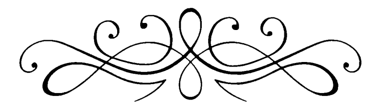
* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إن الفجار ليُلْجمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب.

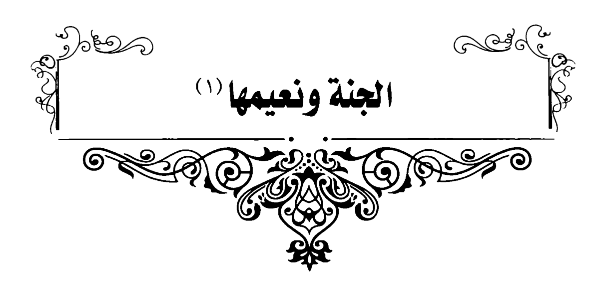
قيل له: أين المؤمنون؟.

قال: على كراسي قد ظلل عليهم بالغمام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كأمر الساعة من نهار. الزهد لهناد (٣٢٥).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في قول الله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤]: كل آدمي في عنقه قلادة، تكتب فيها نسخةُ عمله، فإذا طويت قُلِّدها، فإذا بعث نُشرت له، وقيل: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

يا ابن آدم، أنصفك من خلقك، جعلك حسيب نفسك. الزهد لهناد (١١٨٥).





الجنة ونعيمها (١)

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: إذا سكن أهل الجنة: نَوَّر سقفَ مساكنهم نورُ عرشه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٠.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الظل الممدود: شجرة في الجنة على ساق، قدرَ ما يسير الراكب المُجِد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيخرج إليها أهلُ الجنة، أهلُ الغرف وغيرُهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لَهْوَ الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٨.

* وصدق الناظم:

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحا تهز ذوائب الأغصان

فتثير أصواتا تلذ لمسمع الإ ... نسان كالنغمات بالأوزان

يا لذة الأسماع لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

نونية ابن القيم ٣٢٥.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكُرَبها ذهب

---

(١) لن تجد وصفًا للجنة أجمع وأعظم من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٧]» رواه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.
اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة.

أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مُقَطَّعاتهم وحللهم. الزهد لهناد (١/ ٩١).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٦.

* وقال **البراء بن عازب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧١) في هذه الآية ﴿قطوفها دانية﴾ قال: يتناولونها وهم نيام وهم جلوس، وعلى أيّ حال شاؤوا. الزهد لهناد (١/ ٩٢).

* وصدق الناظم:

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ... ولحومُ طيرٍ ناعم وسمان

وفواكهٌ شتى بحسب مُنَاهم ... يا شبعةً كملت لذي الإيمان

لحمٌ وخمرٌ والنسا وفواكهٌ ... والطِيب مع رَوْحٍ ومعْ ريحان

نونية ابن القيم ٣٢٧.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١﴾ [الكوثر:١] قال: الكوثر نهر في الجنة، حافتاه قصب الذهب، مجراه على الدُّرّ والياقوت، ماؤه أشد بياضا من الثلج، وأشد حلاوة من العسل، تربته أطيب من ريح المسك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٤.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله، إنها سائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر.

قيل: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خِلط له. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٤.

* وصدق الناظم:

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـ ـرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمـ ـر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان

نونية ابن القيم ٣٢٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن:٦٦] قال: بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٥.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٥] قال: يتجلى لهم كل جمعة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٠.

* وقال **أبو موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) وهو يخطب على منبر البصرة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل، والثمار والأنهار، والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم أنجزنا ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئا مما وُعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم. البعث والنشور للبيهقي (٢٦٢).

* وعن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٨.

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: في الجنة عِتاق الخيل، وكِرام النجائب، يركبها أهلها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٠.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العنقود -يعني في الجنة-: أبعد من صنعاء -وهو بعمّان بالشّام-. الزهد لهناد (٩٤).

* وقال **ابن أبي ليلى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠): فما ظنكم بهم حين ثقلت موازينهم، وحين صارت الصحف في أيمانهم، وحين جاوزوا جسر جهنم، وأدخلوا الجنة، وأعطوا ما أعطوا من الكرامة والنعيم، كأن لم يكن شيئا رأوه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٠-٣٤١.

* وقال **ثابت البناني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣): لقد أُعطي أهل الجنة خصالا، لو لم يُعطوها لم ينتفعوا بها، يشبُّون فلا يهرمون أبدا، ويشبعون فلا يجوعون أبدا، ويكسون فلا يعرون أبدا، ويَصِحُون فلا يسقمون أبدا، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣١٨.

* وعن **عطاء بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: في الجنة نخل من ذهب، جذوعها من ذهب، وسعفها كأحسن حلل رآه الناس، وشماريخها وعراجينها من ذهب، وثمرها مثل القِلال(١)، وأشد بياضا من اللبن والفضة، وأطيب من المسك، وأحلى من السكر، وألين من الزبد والسمن. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٢٩.

* وعن **عبد الرحمن بن زيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: وُصِفَ أهلُ الجنة بالضحك والسرور والتفكه، حتى يُعلم أن حلواتِ الدنيا مراراتُ الآخرة، ومراراتِ الدنيا حلواتُ الآخرة. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) في قوله تعالى ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان:١٤]: إذا قام ارتفعت، وإذا قعد تدلَّت حتى يتناولها، وإذا اضطجع تدلت، فذلك تذليلها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥.

---

(١) الْقِلَال: بِكَسْرِ الْقَاف جَمْع قُلَّة، وَهِيَ الْجَرَّة الْكَبِيرَة الَّتِي يُقِلّهَا الرَّجُل بَيْن يَدَيْهِ، أَيْ يَحْمِلهَا.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ [الرحمن:٧٢]: «أنفسهن وأبصارهن وقلوبهن مقصورات على أزواجهن لا يُردن غيرهم في خيام اللؤلؤ». الزهد لهناد (١/ ٥٦).

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٨.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) في قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال:٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي فُضِّلَ: به فضيلة، ولا يرى الذي أسفل منه: أنه فُضِّل عليه أحد من الناس. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٩.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ٨٥﴾ [مريم:٨٥] قال: على النجائب عليها الرِحَال. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٠.

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): لسان أهل الجنة عربي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٦٣.

* وقال له رجل: هل في الجنة من سماع؟ فإنه حبب إلي السماع قال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجرا حَمْله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جواري ناهدات، يتغنين بالقيان، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت. فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجواري، فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٣.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو، ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تحمدي وتمجيدي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٧٤.



النار وعذابها[1]

* عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله: ﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]، قال: عقارب أنيابها كالنخل الطوال. الزهد لأسد بن موسى (٢٨).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]: في توابيت من حديد مبهمة[2] عليهم. الزهد لهناد (١٦١).

* وقال رجل **لابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا عن النار كيف هي؟ قال: لو رأيتها لزال قلبك من مكانه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١١.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لو أن دلوا من غساق[3] يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أن قطرة من زقوم جهنم أُنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ونادوا يا مالك) قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم: (إنكم ماكثون). الزهد لأسد بن موسى (١٦).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يستعيذ أهل النار من الحر، فيُغاثُون بريح بارد، يصدع العظم بردُها، فيسألون الحر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

---

(١) ثبت في الصحيحين (البخاري ٦٥٦١، ومسلم ٢١٢) أَنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ. فإذا كان هذا أهون أهل النار فكيف بغيره! اللهم نجنا من النار يا أرحم الراحمين.

(٢) أي: مقفلة عليهم لا يهتدون لمكان فتحها.

(٣) الغساق: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل الزمهرير.

* وقال أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:٥٠] قال: ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأغثني، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[الأعراف:٥٠]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥١.

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ (ت: ٣٢) قال: يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، قال: فيستغيثون، فيغاثون بالضريع الذي (لا يسمن ولا يغني من جوع)، قال: فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، قال: فيذكرون أنهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، قال: فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم، فيقولون: كلموا خزنة النار، فيقولون: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩]، فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر:٥٠]. فيقولون: كلموا مالكا فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف:٧٧] فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف:٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحدٌ خيرا لكم من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون:١٠٧]، قال: فيجيبهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٨]، قال: فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ (ت: ٧٣) قال: أهل النار مكبلون بأصفاد النار، معلقون بشجر في النار، وإن جلودهم لتقطر بصهارة الحميم، خالدين فيها، لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب عظيم، ولو أن رجلا أُخرج من أهل النار إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه، ثم بكى عبد الله بن عمرو بكاء شديدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٦.

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أهل النار نادوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاما ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ قال: فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ قال: فلم ينبس القوم بعد ذلك بكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٦.

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «يؤتى بالصراط، حدُّه كحدّ الموسى، فتقول الملائكة: يا ربنا من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، قال: فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك. الزهد لأسد بن موسى (٣٨).

* وعن أبي حمزة قال: كنت أمشي مع **رباح القيسي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦) فمر بصبي يبكي، فوقف عليه يسأله ما يبكيك يا بني؟ وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئا، فبكى ثم التفت إلي فقال: يا أبا حمزة ما لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء، وجعل يبكي. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢١٨.

* وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **بعض الواعظين** يقول إذا حدث بهذا: أنت تحتمل محاورة مالك؟ ومالك المسلط على ما هنالك، مالك إن زجر النار التهبت حريقا لزجره، وتوقدت مستعرة انصياعا لأمره، واحتدمت تلظيا على العصاة من غضبه، ومتى يرضى من غضب عليهم لغضب ربه؟ إذا غضب مالك على النار أكل بعضها بعضا، ولم تَخْبُ من الاستعار على المعذبين خيفة غضبه.

ومتى يرضى من فطره الله على طَوَال الغضب عليهم، ومن تعبَّد اللهَ بما يوصَل من أليم الهوان إليهم؟ استغاثوا بمن لا يرحمهم من ضرٍّ أصابهم، ولا يرثي لهم من جهدِ بلاءٍ نزل بهم، يدعون مالكا وقد شوَّهتهم النار غير مرة فأنضجتهم، ثم جددوا لها خَلْقا مستأنَفا فأكلتْهم، ويلك أيها المستغيث بمالك، إنَّ مالكا اشتدت سَوْرَة غضبه، فهو دائبٌ يشتفي ممن أقدم صُرَاحا على معصية ربه، فلا تسل عن

جَهدٍ يلاقونه بشدَّته، وطعامِ زقومٍ اعترض في حلوقهم بِحرِّه وخشونته، وصديد لم يسيغوه إذا جرعوه على كراهته، ولقد نادوا بالويل عند أول نفحة من عذاب ربهم مستهم، وأقروا بالظلم حين قرنوا بندامتهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٦-٤٣٧.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية:٢،٣] قال: لم تخشع لله في الدنيا، فأخشعها وأنصبها في النار، فذلك عملها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرق:٦٥] قال: الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبدا، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٤.

* وعن **أبي عمران الجوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨) قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أُمر الله بكل جبار عنيد، وبكل شيطان، وبكل من كان يخاف الناسُ شرَّه في الدنيا، فأوثقوا في الحديد، ثم أُمر بهم إلى النار، ثم أُوصد عليهم، ولا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون إلى أديم السماء أبدا، ولا والله ما تلتقي جفون أعينهم على غُمْضِ نوم أبدا، ولا والله لا يذوقون فيها برد شراب أبدا، ثم يقال لأهل الجنة: فَتِّحوا الأبواب، ولا تخافوا شيطانا ولا جبارا، وكلوا اليوم: ﴿وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة:٢٤] قال: أبو عمران الجوني: هي والله أيامكم هذه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٣.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) في قوله: ﴿فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة:٣٢] قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ [إبراهيم:١٦] قال: ماء يسيل من لحمه وجلده. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر:٤٤]: هي والله منازل بأعمالهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٠١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إن في النار لزمهريرا يعذبون به، فيهربون منها إلى ذاك الزمهرير، فإذا وقعوا حطم عظامهم حتى تسمع لها نقيضا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٢.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج:١٦] قال: نزع الجلد واللحم عن العظم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٨.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: إن أهل النار الذين هم أهلها لا يهدؤون، ولا ينامون، ولا يموتون، يمشون على النار، ويجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار ويأكلون من زقوم النار، لُحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم:٥٠]، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُسِيَ أهل النار، والعُرْيُ كان خيرا لهم[١]، وأُعطوا الحياة، والموت كان خيرا لهم[٢]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٩.

* وعن **مقاتل بن حيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) قال: إن أهل النار لا يخرج لهم نفس، إنما تَرَدَّد أنفاسهم في أجوافهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٤.

---

(١) قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠]، أي: قمصهم التي يلبسونها، واحدها: سربال.

(٢) قال تعالى عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾ [الزخرف:٧٧].

قلت: فلْيتعّظ من لبس ما حرم الله عليه واستمتع به في هذه الحياة الفانية، فإنه سيتمنى أن يكون عاريًا حينما يُلبس ثيابًا من نار إلا أن يعفو الله.

ولْيتعظ من أصبحت هذه الحياة همّه وغايته، ولم يُراع حق الله وشرعه في سبيل الحصول على متاع الدنيا والمناصب والملك والمال، فسيأتي يوم يتمنى فيه الموت ولا يجده، لِمَا يجده من مرارة الحياة.

* وعن **السدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٧) في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ١٦﴾ [إبراهيم:١٦] قال: إذا سال من جلودهم سال حتى يسيل منه القيح والدم، ثم يُكلَّف شربه، فلا يكاد يسيغه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٣٨.

* وعن رجاء بن ميسور قال: كنا في مجلس **صالح المري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى! فقرأ الفتى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر:١٨] فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين، وأهل المعاصي، يساقون في السلاسل والأنكال، إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودةً وجوههم، مزرقةً عيونهم، ذائبةً أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثبورنا، ماذا نزل بنا؟! ما ذا حل بنا؟! أي يُذهب بنا؟! ماذا يُراد منا؟! والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باك دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك، لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرارٍ قدمُك!.

ثم نحب وبكى، وبكى الناس. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٦.

* وقال **بعض السلف**: بلغنا أن أهل النار يبكون الدموع حتى تفنى، ثم يبكون الدماء، فيقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء، لو كان هذا في الدار المقبولِ فيها العملُ، كان نعم الذخرُ لكم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٥.

* وقال **بعض السلف** في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة:٨٢] قال: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت

الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع عنهم أبدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٦.

* وعن **عبد الأعلى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٩٩.

* وعن **سليمان التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٣) قال: في قوله: ﴿خُذُوهُ﴾ [الدخان:٤٧]، قال: لا يضع يده على شيء إلا دقه، فيقول: أما ترحمني؟ فيقول: كيف أرحمك وأرحم الراحمين لم يرحمْك؟. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٢.

* وقال **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): بلغني: «أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر:٤٩] سألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب، فرد عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾ [غافر:٥٠]، فردت عليهم الخزنة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر:٥٠] ولما يئسوا مما عند الخزنة، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف:٧٧] وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليه ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]. سألوا الموت، فمكث عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يوما، واليوم ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج:٤٧] لحظ إليهم بعد الثمانين: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٧] فلما سمعوا ما سمعوا مما قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلموا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا. فأجمعوا رأيهم على الصبر».

قال: «فتصبروا، فطال صبرهم، ثم جزعوا، فنادوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم:٢١] -أي: ملجأ- فقام إبليس عند ذلك فخطبهم: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، يقول: بمغن عنكم شيئا. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ ر فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١٠-١١] فرد عليهم: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾» [غافر:١٢] قال: «هذه واحدة».

قال: «**فنادوا الثانية:** ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة:١٢] فرد عليهم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة:١٣] يقول: لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾ [السجدة:١٣-١٤] يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا. ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ﴾ [السجدة: ١٤]: إنا تركناكم، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤] **فهذه اثنتان**».

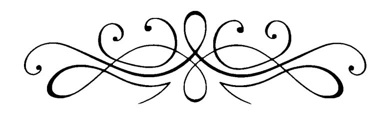
قال: «**فنادوا الثالثة:** ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ﴾ [إبراهيم:٤٤] فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٦]» قال: «هذه الثالثة».

قال: «**ثم نادوا الرابعة:** ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر:٣٧]» قال: «﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧]. فمكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم

بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ [المؤمنون:١٠٥]. فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحما ربنا. وقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦] أي الكتاب الذي كتبت علينا. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٧] فقال عند ذلك: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨]. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم، وأقبل بعضهم على بعض، ينبح بعضهم في وجه بعض، وأطبقت عليهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٤.

* وقال **بعض السلف** في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الزمر:٢٤]: تشد أيديهم وأرجلهم، فكلما جاءهم نوع من العذاب، اتقوه بوجوههم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٨.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع انغمسوا في حياض الجحيم فيذهبون سفالًا سفالًا كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا يذهب سفالًا سفالًا. الزهد لأحمد: ٥٣٤.





تقلبُ الأحوال، وفُجاءة النِّقَمْ

❊ عن **محمد بن الفضل الجرجاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٣) أنه تحدث في وزارته للمعتصم قال: كنت أتولى ضياع **عجيف** ـ وهو أحد القواد ـ فرفع عليّ أنني جئت وأخربت الضياع، فأنفذ إليّ، فأُدخلت عليه وهو يطوف في داره على ضياع فيها، فلما رآني شتمني وقال: أخربت الضياع، ونهبت الارتفاع والله لأقتلنك، هاتوا السيَّاف. فأحضرت ونحيت للضرب، فلما رأيت ذلك ذهب عقلي وبُلت على ساقي، فنظر كاتبه إلي فقال: أعزّ الله الأمير، أنت مشتغل القلب بهذا البناء وضرب هذا أو قتله في أيدينا ليس يفوت فتأمر بحبسه، وانظر في أمره، فإن كانت الرقعة صحيحة فليس يفوتك عقابه، وإن كانت باطلة لم تستعجل الإثم وتنقطع عما أنت بسبيله من المهم. فأمر بي إلى الحبس فمكثت أيامًا، وقتل المعتصم عجيفًا، فاتصل الخبر بكاتبه فأطلقني: فخرجت وما أهتدي إلى حبة فضة فما فوقها، فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فسُرَّ بإطلاقي، وقلَّدني عملًا فنزلت دارًا، فرأيت مستحمها غير نظيف، فإذا تل فجلست أبول عليه، وخرج صاحب الدار فقال لي: أتدري على أي شيء بُلت؟ قلت: على تل تراب. فضحك وقال: هذا رجل من قوَّاد السلطان يُعرف بعجيف سخط عليه، وحمله مقيدًا، فلما صار ها هنا قتل، وطُرح في هذا المكان تحت حائط، فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط ليواريه من الكلاب، فهو والله تحت هذا التل التراب.

قال: فعجبت من بولي خوفًا منه ومن بولي على قبره. المنتظم ١١ / ٨٥-٨٦.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٨.

* وخرج زياد حتى أتى **حُرَقة بنت النعمان بن المنذر**، فقال: أخرجوها إلي، وقد لبست المُسوح، فخرجت، فقال حَدِّثِينِي عن أهلك؟ قالت: أصبحنا وما في العرب أحد إلا يرجونا أو يخافنا، وأمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٨.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مررت بدار من دور الكوفة، فسمعت جارية تنادي من داخل الدار.

ألا يـا دار لا يدخلـك حُـزن ... ولا يَذهـبْ بسـاكنك الزمـان

ثم مررت بالدار فإذا الباب وقد علته كآبة ووحشة، فقلت: ما شأنهم؟ قالوا: مات سيدهم، مات رب الدار، فوقفت على باب الدار فقرعته، وقلت: إني سمعت من ههنا صوت جارية تقول:

ألا يـا دار لا يدخلـك حُـزن ... ولا يَذهـبْ بسـاكنك الزمـان

فقالت امرأة من الدار وبكت: يا عبد الله إن الله تعالى يُغيِّر ولا يُغَيَّر، والموت غاية كل مخلوق، فرجعت والله من عندهم باكيا. ابن أبي الدنيا ٦/ ١٩.

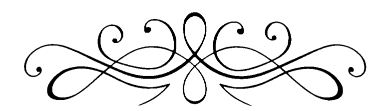
* ودخل محمد بن زيدان الكاتب يوما على **يحيى بن خالد بن برمك** (ت: ١٩٠)، فرآه مهموما مفكرا، ينكت في الأرض، فقلت: أصلحك الله قد طال فكرك، ففيم ذاك، هذا ابنك الفضل على خراسان، وجعفر على العراق، ومحمد على اليمن، وموسى على الجبال، وأنت فيما أنت فيه، فقال: ويحك ففي هذا

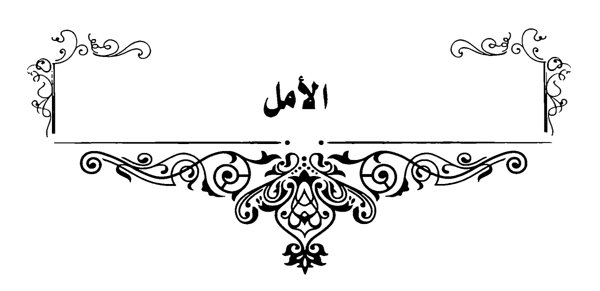
كان فكري، ولِما نحن فيه كَثُر همي، أنا علمت أن جدي برمك كان ينزل النُّوبَهار، وكان يقدم في كل سنة على هشام بن عبد الملك، فكان يألف دهْقانا بالجبل ينزل عليه ذاهبا وينزل عليه راجعا، وكان في دنيا عريضة، وأمْرٍ واسع جدا، فقال له جدي مرة في بعض نزوله عليه: إنك من الدنيا لفي أمر واسع وخير كثير، هؤلاء ولدك قد ساووك، وأموالك منتشرة، وجاهك عريض، قال: وما ينفعني من ذلك وقد تكدر كل ما أنا فيه بصاحبتي أم أولادي، هي الدهر باكية ليلها ونهارها، فما أتهنى بشيء مما أنا فيه، قلت: أفتأذن لي في كلامها؟ قال: نعم شأنك وذاك، فقلت: يا هذه إنكم من الدنيا في سعد، ومن العيش فيما أنتم فيه، وقد أفسدت ذاك على صاحبك بطول بكائك، ودوام حزنك، فمم ذاك؟ قالت: نحن أهل بيت لم نصب بمصيبة، ولم تنزل بنا جائحة، ولم نُثْكَل ولدا، فقد علمت أن هذا لا يتم على ما أرى، ونفسي متوقعة أمرا ينزل بنا، فطول بكائي ودوام حزني لذلك، فقلت لها: فلم تعجلين البكاء دعي الأمر حتى يقع؟ قالت: إن نفسي تأبى أن تسكن مع تغير ما تعلم، قال: فارتحلت من عندهم إلى هشام، ثم رجعت فمررت بهم، فإذا الأعراب والأكراد قد أغاروا عليهم، فقتلوا الدهقان وولده، وأخذوا أموالهم، وأخربوا ضياعهم، فأتيت المرأة فتوجعت لها مما نزل بهم، فقالت: أبا فلان قد حل بنا ما كنا نتوقع، فهل عندك من شيء؟ فقال يحيى بن خالد: ويحك فإنما طال فكري للأمر الذي نحن فيه.

قال: فما لبث البرامكة أن حل بهم ما حل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٦.

* وعن نابل بن نجيح قال: كان باليمامة **رجلان** ابنا عم، فكثر مالهما، فوقع بينهما ما يقع بين الناس، فرحل أحدهما عن صاحبه، قال: فإني ليلة قد ضجرت برغاء الإبل والغنم والكثرة، إذ أخذت بيدي صبيًا لي وعلوت في الجبل، فأنا

كذلك إذ أقبل السيل، فجعل مالي يمر بي ولا أملك منه شيئا، حتى رأيت ناقة لي قد علق خطامها بشجرة، فقلت: لو نزلت إلى هذه فأخذتها لعلي أنجو عليها أنا وبُنيَّ هذا، فنزلت فأخذت الخطام وجذبها السيل، فرجع علي غصن الشجرة فذهب ماء إحدى عيني، وأفلت الخطام من يدي، فذهبت الناقة، ورجعت إلى الصبي فوجدته قد أكله الذئب، فأصبحت لا أملك شيئا، فقلت: لو ذهبت إلى ابن عمي لعله يعطيني شيئا، فمضيت إليه، فقال لي: قد بلغني ما أصابك، والله ما أحببت أنه قد أخطأك، فكان ذلك أشد مما أصابني، فقلت: أمضي إلى الشام فأطلب، فلما دخلت إلى دمشق إذا الناس يتحدثون أن عبد الملك بن مروان أصيب بابن له، فاشتد حزنه عليه، فأتيت الحاجب فقلت: إني أحدث أمير المؤمنين بحديث يعزيه عن مصيبته هذه، فقال: أذكر ذلك له وذكره، فقال: أدخله فأدخلني فحدثته بمصيبتي، فقال: قد عزَّيتني بمصيبتك عن مصيبتي، وأمر لي بمال فعدت وتراجَعَت حالي. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٧.





الأمل

أ- ما قيل في الأمل وأنه غريزة في الإنسان:

* عن **أبي عثمان النهدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٩٥) قال: بلغت نحوًا من ثلاثين ومائة سنة، ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي كما هو. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٨.

* وكَانَ **المُفَضَّلُ بن فضالة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١). السِّيَر ٧/ ٢٢٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: لولا السهو والأمل ما مشى المسلمون في الطريق. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

* وقال **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولو لا الغفلة ما تهنَّؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

ب- الحث على قصر الأمل[1]:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إن أخوف ما أخاف عليكم

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قصر الأمل: هو من أنفع الأمور للقلب، وبناؤه على أمرين: تيقن زوال الدنيا ومفارقتها، وتيقن لقاء الآخرة وبقائها ودوامها، ثم يقايس بين الأمرين، ويوثر أَولاهما بالإيثار. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: طول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكّن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه، ولم يفارقه داءٌ ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرصُ على الدنيا والانكباب عليها، والحبُّ لها والإعراض عن الآخرة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).

اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. الزهد لوكيع (١٩١)، صحيح البخاري، باب: فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما منكم إلا ضيف ومالُه عاريّة، فالضيف مرتحل، والعاريّة مؤدّاة إلى أهلها. أخرجه الطبراني: ٨٤٥٥.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لابنه: يا بني إذا صليت فصلّ صلاة مودّع لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنةٍ قدَّمها، وحسنةٍ أخّرها. صفة الصفوة ١/ ٢٣١.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تُطوى من ورائكم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

وقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : ما أَطالَ عَبْدٌ الأَمَلَ إِلَّا أساءَ العملَ[1]. قصر الأمل لابن أبي الدنيا (٥٠١).

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): إنما أمس مثلٌ، واليومَ عملٌ، وغدًا أملٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ما نمت نومًا قط، فحدثت نفسي أني أستيقظ منه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأمل يُكسل عن العمل، ويورث التراخي والتّواني، ويُعقب التشاغل والتقاعس، ويُخلد إلى الأرض، ويُميل إلى الهوى.
وهذا أمر قد شُوهد بالعيا، فلا يُحتاج إلى بيان، ولا يُطْلب صاحبه ببرهان، كما أنّ قصر الأمل يبعث على العمل، ويحثّ على المسابقة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).

* وكان **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله فلعلها أن تكون منيّتي التي لا أقوم منها وكان هذا دأبه إِذا أراد النوم. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وكانت **امرأة** متعبدة بمكة إذا أمست قالت: يا نفس، الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، فإِذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك، لا يوم لك غيره فاجتهدت. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل: لعليِّ لا أصلي غيرها. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وقال **معروف الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): نعوذ بالله من طول الأمل، فإِنه يمنع خير العمل. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

* وطرق بعضهم باب أخٍ له فسأل عنه فقيل له: ليس هو في البيت، فقال: متى يرجع؟ فقالت له جارية من البيت: من كانت نفسه في يد غيره من يعلم متى يرجع؟ جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

* **ولأبي العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣) من جملة أبيات:

ومـا أدري وإن أمّلـت عُمـر ... العلّي حين أُصْبِحُ لستُ أمسي

ألـم تـرَ أنّ كلّ صبـاح يـوم ... وعُمركَ فيه أقصر منه أمس

وهذا البيت الثاني أخذه مما روي عن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢) **والحسن** (ت: ١١٠) أنهما قالا: ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، ومما أنشد بعض السلف:

إنـا لـنفــرح بالأيــام نـقـطـعـهــا ... وكلُّ يـوم مضـى يـدني مـن الأجـل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا ... فإِنمـا الربـح والخسـران في العمـل

جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال: من قَصُر أمله هان عليه عيشه.

قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): لو أملت أن أعيش شهرًا: لرأيتُني قد أتيتُ عظيمًا!، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٢.

* وعن **شميط بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة: فقد مضى أمسُ بما فيه، وغدا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غد فإن غدا يجيء برزق غد، إن دون غد يوما وليلة تُخترم فيه أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيها. كفى كلّ يوم همُّه.

ثم قد حَمَلْتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لآخرته؟.

كلُّ يوم يَنقصُ من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تَسْتوفي رزقك وأنت لا تحزن!.

أُعطيتَ ما يكفيك فأنت تطلب ما يُطغيك؟ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!.

وكيف لا يَستَبينُ بعالمٍ جهلُه وقد عجَز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تَنْقطع من الدنيا شهوتُه، ولا تَنْقضي منها نهمتُه؟.

فالعَجب كلُّ العَجب لمن يصدِّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور!.[1]

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٦.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، حريّ به يُحفظ ويسمعه الناس.

* وعن إبراهيم بن نَشِيط قال: قال لي **أبو زرعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١): لأقولنَّ لك قولًا ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثت نفسي أن أرجع إليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

* وبينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أُتي بحجر منقور، فطلب من يقرؤه، فأُتي **بوهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤)، فقرأه، فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيت قريب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصَّرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاء شديدًا. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

* وعن **يزيد الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إلى متى نقول: غدًا أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا، وإذا أفطرت فعلت كذا، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا؟!.

أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟.

أما علمت أن دون غد ليلة تُخترم فيها أنفس كثيرة؟.

أما علمت أن ملك الموت غيرُ مُنتظر بك أملك الطويل؟.

أما علمت أن الموتَ غايةُ كل حي؟.

ثم يبكي حتى يبل عمامته، ثم يقول: أما رأيته صريعًا بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم، بعد أن كان جدلًا خصمًا، سمحًا كريمًا عليهم؟.

أيها المغتر بشبابه! أيها المغتر بطول عمره!.

ثم يبكي حتى يبل عمامته. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٢٣.

* وقال **الشاعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا أيها[١] ذا الذي قد غره الأمل	**ودون ما يأمل التنغيص والأجل**
ألا ترى أنما الدنيا وزينتُها	**كمنزلِ الرَّكبِ دارًا ثَمَّة ارتحلوا**
حُتوفها رَصَد وعيشها نكد	**وصفوها رَنَقٌ[٢] وملْكها دُول**
المرء يَشقى بما يسعى لوارثه	**والقبر وارثُ ما يسعى له الرجل**

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٢٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدًّا!

وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا!

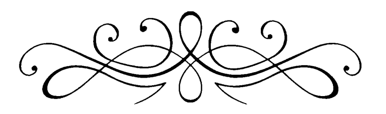
وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا!

فعلام تُعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟

الموت؟

فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

يا إخوتاه، سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٣٧.



(١) في الأصل: يا أيهذا، وهو خطأ.

(٢) أي: كَدَرٌ.



ذم الطمع والبخل [1]

* قال **أبو بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣): أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ البُخْلِ؟. صحيح البخاري (٤٣٨٣).

* وكانَ **عُمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقُولُ علَى المِنبَرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ الطَّمعَ فَقْرٌ، وإنَّ اليأسَ غِنًى، وإنَّ الإنْسانَ إذا يَئِسَ من الشَّيْءِ اسْتغْنى عنه». الزهد لابن المبارك (٥٨٦)، القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (١٨٧) واللفظ له.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ويل لكل جمّاع فاغرٍ فاه كأنه مجنون، يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد. الزهد لأحمد: ٢٦٧.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ منه كلُّه ويُسْأَل عنه كله. الزهد للخطيب (٦١).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان عندك ما أعطى الله عَزَّ وَجَلَّ نوحًا وإبراهيم

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصّدْرِ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنْ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الّذِي لَيْسَ فِيهِ إحْسَانٌ، أَضْيَقُ النّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَعْظَمُهُمْ همّا وَغَمّا.
وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي الصّحِيحِ، مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أي دِرعان، كُلّمَا هَمّ الْمُتَصَدّقُ بِصَدَقَةٍ، اتّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ، وَكُلّمَا هَمّ الْبَخِيلُ بِالصّدَقَةِ، لَزِمَتْ كُلّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتّسِعْ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَصَدّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضِيقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ. زاد المعاد ٢/ ٢٤.

وموسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام: لا تراه شيئًا[1]، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان[2] فمتى تفلح؟. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٤.

* وقال **عليُّ بن الحُسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): إنِّي لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني، فأسألَ الله لهُ الجَنّة وأبخَلَ عليه بالدُّنيا، فإذا كان غدًا قيل لي: لَو كانتِ الجَنَّة بيدِك لَكُنتَ بها أبخل وأبخل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥١٩.

* وقال **بنانُ الحمّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦): الحرُّ عبد ما طَمِع، والعبدُ حرٌّ ما قَنع. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٩.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان. تهذيب الحِلْية ٣٥٨/ ٣.

* وقال **الشاعر**:

إذا كنت جمَّاعا لمالك ممسكا ... فأنت عليه خازنٌ وأمين

تؤدّيه مذموما إلى غير حامد ... فيأكله عفوا وأنت دفين

أدب الدين (٢٩٨).

* وقال **الآخر**:

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ... ولكن أموال البخيل تضيع

أدب الدين (٣٠٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ ... فما في النارِ للظمآنِ ماءُ

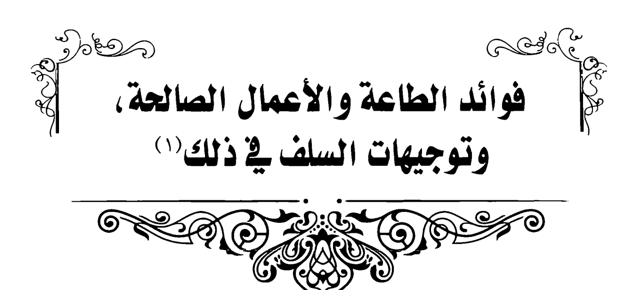
ديوان الشافعي (٣٢).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما أقبحَ بالعالمِ الداعي إلى الله الحرصَ وجمعَ المال!. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٥١.

---

(١) أعطاهم الإيمان والعمل الصالح.

(٢) أعطاهم المال ومتاع الدنيا.



فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك(1)

أ- محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره:

* قال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، وحبّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله وبغّضه إلى خلقه. الزهد لوكيع (٥٢٤)، الزهد لأبي داود (٢١٠).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢]: حفظهما بصلاح أبيهما، ولم يَذكر منهما صلاحا. الزهد لأبي داود (٢٩٢)، الزهد لابن المبارك (٣١٥).

* وعن إسماعيل بن عبيد الله، قال: بينا **أبو ثعلبة الخُشَني** (ت: ٧٥)، **وكعب الأحبار** (ت: ٣٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ جالسين، إذ قال أبو ثعلبة: يا أبا إسحاق، ما من عبد

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنْ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يرحمه الله بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا. فتح الباري ١١/ ٣٩٠.
وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لطيفة عجيبة في هذا الباب فقال: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مَأْمُورٌ بِشُهُودِ الْقَدَرِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ: فَهُوَ مَأْمُورٌ بِذَلِكَ عِنْدَمَا يُنْعِمُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، فَيَشْهَدُ قَبْلَ فِعْلِهَا حَاجَتَهُ وَفَقْرَهُ إِلَى إِعَانَةِ اللهِ لَهُ، وَتَحَقُّقِ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:١١].
فَشُهُودُ الْقَدَرِ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ، وَغَيْبَتُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْأُمُورِ بِهِ. مجموع الفتاوى ٨/ ٣٣٠.

تفرَّغَ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا، قال كعب: فإنَّ في كتاب الله المُنزلِ: مَن جعلَ الهُمُوم هَمًّا واحدًا، فجعله في طاعة الله، كفاه الله ما همَّه، وضمن السماوات والأرض، فكان رزقُه على الله وعملُه لنفسه، ومن فَرَّقَ همومه، فجعل في كل واد همًّا، لم يُبالِ الله في أَيِّها هلك.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن التَفَرُّغ للعبادة السعيُ في السببِ، ولاسيما لمن له عِيال، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِ يَمِينِه**».

أما من يعجزُ عن السبب لضعف، أو لِقلةِ حيلة، فقد جعل الله له حظًّا في الزكاة. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٠٥.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما استقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر في السماء.[1] الزهد لابن المبارك (٤٢٨)، الزهد لأبي داود (٣٧٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحببتم أنْ تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء. الزهد لأبي داود (٣٨٢).

* وقال رجل **للحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أوصني، قال: «أَعِزّ أمر الله يعزك الله».

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): على قدر خوفك من الله يَهابك الخلق، وعلى قدر حبّك لله يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل الخلق بأمرك. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

* وقال **هَرِمُ بن حيَّان** (ت: ٤٦) و**محمد بن واسع** (ت: ١٢٣) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتّى يرزُقَهُ وُدَّهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤١، تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٠.

(١) فإذا وضع الله القبول للإنسان عند أهل الصلاح والخير والإيمان، ومدحوه وأثنوا عليه: كان هذا علامة على أن الله وضع له القبول عند ملائكته، وعلامة على محبة الله له.

* وعن موسى بن أعين قال: كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١)، وكانت الوحوش والذئاب ترعى في موضع واحد، فبينا نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلا مات. فحسبوا فوجدوه مات تلك الليلة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): من أطاع مَن فوقه أطاعه مَن دونه، ومن خاف الله، خافه كلّ شيء. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وسُئل **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): ما كان بدء أمرك؟.

قال: كنت رجلا عيَّارا[1] فجُزت يوما فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالِية [2]، ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق، وطيَّبته، لأطيِّبن اسمك في الدنيا والآخرة ثم كان ما كان. تهذيب الحِلْية ٣/ ٨٩.

* وقال **إبراهيم الخواص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] تهذيب الحِلْية ٣/ ٤٢١.

* وقال الفقيهُ أبو الفَتْحِ الأشتريُّ معيدُ النِّظامِيَّةِ ببَغدادَ، وكان قد جمعَ سيرةً مختصرةً **لنور الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٩) قال: وكان يحافظُ على الصلوات في أوقاتِها في جماعةٍ بتَمام شروطِها وأركانِها ورُكوعِها وسجودها، وكان كثيرَ الصلاةِ بالليلِ، والابتهال إلى الله عَزَّوَجَلَّ في أموره كلِّها.

---

(١) العيار: اللص الماهر في السرقة.

(٢) نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

قال: وبلَغَنا عن جماعةٍ من الصوفيَّةِ مَّمن يُعْتمدُ على قوْلِهم أنَّهم دخلَوا بلادَ القدسِ للزيارة أيامَ الفَرنْجِ، فسُمع الكفارُ يقولون: ابنُ القَسِيمِ يعْنُونَ نورَ الدينِ له مع الله سرٌّ؛ فإنَّه ما يظْفَرُ علينا بكَثْرَةِ جُنْدِه وجيْشه، وإنَّمَا يظفَرُ علينا بالدعاء وصلاة الليلِ، فإنّه يصلِّي بالليل، ويرفع يده إلى اللهِ ويدعو، فاللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يستجيبُ له دعاءه ويُعْطِيه سُؤْلَه، وما يرُدُّ يده خائبةً، فيظفَرُ علينا.

قال: فهذا كلامُ الكفارِ في حقِّه رَحِمَهُٱللَّهُ. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٥.

ب- اللذة، والأنس، وانشراح الصدر[1]:

* قال **مالك بن دينار** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٣١): خَرج أهلُ الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيبَ شيءٍ فيها، قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق.[2] تهذيب الحِلْية ٣٠٤/ ٣.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: أعلى حالات الإنسان وأشرفُها: إيثارُ إلهه ومعبوده وفاطره بالمحبة والطاعة وابتغاء الوسيلة إليه، والقرب والتودد إليه، كما يتودّد المحبُّ الصادق الذي لا غنى له عن محبوبه إليه؛ فمحبوبه أحبُّ شيء إليه، وهو أفقر شيء وأحوجه إليه؛ فلا يزال ناظرا إليه بقلبه، لا يلهيه عنه شيء، ليس له همٌّ إلا في مرضاته، ولا حديثَ نفس إلا به؛ إنْ نطق نطق به، وإنْ سكت سكت به، وإن غضب فلأجله؛ وإن رضي فلأجل رضاه.

وهذا في سرورِه ونعيمِه وبهجته ولذته في الدنيا كأهل الجنة في الآخرة، فبين نعيم هذا ونعيم أهل الدنيا بدنياهم أعظم تباين. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ٩١.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا: فاتهمه، فإن الرب شكور.

يعني أنه لابد أن يُثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول. مدارج السالكين٢/ ٢٧٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته به. تهذيب الحِلْية ٣/٤٥٣.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قيل له: ما النعيم؟ قال: طيب النفس، قيل: فما الغنى؟ قال: صحة الجسد. الزهد لأحمد: ٦٤٨.

* وقال ابن بشار: خرجت أنا و**إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) وأبو يوسف الغسولي، فمررنا بنهر يقال له: نهر الأرْدُن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: بسم الله، وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله.

ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم.

فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟. الزهد للخطيب (١٣٣).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النّعيم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة.

نحن -والله- الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجّلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أيِّ حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. الزهد للخطيب (١١٠).

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٣٩٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] لنرزقنه طاعة يجد لذتها في قلبه. تهذيب الحِلْية ٨٤/ ٣، ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن. تهذيب الحِلْية ٣٦٦/ ٣.

* ولَمَّا ركِب **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨) على باب الحبس قال له رجل: يا سيدي هذا مقام الصبر!.

فقال: بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قُسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهبًا وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ١/ ١٥٠.

* وقال بعض أقاربه: كان في بداية أمره يخرج أحيانا إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يوما فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خاليا

وكان يتمثل كثيرا:

عَوى الذِّئبُ فَاستَأنَستُ بِالذِّئبِ إِذ عَوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخل جنة الآخرة.

ويقول: العارف يسير إلى الله عَزَّوَجَلَّ بين مشاهدة المنة[1] ومطالعة عيب النفس. مدارج السالكين ٣/ ٥٩، الرد الوافر/ ٦٩.

(١) أي: منَّة الله تعالى عليه في نفسِه وأهلِه وصلاحِه وسائِر أموره، وإذا شاهد ذلك: تخلّص من العجب والكبر.

* وأرسل رسالةً لأصحابه وهو محبوس في حَبْسِ الإسكندرية يقول فيها: إِنِّي -وَاللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- فِي نِعَمٍ مِن اللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا فِي عُمْرِي كُلِّهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ، وَلَا يَدُورُ فِي الْخَيَالِ.

وقال وهو في الحبس كذلك: أَنَا فِي نِعْمَةٍ مِن اللهِ سَابِغَةٍ وَرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ أَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهَا. مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٤٩، ٢٨/ ٣٠.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورأيت **شيخ الإسلام ابن تيمية** -قدس الله روحه- في المنام وكأني ذكرت له شيئا من أعمال القلوب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته -لا أذكره الآن- فقال: أما أنا فطريقتي: الفرح بالله والسرور به أو نحو هذا من العبارة.

وهكذا كانت حاله في الحياة يبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بَذَلْتُ لهم مِلْءَ هذه القلعة ذهبًا ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما أُدْخل إلى القلعة وصار داخل السور نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد:١٣] [١٣/ ٥٧].

وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه: فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحا، وقوة ويقينا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. مدارج السالكين: ٣/ ٥٩-٦٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو محبوس بسبب تصنيفه العقيدة الواسطية: أَنَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَخَافُ؟ إنْ قُتِلْت كُنْت مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَكَانَ عَلَيَّ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ عَلَى مَنْ قَتَلَنِي اللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنِّي إنْ قُتِلْت: لِأَجْلِ دِينِ اللهِ.

وَإِنْ حُبِسْت: فَالْحَبْسُ فِي حَقِّي مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ.

ووالله مَا أُطِيقُ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيَّ فِي هَذَا الْحَبْسِ، وَلَيْسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْهِ، لَا أَقْطَاعِي، وَلَا مَدْرَسَتِي، وَلَا مَالِي، وَلَا رِيَاسَتِي، وَجَاهِي.

وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَيْكُمْ إذَا ذَهَبَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِن الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ، وَفَسَدَ دِينُكُمْ الَّذِي تَنَالُونَ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا كَانَ مَقْصُودُ الْعَدُوِّ الَّذِي أَثَارَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ.[1] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢١٥-٢١٦.

(١) إنّ هذه السعادة التي يشعر بها هؤلاء الأئمة والصالحون، واللذة والحلاوة والأنس، لم تكن=

ج- الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي:

* قال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): كانوا يقولون: ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية.(١) تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) يكتب إلى إخوانه بأربعة أحرف: ذل عند الطاعة، واستعص عند المعصية، وجالس الناس على قدر تقواهم، ولا تصلح القراءة إلا بالزهد. الزهد للبيهقي (٢٨٤).

* وقال **بعض السلف**: العارف لا يلزم حالة واحدة ولكن يلتزم من ربه في الحالات كلها.(٢) الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٨).

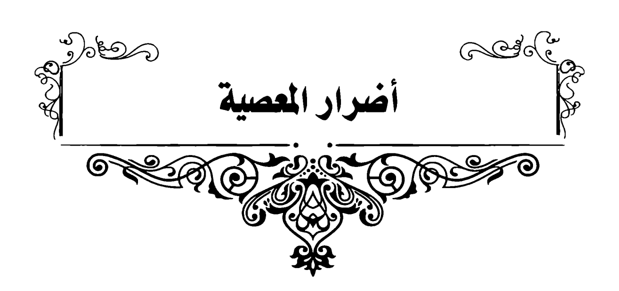
=لولا الإيمان الذي نور قلوبهم، والعلم الذي قوّى عزائمهم، وهما ركنا السعادة النعيم، الذي يُشبه نعيم الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ إِلَّا نَعِيمَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ. مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣١.

(١) أي: ينبغي للمؤمن أنْ يكون ذليلا لله عند قيامه بالطاعة، حتى لا يُصاب بالعجب والغرور، وأن يكون عزيزًا عندما يوسوس له الشيطان بالمعصية، فإنّ من الذل والصّغار أن ينقاد له، ومن العز وكبر النفس أن يعصيه ويُخالف هواه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من الناس من يتقيَّد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مِشية لا يمشي غيرها، أو بزيٍّ وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لَا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظَّفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل.

وقال عن أهل الصدق والإيمان والاستقامة: لم يتقيَّدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيُعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم، ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سُئل عن شيخه قال: الرسول، وعن طريقه قال: الإتباع، وعن مذهبه قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه قال: (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ). ا.ه مدارج السالكين ٣/ ١٧٤-١٧٦.



أضرار المعصية

أ- شؤم المعصية وما ينتج عنها[1]:

* قال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلّمه، للخطيئة يعملها. الزهد لوكيع (٢٦٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣١.

* وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكى بعضها إلى بعض، فرأيت **أبا الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عَزَّ وَجَلَّ إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله، فرأيتهم كما ترى. صفة الصفوة ١/ ٣٠٣.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من أسخط الناس برضا الله كفاه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس. الزهد لأحمد: ٣٠٣.

---

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الجواب الكافي عددًا من أضرار المعاصي، منها:
حرمان العلم، حرمان الرزق، الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولاسيما أهل الخير منهم، تعسير أموره عليه، حرمان الطاعة، هوان العاصي على ربه، تورث الذل، تفسد العقل، تطبع على القلب، تجلب الفساد في الأرض، تطفئ الغيرة، تذهب الحياء، تنسي الله جَلَّ جَلَالُهُ عبده، تضعف القلب، تزيل النعم، تلقي الخوف الرعب في القلب، تسقط الكرامة، تمحق البركة، تجعل صاحبها من السفلة، تجرئ على الإنسان أعداءه، تضعف العبد أمام نفسه

* وعن أنس بن مالك أنه دخل على **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجل معه، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمغاني، وغار الله عَزَّوَجَلَّ في سمائه، فقال للأرض تزلزلي بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: قلت: يا أم المؤمنين أعذاب لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين، ونكال وعذاب وسخط على الكافرين.

قال أنس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشد فرجا مني بهذا الحديث. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٣.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ما استخف قوم بحق الله عَزَّوَجَلَّ إلا بعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من يستخف بحقهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤١.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: كاد الضب يموت في حجره هزلا من ظلم بني آدم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمننّ سوء عاقبته، وَلَما يتْبع الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا عملْتَه، قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي صنعته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظم من الذنب، وفرَحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحُزْنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركتْ ستْر بابِك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملتَه. صفة الصفوة ١/ ٣٧٢.

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء

قد اهريقت، فاعلم أن أمر الله قد ضيع في الأرض فانتقم الله من بعضهم لبعض، وإذا رأيت قطر السماء قد منع فاعلم أن الزكاة قد منعت فمنع الله ما عنده، وإذا رأيت الوباء قد فشا فاعلم أن الزنا قد فشا. تهذيب الحِلْية ٢٥٦/٢ .

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما أكرمت العبادُ أنفسها بمثل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أهانتْ أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله عَزَّوَجَلَّ أن يرى عدوّه يعمل بمعصية الله. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨ .

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): لا يُحْسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُعْور فيما بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ إلا أعْوَرَ فيما بينه وبين العباد، **ولمُصانَعةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلّها**[1]، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شَنِئتْك الوجوه كلّها. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩ .

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت الله عَزَّوَجَلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٣، صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩ .

* وعن **مسعر بن كدام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥): قال: بلغني أن ملكا أُمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب فيها فلان العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ، فإنه لم يتمعرْ وجهه في ساعة قط.[2] ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٣ .

---

(١) ما أعظم هذه العبارة! وما أشرف معناها، فمن صانع وداهن الناس فلن يرضوا عنه مهما عمل وأنفق وصانع، فالناس مختلفون في طباعهم وأمزجتهم وأهوائهم، وأكثرهم سريع التقلّب، كثير التغيّر، فمصانعتهم ومجاملتهم عسير ومستحيل.

ولكن من السهل النافع: إرضاء الله تعالى والإقبال عليه، فهو الغفور الذي يغفر الزلة، والشكور الذي يشكر الحسنة، والسّتّير الذي يستر العيب.

وأما الناس فلا يكادون يشكرون المعروف، ولا يسترون القبيح، ولا يغفرون الزلة، ولا ينظرون للنوايا الحسنة إلا من شاء الله، فهل يلتفت عاقل إليهم ويترك الالتفات إلى الله؟

(٢) تقدم قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ –في حق مَن لا يغار إذا انتُهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

صفة الصفوة ٣/ ٩٢.

* وقيل **لوهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا ولا من يهم بالمعصية. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): من خان الله عَزَّوَجَلَّ في السرِّ هتكَ سِرَّه في العلانية. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٥.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]، ونسيان القرآن من أعظم المصائب». الزهد لابن المبارك (٧٥).

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من اجترأ على الملاوِم[1] في موافقة الحق ردّ الله تلك الملاوِم حمدًا، ومن التمس المحامد في مخالفة الحق ردّ الله عليه تلك المحامد ذمًّا. الزهد لأبي داود (٣٩٧).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): نضحك ولعل الله قد اطّلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئًا. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥.

* وقال له شاب: أعياني قيام الليل فقال: قيّدتْك خطاياك. صفة الصفوة ٣/ ١٦٦.

=يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله-: فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.. الاستقامة: ٣٥٠

(١) جمع ملامة.

* وكتب **رجل** إلى أخ له: إنّك قد أوتيتَ علمًا فلا تُطْفِئَنّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم. عيون الأخبار ٢/٥٢٤.

* وقال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): الحسنة نور في القلب وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب وضعف في العمل. تهذيب الحِلْية ١/٤٤١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إنما عصَى الله عَزَّوَجَلَّ من عَصَاه لِهوَانهم عليه، ولو كَرُموا عليه لحجزهم عن مَعَاصيه. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك، كيف ترى تكون حالك؟. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وعن داود بن مهران قال: وقفت على **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وأنا غلام فسلمت عليه- وعيناه مفتوحتان وأنا أظن أنه ينظر إليَّ - فمكث طويلًا ثم أطرق فقال: منذ كم أنت ههنا يا بني؟ قلت: منذ طويل، قال: أنت في شيء ونحن في شيء. ثم قال: حدثنا سليمان بن مهران -وكان لا يقول الأعمش- عن سالم بن أبي الجعد عن **أبي الدرداء** قال: حذر[1] امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عَزَّوَجَلَّ، فليقلي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. تهذيب الحِلْية ١/١٧٢.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه. تهذيب الحِلْية ٣/٣٠٢.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني، فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل له:

---

(١) لعل الصواب: ليحذر، كما رواه أبو نعيم في موضع آخر في الحلية (٧/ ٣٠٠)، وعند أبي داود في الزهد (٢٢٠) بلفظ: أُحذّر.

كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي؟. تهذيب الحِلْية ٣/٣١٩.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لا تغترّ بتأخير عقوبة الله تعالى عنك، وإنما يُعَجِّلُ مَن يخاف الفوت.[1] ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٩٧.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إن الفتنة والله ما هي إلا عقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ تحل بالناس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٥.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: قرأت في الحكمة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، ولا تشغلوا أنفسكم بسب[2] الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٦.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لله تعالى عقوباتٍ، فتعاهَدوهنّ من أنفسكم في القلوب، والأبدان، وضنكٍ في المعيشة، ووهنٍ في العبادة، وسخطةٍ في الرزق. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٩، صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا غضب على قوم: سلط عليهم صبيانهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) قال: إن أول ما استنكر الناس من أمر دينهم: لعب الصبيان في المساجد. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: الذنب على الذنب يميت القلب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٦.

---

(١) أي: إنما يُعَجِّلُ بالعقوبة مَن يخاف فوت الجاني والمخطئ، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يُعَجِّل فيها.

(٢) في الأصل: بسبب، وفي كتاب العقوبات والتوبة للمصنف والحلية: بسبّ، وهو الأظهر.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما نزل بلاء إلا نزلت معه رحمة، فيكون ناس في الرحمة وناس في البلاء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٧.

* وقال **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٧): ليست اللعنة سوادًا يُرى في الوجه، إنما هي ألَّا تخرج من ذنب إلا وقعت في ذنب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٥٠.

* وقال **سليمان بن معتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): إن الرجل ليذنب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤٥.

* وسُئِلَ **سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) عَن غَمٍّ لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ؟.

قَالَ: هُوَ ذَنْبٌ هَمَمْت بِهِ فِي سِرِّك وَلَمْ تَفْعَلْهُ فَجُزِيت هَمًّا بِهِ.(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ١١١).

* وقال الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): أول المعاصي الكبر والحسد والشح، حسد إبليس وتكبر، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢]، وقال الله تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف:١٩] فشح آدم حتى أكل منها. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقالَ **الْإمامُ أحْمدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إنْ أحْبَبْتَ أنْ يَدومَ اللهُ لك علَى ما تُحبُّ فدمْ له على مَا يُحبُّ، والْخيرُ فيمنْ لا يرى لِنفسهِ خيرًا. الآداب الشرعية ٢/ ٢٤.

* وقال **أبو الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧): رأيتُ المعاصي نَذَالة، فتركتُها مُروءة، فاستَحالَت(٢) دِيَانة. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٩).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالذُّنُوبُ لَهَا عُقُوبَاتٌ: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ. مجموع الفتاوى (١٤/ ١١١).

قلت: يعني أن ذنوب السر كالحسد وسوء الظن: تكون العقوبة عليها من جنسها، أي في القلب والباطن، وأما ذنوب العلانية كالسرقة والغيبة والفاحشة، فتكون عقوبتها علانيةً، إما بالفضيحة، وإما بالأمراض والأوجاع الجسدية، وإما بالفقر وإما بالانتكاسة والعياذ بالله.

(٢) أي: تحوّلت.

ب- ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها:

* قال **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية، فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه. صفة الصفوة ١/ ٢٥٨.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من سرّه أن يسبق الدّائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب؛ فإنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب. الورع لابن أبي الدنيا (٤١).

* وسئل **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) عن الرجل يجتهد في العمل ويصيب من الذنوب، ورجل لا يجتهد ولا يذنب؟ قال: السلامة أحبُّ إليّ. الزهد لأبي داود (٢٩٠).

* وكان **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) إذا أتى خربة وقف عليها ثم قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، انقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة. الزهد لأحمد: ٦٥١.

* وقال **بعض السلف**: لترك دانق[1] مما يكره الله، أحب إلي من خمس مائة حجة. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩.

* وعن معاوية بن قرة قال: تذاكروا عند **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أي الأعمال أفضل، قال: فكأنهم اتفقوا على قيام الليل.

فقلت أنا: ترك المحارم.

فانتبه الحسن لها فقال: تم الأمر تم الأمر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٠.

* وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٦.

(١) الدانق: سدس درهم، وهو مال يسير جدا.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): ليس مَن عمِل بطاعة الله صار حبيبَ الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله.

ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب.

وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر. تهذيب الحِلْية ٣٣٧/ ٣.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): إن لم تعمل فلا تعص. تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٣.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١١٨) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة:١٦٨] قال: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٩٣.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحقوا العقوبة كلهم. الزهد لأحمد: ٤٩٦.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠): إن المعصية إذا أُخفيت لم تضرّ إلاَّ صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تُغير ضَرّتِ العامَّة. الزهد لابن المبارك (١٠٦١)، صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تَنْظر إلى صِغر الخَطيئة، ولكن انظر مَن عصَيْت. الزهد لابن المبارك (٦٤).

* وعن **مكحول الدمشقي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: أرق الناس قلوبًا أقلهم ذنوبًا. الزهد لأحمد: ٦٤١.

* وقال رجل **لحاتم الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى الليل، فقيل له أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. تهذيب الحِلْية ٥١٤/ ٢.

* وقال عليُّ بن خَشْرم: ما رأيتُ بيد **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧) كتابًا قطُّ، إنما هو حِفظٌ، فسألتُهُ عن أدوية الحِفظِ، فقال: إن علَّمتُك الدواءَ استعملتَه؟ قلتُ: إِي واللهِ؟ قال: تركُ المعاصي، ما جَرَّبتُ مثلَه للحفظ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

شَكَوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إلَى تَرْكِ المعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونورُ الله لا يُهْدَى لعاصي

ديوان الشافعي (١٠٦).

* وكان **يزيد الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) يقول: يا معشر الشيوخ الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم، فيا ليتهم إذ ضعفوا عنها لا يتمنون أن تعود لهم القوة عليها حتى يعملوا بها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٥.

* وعن علي بن زيد قال: خطبنا **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) فقال: أرى أفضل العبادة: اجتناب المحارم، وأداء الفرائض. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٦.

ج- نظرة السلف للمعصية وللعاصي[1]:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مشاهد يشهدها المؤمن في المعصية، منها:
١- مشهد الحكمة: وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يبغضه سبحانه، ويكرهه ويلوم ويعاقب عليه، وأنه لو شاء لعصمه منه، ولحال بينه وبينه، وأنه سبحانه لا يُعصى قَسْرًا، وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقد قال تعالى لملائكته لما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابهم سبحانه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].
فكم من آية في الأرض بينه دالة على الله، وعلى صدق رسله، وعلى أن لقاء الله حق: كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم، كآيته في إغراق قوم نوح، وعلو الماء على رؤوس الجبال حتى أغرق جميع أهل الأرض، ونجَّى أولياءَه وأهل معرفته وتوحيده، وكذلك إهلاكه قوم عاد، وثمود، وفرعون وقومه، لولا كفرهم ومعاصيهم لم تظهر تلك الآيات والعجائب. =

....

= وكذلك إظهاره سبحانه ما أظهر من جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم.

وكذلك اتخاذ الله تعالى الشهداء والأولياء والأصفياء من بني آدم، بسبب صبرهم على أذى بني آدم من أهل المعاصي والظلم، ومجاهدتهم في الله.

ويكفي من هذا مثال واحد: وهو أنه لو لا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة: لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى، من امتحان خلقه وتكليفهم، وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وإظهار آياته وعجائبه.

٢- مشهد التوحيد: وهو أن يشهد انفراد الرب تعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته.

٣- مشهد التوفيق والخذلان: وقد أجمع العارفون بالله على أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.

فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه: علم شدة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كلِّ نَفَس، وكل لحظة، وطرفة عين.

٤- مشهد الرحمة: فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله، فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين، ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم، فإذا جرت عليه المقادير وخُلِّيَ ونفسه: استغاث الله، والتجأ إليه، ودعاه دعاء المضطر، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين: رقة، وتلك القساوة: رحمة ولينا، مع قيامه بحدود الله، وتبدَّل دعاؤه عليهم دعاءً لهم، فيورثه ذلك:

٥- مشهد الضعف والعجز وأنه عاجز عن حفظ نفسه، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه. والعبد مُلقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن، فإن حماه منهم وكفَّهم عنه: لم يجدوا إليه سبيلا، وإن تخلى عنه ووكَلَه إلى نفسه طرفة عين، فهو نصيب من ظفر به منهم، وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقًّا ويعرف ربه. فحينئذ يطلع منه على:

٦- مشهد الذل والانكسار، والخضوع والافتقار لله تعالى: فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما مِن ربِّه إليه مِن الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرًا.

فإذا استبصر في هذا المشهد، وتمكن من قلبه، ترقّى منه إلى: =

* قيل **لبعض السلف**: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهون علي المصنوع. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٣.

* وكان رجلٌ على حالٍ حسنة، فأذنب ذَنْبًا، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦)، فقال: تدارَكُوه وعِظُوه ولا تدَعوه. صفة الصفوة ٣/ ٦١.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم؛ ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٣.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): لولا الظلم الجائر: ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاءَ لقُهروا فلم يحصل ذلك المعنى.[1] ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

= ٧- مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه، والفرح والسرور به، فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكرُه على لسانه وقلبه، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي، فإن هذه الكسرة لها تأثير عجيب في المحبة لا يُعبر عنه.

وكان شيخ الإسلام يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ١/ ٦٩٠-٧٤٢

(١) فوجود الكفار والمعاصي والفساق نعمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان، ولولا وجود شياطين الإنس والجن: لم يحصل للمؤمنين من بغض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهدة أهلها ومخالفة الهوى فيها، ما ينالون به عليّ الدرجات وعظيم الثواب».

فلا ينبغي النظر دائما لما يحدث من كفر وظلمٍ بعين الأسى والحزن والشؤم، فلله في تقدير ذلك حكم عظيمة لا يُمْكن حصرها.

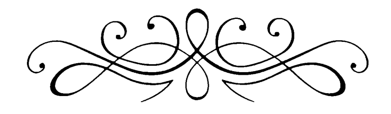
د- الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته:

* كان شرحبيل بن السّمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضا فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فكتب إليه: «لا أم لك، تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم! الزهد لوكيع (٤٥٥)، الزهد لهناد (٢/ ٦٤٦).

* وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت[1] امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها[2]، فاقض فيّ ما شئت، فقال له **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. صحيح مسلم (٢٧٦٣).

* وعن طارق بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أن رجلا خطب إليه ابنة له، وكانت قد أَحْدَثت له، فجاء إلى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها؟ قال: ما رأيت إلا خيرا، قال: فزوجها ولا تخبر. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٦٨٩).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها كان فيها كالذي بدأها. الزهد لوكيع (٤٥)، الزهد لهناد (١٤٠١)، ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٠.



(١) أي تناولها واستمتع بها.

(٢) المراد بالمس الجماع، ومعناه: استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع.



محاسبة النفس[1]

أ- أهمية وفضل محاسبة النفس:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨]. تهذيب الحِلْية ١/٧٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا

---

(١) **محاسبة النفس لها ثلاثة أركان:**

أحدها: أن تقايس بين نعمة الله عليك وجنايتك، فحينئذ يظهر لك التفاوت، وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته أو الهلاك والعطب.

وبهذه المقايسة يظهر لك أن نفسك منبع كل شر، وأساس كل نقص، وأن حَدَّها: الجاهلة الظالمة، وأنه لو لا فضل الله ورحمته بتزكيته لها ما زكت أبدا.

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذا أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

الركن الثاني: أن تميز بين مالك وما عليك، وإعطاء كل ذي حق حقه، فالذي لك: هو المباح الشرعي، والذي عليك: عبادة الله والتزام الطاعة واجتناب المعصية.

الركن الثالث: أن تعرف أنَّ كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيّرْت بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صَولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها.

يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٨٩.

أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفجَؤُه الشيءُ يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لَمن حاجتي، ولكنْ والله ما من صلةٍ إليك، هيهات هيهات، حِيلَ بيني وبينك. ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه، فيقول: ما أردت إلى هذا. مالي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥ - ١٦٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرجل كان يشاك الشوكة يقول: إني لأعلم أنك بذنب وما ظلمني ربي عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٤٧٧.

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر الله تعالى منها. مسند الدارمي (٣٢٣).

* وقال **بعضهم**: خير الناس للناس خيرهم لنفسه. الكامل في اللغة / ١٨٦.

* وقال **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إني لأعرف الذنْب الذي حُمل به عليّ الدَّيْنُ ما هو، قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس.

* فحدَّثت به **أبا سليمان الدّاراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥)، فقال: قلّتْ ذنوبهم، فعرفوا من أين يؤتَوْن، وكثرت ذنوبي وذنوبك، فليس ندري من أين نُؤتى؟.[1] صفة الصفوة ٣/ ١٧٤.

* وقال **بعضهم**:

يا من يسوِّف بالأعمال مرتقبا ... وقتَ الفراغ وقد ألهته أشغال

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها. مجموع رسائل ابن رجب ١/ ٣٦٤.

سِرْ أعرجًا أو كسيرًا غيرَ منتظر لصحةٍ فمرَجِّيْ ذاك بطّال

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٣١).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): من أشد عيوب الإنسان خفاءُ عيوبه عليه؛ فإنَّ من خفي عليه عيبُه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره فلن يُقلع عن عيبه الذي لا يَعْرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها أبدًا. الأدب الصغير (٤٣).

ب- توجيهات ونصائح في محاسبة النفس:

* قال **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠): إذا تكلمتَ فاذكرْ سَمْعَ الله إليك، وإذا هممتَ فاذكر عِلْمَه بك، وإذا نظرتَ فاذكر نظَره إليك، وإذا تفكرْت فاذكُر اطّلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]. صفة الصفوة ٣/ ٤٦.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لا يكونُ الرجلُ تقيًا حتَّى يكونَ لِنفسه أشدَّ محاسبةً مِن الشريكِ لشريكه، وحتَّى يعلَمَ من أين مَلْبسُهُ ومَطْعَمُهُ ومَشْرَبُهُ. الزهد لنهاد (١٢٢٨)، تهذيب السِّيَر ٤/ ٤١٤ واللفظ له.

* وعن **فضيل بن زيد الرقاشي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠) -وكان غزا مع عمر سبع غزوات- قال: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النهار بكيت وكيت، فإنه محفوظ عليك ما قلت. الزهد لوكيع (٢٧٤).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن يُحصي على نفسه مساويها في الدين، وفي الأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفًا من إصلاح الخلّة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر.

فكلما أصلح شيئًا محاه، وكلما نظر إلى محوٍ استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكْتأب.[١] الأدب الصغير (١٦-١٧).

ج- قصص ووقائع في محاسبة النفس:

* رأى عمر **أبا بكر** (ت: ١٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو مدل لسانه آخذه بيده فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا. الزهد لأحمد: ٢١٨، الزهد لابن المبارك (٣٥٣)، الموطأ: ٣٦٢١.

* وعن أنس بن مالك قال: سمعت **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يومًا- وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط-: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله بُنَيَّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك. الزهد لأحمد: ٢٢٣، الزهد لأبي داود (٧٣).

* وعن سلمة بن منصور، عن مولىً لهم كان يصحب **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) قال: كنت أصحبه، فكان عامّةُ صلاته بالليل الدعاءَ.

وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: يا حُنيف ما حملك على ما صنعت يومَ كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

* وقال الجنيد: قال لي **محمد السمين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١): كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق[٢]، وكنت أجد من ذلك شيئًا أنه به مشتغل، فخرجت إلى الغزو، وهذه الحالة حالي، وغزا الناس، وغزوْت معهم. فكثر العدوّ على المسلمين، وتقاربوا، والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال محمد: فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع، فاشتد ذلك عليّ، وجعلت أوبّخ نفسي، وألومها، وأقول لها: كذّابة تدّعين الشوق، فلما جاء الموطن

(١) هذه طريقة ناجحة مجرّبة.

(٢) أي: الشوق إلى الله وإلى الجنة.

الذي يؤمل في مثله الخروج[1] اضطربت وتغيرت؟ صفة الصفوة ٢/ ٦٤١.

* وقال **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): مثّلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أيَّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي. صفة الصفوة ٣/ ٦٢.

* واستطال رجلٌ على **أبي معاوية الأسود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨) فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سُلِّطتَ به عليّ. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* ومر **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) بغرفة فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال: ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعينك. تهذيب الحِلْية ٤٧٢/ ١.

* وكان رجلٌ يتبع **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فيجده أبدًا يخرج من لبنة رقعةً ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع في يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ٢.

* ورُوي عن المرُّوذي قال: قلتُ **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كيف أصبحتَ؟ قال: كيف أصبح مَن ربُّه يُطالبُه بأداء الفرائض، ونبيُّه يُطالبه بأداء السُّنة، والملَكان يطلُبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليسُ يُطالبه بالفحشاء، ومَلَكُ الموت يُراقب قبضَ روحه، وعِياله يُطالبونه بالنفقة؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة. الحِلْية ٩/ ٢٧٢.

---

(١) من الدنيا.

❊ وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك، فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه. تهذيب الحِلْية ٣/٢٩٠.

❊ وحدَّث أبو القاسم أحمد بن يوسف - معلّم الخليفة هشام - قال: لَمَّا انصرفتُ من الحج صيّرني ولي العهد الحكم لمقابلة كتبه، وأجرى لي على ذلك رزقًا، فأتاني **أبو بكر ابن السَّليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٧) وهو يومئذ معتزل عن السلطان، على غاية من التقشف، فقعد عندي، وأقبل يعذلني ويقول: يا أبا القاسم بعد طلب العلم، وتقييد الحديث، والرحلة فيه، ركنت إلى هؤلاء القوم، واستهوتك دنياهم!.

فقلت له: وما الذي وليت لهم؟ إنما هي كتب علم، لمثلها كان سَعْيِي، أصححها لهم بأجرة.

فقال لي: لا تقل هذا، فقد اعْتَقَلَتْكَ حبالهم فلن تفلتها، ومِن هنا يزفُّونك إلى غيره، ولا يمكنك خلافهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون على عظم المصاب بك، ثم مدّ يده إلى كمه، وأخرج منه حجرين، وقال لي: خذهما واضرب بهما صدرك، ونُح على نفسك، سلام عليك.

وخرج عني، وتركني أبكي على نفسي، فما مضت إلا الأيام حتى صار إلى

منزلتي، ثم ارتقى إلى الشورى، ثم إلى المظالم، ثم إلى قضاء الجماعة، فانتهى الغاية.

فأردت مقارضته[١]، فأمرت جارًا لي من الصّخّارين[٢] بحمل حجرين ضخمين، وبعثتُ معه غلامًا بعد صلاة العتمة، حتى أنزلهما باب القاضي ابن السليم، وأسندهما إلى مصراعيه.

فلما قام القاضي لصلاة الفجر وفتَح بابه سحرًا، ألفَى الحجرين مسندين إليه، فبقي مفكرًا، ومضى إلى المسجد مشغول البال، إلى أن دخلتُ عليه غدوة، فما هو إلا أن رآني اهتدى إلى وجه القصة، فقرّبني وقال لي: أنت صاحبه؟ فقلت: هما الحجران اللتان دفعت إليّ، رفعتُهما عندي حتى كبُرتا وصرفتهما إليك؛ إذ كَبُرت حالك، فبكى، وقال: هو حقُّك، والبادئ أظلم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على عظم مَنْشَبِنا، وخسرانِ صفقتنا.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٨٦).

د- أهمية معرفة عيوب النفس وآفاتها، وترك عيب الناس:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣): لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٩.

* وقال أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أَهْدَى إليَّ عُيوبِي. عيون الأخبار ٤١٠ / ٢.

* وقيل **لبعض الحكماء**: أتحب أن تُهدى إليك عيوبك؟ قال: نعم، من ناصح. أدب الدين (٣٨٤).

---

(١) أي: مجازاته.

(٢) أي: الذين يعملون في الصخور.

(٣) كان ابن السليم راسخًا في العلم، مجتهدًا في طلبه، عالمًا بالحديث والفقه، وكان مع علمه من أهل الزهد والبر، وقد طال هربه من السلطان إلى أنشبه المقدار، فنال رئاسة الدين والدنيا بالأندلس، فما تغيّر عن هدية ولا غرته الدنيا بوجه.
ويُستفاد من هذه القصة أنَّ البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق.

* وقال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): انتهى **عجبي إلى ثلاث:**

١- المرء يفر من القدر وهو لاقيه.

٢- وهو يبصر في عين أخيه القذى[١] فيعيبه ويكون في عينه الجِذْع[٢] فلا يعيبه.

٣- ويكون في دابته الصَّعَر[٣] فيقومها بجهده، ويكون فيه الصَّعَر فلا يقوم نفسه. الزهد لابن المبارك (١١٢٢).

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم، ابن آدم عليك نفسك؛ فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه. تهذيب الحِلْية ١٦٨/ ١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. الزهد لأحمد: ٣٢٣.

* وكان **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم.

قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ١.

* وقال **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢): رأيت رجلًا يصلي، وكلما ركع وسجد بكى، فاتهمته أنه يرائي ببكائه فحرمت البكاء سنة. تهذيب الحِلْية ١٨٢/ ٢.

* وعن عبد الرحمن بن **زيد بن أسلم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: كان أبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) يقول: أي بنيّ كيف تعجبك نفسك؟ وأنت لا تشاء أن ترى من عباد الله من هو خير منك إلا رأيته، يا بني لا ترى[٤] أنك خير من أحد يقول لا إله إلا

---

(١) القذى: جمع القذاة، وهي مَا يتكوَّن فِي الْعين من رمص وَغَمص وَغيرهمَا.

(٢) أي: غُصن الشجرة.

(٣) الصعر: داء في العنق لا يستطاع معه الالتفات.

(٤) كذا في الأصل، وفي مختصر تاريخ دمشق: « تر » وهو الصواب؛ لأن «لا» الناهية تجزم الفعل بعدها.

الله، حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه. تهذيب الحِلْية ١/٥١٧.

* وعن **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل فيه ثلاث خصالٍ: فقهًا في الدين، وزهادةً في الدنيا، وبصرًا بعيوبه. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٣.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): ذِكْرُك حسناتِك ونِسيانُك سيِّئاتك غِرّة. صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

* وقال **الشاعر**:

يمنعني من عيبِ غيريْ الذي ... أعرفه عنديْ من العيْب

عيبي لهم بالظنِّ مني لهم ... ولست من عيبي فِي ريب

طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩).

* وكان يقال: مَنْ رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): يا بن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحبُّ العباد إلى الله تعالى من كان كذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٨.

* وقال **بعض السلف**: إني لأعظ وما أرى للموعظة موضعًا، وما أريد بذلك إلا نفسي. تهذيب الحِلْية ١/٥٢٧.

* وقال ابن المنكدر **لأبي حازم** (ت: ١٤٠) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: يا أبا حازم ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم وما صنعت إليهم خيرًا قط.

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي ذلك من قبله فاشكره. تهذيب الحِلْية ٥٢٠/ ١.

* وقال **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١): كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق، قالوا: يا أبا واثلة ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. تهذيب الحِلْية ٤٧٦/ ١.

* وقال **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): ما أحسب أحدًا تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): كفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، تهذيب الحِلْية ٥١٠/ ١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: من أعز نفسه[1]: أذلّ دينه، ومن أذل نفسه[2]: أعز دينه. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٢.

* وعن **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦) قال: إذا شغلت بنفسك ذهلت عن الناس، وإذا شغلت بالناس ذهلت عن ذات نفسك. تهذيب الحِلْية ١٥٤/ ٢.

* وروي عن **بعض السلف** أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم أو كما قال. جامع العلوم والحكم / ٤٥١.

* وقال **بعض السلف**: لولا أن تكون مدحة لذممت لكم نفسي. الزهد لأحمد: ٥٢٤.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ١٠٣-:

---

(١) بالتكبر والعجب، أو بالانتقام لها، وعدم مسامحة من أخطأ عليها.

(٢) بالتواضع وهضم النفس، وعدم الانتقام لها، ومسامحة من أخطأ عليها، والقيام بطاعة الله بذلٍّ وخشوع وخضوع.

وتعـذِر نفسَـك إمّـا أسـأتَ ... وغيـرَك بالعـذرِ لا تعـذِر
وتُبْصـر في العيـن منه القـذى ... وفي عينـك الجِـذع لا تُبْصِـر

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس، فذاك قَمِن[1] أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه، فذاك قَمِن أن يهلك. تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ١.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): من مقت نفسه في ذات الله أمَّنَه من مقته. تهذيب الحِلْية ٤١٤/ ١.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٤١٦/ ٢.

لا تَلتمِسْ مِن مَسَاوي الناس ما سَتَروا ... فَيَكْشِفَ الله سِترًا عن مَسَاوِيكَ
واذكر مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَـعِبْ أحدًا منهم بما فيـكَ

عيون الأخبار ٤١٦/ ٢.

* وعن حماد بن زيد قال: رجعنا من جنازة فدخلنا على **عطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦)، فلما رآنا كأنه خاف أن يدخله شيء - أي لكثرتنا-، فقال: اللهم لا تمقتني، ثم قال: سمعت جعفر بن زيد العبدي يقول: مر رجل فجلس فأثنوا عليه خيرًا فلما جاوزهم قام وقال: اللهم إن كان هؤلاء يعرفوني فأنت تعرفني.[2] تهذيب الحِلْية ٣٢٣/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) لمُزَاحمٍ مولاه: إن الوُلاةَ جَعلوا العيونَ على العوّام وأنا أجعَلُكَ عيني على نفسي، فإن سمعتَ مِنّي كلمةً تَربَأُ بي عنها أو فَعَالًا لا تُحبّه فعِظْني عنده وانْهَني عنه. عيون الأخبار ٤١٦ / ٢.

(١) أي جديرٌ.

(٢) هذه هي أخلاق السلف الصالح، أصحابِ القلوب السليمة، ولو حصل مثل هذا لكثير من الناس لفرح وأُعجب بنفسه، ورأى أنّ هذا يدلّ على مكانتِه وشرفِه وربما صلاحِه كذلك.

* وقال بعضهم:

ابِدَأْ بنفسك فَانْهَهَا عــن غَيِّها ... فـإذا انتَهَـتْ عنه فأنـتَ حَكِيمُ

فَهناكَ تُعذِرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى ... بالقـول منـك ويُقْبَـلُ التّعليـمُ

لا تَنْهَ عـن خُلُـقٍ وتأتِـيَ مـثلَه ... عـارٌ عليـكَ إذا فعلـتَ عظيـمُ

عيون الأخبار ٤١٦/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظن ظنان، فظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم، فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فالذي لا يتكلم به. تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نسمع التشديد فنخشى، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة، ولا نقضي على الموتى ولا نحاسب الأحياء، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم.(١) تهذيب الحِلْية ٣٨٤/ ٢.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: كان **رجل** يقول: علمي بصالح نفسي علمي بفسادها، وبحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فسادًا: لا يُصلحها.(٢) تهذيب الحِلْية ٤٢٥/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مُكر به. تهذيب الحِلْية ٢٠/ ٣.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كنا نتحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٠١.

---

(١) يا له من منهج ما أعظمه، فحريٌّ بالمؤمن أن يأخذ به.

(٢) ينبغي أن يتنبه لهذا الكلام المتين: من إذا نُبه على بعض عيوبه، قال: هذا ما اعتدت عليه، أو هذا طبعي ومن الصعب تغييره، أو نحوًا من هذا الكلام.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما تكلم أحدٌ في الناس إلا سَقَط. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد (٨).

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ألق حسن الظن على الخلق، وسوء الظن على نفسك، لتكون من الأول في سلامة، ومن الآخر على الزيادة. تهذيب الحِلْية ٢٦٥/ ٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): إن في النفس لشغلًا عن الناس. تهذيب الحِلْية ٢٦٥/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن علامة الاستدراج، العمَى عن عيوب النفس.[1] صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقوى القوةِ غَلَبَتُك نفسَك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تفتش عن مساوئ الناس، ورداءة أخلاقهم، ولكن فتش وابحث في أخلاق الإسلام ما حالُك فيه، حتى تسلم ويعظم قدره في نفسك وعندك. تهذيب الحِلْية ٣٣٢/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا ملعون. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ٣.

* وسئل **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩) عن أقرب شيء إلى مقت الله والعياذ بالله، فقال: رؤية النفس وأفعالها، وأشد من ذلك مطالبة الأعواض عن

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلامَةُ السَّعادَةِ أنْ تكونَ حسناتُ العَبدِ خَلْفَ ظَهره، وسيِّئاتهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، وعلامَةُ الشقاوَةِ أن يَجعَلَ حَسناتِهِ نُصْبَ عينيهِ وسيِّئاتِهِ خَلْفَ ظَهرِه، واللهُ المُستعانُ. مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٥.
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فطُوبى لمَن شغَلَهُ عَيبُهُ عن عُيوبِ النَّاسِ وَويلٌ لمن نَسِيَ عَيبَهُ وتفرَّغَ لِعُيوبِ النَّاسِ. مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٧.

أفعالها.[(١)] تهذيب الحِلْية ١٠٤/ ٣.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تزن الخلق بميزانك، وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك.[(٢)] تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ٣.

و- مجاهدة النفس:

* قال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢): أرأيتم نفسًا إذا أكرمتُها ونعمتُها ذمتني غدًا عند الله، وإن أنا أهنتُها وأنصبتُها وأعملتُها مَدَحَتْني عند الله غدًا؟ قالوا: مَن تِيك يا أبا مسلم؟ قال: تِلكَ واللهِ نفسي. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٩.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨): ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط، فإنَّ نفسك إلى السَّآمة وإلى الملل أميل، ولكنَّ المؤمنَ هو المتحامل،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:

١- رؤيته وملاحظته، والذي يُخلصه من هذه البلية: مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١] وقال أهل الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا﴾ [لأعراف: ٤٣].

٢- طلب العوض عليه، والذي يخلصه من هذه البلية: علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته سيده عوضا ولا أجرة.

٣- رضاه به وسكونه إليه، **والذي يخلصه من هذه البلية أمران:**

أ- مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلَّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قلَّ، وللنفس فيه حظ.

ب- علمه بما يستحقه الرب من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقًا، وأن يرضا بها لربه، والعارف لا يرضا بشيء من عمله لربه، ويستحي من مقابلة الله بعمله. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣١٦

(٢) عبارة عظيمة، ومعناها: لا تُقارن نفسك بأهل زمانِك، فترى نفسك أفضلهم أو من أفضلهم وأصلحهم وأعلمهم، ولكن قارن نفسك بالصحابة والتابعين والسلف الصالح، لتعلم فضلهم وإفلاسك، وصدقهم في دينهم وإيمانهم وضعفك، وعلمهم بربهم وبدينه وجهلك.

والمؤمنَ المتقوِّى[١]، وما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم. تهذيب الحِلْية ٤٠٨/ ١.

وصدق **أبو تمام** (ت: ٢٣١) حين قال:

بَصُرتَ بِالراحَةِ الكُبرى فَلَم تَرَها ... تُنالُ إِلّا عَلى جِسرٍ مِنَ التَّعَبِ

ديوان أبي تمام ١/ ٤٥.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): يقولون الجهاد! أنا من نفسي في جهاد.[٢] تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ١.

* وصدق **القائل**:

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَه الأُزُرَا

فَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

---

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنّ الذي تعوّد على حبّ الراحة، والخلود إلى الخمول: يعتاد على الكسل والخور، فلا يكاد يعمل شيئًا إلا بمشقة عظيمة، ولا يكاد يصرف نفسه عن أمر محظور شرعًا أو عرفًا أو طبًّا إلا بصعوبة بالغة.

ويجد نفسه تتثاقل عن فعلِ الطاعات والأعمال الفاضلة والنافعة الدينية والدنيوية، حتى ولو تيقن نفعها ومصالحها، والمفاسد التي ستواجهه إن تكاسل عنها.

فهذا شيء من التعب الذي يُواجهُه كلّ من أحب الراحة، وقدّمها على الحزم والعمل.

وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدْرَك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.

وقد أثبتت التجارب أنّ حُبّ الرَّاحةِ يَجْلِبُ التَّعبَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة للّه، وعملًا صالحًا، وثبت عنه ﷺ أنه قال: (**المجاهد من جاهد نفسه في ذات اللّه**)، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلي جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد. كما قال: (والمهاجر من هجر السيئات). مجموع الفتاوى١٠/ ٣١٣.

لا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبرَا

أمالي القالي ١/ ١١٣.

* وقال: **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.[١] صفة الصفوة ٢/ ٤٧٩.

* وسأل رجلٌ **ابنَ المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) عن الرباط فقال: رابط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط. تهذيب الحِلْية ٤٠/ ٣.

* وقال **أبو يزيد البسطامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠): دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت، فتركتها ومضيت إلى الله.[٢] تهذيب الحِلْية ٢٤٨/ ٣.

* وقال **الجنيد** (ت: ٢٩٨): الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.[٣] تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٣.

---

(١) وبعض الناس يُكابد نفسَه بضعة أيام في قيام الليل أو طلب العلم أو التحلّم والتخلّق وغيرها من العبادات والأخلاق الحميدة، ثم يفتر ويملّ ويعجز، ويقول: حاولت ولكنه شاقٌّ عليّ، أو هذا طاقتي وقدرتي!

(٢) أي: دعوتها إلى القيام بالعبادات طواعية ورغبة، بحيث يقوم بها وهو منشرح الصدر، مُتلذِّذًا بها، ويجد نفسَه تنقاد لها، لكنها أبت وعصت، وعجز عن ذلك، فتركها ومضى لله تعالى، وقام بالعبادات على مشقةٍ وتعب وعناء.

وهذا هو الذي ينبغي على كلّ مؤمن صاحب همة وصدق مع الله، ومَن عامل الله على حسب رغبات النفس وشهواتها: لم يصدق مع الله، ولن يبلغ المنازل العالية في الدنيا والآخرة.

وكم من داعية بدأ في الدعوة ثم تركها، وكم من شيخ بدأ في درس ولم يُكملْه، وكم من طالب علم بدأ في قراءة كتاب فلم يُتمّه، وبدأ في حضور درسِ علمٍ فانقطع، وذلك بسبب ما يُوجه هؤلاء من الفتور وعدم استمرار النشاط الذي حصل في بادئ الأمر، وهؤلاء شاؤوا أم أبوا: إنما دفعهم على العمل ما وجدوه من الأنس والنشاط في البداية، فإذا انقطع انقطعوا، وليس هذا دأب أهل الصدق والإخلاص مع الله تعالى، والمؤمن لا يُعامل الله تعالى بحسب شهواته ورغباته، بل يعمل لله ولو كرهت نفسُه ذلك، إذا كان العمل مما يُرضي الله تعالى.

(٣) قيل لبعض حكماء العجم: بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه؟ قال: بأن يزداد فضلًا في نفسه.



أ- فضل الإخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم[1]:

* قال **أبو بكر الصديق** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٣): إن دعاء الأخ لأخيه في الله عَزَّوَجَلَّ يستجاب. الزهد لأحمد: ٢١٧.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن من الإيمان أن يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه إياه ولا محبة إلا لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٦.

* وعن **أبي أمامة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٨٦) قال: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله استكمل الإيمان. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٦٨) قال: أَحِبَّ في الله، وأَبْغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولا يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٣٢) قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: إِذَا أَحْبَبْت الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللهُ هُوَ الْمَحْبُوبَ لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْته فِي قَلْبك تَصَوَّرْت مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْته فَازْدَادَ حُبُّك لِلَّهِ، كَمَا إذَا ذَكَرْت النَّبِيَّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَصْحَابَهُمْ الصَّالِحِينَ، وَتَصَوَّرْتهمْ فِي قَلْبك، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَك إلَى مَحَبَّةِ اللهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ، إذَا كُنْت تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يَجْذِبُ إلَى مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إلَى اللهِ تَعَالَى، وَكُلٌّ مِنْ الْمُحِبِّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يُجْذَبُ إلَى اللهِ. مجموع الفتاوى: ١٠/ ٦٠٩-٦١٠.

مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد عليه من دعائه شيئًا، فذكر أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٥٣.

* وقال **بعض السلف**: مثل الذي يشكو إلى أخيه كمثل الذي يغسل إحدى يديه بالأخرى. الزهد ابن المبارك (٨٢٣).

* وصدق **القائل**:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ ... يواسيك أو يُسْليك أو يتوجَّع

ديوان ابن نباتة المصري (٢٩٥).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): من المعونة على تسلية الهموم، وسكون النفس: لقاء الأخ أخاه، وإفضاءُ كلّ واحد منهما إلى صاحبه ببثّه.

وإذا فُرِّق بين الأليف وأليفه: فقد سُلب قراره، وحُرم سروره.. الأدب الصغير (٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعُدّة[1] في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد[2]، فلا تفرّطن في اكتسابهم، وابتغاء الوُصلات والأسباب إليهم.[3] الأدب الكبير (١٠٢).

* وقال **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): ما استفاد رجل أخًا في الله إلا رفعه الله بذلك درجة. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٢٩.

* وعن **عليِّ بن الحُسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: فَقد الأحبَّةِ غُربة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

---

(١) العدة: ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح.

(٢) المعاش والمعاد: الحياة الدنيا والآخرة.

(٣) الوصلة: الاتصال، الأسباب، جمع سبب: وهو كلّ ما ربط به شيء بآخر من حبل ونحوه.

* وعن واصل مولى ابن عيينة قال: كنت مع **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) بمرو، فأتاه عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان، فقال عطاء لمحمد: أي عمل في الدنيا أفضل؟ قال: صحبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى، فحينئذ يذهب الله بالخلاف من بينهم فواصلوا وتواصلوا ولا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم، لأنهم إذا كانوا كذلك ثبَّط بعضهم بعضًا عن الآخرة. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: لا يُؤذن للأسفل بزيارة الأعلى، إلا من كان يزور في الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يُؤذن له يزور من الجنة حيث يشاء. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٨.

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): قد جعل الله في الصديق البارّ عِوَضًا عن الرَّحِم المُدْبِرة. عيون الأخبار ٣/ ٩٠.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من أحب رجلًا صالحًا فإنما أحب الله. تهذيب الحِلْية ١٨١/ ٢.

* وقال **محمد بن يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠) - وذكر الإخوان - فقال: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرد بجدثك[1]، يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض. تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٣.

* وعن **أبي زرعة بن عمرو بن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١) قال: ما تحاب رجلان في الله عَزَّوَجَلَّ إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه. الزهد للإمام أحمد / ٦٣٠.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: وجوه المتحابين من نور. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٨.

---

(١) أي: قَبْرك.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُحِبُّ في الله؟.

قال: إنما أحببت ربك. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٨.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): أخٌ لكَ كُلَّما لَقيكَ ذكَّركَ بِحظِّك من الله خيرٌ لك من أخٍ لك كُلَّما لقِيكَ وضعَ في كفِّك دينارًا. الحِلْية ٥/ ٢٢٥.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ليس سرورٌ يعدل صُحبة الإخوان، ولا همٌ يعدِل فراقهم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقيل **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما الحب فِي الله؟ قَالَ: هو أن لا تحبه لطمعٍ فِي دنياه. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٩).

* وقَالَ **أبو عمر مُحَمَّد بن عبد الواحد الزاهد** غلام ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٥): تَركُ قَضاءِ حقوق الإخوان مَذَلَّة، وفي **قَضاء حقوقهم رِفعَة**، فاحمدوا الله عَلَى ذَلِكَ، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم ومسارِّهم؛ تُكَافَؤوا عَلَيْهِ. طبقات الحنابلة (٣/ ١٢٨).

* وقال **الشاعر**:

ما في زمانك من يعزّ وجوده ... إنْ رمته إلا صديق مخلص[١]

وقال **الآخر**:

ما ضاع من كان له صاحب ... يَقْدر أن يصلح من شأنه

فإنما الدّنيا بسُكَّانها ... وإنما المرء بإخوانه

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٩١، ٤٣٧).

---

(١) من أنفس وأندر المكاسب في هذه الحياة، ولو حزت الدنيا كلها بدونه كانت ناقصة: الصديق المخلص الوفي الذي يبحث عن رضاك، ويسارع إلى لقاك، ويُقربك إلى مولاك، ويستر عيبك، ويلتمس عذرك، ويتحاشى سخطك، ومع هذا فهو رهن إشارتك.
والصداقة مراتب، وهذه أعلاها.

ب- أقوال وآراء بعض السلف الذين يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

* قال **وهبُ بن مُنبِّه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): استكثر من الإخوان ما استطعت، فإن استغنيت عنهم لم يضُرُّوك، وإن احتجت إليهم نفعوك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وقال **الصعلوكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٤): إنا نحتاج إلى إخوان العُشرة لوقت العُسْرة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٣٧.

* وكان يقال: أعجزُ الناس مَنْ فرَّط في طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّع مَنْ ظَفِر به منهم. عيون الأخبار ٣/ ٥.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ٥-.

لعمـرُكَ مـا مـالُ الفتـى بذخيـرةٍ ... ولكـنَّ إخـوانَ الثقـاتِ الذخائـرُ

* وكان يقال: الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ. عيون الأخبار ٣/ ٦.

* وقال **إبراهيمُ النَّخَعيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): إنّ المعرفةَ لتنفعُ عند الأسد الهصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب! عيون الأخبار ٣/ ٢٠.

* وقال **فرقد السبخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١): الغريب من ليس له حبيب. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٤٦.

ج- أقوال وآراء بعض السلف الذين لا يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

* عن **عمرو بن العاص** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) قال: إذا كثر الأخلاء كثر الغرماء. قيل لموسى-الراوي-: ما الغرماء؟ قال: الحقوق. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٢.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): إياك وكثرة الإخوان والمعارف. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٢.

* وقال **الحميدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٩):

لقـاء النـاس ليـس يفيـد شـيئًا ... سـوى الهَذَيـان مـن قيـلٍ وقـال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حالِ

تهذيب السِّيَر ٤/ ١٤٦٩.

* وقال **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠): أقل من معرفة الناس؛ فإنك لا تدري ما يكون، فإن كان شيء (يعني: فضيحة في الدنيا) كان من يعرفك قليل.[1]

ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٠.

د- قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق:

* عن أُمِّ الدرداء قالت: كان **لأبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) ست وثلاث مئة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل، أفلا أرغبُ أَنْ تدعُو لي الملائكة؟. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧٣.

* وقال كَعْبُ بْن مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حَدِيثه حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ

(١) الذي يظهر أنه ليس بين القولين اختلاف، فإن الذين لا يرون الإكثار من الأصدقاء لا يقصدون الأصدقاء الأوفياء الصالحين.

بل يعنون المعارف والعلاقات العامة، التي يُتَّخذُ منها الصديقُ الذي لم يُسْتَوثَقْ من إخلاصِه، ولم يُختبَرْ دينُه ووفاؤُه.

فهؤلاءِ أقلُّ ضررٍ يجنيه الْمُكثر منهم أنهم يُرهقونه بزياراتهم، ويُثْقِلونه بِمَطالبهم.

والذين يرون الإكثار منهم لا يقصدون إلا الأصدقاء الناصحين الصالحين.

والقاعدةُ العامة في التعامل مع هذين النوعين: ما قاله أحدُ الحكماء العقلاء: «الإخوان صنفان: إخوانُ الثقة، وإخوان المكاثرة؛ فأما إخوان الثقة فهم الكهف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من صاحبك على حدِّ الثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، واكتم سِرَّه وغيبه، وأظهرْ منه الحسن.

واعلم أنهم أقلُّ من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاثرة فإنك تُصيب منهم لذَّتك، فلا تقطعن ذلك فيهم، ولا تَطْلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان». يُنظر: التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: ٢/ ٣٤.

غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ: وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ **طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، لَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. صحيح البخاري (٤٤١٨).

* وكان سبب حبْس **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي طلبه، فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي. فلم يستَحِل أن يدله عليه، فجاء به الحجاج، فأمر بحبسه في الدّيماس، ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ولا كِنٌّ مِن البَرْد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن. صفة الصفوة ٣/ ٦٣.

* وطلب ابن أخي **محمد بن سوقة** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) منه شيئًا فبكى، فقال له: والله يا عَمّ لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت؛ لأني لم أبتدئك قبل سؤالك. صفة الصفوة ٣/ ٨٢.

* وعن **مطرِّف بن الشخير** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) أنَّه قال لِبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك حاجةٌ فلا تُكلِّمني واكتبها في رُقْعة فإني أكرهُ أن أرى في وجهك ذُلَّ السؤال. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٦٠.

* وأقام **طاووسٌ** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦) على رفيق له مريض حتى فاته الحج. تهذيب الحِلْية ٣٠/ ٢.

* وعن جرير بن حازم قال: كنا عند **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) فقال ابنه: خففوا عن الشيخ فإنه لم يطعم وقد انتصف النهار، فانتهره الحسن وقال: مه

دعهم فوالله إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه فيتحدثان ويذكران ربهما حتى يمنعه قائلته. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

* وقال **يعقوبُ بن شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٢): أظَلَّ العيدُ رجلًا، وعِنْده مئة دينار لا يملكُ سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم يَنْشَبْ أن وردَ عليه رقعةٌ من بعض إخوانه يذكرُ أنَّه أيضا في هذا العيد في إضاقة، فوجَّه إليه بالصُّرَّة بعينها قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صديقُه يذكرُ حاله، فبعثَ إليه الصُّرة بخَتْمِها قال: فعرفَها، وركبَ إليه، وقال: خبِّرني ما شأنُ هذه الصُّرة؟ فأخبره الخبر، فركبا معًا إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): إسنادها صحيح. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٢.

* وقال **الشاعر**:

خِلٌّ إذا جِئْتَهُ يَومًا لِتَسألَهُ ... أعْطَاك ما مَلَكَتْ كَفَّاهُ واعْتَذَرَا

يُخْفِي صنائِعَهُ وَاللهُ يُظْهِرُهَا ... إنَّ الْجمِيلَ إذا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

أدب الدين (٣٢٧).

* وكان **عامر بن عبد القيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) إذا فصل غازيًا وقف يتوسم الرفاق، فإن رأى رفقة توافقه قال: يا هؤلاء، إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون: وما هي؟ قال:

١- أكون لكم خادمًا لا ينازعني أحدٌ منكم الخدمة.

٢- وأكون مؤذّنا لا ينازعني أحد منكم الأذان.

٣- وأُنفق عليكم بقدر طاقتي.

فإذا قالوا له: نعم، انْضم إليهم، وإن نازعه أحدٌ منهم شيئًا من ذلك، ارتحل منهم إلى غيرهم. الزهد لابن المبارك (٨١٦).

* وكان **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* وقال **الشاعر**:

وتركي مواساة الأخلاء بالذي … تنال يدي ظلمٌ لهم وعقوق

وإني لأستحيي من الناس أن أرى … بحال اتساع والصديق مضيق

المنتظم ٦٢/ ٩.

* وعن جعفر قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان **مورق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) يتجر فيصيب المال، فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة خمسمائة ثلاثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها ثم يلقاه بعد ذلك فيقول: شأنك بها. فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها. فيقول: إنا والله ما نحن بآخذيها أبدًا فشأنك بها. وقال: كره أن يعطيهم على وجه الصدقة. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ١.

* وعن الأعمش قال: ربما دخلنا على **خيثمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) فيخرج السلة من تحت السرير فيها الخبيص والفالوذج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا أما إني ما جعلته إلا لكم، وكان يصر الدراهم وكان موسرًا فإذا رأى الرجل من أصحابه منخرق القميص أو الرداء أو به خلة؛ تَحيَّنه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه، فيقول: اشتر قميصا، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا. تهذيب الحِلْية ٦٣/ ٢.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ١٢٩/ ١

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه … لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحام

* وعن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم **أبو محمد المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٠) على بغداد يريد مكة، فكنت أحب أن أصحبه، فأتيته فاستأذنته في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال: اعزم على شرط يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر: فقلت: أنت الأمير! فقال: يا أبا محمد لا! بل أنت الأمير! فقلت: أنت أسن وأولى! فقال: نعم، ولا يجب أن تعصيني! فقلت: نعم! فخرجت معه، فكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشترط عليك أن لا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا، حتى ندمت على صحبته لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخلنا مكة. المنتظم ١٨-١٩/ ١٣.

* وقال **بعض الشعراء**:

همومُ رجالٍ في أمور كثيرة … وهمي من الدنيا صديقٌ مساعد

نكون كرُوحٍ بين جسمين قُسِّما … فجسماهما جسمان والرُّوح واحد

أدب الدين (٢٦٢).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة[١]، فتُشاركه في البلية، وإما بالخذلان، فتحتمل العار.

فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها.

فإن نزلت الجائحة[٢] التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها: فأجمل[٣]، فلعل الإجمال يسعك، لقلة الإجمال في الناس. الأدب الكبير (١٠١).

و- الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم[٤]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تظنَّ بكلمة خرجت من فيِّ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٤-٣٥] قال: الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنتَ صادقا فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذبا فغفر الله لك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

---

(١) آسى فلانا: أي: عزّاه وسلاَّه، وشاطره الأسى.

(٢) أي: النازلة العظيمة.

(٣) أي: اصنع الجميل، ولو بالكلام الطيب الذي يسليّه ويشرح صدره ويُذهب غمّه.

(٤) ما أحوجنا لهذا الخُلُق، فبِه يسلمُ الصديقُ من التَّحامل على صديقِه، ويسلمُ الخاطرُ من الْمُكدِّرات والْمُنغِّصات.

ومن يبغ الصديق بغير عيبٍ ... سيبقى الدهرَ ليس له صديق

وأيُّ جوادٍ لا يكبو، وأيُّ صارمٍ لا ينبو؟

والصديق إذا لم يكن مع صديقه كما قال الشاعر:

كنْ كيفَ شئتَ فإنَّني بكَ واثقٌ ... ولئنْ ذمَمْتُكَ إنَّني لكَ حامدُ

فليس هو الصديق الواثق من صديقه، الذي قد وثق من باطنه كما وثق من ظاهره.

* وكان بين **سعد بن أبي وقاص** (ت: ٦٠) **وخالد بن الوليد** (ت: ١٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلام، فذهب رجلٌ يقع في خالد عند سعد، فقال: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٩٨.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): ما بلغني عن أخٍ مكروهٌ قطّ إلا أنزلْته إحدى ثلاث منازل: إن كان فَوقي عرفتُ له قدْره، وإن كان نظيري تفضّلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة.(١) صفة الصفوة ١/ ٣٧١.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) قال: إذا سمعت كلمةً من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا بلغك عن أخيك شيْء تكرهه، فالتمس له العذْر جُهدَك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٨، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وقال بعضهم:

إذا رأيتُ ازْوِرارًا من أخي ثقةٍ ... ضاقتْ عليّ برُحْبِ الأرض أوطاني

فإن صددتُ بوجهي كي أكافئه ... فالعين غَضْبَى وقلبي غيرُ غضبان

عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

* وعن **عطاء الخراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم، وإن كانوا نسوا فذكروهم، وكان يقال: امش ميلًا وعد مريضا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثًا وزر أخًا في الله. تهذيب الحِلْية ١٨٥/ ٢.

---

(١) ويا لها من سيرة ما أعظمها وأكملها، ومن سار عليها سلم من أذى الناس وسلموا من أذاه، وقد سار عليها كثير من أصحاب العقول الكبيرة، كالأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥١

* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له الْمُبَلِّغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا لعذر، فاقبل منه، وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها، ثم ابدر له إحسانًا بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل.[1] صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوي ... مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِدًا كلَّ عثرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صَاحِبُ

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ٢١-:

---

(١) ما أجلّ كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، وما أحرى كلّ إنسان بأن يحفظه ويعمل به.

إذا ما صديقي رابَني سُوءُ فِعلِهِ ولم يَكُ عمّا ساءني بمُفِيقِ
صبرت على أشياء منه تريبني مخافة أن أبقى بغير صديق

* وقيل **لخالد بن صفوان**[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيّ إخوانك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يَغفِرُ زَلَلي، ويَقبَلُ عِلَلي، ويَسُدُّ خللي. عيون الأخبار ٣/ ٢٢.

* وقال الشاعر:

أخُوكَ الَّذِي إنْ سُؤْتَهُ قالَ إنَّنِي أسأْتُ وإنْ عَاتَبْتَهُ لانَ جَانِبُهُ
فَعِشْ واحِدًا أو صِلْ أخَاكَ فإنَّهُ مُقَارِفُ ذنب مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إذا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرارًا علَى الْقذَى ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصفُو مَشاربُهُ

المجالسة وجواهر العلم (٥١٩).

* ويُروى عن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: مَن لَم يُؤاخ إلاَّ من لا عيب فيه قلَّ صديقُه، ومَن لم يَرْضَ مِن صديقه إلاَّ بالإخلاص له دام سُخْطُهُ، ومن عاتب إخوانه على كُلِّ ذنب كثُرَ عدوُّه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٨.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المؤمنُ لا يَحيفُ على مَنْ يُبغِضُ ولا يأثمُ فيمن يحبّ. عيون الأخبار ٣/ ١٤.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ١٥-:

وعينُ السّخطِ تُبصِرُ كلَّ عيبٍ وعينُ أخي الرضا عن ذاك تعْمى

* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ٣/ ١٦ -:

وعينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ولكنّ عين السُّخطِ تُبدِي المساوِيَا

* وتوفي ابنٌ **ليونس بن عبيد** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) تعالى فقيل له: إنَّ ابن عون لم يأتك!.

---

(١) العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري وقد وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السِّيَر (٦/ ٢٢٦).

فقال: إنا إذا وثقنا بمودةِ أخٍ لا يضرنا ألا يأتينا![1] شعب الإيمان (٨٠٤١).

* وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها **طلحة بن عبد الله بن عوف**[2] الزهري -وكان أجود قريش في زمانه-: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، قال: ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. لزوجها.

قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم.[3] أدب الدين (٢٨٩).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اجعل غاية نيّتك في مؤاخاة من تؤاخي، ومواصلة من تواصل، توطينَ نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت، أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخدانه.[4] الأدب الكبير (٩٩).

ل- نصائح وتوجيهات للصديق:

* عن **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: تذلل المرء لإخوانه[5]،

---

(١) يا له من جوابٍ سديد، وردٍّ رشيد، من رجلٍ فَقَد صاحبَه في أحْلك الظروف، وهو موتُ ابنه وفلذةِ كبده، ومع ذلك لم يحملْ عليه في خاطره، ولم تَنْزلْ مودَّتُه من قلبه، ولم تَهتزَّ ثقتُه به من نفسه.

(٢) في الأصل: طلحة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو خطأ.

(٣) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فانظر كيف تأوَّل بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا، وظاهر غدرهم وفاء.

وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأوَّلوا الهفوات من إخوانهم. أدب الدين (٢٨٩)

(٤) أي: أصحابه.

(٥) بتواضعه لهم، ومغفرته لزلاتهم، وتجاوزه عن تقصيرهم، ومبادرته بطلب العفو والمسامحة عند الاختلاف.

تعظيم له في أنفسهم. تهذيب الحِلْية ١/٣٧١.

* وقالت أعرابية لابنها: يا بنيّ، إياك وصُحْبةَ مَن مودّته بِشْرُهُ فإنه بمنزلة الريح. عيون الأخبار ٣/ ٨٠.

* وقال بعضهم:

إنَّ الهديَّـــةَ حُلـــوةٌ كالسِّـحر تَجتَلِـبُ القلوبَـا

تُدنِـي البغيـضَ مـن الهـوى حتـــى تُصَيِّـــرَه قريبَـا

عيون الأخبار ٣/ ٤١.

* وعن عبد الله بن طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣١.

* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعْه فلا تضرّه، وإن لم تُفرحْه فلا تغمّه، وإن لم تمدحْه فلا تذمّه. الزهد للخطيب (١١٤).

* وقال بعضهم:

إذا شِئتَ أن تُقْلَى فَزُرْ متتابِعًا وإن شئت أن تزداد حُبًّا فزُرْ غِبًّا

عيون الأخبار ٣/ ٣٣.

* وقال بعضهم:

أقْلِـــل زيارتــك الصّديـــقَ يـراك كالثـوب استجدَّهْ

إنّ الصـــديـــق يُمِلُّـــه ألاَّ يـــزالَ يـــراك عنـــدَهْ

عيون الأخبار ٣/ ٢٣.

* وعن جعفر بن برقان قال: قال لي ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): يا

جعفر! قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.[1] تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٢.

* وصدق الشاعر:

وقد رمى بك في تيهاءَ مهلكةٍ مَن بات يَكتمك العيب الذي فيكَ

* وقال بعضهم:

من عفّ خفّ على الصَّديقِ لقاؤه وأخو الحوائج وجهُه مَمْلولُ

عيون الأخبار ٣/ ١٩٣.

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): لا تكرم أخاك بما يكره. الزهد لأحمد: ٥١٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما يشق عليه. الزهد لأحمد: ٥١٥.

* وكان يقول:

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

تهذيب الحِلْية ٣٩٠/ ١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته. تهذيب الحِلْية ٣٣٤/ ٢.

---

(١) إنَّ من يُخْبِرُ صديقه عن عيبه: مُحسنٌ إليه، ومن يُنبِّهه على أخطائه: مُتفضِّلٌ عليه، فلا ينبغي أن يُقابله بالحنق والغضب، فأين نَجِدُ في هذا الزمان من يُنبهنا على أخطائنا، ويُصارحُنا بِعُيُوبِنا، فهذا هو الناصح حقًّا.

وليس الصديق الوفيّ، الذي يراك غارقًا في عيوبك، غافلًا عن أخطائك، وهو ساكتٌ لا يُحرك ساكنًا.

وما قيمةُ الصديقِ إذا لم يكن مرآةً صافيةً لصديقه، ولم يُخبرْه بعيوبه ليُصلحها، وأخطائه ليُصحِّحها.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: اصحب من شئت ثم أغضبه ثم دسَّ إليه من يسأله عنك. تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ٢.

* وقال **بعض الحكماء**: لا تكن في الإخاء مكثرا ثم تكون فيه مدبرا؛ فيعرف سَرَفك في الإكثار بجفائك في الإدبار. المجالسة وجواهر العلم (١٨٠).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): كان يقال: أن يكون لك عدو صالح، خير من أن يكون لك صديق فاسد، لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره، والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك. تهذيب الحِلْية ٢/٤٣٢.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): عليك بمجالسة من يزيد في علمك قولُه، ويدعوك لحال الآخرة فعلُه، وإياك ومجالسة من يعلِّلُك قولُه، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعلُه. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال **الشاعر**:

وجدت قريب الوُدِّ خيرًا وإن نأى ... من الأبعد الوُدِّ القريب المناسب

ورُبَّ أخٍ لم يُدْنِه منك والدٌ ... أبَرُّ من ابن الأم عند النوائب

ورُبَّ بعيدٍ حاضرٌ لك نفعه ... ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائب

الآداب الشرعية ١/ ٣٣٩.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تقصر في حق أخيك اعتمادًا على مودَّته. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بأخيكَ مَن احتَجتَ إلى مداراته. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: من صَدَق في أخوة أخيه قَبِل عِلَله، وسدَّ خَلَله، وغفر زَلَلَه. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقَالَ **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): زُرت **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فلما دخلتُ عليه بيته؛ قام فاعْتنقني وأجلسني فِي صَدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبدالله أليس يقال: صاحب البيت أو المجلس أحقُّ بصدر بيته أو مجلسه؟.

قَالَ: نعم، **يَقْعد ويُقْعِد مَن يُريد**.

فقلتُ فِي نفسي: خُذ إليك أبا عبيد فائِدة.

ثم قلتُ: يا أبا عبدالله لو كنت آتيك عَلَى حقِّ ما تستحقّ لأتيتك كل يوم.

فقال: لا تقل ذاك، فإن لي إخوانًا ما ألقاهم فِي كل سنة إلا مرة، أنا أوثق فِي مودتهم ممن ألقى كل يوم.

قلتُ: هذه أخرى يا أبا عبيد.

فلمَّا أردتُ القيام؛ قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله.

فقال: قَالَ الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **مِن تمام زيارة الزائر أنْ يَمشي معه إلى باب الدار، ويُؤْخَذ بِرِكابه.**

قلتُ يا أبا عبيد: هذه ثالثة. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١١).

* وقال يَحْيَى بن أكثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٢) ذاكرتُ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا، بعض إخواننا **وتغيره علينا**، فأنشأ أَبُو عبدالله يقول:

وليس خليلي بالملول ولا الذي ... إذا غبت عنه باعني بخليل

ولكنْ خليلي من يدوم وصاله ... ويحفظ سري عند كل دخيل

طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤٧).

* وقَالَ الحسن بن ثواب: كنتُ إذا دخلت إلى **أبي عبدالله -الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول لي: إني أفشي إليكَ ما لا أُفشيه إلى ولدي ولا إلى غيرهم، فأقول

له: لك عندي ما قَالَ الْعَبَّاس لابنه عبدالله: إن عُمَر بْن الخطاب يكرمك ويقدمك فلا تفشين له سرًا، فإن أمت فقد ذهب، وإن أعش فلن أحدث بها عنك يا أبا عبدالله، فيفشي إليه أشياء كثيرة.[١] طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٣).

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠): اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.[٢] تهذيب الحِلْية ٢٨٩/ ٣.

* **وقال الشاعر:**

أنفقْ منَ الصبرِ الجميلِ فإنهُ ... لمْ يَخشَ فَقرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبرِهِ
واحلمْ وإنْ سفهَ الجليسُ وقلْ لهُ ... حُسْنَ المَقَالِ إذَا أَتَاكَ بِهُجْرِهِ
وَأحَبُّ إخْوَاني إليّ أبَشُّهُم ... بصديقهِ في سرهِ أو جهرهِ
يارُبَّ مضطغنِ الفؤادِ لقيتهُ ... بِطَلاقَةٍ فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ

ديوان أبي نواس / ٢٠١.

---

(١) يفشي الصديق إلى صديقه إليه أسراره ما لا يفشيه إلى أقرب الناس إليه، وهذا يدل على أن الصديق الوفي أقرب الناس إلى صديقه.

(٢) ما أجمل هذه الوصية العظيمة، **المشتملة على نصيحتين:**

الأولى: لا تُجالس ولا تُصاحب جلساء السوء، فإنك لا محالة آخذٌ من طبعهم، ومُقتدٍ بسلوكهم وفجورهم.

واحذرْ معاشَرةَ الدنيءِ فإنها... تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

الثانية: لا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار، وما أجمل أنْ يعيَ هذا الكلام ويفهمَه أولئك الأخيارُ الصالحون، الذين انْشغلوا بأصدقائهم عن العلم وتحصيله، وعن الخلوة بالله ولذةِ الأنسِ به، وعن حقوقِ الأهل والوالدين، فحال الكثير منهم كحال الشمعة، تُضيء للناس وتنفعهم، لكنها في الْمُقابل تُحرق وتُفني نفسها، ولا بدّ مع الأيام أنْ ينطفئَ ضوءُ الشمعة.

* وقال الشاعر:

وإِذَا صَاحَبْتَ فاصْحَبْ ماجِدًا ... ذا حَياءٍ وعفَافٍ وكَرَمْ

قَولُهُ لِلشَّيءِ لا إنْ قُلتَ لا ... وإذَا قُلْتَ نَعمْ قالَ نَعمْ

المجالسة وجواهر العلم (٤٧٨).

* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا أقبل إليك مُقبل بودّه فسرك ألا يدبر عنك، فلا تُنْعِم الإقبال عليه[١]، والتفتّح له، فإنَّ الإنسان طبع على ضرائبِ[٢] لؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه، إلا من حفظ بالأدب نفسه، وكابر طبعه. الأدب الكبير (٩٦).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَطِّنْ نفسك في صحبةِ مَن صاحبت من الناس على أنْ تقبل منه العفو، غيرَ معاتب، ولا مُسْتبطئ، ولا مستزيد؛ فإنّ المعاتَبة مقطعةٌ للودِّ، وإن الاستزادة من الجشع، وإنّ الرضا بالعفو والمسامحة في الخلق مقرِّب لك كلّ ما تتوق إليه نفسك، مع بقاء العرض والمودة والمروءة. الأدب الكبير (١١٦).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه عند كلِّ كلمة ورأي، ولا تجترئنّ على تقريعه[٣] بظفرك إذا استبان، وحجتك عليه إذا وضحت. الأدب الكبير (١١٧).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليعلم صاحبك أنك تُشْفِق عليه وعلى أصحابه، وإياك إنْ عاشرك امرؤٌ أو رافقَك أن لا يرى منك بأحدٍ من أصحابه وإخوانه رأفة، فإن ذلك يأخذ من القلوب مأخذًا، وإنَّ لُطْفَك بصاحِبِ صَاحِبِكَ أحسنُ عنده موقعًا من لطفك به في نفسِه. الأدب الكبير (١٢٠).

---

(١) أي: لا تبالغ في الإقبال عليه.

(٢) أي: طبائع.

(٣) أي: لومه وتعنيفه.

ي- فوائد أخرى:

* سمع **عمر بن الخطّاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) رجلا يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا.

قال: أخالطته؟ قال: لا.

قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه.[(١)] ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٢٩.

* وقال رجل **لأبي الدَّرْداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن فلانًا يُقْرِئك السلام؛ فقال: هديّةٌ حسنة ومَحْمَل خفيف. عيون الأخبار ٣/ ٤٧.

* وقال **أبو أيوب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): من أراد أن يكثر علمه، ويعظم حلمه؛ فليجلس في غير مجلس عشيرته. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٩.

* وقال **بعضهم**:

فأنت أخِي ما لم تكن ليَ حاجةٌ ... فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

عيون الأخبار ٣/ ٨٦.

---

(١) أشار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنه لا ينبغي أنْ نحكم على أحدٍ بأنه صديقٌ صادقٌ مُخلص، ولا نثني عليه ثناءً مُطلقًا، ولا نخْلِص له الوُدَّ والمحَبّة، **حتى نُجرِّبه في أربعةِ أمورٍ أو بعضها:**

الأمر الأول: في السفر، فكم مَنْ صديقٍ مُعجَبٍ بصديقه أيَّما إعجاب، ويَمْدحُه بإطراءٍ وإسهاب، فما إنْ سافر معه، وأسفر عن أخلاقه ودقائق طِباعه، حتى عاد من سفره ذامًّا له، كارهًا مُجالسته، بل بعضهم لم يُكمل سفره وعاد إلى وطنه.

الأمر الثاني: ائتمانُه على سرٍّ أو مالٍ أو غير ذلك من أنواع الأمانات، فالصديق المخلص لا يخون ولا يغدر.

الأمر الثالث: حال الخصومة وسوء التفاهم، فبعض الناس قمةٌ في الأخلاق والبشاشة والأدب، ولكنْ حينما يرى أمرًا لا يُعجبه من صديقه، أو حصل نقاشٌ أو خلافٌ أو خصامٌ تبدَّلتْ أخلاقه الحسنة، وأصبح مُرّ المذاق، عسِر الأخلاق، سريعَ الشقاق.

الأمر الرابع: كثرةُ المخالطة، فكم مِن إنسانٍ يُغريك مَظهرُه، ويسحرك لسانه، فتطمع في صُحبته، فما إنْ تُخالطه وتُكثر من مُجالسته حتى تفوحَ منه ريحٌ نتنةٌ، ويغورَ طيبُ فعاله وأقواله ليَطفَحَ قُبحُه وسوءُ خِلالِه.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهرًا.

وقال: إنما الأخ الذي تعِظك رؤيته قبل أن يعظك بكَلامه. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٤.

* وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): يُدخل أحدكم يَده كيسَ صاحبه، فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا قال: فلستم إخوانًا كما تزعمون.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٦٠.

* وكان يقال: لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له. عيون الأخبار ٣/ ٢٣.

* وقال **بعضهم**:

لعمرك ما وُدُّ اللسان بنافعٍ   إذا لم يكن أصلُ المودّة في القلب

عيون الأخبار ٣/ ٨١.

* وقال **بعضهم**:

ولا خير في وُدٍّ إذا لم يكن له   على طول مرّ الحادثات بقاءُ

عيون الأخبار ٣/ ٨٢.

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كل جليس لا تستفيد منه خيرًا فاجتنبه. تهذيب الحِلْية ١/٤٢٥.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الإِذنَ الْعُرفِيَّ فِي الِاسْتِبَاحةِ، أو التَّمَلُّكِ، أوْ التَّصرُّفِ بِطَريقِ الوَكالةِ، كالْإِذنِ اللَّفظِيِّ. وعلَى هذَا يُخرَّجُ مُبايَعَةُ النَّبيِّ ﷺ عن عُثْمَانَ بن عفَّانَ بَيْعَةَ الرِّضْوانِ، وَكَانَ غَائِبًا، وَإِدْخَالُهُ أَهْلَ الْخَنْدَقِ إلَى مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَنْزِل جابرٍ بِدُونِ اسْتِئْذَانِهِمَا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمَا رَاضِيَانِ بِذَلِكَ.

وَكَذلِكَ ما يُؤْثَرُ عَن الْحسنِ الْبَصرِيِّ أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمَّا دخَلُوا مَنزِلَه وأكَلُوا طَعامَهُ قالَ: «ذَكَّرْتُمُونِي أخلاقَ قَوم قَد مَضوا»، وكذَلِكَ مَعنَى قَولِ أَبِي جَعفر: «إنَّ الْإِخوانَ مَنْ يُدخِلُ أَحدُهُم يَدهُ إلَى جَيبِ صاحِبِهِ فيأْخُذُ مِنه ما شاءَ». القواعد النورانية: ١٧٥.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٧.

* وجاء رجل إلى **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): يريد صحبته، فقال له إبراهيم: ما معك؟ فأخرج دراهم فأخذ منها إبراهيم دراهم فقال: اذهب فاشتر لنا موزًا، فقال الرجل: موزًا بهذا كله؟ فقال إبراهيم: ضم دراهمك وامض، ليس تقوى على صحبتنا. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وقال له رجل: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك، فقال له إبراهيم: على أن أكون بمالك أحق به منك، قال: لا، قال إبراهيم: قد صدقتني فنعم الصاحب أنت. تهذيب الحِلْية ٤٨٩/ ٢.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨): الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ: طبقةٌ كالغذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحتاجُ إليه إلا أحيانًا، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبدًا.[١] عيون الأخبار ٣/ ٧.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ثلاثٌ يُصْفِينَ لكَ ودَّ أخيكَ: أن تبدأَه بالسلام إذا لقِيتَه، وتوسعَ له في المجلس، وتَدْعُوَهُ بأحبِّ أسمائه إليه.

وثلاثٌ من العيّ: أن تعيبَ على الناس ما تأتي، وأن تَرَى من الناس ما يخفَى عليكَ من نفسكَ، وأن تُؤذِيَ جليسك فيما لا يَعْنِيك. عيون الأخبار ٣/ ١٣.

* وقال **بعضهم**:

وإخـوانٌ حسـبتُهمُ دروعـا ... فكانُوهـا ولكـن للأعـادي

وخِلْتهـمُ سـهاما صائبـاتٍ ... فكانوهـا ولكـن في فـؤادي

---

(١) قيل لبعض حكماء العجم: أخوك أَحَبُّ إليك أم صديقُكَ؟ قال: إنما أُحِبُّ أخي إذا كان صديقًا. عيون الأخبار ٣/ ١٠.

وقالوا قد صَفَتْ منّا قلوبٌ ... لقد صدقوا ولكنْ عن ودادي

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٦).

* وشكا إلى **أبي ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٧) بعضُ إخوانه بُعْدَ عهده به، فقال: إنما فائدة الاجتماع الدعاء، فإذا ذكرتني دعوتَ لي، وإذا ذكرتك دعوتُ لك، فكأنّا التقينا، ولم نلتق. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٢).

* وقال **أبو تمام الطائي** (ت: ٢٣١) في التأخر عن عيادة المريض:

ولئن جفوتك في العيادة إنني ... لبقاءِ جسمك في الدعاء لجَاهد

ولربما ترك العيادةَ مشفقٌ ... وطَوى على غلٍّ الضمير العائد

الآداب الشرعية ١/ ٢٥٨.

* وأنشد **أبو بكر الشاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٢٧) في الاعتذار عن الإقلال من الزيارة:

إنِّي وإن بَعدت دَاري لمقترب ... مِنْكُم بمحض مُوالَاةٍ وإخلاص

وَرُبُّ دَانٍ وَإِنْ دامَت مودته ... أدنى إلى الْقلب مِنْهُ النازحُ القاصي

طبقات الشافعيين (٢/ ٩٦).

* وكان يقال: لا يكن حُبُّك كَلَفًا ولا بُغْضُكَ تَلَفًا. أي: لا تسرف في حبك وبغضك. عيون الأخبار ٣/ ١٣.

* وقال بعضهم:

أبلغْ أخًا ما تولّى اللهُ صحبتناَ ... أنّي وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

وأن طَرْفي موصولٌ برؤيته ... وإن تباعدَ عن مثوايَ مَثواهُ

اللهُ يعلَمُ أني لستُ أذكره ... وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

عيون الأخبار ٣/ ٣٤.



تقوى الله وأثرها على المسلم(١)

* قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقلَّ عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟ تهذيب الحِلْية ٨١/ ١.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: التقوى: هي اجتناب ما نهى الله عنه، والمتقي ميسرة عليه أمور دنياه وآخرته، وتارك التقوى وإن يسرت عليه بعض أمور دنياه تعسر عليه من أمور آخرته بحسب ما تركه من التقوى، وأما تيسير ما تيسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان تيسيرها عليه أتم، ولو قدر أنها لم تتيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو أنفع له مما ناله بغير التُّقَى، فإن طيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو أجل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق:٤] فأخبر أنه ييسر على المتقي مالا ييسر على غيره، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] وهذا أيضا ييسر عليه بتقواه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق:٥] وهذا يتيسر عليه بإزالة ما يخشاه وإعطائه ما يحبه ويرضاه، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٢٩] وهذا يتيسر بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وذلك غاية التيسير، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة:١٨٩] والفلاح غاية اليسر، كما أن الشقاء غاية العسر، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨] **فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور:**

أحدها: أعطاهم نصيبين من رحمته، نصيبا في الدنيا ونصيبا في الآخرة، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة فيصير نصيبين.

الثاني: أعطاهم نورا يمشون به في الظلمات.

الثالث: مغفرة ذنوبهم، وهذا غاية التيسير، فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر، وترك التقوى سببا لكل عسر. التبيان في أقسام القرآن: ٢/ ٥٨.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢]: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. الزهد لأبي داود (١٤٧).

* وجاء سائل إلى **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبَّل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمتُ أن الله يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهمٍ لم يكن غائب أحبَّ إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين. صفة الصفوة ١/ ٢٧٣.

* وعن نافع أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقي **راعيا** بطريق مكة قال له: بعني شاة؟ قال: ليست لي، قال له: فتقول لأهلك أكلها الذئب؟ قال: فأين الله؟.

قال: اسمع، وافِني هاهنا إذا رجعت من مكة، ومُرْ مولاك يوافيني هاهنا، فلما رجع لقي ربّ الغنم واشترى منه الغنم، واشترى منه الغلام، فأعتقه ووهب له الغنم. الزهد لأبي داود (٢٦٢).

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أنها كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا، فاتق الله. الزهد لأبي داود (٢٨١).

* وقال **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعمة، وذلّ لحكم القرآن. الزهد لأبي داود (٣٢٥).

* وعن إبراهيم بن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُمَا اللَّهُ قال: شهدت **أبي** (ت: ١٩٣) عند الموت فبكيت، فقال: يا بني ما تبكي؟ فما أتى أبوك فاحشة قط. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٨٠.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أرى الناس يقولون سفيان الثوري، وأنت تنام الليل، فقال لي: اسكت، مِلاكُ هذا الأَمر التقوى. صفة الصفوة ٣/ ١٠٣.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٨) قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله عَزَّوَجَلَّ معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضلّ. صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

* ولَمَّا كانَت فِتنَةُ ابن الأشعث قال **طلق بن حبيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): اتَّقُوها بالتقوى.

فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: التقوى عَمَلٌ بطاعة الله، على نور من الله، رجاءَ رحمة الله، وتركُ معصية الله، على نور من الله، خيفةَ عقاب الله. الزهد لابن المبارك (١٠٥٤).

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): أبدعَ وأوجزَ، فلا تقوى إلاَّ بعَمَل، ولا عمل إلاَّ بتروٍّ من العِلم والاتِّباع، ولا ينفعُ ذلك إلاَّ بالإخلاص لله. لا ليقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابُها إلى معرفتها، ويكونُ التَّركُ خَوفًا من الله، لا لِيُمدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصيَّة فقد فاز. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٦.

* وعن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) بأكثرهم صلاةً ولا صومًا، ولكن لا والله ما حضر حق لله إلا وهو مُتهَيِّئ له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٥٢.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سَدًّا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٦.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٣٤.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): التقيُّ مُلْجَم، لا يستطيع كل ما يريد. شعب الإيمان (٥٤٠٤).

* وعن **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): قال: ما أخرج الله عبدًا من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس. تهذيب الحِلْية ٤٦٦/ ٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو مر المطيعون بالمعاصي مطروحة في السكك ما التفتوا إليها. تهذيب الحِلْية ١٩٢/ ٣.

* وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد، فقدمتُ فإذا هو قد مات، فشكوت ذلك إلى **عبد الرحمن بن مهدي** (ت: ١٩٨)، فقال: مهما سُبِقْتَ به فلا تُسْبَقَنَّ بتقوى الله. معرفة القراء (١/ ٣٦٥).

* وقال عبدالله بن عبد الحكم للشافعي (ت: ٢٠٤) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إن أردتَ أن تسكن البلد -يعني مصر- فليكن لك قوتُ سَنَة، ومجلسٌ من السلطان تتعزَّزُ به، فقال له الشافعي: يا أبا محمد، من لم تُعزّه التقوى فلا عِزَّ له، وقد ولدتُ بِغَزَّة، ورُبّيت في الحجاز، وما عندنا قوتُ ليلة، وما بِتنا جياعًا قَط. طبقات الشافعيين (١/ ٦٢).

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): الزم التقوى قلبك، واجعل الآخرة أمامك. طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٤).

* وقالَ **أَبُو زُرعةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): كُلُّ مَنْ لَم يَتكَلَّم فِي هذا الشَّأنِ[1] علَى الدِّيانةِ فإنَّمَا يُعطِبُ نَفسَهُ، وكانَ الثَّورِيُّ ومالِكٌ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ يتكَلَّمُونَ فِي النَّاس علَى الدِّيانَةِ فَيَنفذُ قَولُهُم، وكلُّ من لَم يَتكلَّمْ فِيهمْ علَى غَير الدِّيانةِ يَرجعُ الأمرُ عليهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

---

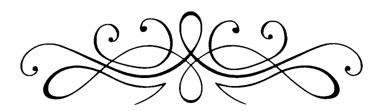
(١) أي: جرح الرواة وتعديلهم.



ما قيل في الحكمة والحكماء(١)

* قال **بعض الحكماء من الصحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تقول الحكمةُ: مَن التمسني فلم يَجِدْنِي فَليفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليترك أقبح ما يَعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأَنَا معه وإن لم يَعرِفْني. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): العلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٣.



(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكمة حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بِمُسَبباتها خَلْقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، والعملية: هي وضع الشيء في موضعه.
وكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها.
فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا.
ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة.
وآفاتها أضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة.
فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عَجول. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين٣/ ٣٥٠-٣٥٣
والعقلاء يتفاوتون حسب صحة عقولهم وكمالها، فكلّ من يعي الكلام ويعرف الخير ويعمل به، ويعرف الشرّ ويجتنبه: فهو عاقل.
وإذا كمل الإنسان في عقله يُسمى حكيما، فكل حكيم عاقل، وليس كل عاقل حكيمًا.



الاعتذار والرجوع إلى الحق(١)

* كان **أَبو هُرَيْرَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩) يَقُولُ: مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا أَفْطَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

---

(١) من طبيعةِ البشر النَّقصُ والخطأ، ولم يجعل الكمال إلا له وحده سبحانه، ولقد أوجد الله تعالى أنواعًا كثيرةً من العلاج، من بينها التَّناصُح والتذكير بين الناس، فإذا فعلوا ذلك قلَّت الأخطاء العيوب، وصَلُحَتِ الخواطرُ والقلوب.

ولقد ضرب سلفنا الصالح رَحِمَهُمُٱللَّهُ، أروعَ الأمثلةِ في قبول الحقّ من أيِّ أحدٍ كان، والرُّجوعِ إليه، وعدمِ الحرج من ذلك.

لعلمهم بأنَّ عدمَ الاعترافِ بالحق: هو الكِبْر بعينه، كما قال ﷺ: **(الكِبْر بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناسِ)**.

فالمتكبر يرد الحق، ويُعرض عنه ولا يقبله؛ لأنه معتدٌّ برأيه، جازمٌ بصواب عمله، ومع ذلك يحتقر الناس ويزدريهم؛ لأنه يرى نفسه فوقهم.

إنَّ من يُذَكِّرُنا بأخطائنا، ويُنَبِّهُنا على عُيوبنا، قد أسدى لنا معروفًا عظيمًا، فجزاؤه أن نشكرَه ونُثنيَ عليه، ونأخذَ بقوله ونعملَ به، فهذا من علامةِ الإيمان وصفاءِ القلب.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: من علامات الخشوع: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ: اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ. مدارج السالكين ١/ ٥١٦.

وقال رَحِمَهُٱللَّهُ: لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ، حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ، وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ، كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ. مدارج السالكين ٢/ ٣٢١.

فالحق يُقبل من أيِّ أحد، لِكونه موافقًا للدليل، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه.

وقال ابن الوزير رَحِمَهُٱللَّهُ: «القاصد لوجه الله تعالى لا يخافُ أن يُنقد عليه خللٌ في كلامه، ولا يهابُ أن يُدل على بطلان قوله، بل يُحِبُّ الحقَّ من حيث أتاه، ويقبل الهُدى ممن أهداه، بل المخاشنةُ بالحق -أي: التعامل بِخُشُونَة في الحق- والنصيحة أحبُّ إليه من المداهنة على الأقوال القبيحة، وصديقك مَنْ صَدَقَكَ لا من صدَّقك». العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم / ٢٤.

* فسُئلَت **عَائِشَةُ** (ت: ٥٨) **وَأُمِّ سَلَمَةَ** (ت: ٦١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن ذلك فقالَتا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا ثُمَّ يَصُومُ.

فأُخبر أَبُو هُرَيْرَةَ بما قالتا فقال: هُمَا أَعْلَمُ، ورَجَعَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. صحيح مسلم (١١٠٩).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل **عبد الله بن الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٨) عن مسألة فأخطأ في الجواب، فقال له قائل: الحكم فيها كذا وكذا فأطرق ساعة، ثم قال: إذًا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَبًا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل. البداية والنهاية ١٠/ ٢١٧.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: صنف الحافظ عبد الغني كتابا فيه أوهام الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فلما وقف عليه **الحاكمُ** جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغنيِّ بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجعُ إلى ما أصاب فيه من الردِّ عليه، رَحِمَهُمَا اللَّهُ. البداية والنهاية ١٢/ ٧٥.

* وحكَى أَبو سهل مُحَمَّد بن عمر عَن بعض مشايخ بَلخ قَالَ: دخلت بَغْدَاد، وَإِذا على الجسر رجل يُنَادي ثَلَاثَة أَيَّام يَقُول: أَلا إن القاضي **أحمد بن عمرو الخصاف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١) استُفتي في مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا، وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلَّغها صاحبها. الجواهر المضية (١/ ٨٨).

قال **تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١٠) معلّقا على هذه القصّة: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا[1]، الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر

(١) لازال والحمد لله في الأمة من هم في غاية الورع والصدق والأمانة.

بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالي أحدهم إذا كان مستظهرًا في البحث على خصمه أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الطبقات السنية (١٢٤).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يُقرأ عند **الوزير أبي المظفر ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) الحديث في كل يوم بعد العصر فحضر فقيه مالكي، فذكر مسألة، فخالف فيها ذلك الفقيه، فاتفق الوزير وجميع العلماء على شيء، وذلك الفقيه يخالف، فبدر من الوزير أن قال له: أحمار أنت؟! أما ترى الكل يخالفونك وأنت مُصِرّ!.

فلما كان في اليوم الثاني قال الوزير للجماعة: جرى مني بالأمس ما لا يليق بالأدب، حتى قلت له تلك الكلمة، **وها أنا فليقل لي كما قلتُ له، فلستُ بخيرٍ منكم، ولا أنا إلا كأحِدِكم**، فضج المجلس بالبُكاء، وارتفعت الأصوات بالدُّعاء والثناء، وأخذ الفقيه يعتذر ويقول: أنا أولى بالاعتذار، والوزير يقول: القصاص القصاص، فقال يوسف الدمشقي: يا مولانا إذا أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الرجل: نعمك عليّ كثيرة فأيُّ حكم بقي لي؟.

قال: لا بد، قال: عليّ بقية دين مائة دينار، فقال: يُعطى مائة دينار لإبراء ذمته، ومائة لإبراء ذمتي، فأُحضرت في الحال، فلما أخذها قال الوزير: عفا الله عنك وعني وغفر لك ولي. المنتظم ١٨/ ١٦٩، ذيل الطبقات ٢/ ١١٣.

* وقال **بعضهم**:

لـك الحـقُّ إن تعتـبْ علـيَّ لأنني ... جَفَـوتُ وإمّـا تَغْتفـرْ فلـك الفضـلُ

* وقال آخر:

لـو كنـتَ تعلـم مـا أقـول عذرتَني ... أو كنـتُ أجهـل مـا تقـول عَذَلتُكا

لكـن جهِلـتَ مقالتـي فعذلتَنـي وعلمـتُ أنـك جاهـلٌ فعَذرتُـكا

* وقال آخر:

إذا مـا امـرؤٌ مـن ذنبـه جـاء تائبًـا إليـك فلـم تَغْفِـر لـه فلـك الذنـبُ

عيون الأخبار ٣/ ١٠٦، ١٠٨.

* ووقع بين **أبي مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) وبين قائد له كلام، فأرْبَى عليه القائد إلى أن قال له: يا لَقِيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فورةُ الغضبِ ندِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَني ولا نطقتُ حتى أنطقتَني فاغفر لي قال: قد فعلتُ. فقال: إني أحبّ أن أستوثِقَ لنفسي. فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنتَ تُسيءَ وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسيء!. عيون الأخبار ٣/ ١٠٩.

* وكتب رجل إلى صديقٍ له:

لئـن سـاءني أن نلتنـي بمسـاءةٍ لقـد سـرّني أنّـي خطـرتُ ببالـكَ

عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا في جنازة فيها **عبيد الله بن الحسن العنبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يومئذ قاضي البصرة، وموضعه في قومه، وقدره عند الناس، فتكلم في شيء فأخطأ، فقلت - وأنا يومئذ حدث - ليس هكذا، يا أبي عليك بالأثر، فتزايد علي الناس، فقال عبيد الله: دعوه، وكيف هو؟ فأخبرته فقال: صدقت يا غلام، إذًا أرجع إلى قولك وأنا صاغر. تهذيب الحِلْية ١١٢/ ٣.

* ولما وَرَدَ **أبو إسماعيل الأنصاري** (ت: ٤٨١) نيسابور أخرج الإمام **أَبُو عثمان الصَّابُونِيُّ** (ت: ٤٤٩) لخاله الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مجلسًا في الحديث ليمليه بنيسابور، فنظر فيه الأنصاري ونبَّه على خللٍ في رجال

الحديث وقع فيه، فقَبِل الصابوني قوله، وعاد إلى ما قَالَ، وأحسن الثناء عليه، وأظهر السُّرور به، وهنأ أهل العصر بمكانه، وقال: لنا جمال، ولأهل السنة مكانة، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه، وكان ذلك بمشهدٍ من مشايخ فيهم كثرة، وشُهرة وبصيرة. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال صاحب التاريخ: سمعتُ الإمام **أبا إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) بنيسابور يقول: دخلتُ على **الإمام ناصر المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنيسابور، وكان مجلسه غاصًّا بتلامذته، واحتفَّ به الفقهاء، وكان يُدرِّس ويقول: رُوي عن أَبِي بَكْرٍ الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: (ربِّ زِدْنِي عِلْمًا) فقلتُ - أيد الله الشيخ الإمام -: أحديثُ عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقلتُ: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فقال: **صَدَقتَ ورجع إلى قولي**، وحثَّ القومَ على إثباته وتعليقه، ثم بكرتُ إليه من غَدِ هذا اليوم، **فرحَّبَ بي، وأعلى مَحَلِّي**، وأجلَسَني فوق جماعة زهاء سبعين، كنتُ بالأمس جالسًا دونهم، ومدحتُه بقصيدةٍ، ووَاظبْتُ على الاختلاف إليه، وأخذِ الفِقه عنه مُدَّة.[١] ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وأفتى **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) بفتيا، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٢٢).

* وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الْعُثْمَانِيُّ غَيْرَ مَرَّةٍ قال: وَصَلْت الْفُسْطَاطَ مَرَّةً، فَجِئْت مَجْلِسَ الشَّيْخِ **أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:

---

(١) انظر إلى أدب وتواضع الشيخ كيف جعل هذا التلميذ يحبه ويُكثر من التردّد عليه للاستفادة منه، بل ويمدحه بقصيدة، ماذا لو أنكر عليه وذكر له أن عَمَله هذا سوء أدبٍ مع الشيخ، أو لم يبال به!

٤٤٨)، وَحَضَرْت كَلَامَهُ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ جلَسْت إِلَيْهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ وَظَاهَرَ وَآلَى، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعْته وقُلْت لَهُ: سَمِعْتُك تَقُولُ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْت، وَطَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْت، وَقُلْت: وَظَاهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ -لِأَنَّ الظِّهَارَ مُنْكَرٌ مِنْ الْقَوْلِ وَزُورٌ- وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَضَمَّنِي إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَ رَأْسِي وَقَالَ لِي: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذَلِكَ، جَزَاك اللهُ عَنِّي مِنْ مُعَلِّمٍ خيْرًا، ثُمَّ انْقَلَبْتُ عَنْهُ، وَبَكَّرْت إِلَى مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَأَلْفَيْته قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْجَامِعِ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْجَامِعِ وَرَآنِي، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: مَرْحَبًا بِمُعَلِّمِي، أَفْسِحُوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتْ الْأَعْنَاقُ إِلَيَّ، وَحَدَّقَتْ الْأَبْصَارُ نَحْوِي حَتَّى بَلَغْت الْمِنْبَرَ، وَأَنَا لِعَظْمِ الْحَيَاءِ، لَا أَعْرِفُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ أَنَا مِنْ الْأَرْضِ، وَالْجَامِعُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَأَسَالَ الْحَيَاءُ بَدَنِي عَرَقًا، وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْخَلْقِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مُعَلِّمُكُمْ، وَهَذَا مُعَلِّمِي -لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ قُلْت لَكُمْ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ، فَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَقُهَ عَنِّي وَلَا رَدَّ عَلَيَّ، فَاتَّبَعَنِي إِلَى مَنْزِلِي، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَأَعَادَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِي بِالْأَمْسِ، وَرَاجِعٌ عَنْهُ إِلَى الْحَقِّ - فَمَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ حَضَرَ فَلَا يُعَوِّلْ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَابَ فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حَضَرَ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَجَعَلَ يَحْفُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالْخَلْقُ يُؤَمِّنُونَ.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَانْظُرُوا رَحِمَكُمْ اللهُ، إِلَى هَذَا الدِّينِ الْمَتِينِ، وَالِاعْتِرَافِ بِالْعِلْمِ لِأَهْلِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأ، مِنْ رَجُلٍ ظَهَرَتْ رِيَاسَتُهُ، وَاشْتُهِرَتْ نَفَاسَتُهُ، لِغَرِيبٍ مَجْهُولِ الْعَيْنِ، لَا يُعْرَفُ مَنْ وَلَا مِنْ أَيْنَ، فَاقْتَدُوا بِهِ تَرْشُدُوا. أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٣٠.

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدَّثني الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان العلَّامة الشيخ **علي با صَبْرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرِّس لطلابه ما بين المغرب والعشاء في جامع الشافعي بجدة، ففي إحدى الليالي جاء البحث في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعها، فنال الشيخ با صبرين منها نيلًا فاحتشد وكان من الطلبة الشيخ صالح العبدالله البسام، والشيخ مبارك آل مساعد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلما فرغ الدرس قاما إليه، وقالا له: هل اطَّلعت يا شيخ على كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما نِلْتَ منه ومن دعوته؟ فقال لهما: لا، إنَّني لم أطَّلع عليها، ولكني قلتُ هذا نقلًا عن مشايخي، فقالا له: ألا ترغب في الاطِّلاع على كتبه؟ فقال: بلى، فأتيَاه بنُسَخ من كتبه، فدَرَسَها نحو أسبوع، وهو لا يأتي للشيخ محمد بذِكْرٍ، لا بمَدْح ولا قَدْح.

وبعد ذلك قال للطلبة: إنَّني في إحدى الليالي السابقة نِلْتُ من الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ودعوته، والحقُّ أنَّ كلامي لم يكن على اطِّلاع على كتبه، وإنَّما هو تقليد وحُسن ظنٍّ في مشايخنا، وقد أطْلَعَني بعض إخواننا النجديين على بعض كتبه ورسائله، فرأيتُ فيها الحقَّ والصواب، وأنا أستغفر الله تعالى عمَّا قلت، ثم صفَّ رسالة سمَّاها (هداية كُمَّلِ العبيد إلى خالص التوحيد). علماء نجد (٥/ ٣٤٧-٣٤٨).

* وصدق **القائل**:

اقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ معتذرًا ... إنْ بـرَّ عندكَ فيما قالَ أو فجَرَا

فقدْ أطاعكَ مَنْ يُرضيكَ ظاهرهُ ... وقدْ أجلَّكَ مَنْ يعصيكَ مُستترا

* وقال **بعض السلف**: رُبَّ ذنبٍ أحسنُ من الاعتذار منه. التذكرة الحمدونية: ١/ ٤٥٦.

* وصدق القائل.

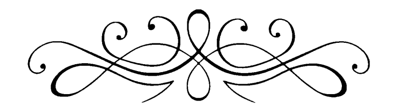
إذا كان وجهُ العذرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذْر خيرٌ من العذر[1]

* وقال بعض الحكماء: أقلّ الاعتذار موجبٌ للقَبول، وكثرته ريبة. المجالسة وجواهر العلم (٤٧١).

* وقال الشاعر:

إذَا اعْتَذَرَ الصَّدِيقُ إلَيْكَ يَوْمًا مِنَ التَّقْصِيرِ عُذْرَ أخ مُقِرِّ
فَصُنهُ عنْ عِتابِكَ واعْفُ عنهُ فإنَّ الصَّفْحَ شيمَةُ كُلِّ حُرِّ

المجالسة وجواهر العلم (٥٨٨).



(١) عدمُ التصريح والوضوح بطلب المسامحة والعذر: مِمَّا ينبغي تجنُّبُه عند الاعتذار، فبعضهم ربما يقول: يا فلان، إنْ كنتُ أخطأتُ فأنا بشرٌ أُخطِئ وأُصيب!
وبعضُهم يُرسل رسالةً يقول فيها: إلى كلّ من ظلمتُه أو أخطأتُ في حقِّه أرجو مسامحتي، فأنا قد سامحتُ كلَّ أحد!!
وهذا كلُّه لا يُسمى اعتذارًا ولا رجوعًا عن الخطأ، بل هو بغيضٌ ثقيلٌ.



ذم الحمقى واللئام

* قال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: أو أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال رجل باع آخرته بدنيا غيره. تهذيب الحِلْية ٢٣٢/ ٢.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): الأحمقُ إذا تكلَّم فضحهُ حمقُه، وإذا سكت فضحَهُ عِيُّه، وإذا عمِل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمهُ يُعينُه، ولا عِلمُ غيره ينفعُه، تَوَدُّ أُمُّه أنها ثكِلَتْه، وامرأته لو عَدِمتهُ، ويتمنَّى جارُه منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوَحشة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٥.

* وعن **كعب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢) قال: إنَّ لكل قوم كلبًا فاتَّقِه، لا يتصلنَّ بك شرُّه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٦٢.

* وقال **الشاعر**:

لَكَلْبُ الْإِنْسِ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ ... أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكِلَابِ

لِأَنَّ الْكَلْبَ لا يُؤْذِي صَدِيقًا ... وَإِنَّ صَدِيقَ هَذَا فِي عَذَابِ

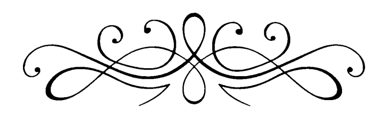
ابن أبي الدنيا ٢/ ٦٣.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام. تهذيب الحِلْية ٣٧٢/ ٢.

* وقال **ابن السَّمّاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣): هِمَّةُ العاقل في النجاة والهَرَب، وهِمَّة الأحمق في اللهو والطَّرب. تهذيب السِّير ٢/ ٧٦١.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): خرجتُ إلى اليمن في **طلب كتب الفِراسة** حتى كتبتها وجمعتها، ثم لمّا حان انصرافي مررت برجلٍ في طريقي وهو محتبٍ بفناء داره، أزرق العين، ناتِئ الجبهة، سِناطٍ[1]، فقلت: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفِراسة، فأنزَلني، فرأيتُ أكرمَ رجل، بَعَث إليَّ بعشاءٍ، وطيبٍ، وعلفٍ لدابتي، وفِراشٍ ولحاف، وجعلتُ أتقلَّب الليل أجمع؛ ما أصنع بهذه الكتب؟! إذ رأيت هذا النَّعت في هذا الحال، فلما أصبحتُ قلت للغلام: اسرج، فأسرج، فركبت ومررتُ عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي، فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قلت: لا، قال: فهل كانت لك عِندي نعمة؟ قلت: لا، قال: **أدِّ ما تكلَّفتُ لك البارحة**، قلت: وما هو؟ قال: اشتريتُ لك طعامًا بدرهمين، وإدامًا بكذا، وعِطرًا بثلاثة دراهم، وعَلَفًا لدابتك بدرهمين، وكِرَا[2] الفراش واللِّحاف بدرهمين، قال: قلت: يا غلام أعطِه، فهل بقي من شيء؟ قال: كِرَا المنزل، فإني وسَّعت عليك وضيقت على نفسي، قال الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فغَبطت نفسي بتلك الكتب. طبقات الشافعيين (١/ ٢٣).

* وقال **بعض السلف**: كان يقال: إن جاريت الأحمق كنت مثله، وإن سكت عنه سلمت منه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.



(١) هو الذي لا لحية له.

(٢) أي: أجرة.



حال السلف في باب المناظرة(١)

* سئل سلمان بن ربيعة عن فريضةٍ، فخالفه عمرو بن شرحبيل، فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته، فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى!.

فأتيا **أبا موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل، وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون. تهذيب الحِلْية ٧٠/ ٢.

---

(١) لقد سلك سلفنا الصالح غاية الأدب في حواراتهم ومُناظراتهم، **ويتجلى ذلك فيما يلي:**

١- الإنصات والاستماع التام لأقوال وحجج الآخرين، ولو كان في نظر الآخر فاسدًا لا يستحق أن يُسمع له.

٢- عدمُ مُقاطعة المتحدث والْمُحاور.

٣- سؤال المتحدث بكل أدب ولطف: هل فرغ من حديثه أم لا؟، لأن المتحدث إذا لم يُكْمل حديثه لن يكون منصتًا جيدًا، ومستمعًا صحيحًا، بل ينتظر متى يكمل الآخر حديثه، حتى يكمل هو حديثه.

٤- الرد على الخصم والمناقِش بالرد الحسن الذي ليس فيه سب أو شتم أو تجريح؛ لأن الهدف من الحوار والنقاش ليس الانتقام والتشفي، بل إقناع الطرف الآخر، أو على الأقل أن يفهم وجهة نظره، سواء قبلها أم لا.

٥- الاختصار في النقاش، وعدمُ الإسهاب الممل في عرض وجهات النظر، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

٦- إبداء الرأي من دون الإلزام بأخذه، أو التسخط بعدم قبوله.

٧- إحسانُ الظن بالآخرين وبآرائهم، فآراء الناس قد تكون أحسن وأصوب.

* ولما دخل **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧) بغداد اجتمع إليه أهلها فقالوا له: أنت رجل أعجمي، ليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى؟.

قال حاتم: معي ثلاث خصال، أظهر بها على خصمي، قالوا: ما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أنْ لا أتَجهَّلُ عليْه. الحِلْية ٨/ ٨٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطئ. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفّق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفْظ، وما ناظرت أحدًا، إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة. تهذيب الحِلْية ٣/١٢٦.

* وصح عنه أنه قال: ما ناظرتُ أحدًا على الغَلَبَة.[1].

* وقال أيضا: ما عرضتُ الحُجَّة على أحدٍ فقبِلها إلا عَظُم في عيني، ولا عرضتها على أحدٍ فردَّها إلا سَقَط مِن عيني. طبقات الشافعيين (١/ ٥٨).

* وقال **مصعب بن عبدالله بن مصعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦):

أأقعد بعدما رجفت عظامي ... وكان الموت أقرب ما يليني
أُجادل كلَّ معترِض خصيم ... وأجعل دينه عرضًا لديني
وأترك ما علمت لرأي غيري ... وليس الرأي كالعلم اليقين
وما أنا والخصومة وهي لَبْسٌ ... تُصَرِّف في الشمال وفي اليمين

---

(١) أي ما جادلت أحدا بنيّة أن أتغلّب عليه وأُقنعه، بل بنيّة طلب الحق، فإن كان الحق معه اتبعتُه. ولو أن كلّ أحد نوى هذه النية عند النقاش والجدال: لهداه الله للحق وسدده بإذن الله.

وكان الحقُّ ليس له خفاء أغرّ كغرة الفلق المبين

ترتيب المدارك (١/ ٤١٩).

* وأُدخل رجل من الخوارج على **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨)، فقال: ماحملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال: وما هي، قال: قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] قال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة.

قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل.

قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين. المنتظم ٥٦/ ١٠.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمُرْتدٍّ إلى النصرانية: خَبِّرنَا عن الشيء الذي أوحشَكَ من ديننا بعد أُنسِك به واستِيحاشِك ممّا كنتَ عليه، فإن وجدتَ عندنا دَواءَ دَائِك تعالجتَ به، وإن أَخطأَ به الشِّفَاءُ ونبَا عن دائك الدَّواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرْجِع على نفسك بلائمة، وإن قتلناك قتلناك بحُكْم الشريعة، وتَرْجِع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثِّقَةِ، وتَعْلم أنّك لم تُقَصِّر في اجتهاد ولم تُفَرِّط في الدخول من باب الحزم، قال المُرْتَدُّ: أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان: أحدُهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، والتشهُّد، وصلاة الأعياد، وتكبير التشريق، ووُجُوه القِراءات، ووجوه الفُتْيا، وهذا ليس باختلاف إنما هو تحير وسعةٌ وتخفيف من المِحنة فمن أذّن مثنى وأقام فرادى...، ولا يَتَعايَرُون بذلك ولا يتَعَايبُوُن، والاختلافُ الآخرُ كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتَأْويل الحَدِيث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عَين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أَنْكَرْتَ هذا الكتابَ، فقد يَنْبغي أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون متَّفقًا على تنزيله، ولا يكون

بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات، وينبغي لك ألاَّ تَرْجِع إلا إلى لُغَةٍ لا اختلافَ في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسير لَفَعَل، ولكنَّا لم نَرَ شيئًا من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمرُ كذلك لسقَطَت البَلْوَى والمِحْنةُ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ، وليس على هذا بَنَى الله الدنيا.

قال المرتَدّ: أشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وأن المَسِيح عَبْدٌ، وأنّ محمدًا صادِقٌ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا. عيون الأخبار ٥٥٢ / ٢.

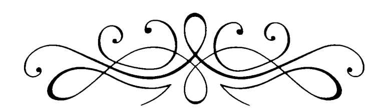
* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان محمد بن داود كثير المناظرة مع **أبي العباس ابن سريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٦)، وكانا يحضران مجلس أبي عمر القاضي فتجري بينهما المفاوضة، والمناظرة حتى يعجب الناس، فتكلما يومًا في مسألة، فقال له ابن سريج: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا! فقال له: وبكتاب الزهرة تعيرني؟ والله ما تحسن تستتم قراءته، وذلك كتاب عملناه هزلًا فاعمل أنت مثله جدًا! فلما توفي محمد بن داود في رمضان هذه السنة جلس ابن سريج للعزاء ونحَّى مخاده وقال: ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود. المنتظم ١٠١/ ١٣.

* وقال ابن طاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكى لنا أصحابنا أن السلطان «ألب أرسلان» حضر هراة، وحضر معه وزيره أَبُو علي الحسن بن علي بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، للشكاية من **أبي إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)، ومطالبته بالمناظرة، فاستدعاه الوزير، فلما حضر قَالَ: إنّ هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك: فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم: إما أن ترجع، **وإما أن تسكت عنهم**،

(١) يعني الطوسي «نظام الملك».

فقام الأنصاري وقال: أنا أناظر على ما في كَمَّيَّ، فقال له: وما في كميك؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمه اليمين، وسنة رَسُول اللهِ ﷺ، وأشار إلى كمه اليسار، وكان فيه الصحيحان، فنظر إلى القوم كالمستفهِم لهم، فلم يكن فيهم مَن يمكنه أن يُناظره من هذه الطريق.

* وقدِم مسعود بن محمود بن سبكتكين هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام **أبا إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال له: أتقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ يضع قَدَمَه في النار؟ فقال -أطال اللهُ بقاء السلطان المعظم- إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتضرر بالنار، والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه، وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يَرْوُون عنه ويسندون إليه. فاستحسن جوابه، وردَّه مُكرَّمًا. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).





الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي، حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت.

قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلَّيتها وإذا خلَّوْها مددتها. عيون الأخبار ٥٣ / ١.

* وفخر سُلَيم مولى زياد بزياد عنده، فقال معاوية: ما أدرك صاحبك شيئًا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني. عيون الأخبار ٥٤/ ١.

* وقال لعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بلغَ من دَهَائكَ يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه.

قال معاوية: لكنّي لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه. عيون الأخبار ٣٢٢ / ١.

* ووقفتْ **عجوزٌ** على **قيس بن سعد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فقالت: أشكو إليك قِلّة الجِرْذَانِ!.

قال: ما أحسنَ هذه الكنايةَ! امْلؤوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا. عيون الأخبار ٣/ ١٣٠.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): إني لأُجْمِع أن أُخرِج للمسلمين أَمرًا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعًا من طمع الدنيا، فإن نفَرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا. عيون الأخبار ٥٣/ ١.

* وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت على منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت[1] الناس بالتي تقول: أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. تهذيب الحِلْية ٢١٣/ ٢.

* وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زياد (ت: ٢٥٤) كاتب البرامكة قال: قال عبد الله بن طاهر ذاتَ يوم **لرجل** أمره بعمل: احذر أن تخطئ فأُعاقبك بكذا (لأمر عظيم) قلت له: أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابُه على الإصابة!. عيون الأخبار ٥٩٥ / ٢.

* وعن الشعبي قال: شهدت **شريحًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨) وجاءته امرأة تخاصم رجلًا، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون. المنتظم ١٨٥/ ٦.

* وقال أبو العباس: كان **عبد الله بن يزيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) من عقلاء الرجال، قال له عبد الملك يومًا: ما مالك؟ فقال: شيئان لا عيلة علي معهما، الرضا من الله، والغنى عن الناس.

فلما نهض من بين يديه قيل له: هلا خبرته بمقدار مالك؟ فقال: لم يعد أن يكون قليلًا فيحقرني، أو كثيرًا فيحسدني. الكامل في اللغة / ١٨٦.

* وأتى **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) رجلًا في حاجة لرجل فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله في قضائها قضيتَها وكنت

---

(١) أي: فاجأت.

محمودًا، وإن لم يأذن الله في قضائها لم تقضها وكنت معذورًا. تهذيب الحِلْية ١/٤١٦.

* وعن عيسى بن حازم قال: كنا مع **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) في بيت ومعه أصحاب له، فأتوا ببطيخ فجعلوا يأكلون ويمزحون ويترامون بينهم، فدق رجل الباب فقال لهم إبراهيم: لا يتحركن أحد، قالوا: يا أبا إسحاق تعلمنا الرياء؟ نفعل في السر شيئًا لا نفعله في العلانية؟ فقال: اسكتوا إني أكره أن يعصى الله فيَّ وفيكم[1]. تهذيب الحِلْية ٤٧٨/ ٢.

* وأحضر **هارون الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) رجلًا ليولِّيَه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حلم يمنعك من العَجَلة، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه. وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقَّه به.

فَولِي فما وجدوا فيه مطعنًا. عيون الأخبار ٦٠ / ١.

* وعن **ربيعة بن أبي عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) أن رجلًا قال له: انعت لي أبا بكر وعمر ما. فقال ربيعة: ما أدري كيف أنعتهما لك؟ أما هما فقد سبقا من كان معهما، وأتعبا من كان بعدهما. تهذيب الحِلْية ٥٣٣/ ١.

* وكان **لإبراهيم بن طهمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣) جِراية[2] من بيت المال

(١) قال في الحاشية: لعله أراد: أن يظن القادم إليهم ظن السوء فيهم، عند رؤيتهم وهم يلعبون؛ فيكون ذلك سبب معصيته لله تعالى بذلك الظن. ا.ه

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ: وَفِيهِ تَرْك التَّكَبُّر وَالتَّرَفُّع، وَالْفَرْق بَيْنَ كَوْن الْكَبِير فِي الطَّرِيق فَيَتَوَاقَر أَوْ فِي الْبَيْت فَيَمْزَح، وَأَنَّ الَّذِي وَرَدَ فِي صِفَة الْمُنَافِق أَنَّ سِرّه يُخَالِف عَلَانِيَته لَيْسَ عَلَى عُمُومه. ١٠/ ٧١٣-٧١٤.

(٢) أي: مبلغ من المال.

فاخرة، فسئل يومًا مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري! فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تُحسن مسألة؟.

قال: إنما آخذه على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أحسن.

فأَعجب أميرَ المؤمنين جوابُه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته. المنتظم ٢٦٥-٢٦٦/ ٨.

* وقال المنصور ذات يومٍ **لشبيب بن شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٤): عظني وأوجز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحدًا من خلقه، فلا ترض له من نفسك بأن يكون عبدًا له أشكر منك، فقال: والله لقد أوجزت. المنتظم ٢٧٣/ ٨.

* وأتى **رجلٌ** بعضَ الولاة، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا فقال: اعذرْني فإنّي مشغول، فقال: لولا الشغلُ ما أتيتُك. عيون الأخبار ٣/ ١٢٧.

* وقال **أبو سمَّاكٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) لرجلٍ: لم أصنْ وجهي عن الطَّلَبِ إليك، فصنْ وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك. عيون الأخبار ٣/ ١٢٩.

* وقال عبد الملك **لرجل**: ما لي أراك واجِمًا لا تَنْطق؟ قال: أشكو إليك ثِقلَ الشَّرَف، قال: أعِينوه على حمله. عيون الأخبار ٣/ ١٣٠.

* وقال **رجل** لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَقْطِعْني الْبَحْرَيْن قال: إني لا أصلُ إلى ذلك قال: فاستَعمِلْني على البَصْرة قال: ما أُريدُ عَزْل عاملها قال: تأمرُ لي بألفين قال: ذاك لك.

فقيل له: ويْحَك! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا! قال: اسكتوا لولا الأُولَيَان ما أعطيتُ هذه. عيون الأخبار ٣/ ١٣٢.

* وقَالَ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): يؤكل الطعام لثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة. طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٣).

* وذكر ابن السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: أن **أبا الخطاب** البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٠) جاءته فتوى في بيتين من شعر، وهما:

قُلْ للإمام أبي الخطَّاب مسألة ... جاءتْ إليكَ ومَا يُرجى سِوَاك لَهَا

ماذا على رَجُلٍ رَام الصلاة فمُذْ ... لاَحَتْ لِناظرِه ذاتُ الجمَال لَهَا

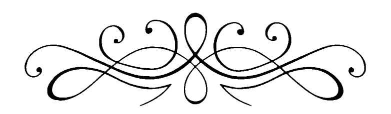
فكتب عليها أَبُو الخطاب:

قُل للأديب الذي وافى بمسألةٍ ... سَرَّتْ فؤاديَ لمَّا أن أصَخْتُ لَها

إنَّ الذي فَتنتهُ عَنْ عبادته ... خَرِيدةٌ ذاتُ حُسْن فانثنى ولها[1]

إنْ تابَ ثمَّ قضَى عنه عبادتَه ... فرَحمَةُ الله تغشى من عَصَى ولها[2]

ذيل الطبقات (١/ ٢٧٦).



(١) من الْوَلَه، وهو ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحَيُّرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، وَقَدْ وَلِهَ - بِالْكَسْرِ - يَوْلَهُ وَلَهًا.

(٢) من اللهو، وهو اللعب والعبث.

حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم



أ- حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك[١]:

* قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من لم ير لله عليه نعمةً إلا في الأكل والشرب فقد قلّ فهمه، وحضر عذابه. الزهد لأبي داود (١٩٨).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن. تهذيب الحِلْية ١/ ١٦٨.

* وعن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجنا مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) في حج أو عمرة، حتى إذا كنا بشعب ضَجْنَانَ التفت عمر وقال: لقد رأيتني بهذه الشعاب في أجْمالٍ للخطاب وكان فظًّا غليظا، أحتطب عليها مرة وأخْتبط[٢] أخرى، فأصبحت اليوم ويضرب الناس بِجَنَابِي[٣] ليس فوقي أحد إلا الله ثم قال:

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كم من مُستَدرَج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه!

وأكثر الخلق عندهم: أن هذه الثلاثة:

١- النعم والرخاء والعافية.

٢- ثناء الناس.

٣- قضاء الله حوائجه وستره عليه: علامةُ السعادة والنجاح.

ذلك مبلغهم من العلم. مدارج السالكين ١/ ١٨٩

(٢) أي: أضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها.

(٣) أي: بناحيتي.

لا شـيء فيمـا تـرى إلا بشاشـته   يبقـى الإلـه ويُـؤْدَى المـالُ والولـد

الزهد لأبي داود (٩٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: ما أدري أي النعمتين أفضل، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء؟ تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين نِعمتين: نعمة يحمَدُ الله عليها وذنب يستغفرُ الله منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وعن **عبد الملك بن أبجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) أنه قال: ما من الناس إلا مُبْتَلىً بعافية ليُنظر كيف شكره، أو ببليَّةٍ ليُنظر كيف صبره. المنتظم ١٢٥/ ٨.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته. تهذيب الحِلْية ٤٣٠/ ٢.

* وكان **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يقول إذا ابتدأ حديثه: (الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ـ والله ـ ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا، لك الحمد بكل نعمةٍ أنعمت بها علينا في قديمٍ أو حديثٍ، أو سرٍّ أو علانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ، أو حيٍّ أو ميِّتٍ، أو شاهدٍ أو غائبٍ، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٦٧-٤٦٨.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إنَّ اللهَ ليُمَتِّعُ بِالنِّعمةِ ما شاءَ، فإذَا لَم يُشكَرْ قلَبها علَيهمْ عذابًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٠.

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات:٦] قال: للكفور، **يعدد** المصائب وينسى النعم. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكرها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٥.

* وقال بعض السلف: ذكر النعمة يورث الحب لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧١.

* وعن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، قال: ما قلَّب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) بصره إلى نعمة أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.

* وقال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدني **محمود الوراق** (ت: ٢٢١):

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً علي ... له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنشدنا **محمود الوراق** في ذلك:

يا أيها الظالم في فعله ... والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٥.

* وكان **عنبسة بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠) يقول عند إفطاره: الحمد لله

الذي هداني فصمت، والحمد لله الذي رزقني فأفطرت[1]، إن تعذبني فأنا أهلٌ لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهلٌ لذلك. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وقال رجلٌ **لبعض السلف**: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عَزَّوَجَلَّ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله عَزَّوَجَلَّ في قلب العباد لم يبلغها عملي. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٨.

* وعن محمد بن سوقة، قال: مررت مع **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) بالكوفة على قصر الحجاج، فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ها هنا زمن الحجاج؟! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله تعلى واشكره، ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس:١٢]. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): كان يقال: من عرف نعمة الله جل وعز بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].[2].

وقال: كان يقال: مِن شكر النعمة أنْ تحدِّث بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

* ومر **بعض السلف** برجل به زمانةٌ[3]، فجلس يحمد الله عَزَّوَجَلَّ ويبكي، فمر به رجلٌ فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء، فذلك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩٢.

---

(١) فلولا هداية الله للصائم ما صام ولا صلى، ولولا فضله عليه ما طعم ولا شرب، فاستحضار ذلك يزيد في الإيمان وحب الله والإقبال عليه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر معه المزيد أبدًا، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٧٨.

(٣) أي: مرض.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) في قول الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف:١٨٢]، قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر.

وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنبًا أحدثت لهم نعمة. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٠٤.

* وقال **بعض السلف**: قال لي **رجل**، على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرةً.

قال: فهل قصدْتَ إليه في أمرٍ كَرَبَك فخذلك؟ قالت: لا والله، ولكنه أحسن إلي فأعانني.

قال: فهل سألته شيئًا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئا ًسألته؟ ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغثني.

قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء.

قال: فربك أحق وأحرى أن تُدْئِب[1] نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك، واللهِ لَشُكْرُه أيسر من مكافأة عباده، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رضي بالحمد من العباد شكرًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١١.

* وقال **بكر المزني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): لقيت **أخا** من إخواني من الضعفاء فقلت: يا أخي، أوصني، قال: ما أدري ما أقول، غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر عن الحمد والاستغفار؛ فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار، قال: فأوسعني علمًا ما شئت. ابن أبي الدنيا ١/ ٥١٤.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يا ابن آدم، إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك، فغمض عينيك. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٤.

---

(١) أي: تُعوّدها.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢) قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبدٍ من نعمةٍ في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقًا من النار، يعذبه إن شاء، أو يتجاوز عنه. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٦.

* وكتب **بعض الحكماء** إلى أخٍ له: أما بعد! يا أخي فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيها نشكر؟ أجميل ما ظهر أم قبيح ما ستر؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٧.

* وقال **ابن شوذب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦): اجتمع قوم فتذاكروا أي النعم أفضل؟ فقال **رجل**: ما ستر الله به بعضنا عن بعض، قال: فيرون أن قول ذلك أرجح. تهذيب الحِلْية ٢٨٣/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: كن لنعمة الله عليك في دينك أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك. تهذيب الحِلْية ٣١١/ ٢.

* وسئل **الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) عن حقيقة الشكر فقال: ألا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه. تهذيب الحِلْية ٣٨٠/ ٣.

* وقال **بِشْر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): تفكرت فِي بِشر النصراني، وبِشر اليهودي، وبِشر المجوسي، ونفسي، واسمي بِشر، فقلت: ما الذي سبق منك إليه حتى **خَصَّك**؟ فتفكرت فِي تَفَضُّلِه عَلِيّ أن جعلني مِن خاصَّته وألبَسَني لِباس أحبابه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٨٣).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: النِّعَمُ أَضْيافٌ، وقِراهَا[١]

(١) قرَى الضيفَ: أضافه وأكرمه.

الشُّكْرُ، والْبلايا أضْيافٌ، وقِراهَا الصَّبْرُ، فاجْتهِدْ أنْ تَرحلَ الْأضيافُ شاكرَةً حُسن القِرى، شاهِدةً بِما تسمعُ وترى. الآداب الشرعية ٢/ ١٢٧.

ب- حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق[1]:

* قال **ابن عبّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو قال لي فرعون: بارك الله فيك، قلت: وفيك. الأدب المفرد (٣٨١) وصححه الألباني.

* وقال **بعضهم**:

فلو كان يستغني عن الشكر سيّدٌ ... لعِزّة مُلْكٍ أو علوّ مكانِ

لما أمر اللهُ الجليلُ بشكره ... فقال اشكروني أيها الثَّقلانِ

* وقال **الآخر**:

لأشكُرنَّك معروفًا هَممتَ به ... إنّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُك إن لم يُمضِه قَدَرٌ ... فالشيءُ بالقَدرِ المحتومِ مصروفُ

عيون الأخبار ٣/ ١٦٧.

* وقال **بعضهم**: لا تثِقْ بشكر من تُعْطيه حتى تمنَعه، فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر. عيون الأخبار ٣/ ١٦٧.

---

(١) ما أجمل أنْ يشكر المسلم غيره على محاسن أعمالِه، ولو لم يجن منها فائدةً لنفسِه، فهذا الخُلُقُ لا يتخلق به إلا النفوس الشريفة، وقد سمى الله تعالى نفسه شاكرًا! فقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة:١٥٨]، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].
فقد علمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذا أدبًا من أكمل الآداب، بما سمى إحسانه وإنعامه على العاملين شكرا لهم، مع أن علمهم لا ينفعه ولا يدفع عنه ضرا، فهل يليق بمسلمٍ أنْ يرى بعض الناس يسدي إليه معروفا ثم لا يشكره له ولا يكافئه عليه؟.
وتركنا شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجها إلينا أو إلى غيرنا من الخلق: هو جناية منا على الناس وعلى أنفسنا لأنّ صانع المعروف إذا لم يلق الشكر والتشجيع أُصيب بالإحباط والكسل -غالبًا-، فنخسره، ونخسر أعماله التي لها نفعٌ للعباد والبلاد.
يُنظر: تفسير المنار ٢/ ٤١-٤٢.

* **ويقال**: الشكر ثلاثُ منازلَ: لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِكَ بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه. عيون الأخبار ٣/ ١٦٩.

* وفد **رجل على سليمانَ بن عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) في خلافته؛ فقال له: ما أقدمك؟ قال: ما أقدمني عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ قال: وكيف ذاك؟ قال: أما الرغبةُ فقد وصَلَتْ إلينا وفاضتْ في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا، وأما الرّهْبةُ فقد أمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سيرتِه فينا من الظلم، فنحن وفدُ الشكر. عيون الأخبار ٣/ ١٧٠.

* وكان يقال: أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ. عيون الأخبار ٣/ ١٧٤.

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليلقاني بالصحبة الحسنة فأرى أن سأموت قبل أن أكافئه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

* وقال **بعض السلف**: إن الرجل ليلقاني بما أحب[1]، فلو حلَّ لي أن أسجد له لفعلت، الكريم يشكر القليل. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

* وكان يقال: من لم يشكر صاحبه على النية: لم يشكره على حسن الصنيعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٩.

* وكان يقال: زكاة النعم: اتخاذ الصنائع والمعروف. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٨.

* وقال **الشاعر**:

وما النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعةِ عِنْدهُمْ ... وفِي كُفْرِها إلَّا كَبعْضِ الْمزَارِعِ

فمزْرَعَةٌ طابتْ وأضْعفَ نَبتُهَا ... ومزْرعَةٌ أكْدَتْ على كُلِّ زارِعِ

أدب الدين (٣٣٠).

* وقال **حكيم من الحكماء**: أَشْكَرُ الناس لله عَزَّوَجَلَّ أَشْكَرُهم لعباده، ومن

---

(١) من طلاقة الوجه والحفاوة ونحوها.

لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والمكافأة بالإحسان فريضة، والإفضال نافلة. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٩).

ج- فوائد أخرى:

* كان **مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) يقول: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن أُعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. الزهد لوكيع (٢٠١)، الزهد لهناد (٤٤٢).

* وعن عمرو بن السكن قال: كنت عند **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨). فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف: «لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر» أهو أحب إليك؟ أم قول أخيه أبي العلاء: «اللهم رضيتُ لنفسي ما رضيتَ لي».

قال: فسكت سكتة ثم قال: قول مطرف أحب إليّ، فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له.

قال سفيان: إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: (نعم العبد إنه أوابٌ)، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه (نعم العبد إنه أوابٌ)، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا، كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر.[1] تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

---

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: تَنَازَعَ النَّاسُ أَيُّمَا أَفْضَلُ: الْفَقِيرُ الصَّابِرُ أَو الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ أَفْضَلَهُمَا أَتْقَاهُمَا، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَى اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ. مجموع الفتاوى (٢١/ ١١)

* وقال **أبو جعفر المنصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٨) لعبدالله بن الربيع الحارثي: إني وإياك **كمجير أم عامر**، قال: يا أمير المؤمنين وما مجير أم عامر؟ قال: خرج قوم يطلبون الصيد فلم يجدوا إلا الضبع، فألجئوها إلى خيمة أعرابي، فأرادوها فنادى: يا آل بيت فلان، فذهبوا وتركوها، فأقبل يغذّوها باللحم واللبن حتى أسمنها، فخرج لحاجته وترك أخاه في جانب الخيمة مريضا، فرجع فوجد الضبع قد ذهبت، ووجد أخاه مقطعا، فأنشأ يقول:

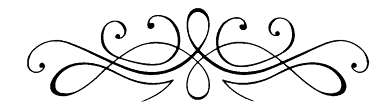
ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي الذى لاقى مجيرُ أمِّ عامر

أذمَّ لها حين استجارت برحله ... لتأمن ألبان اللقاح الدرائر

فأسمنها حتى إذا ما تكلمت ... فَرَته بأنيابٍ لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من ... أراد يدَ المعروف من غير شاكر

ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٠١.





مواعظ، وخطب، ووصايا، وحِكم

أ- مواعظ وخطب:

* لما حضر **أبا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الْمَوْتُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَخْلِفُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا، وَلَوْ قَدْ وَلِيَنَا كَانَ أَفَظَّ وَأَغْلَظَ، فَمَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيتَهُ وَقَدِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبِرَبِّي تُخَوِّفُونَنِي، أَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا: إِنَّ « لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ وَثِقَلُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَأَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا أُبَلِّغُ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأَ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تَعْجِزَهُ. مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٥٦).

* وقال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تنظروا إلى صلاة امرئٍ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وإلى ورعه إذا أشفى[(١)]، وإلى أمانته إذا ائتمن. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

* وأُتي بشابٍّ قد سرق، فقال: والله ما سرقت قبلها قط: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كذبت والله، ما كان الله لِيُسْلم عبدًا عند أولّ ذنب. الزهد لأبي داود (٧٤).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يقول: يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون.

قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون. فأصبح جمعهم بورا، وأملهم غرورًا، وبيوتهم قبورًا.

هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالًا وأولادًا، فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين؟ تهذيب الحِلْية ١٧٤/ ١.

* وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا **أبو موسى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) بالبصرة فقال: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لبحرت. الزهد لأحمد: ٣٥٥.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يَسبق بطيءٌ بحظه، ولا يُدرِك حريصٌ ما لم يقدَّر له، فمن أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًا فالله وقاه، والمتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم زيادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٦.

---

(١) قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: أشْرف على الدنيا وأقْبلت عليه.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط ربّ العالمين عليه، أم راض عنه.

وثلاث أحزنّني حتى أبكينني: فراق محمد وحزْبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عَزَّوَجَلَّ، ولا أدري إلى جنة أو إلى نار. صفة الصفوة ١/ ٢٥٩.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: خمس لهن أحسن من الدُّهم الْمُوقَفة(١):

١- لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضلٌ ولا آمن عليك الوزر.

٢- ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا، فإنه رُبَّ متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيعنت.

٣- ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإنَّ الحليم يقْليك، وإن السفيه يؤذيك.

٤- واذكر أخاك إذا تغيَّب عنك بما تُحِبُّ أنْ يَذْكرك به، وأَعْفِه عمَّا تحب أن يعفيك منه.

٥- واعمل عمل رجلٍ يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٨.

* وعن يونس بن جبير قال: شيعنا **جندب بن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) فلما بلغنا حصن المكاتب قلنا له أوصنا قال: أُوصِيكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهَدْيُ النَّهَارِ، فَاعْمَلُوا بِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقَةٍ، فَإِنْ عَرَضَ بَلَاءٌ فَاجْعَلْ مَالَكَ دُونَ نَفْسِكَ، وَإِنْ جَاوَزَكَ الْبَلَاءُ فَاجْعَلْ نَفْسَكَ دُونَ دِينِكَ، فَإِنَّ الْمَحْرُوز مَنْ حُرِزَ دِينُهُ، وَإِنَّ الْمَسلُوبَ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ؛ إِنَّهُ لَا فَقْرَ بَعْدَ الْجَنَّةِ، وَلَا غِنَى بَعْدَ

---

(١) بل وأحسن من خزانة أغنى رجلٍ في العالم، فيا لها مِن حِكَمٍ لا يعملُ بها إلا العقلاء الأتقياء.

النَّارِ، إِنَّ النَّارَ لَا يُفَكُّ أَسِيرُهَا، وَلَا يَسْتَغْنِي فَقِيرُهَا. الزهد لأحمد: ٣٦٠، شعب الإيمان (١٥٢٥).

* وخطب **عتبة بن غزوان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، «فإن الدنيا قد آذنت بصرم[1]، وولت حذَّاءَ[2]، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء[3]، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفّة جهنم، فيهوي فيها سبعين عاما، لا يدرك لها قعرا، ووالله لتملأن.

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار.

وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا.

وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكا، فستَخبُرون وتجرِّبون الأمراءَ بعدنا». صحيح مسلم (٢٩٦٧).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧) أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله عَزَّ وَجَلَّ الموقدة التي تطلع على الأفئدة؛ فإنكم في دارٍ، الثواءُ فيها قليلٌ، وأنتم فيها تؤجلون خلائف بعد

---

(١) أي أعلمت بانقطاعها وذهابها وقرب زوالها وقيام الساعة.

(٢) أي مسرعة الانقطاع.

(٣) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارًا، وأمدَّ أجسامًا، وأعظم آثارًا؛ فجردُّوا الجبالَ، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديدٍ، وأجسام كالعماد؛ فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزًا؛ كانوا بلهو الأمل آمنين، لبيات قومٍ غافلين، ولصباح قومٍ نادمين.

فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأملُ، وغره طول الأجل، فتبلغ بالأماني.

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نُذُرَه فانتهى، وعقل مسراه فمهد لنفسه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٣-٤٧٤.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧) قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص له من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة به فقال: يا فلان إنه نزل بي كذا وكذا وإني أحب أن تعينني، قال: ما أنا بالذي أفعل.

فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا وأنا أحب أن تعينني، قال: فأنطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك.

قال: فانطلق إلى أخص الثلاثة. فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا فأنا أحب أن تعينني قال: أنا أذهب معك حيث ذهبت، وأدخل معك حيث دخلت.

قال: فالأول ماله خلفه في أهل ولم يتبعه منه شيء، والثاني أهله وعشيرته ذهبوا معه إلى قبره ثم رجعوا وتركوه، والثالث هو عمله وهو معه حيث ما ذهب ويدخل معه حيث ما دخل. تهذيب الحِلْية ٨/ ٢.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): يا أهلَ التُّقى! إنَّكم لَمْ تُخلقوا

للفناء، وإنما تُنقلُونَ مِن دارٍ إلى دار، كما نُقِلتُم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومِن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخُلُود في جنة أو نار. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٤.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: عبادَ الرحمن! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من أعمالكم تقبل منكم، أو شيئًا من خطاياكم غفر لكم؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥]، والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض عليكم، أفترغبون في طاعة الله بتعجيلِ دنيا تفنى عن قريب، ولا ترغبون ولا تنافسون في جنة ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد:٣٥]. تهذيب الحِلْية ٢/١٩٢.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يُغلب، ومن يعجل يخطئ، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المرآء يُشتم، ومن لا يكره الشتم يأثم، ومن يكره الشر يُعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتولى الله يُمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن لا يكن مع الله يخذل، ومن يستعن بالله يظفر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧- ٤٧٨.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): رحم الله رجلًا لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم وأنت المعني وإياك يراد. تهذيب الحِلْية ١/٣٣٩.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحلم في علم، وكَيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في

فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف في جهد، وصبر في شدة، لا ترده رغبته، ولا يبدره لسانه، ولا يغلبه فرجه، ولا يُمِيْلُه هواه، ولا يفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته). ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هلك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٩.

* **وقال سَهْلُ بْن عَبْدِ اللهِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣): لَا يَعْرِفُ الرِّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصٌ، وَلَا يَعْرِفُ النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعٌ. شعب الإيمان (٦٤٨٠).

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتَها على أولادها، لاقت السرور في مَعادها. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٢.

* وما أصدق قول **أبي العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣):

إنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَة ... مفسدةٌ لِلمَرءِ أيُّ مَفسَدَة

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... ما أكثر القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

هيَ المَقادِيرُ فلُمني أَو فَذَرْ ... إنْ كُنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ

تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٦.

* وعن **ميمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: يا ابن آدم خفف عن ظهرك، فإن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمل عليه من ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وكل هذا تحمله عل ظهرك فخفف عن ظهرك. تهذيب الحِلْية ٥٦/ ٢.

* وكان من كلام **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): أنه يقول: أي حسرة أكبر على أمرئ من أن يرى عبدًا كان له، خوله الله إياه في الدنيا، هو أفضل منزلة

منه عند الله يوم القيامة؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يصيب مالًا فيرثه غيره، فيعمل فيه بطاعة الله تعالى، فيصير وزره عليه وأجره لغيره؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يرى من كان مكفوف البصر ففتح له عن بصره يوم القيامة وعمي هو؟. تهذيب الحِلْية ٨٩/ ٢.

* وقال **ثابتٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): أيُّ عبد أعظم حالًا من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي الله وحده، ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة. تهذيب الحِلْية ٤٠٥/ ١.

* وقال **بعض السلف**: إنَّ لله عبادًا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام، رجاء أن ينير ذلك لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت، فرأت فيه ما رجت من عظم ثواب الله، فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم، قال: ثم بكى حتى بل لحيته بالدموع. تهذيب الحِلْية ٣٤٤/ ٢.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يزدد على الكثير منها إلا شرًا. تهذيب الحِلْية ٤٣٠/ ٢.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملًا منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه، فعلمه غيره فانتفع به. تهذيب الحِلْية ٤٣٦/ ٢.

* واستعمل **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وعلى خراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه، وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق، فكتب عمر إليه: اجبِ من الخراج الطيب، واقض ما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إليّ فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا. تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٢.

* وحج سليمان ومعه **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ، فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق ففزع سليمان فقال لعمر: ألا ترى ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا عند نزول رحمته، فكيف لو كان عند نزول نقمته!! تهذيب الحِلْية ٢١٩/ ٢.

* وكتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به، والسلام. الزهد الكبير للبيهقي (٥٠٧).

* ودخل **سابق البربري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤١) على عمر بن عبد العزيز، فقال له: عظني يا سابق وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ إن شاء الله، قال: هات فأنشده:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ووافيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شركته ... وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر. تهذيب الحِلْية ٢٢٩/ ٢.

* وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٩.

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ
خلقت العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمسنّ
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيحٌ ومنهم حسنْ

على ذا مننْتَ وهـذا خذلـتَ ... وهــذا أعنــتَ وذا لــم تعــنْ

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا تبذل وجهك إلى من يهون عليه ردك. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرفع الناس قدرًا: من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

* وقال **بعضهم**:

وإني لأعفــو عــن ذنــوب كثيــرة ... وفي دونها قطعُ الحبيبِ المواصِل

وأُعرض عن ذي الذنب حتى كأنني ... جهلتُ الذي يأتي ولستُ بجاهل

الآداب الشرعية ١/ ٢٢١.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: كنا أجنّةً في بطون أُمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِي، ثم كنا مَرَاضع فَهَلك منا من هلك وبَقِي من بقي، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرنا شبّانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا، فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل إليها. عيون الأخبار ٧٣٠/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عَزَّوَجَلَّ، وأي قريب باعدته في الله، وأي بعيد قربته في الله. تهذيب الحِلْية ١٠/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال الرجل: فسره لنا يا أبا علي، قال: قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم

بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف، فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: [يسيرة][١] قال: ماهي؟ قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. تهذيب الحِلْية ٢٨/ ٣.

* وقال أبو عليّ بن سُكَّرَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ **أبو المعالي الجيلي** القاضي (ت: ٤٩٤) شيخ الوعّاظ ومعلّمهم الوعظ بتصانيفه وتدريبه.[٢] طبقات الشافعيين (٢/ ٦٧).

* وجاء رجلٌ إلى **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠)، فسأله عن مسألتين أو ثلاثة، ثم قال: ما اليوم، وما غد، وما بعد غد؟.

فقال له سحنون مجيبًا: اليوم عمل، وغدًا حساب، وما بعد غد جزاء.[٣] ترتيب المدارك (٢/ ١٠٦).

* وقال **عبد الملك بن الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٢): ما أشقى من لم تَسَعه رحمةُ الله التي وسعت كل شيء، وضاقت عليه الجنة التي عرضها السموات والأرض. ترتيب المدارك (٢/ ١٣٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقالُ: إنّ سَببَ وضْعِ الملك نور الدين محمود المكوسَ عن الناسِ أنَّ الواعِظَ **أبا عثمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠) المُنْتَجَب بنَ أبي محمدٍ الواسطيَّ -وكان مِن الصالحِين الكبارِ- أنشد نورَ الدينِ:

---

(١) في الأصل: تستره. ولعله تصحيف.

(٢) كان الوعظ علمًا يُتعلّم، وله شيوخ ومدربون، وقد كانوا في الزمن السابق أكثر منهم اليوم.

(٣) فمن عمل صالحا اليوم خفّ عليه الحساب غدا، ونال أحسن الجزاء بعد غد، ومن ضيّع العمل اليوم عسر عليه الحساب غدا، ودخل دار العذاب بعد غد، فهي أيام ثلاثة، ينبغي للعاقل أن يعد العدة لها.

مثّلْ وقوفَك أيُّها المغْرورُ ... يومَ القيامة والسماءُ تَمُورُ

إنْ قيلَ نورُ الدينِ رُحْتَ مُسلِّمًا ... فاحذَرْ بأنْ تبْقَى وما لَكَ نورُ

أنَهيتَ عن شُربِ الخمورِ وأنتَ مِن ... كأسِ المظالمِ طافحٌ مَخْمورُ

عطَّلْتَ كاساتِ المُدامِ تعفُّفًا ... وعليكَ كاساتُ الحرام تدورُ

ماذا تقولُ إذا نقلتَ إلى البِلى ... فرْدًا وجاءَكَ منكرٌ ونكيرُ

وتعلَّقَتْ فيكَ الخُصوم وأنتَ في ... يومِ الحساب مُسَحَّبٌ مجرورُ

وتفرَّقَتْ عنك الجنودُ وأنتَ في ... ضِيقِ اللُّحودِ مُوَسَّدٌ مقبُورُ

ووددْتَ أنكَ ما وَلِيتَ ولايةً ... يومًا ولا قال الأنامُ أميرُ

وبقيتَ بعدَ العزِّ رَهْنَ حُفَيْرَةٍ ... في عالمِ الموْتَى وأنتَ حقيرُ

وحُشِرْتَ عُرْيانًا حزينًا باكيًا ... قَلقًا وما لكَ في الأنامِ مُجيرُ

أرضيتَ أنْ تحْيَا وقلبُكَ دارِسٌ ... عَافِي الخَرابِ وجسْمُكَ المعمُورُ

أرضيتَ أنْ يحْظَى سواكَ بقُربهِ ... أبدًا وأنتَ مبَعَّدٌ مهجورُ

مهِّدْ لنفسِكَ حُجَّةً تنْجُو بها ... يومَ المَعادِ لعلَّكَ المعذورُ

فلمَّا سمعها الملكُ نورُ الدين بكَى، وأمرَ بوضْعِ المكوساتِ والضرائبِ في سائرِ بلادِه. البداية والنهاية ١٢/ ٣٦٤.

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) بارعًا في الفقه وأصوله، وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثيرة مستحسنة، وكانت له يد طولى في الوعظ، والمعارف، وكلامه في ذلك حسن، وأكثره مستنبطٌ من النصوص الشرعية، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة وإشارات دقيقة.

ومن معاني كلامه يَستمد أَبُو الفرج ابن الجوزي في الوعظ.

فمن ذلك ما قاله في الفنون: لقد عظم الله سبحانه الحيوان، لا سيما ابن آدم،

حيث أباحه الشرك عند الإكراه، وخوف الضرر على نفسه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

من قدَّم حُرمة نفسك على حُرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتتحامَى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيقٌ أن تُعظِّم شعائره، وتُوقِّر أوامره وزواجره.

وعصَمَ عِرضك بإيجاب الحد بقذفك، وعَصَم مالَكَ بقطع مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدا لرمقك، وحفظا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحدٍّ عاجلٍ، ووعيد آجلٍ، وَخَرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن بك -مع هذا الإكرام- أن تُرَى على ما نهاك منهمكًا، وعما أمرك متنكِّبًا، وعن داعيه معرضًا، ولسنته هاجرًا، ولداعي عدوك فيه مطيعًا؟ يعظمك[1] وهُوَ هُو، وتهمل أمره وأنت أنت.

هو حطَّ رُتَب عباده لأجلِك، وأهبط إلى الأرض مَن امتنع من سجدة يسجُدها لك.

هل عاديتَ خادمًا طالتْ خدمته لك لترك صلاة؟.

هل نفيته من دارك للإخلال بفرض، أو لارتكاب نهي؟.

لا يليقُ بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يُرى إلا عابدًا لله في دار التكليف، أو مجاورًا لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير مواضعها.

ومن كلامه الحسن: أنهُ وَعظ يومًا فقال: يا من يجد في قلبِهِ قَسوة، احذر أن تكون نقضتَ عهدًا؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

---

(١) لو قال: «يُكرمك» لكان أَلْيق.

ب- وصايا، وتوجيهات، وحِكَم:

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كن من خمسة على حذر؛ من لئيم إذا أكرمته، وكريم إذا أهنته، وعاقل إذا أحرجته، وأحمق إذا مازحته، وفاجر إذا مازجته. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا في الناس كالنحلة في الطير، إنه ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة، لم يفعلوا ذلك بها.

خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم[١] بأعمالكم وقلوبكم؛ فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب. مسند الدارمي (٣٢٠).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من تطاول تعظيمًا خفضه الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن تواضع لله تخشعًا رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ، وإن للملك لمَّة وللشيطان لمَّة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، إذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عَزَّ وَجَلَّ، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله عَزَّ وَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٢٩٠.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مع كل فرحة ترحة. الزهد لوكيع (٥١٦).

* وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: اعْبُدِ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَزُلْ مَعَ الْقُرْآنِ حَيْثُ زَالَ، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ فَاقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا قَصِيًّا، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارْدُدْهُ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا حَبِيبًا. مسند ابن الجعد (٢٢٣٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: يا بني ليسعك بيتك، واملك عليك لسانك، وابك من ذكر خطيئتك. الزهد لأحمد: ٢٨٩.

---

(١) أي: فارقوهم.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأدّ ما افترض الله عليك تكن أعْبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أوْرع الناس. الزهد لأبي داود (١٣٩).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعودوا الخير، فإنما الخير بالعادة. الزهد لوكيع (٣٥).

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لولا ثلاث صلح الناس: شحٌ مطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه. الزهد لأحمد: ٢٥٨.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): كيف أنتم بثلاث؟ بزلة عالم، وجدال المنافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟.

فأما زلة العالم: فإن اهتدى فلا تقلّدوه دينكم، وإن افتُتن فلا تقطعوا عنه أناتكم.[١].

وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حقٌّ عليه منارٌ كمنار الطريق، لا يكاد يخفى على أحد، فما عرفتم فخذوه، وما أنكرتم فكِلوا علمه إلى عالمه.

وأما الدنيا، فمن جعل الله له الغنى في قلبه نفعته الدنيا، ومن لم يجعل الله غناه في قلبه لم تنفعه الدنيا.[٢] الزهد لوكيع (٧١)، الزهد لأبي داود (١٧٧)، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين ١/ ٥٦٧.

* وعن **عمار بن ياسر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالَم.[٣] الزهد

---

(١) أي: رفقكم وحلمكم، بنصحه وتذكيره واللين في التعامل معه.

(٢) فمن رزقه الله القناعة وجعل غناه في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا خيرا ونفعا له في دينه ودنياه، وأحسن تصرّفه فيها، ومن حُرم القناعة والغنى في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا شرًّا له وضررا عليه في دينه ودنياه، وأساء تصرّفه فيها، ولم يشبع من الدنيا ولو ملَكها كلّها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما كان من جمع الثلاث مستكملا للإيمان؛ لأن مداره عليها؛ لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقا واجبا عليه إلا أداه، ولم يترك شيئا مما نهاه=

لوكيع (٢٤١)، البخاري معلّقا بصيغة الجزم في باب: إفشاء السلام من الإسلام.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: خذ الحكمة ممن سمعتَ؛ فإن الرجل ليتكلم بالحكمة، وليس بحكيم، فتكون كالرّمْية خرجت من غير رامٍ. صفة الصفوة ١/ ٣٧٣.

* وقال **غنيم بن قيس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥): كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربعة: اعمل في فراغك لشغلك، واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في شبابك لكبرك، واعمل في حياتك لموتك. الزهد لأحمد: ٤٢٢.

* وقال **بعض السلف**: ثَمانِيةٌ مِن النَّاسِ إنْ أُهِينُوا فاللَّومُ عليهِمْ:

١- منْ أتَى مائِدةَ قَومٍ ولَمْ يُدْعَ إليها.

٢- والْمُتآمرُ علَى رَبِّ الْبيتِ فِي بيتهِ.

٣- والدَّاخل بَيْن اثْنين فِي حدِيثهمَا ولَم يُدْخلاهُ.

٤- والْمُسْتَخفُّ بالسُّلْطانِ.

٥- والْجالِسُ مَجلسًا ليس لهُ بأهلٍ.

٦- والمُقبِلُ بِحدِيثهِ على من لا يُسْمع منهُ.

٧- وراجي العُرفِ منَ اللِّئامِ.

= عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان.

وبذل السلام: يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب.

والإنفاق من الإقتار: يتضمن غاية الكرم؛ لأنه إذا أنفق مع الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقا، والنفقة أعم من أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه من الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل، وغير ذلك من مهمات الآخرة.

وهذا التقرير يقوّي أن يكون الحديث مرفوعا؛ لأنه يُشبه أن يكون كلام من أُوتي جوامع الكلم. فتح الباري (١/ ٨٣)

٨- والْمُنزلُ حاجتَه بعدوِّه.

المجالسة وجواهر العلم (١٨٥)، المنتظم ٦/ ٩٤.

* وقال **بعضهم**:

فلا تعجل على أحدٍ بظلمٍ ... فإنَّ الظلم مرْتَعُه وخيم

وَلا تَفْحَشْ وَإِنْ مُلِّئْتَ غَيْظًا ... عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لُوْمُ

وَلَا تَقْطَع أَخًا لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ ... فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الكَرِيْمُ

ولكن داوِ عوْرته برَقْع ... كما قد يُرْقع الخَلِقُ القديمُ

وَلا تَجْزَعْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَاصْبُرْ ... فَإِنَّ الصَّبْرَ فِي العُقْبَى سَلِيْمُ

فَمَا جَزَعٌ بِمُغْنٍ عَنْكَ شَيْئًا ... وَلا مَا فَاتَ تُرْجِعُهُ الهُمُومُ

المحاضرات والمحاورات للسيوطي (٢١٩).

* وقال **الشاعر**:

رَأَيْتُك مِثْلَ الجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ ... صَحيحًا وَيُعْطِي خَيْرهُ حِين يُكْسَرُ

* وقال **الآخر**:

الْمَرْءُ لا يُعْرَفُ مِقْدَارُهُ ... مَا لَمْ تَبِنْ لِلنَّاسِ أَفْعَالُهُ

أدب الدين (٣٢١، ٣٢٣).

* وقال **أبو العباس ثعلب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): من أمثال العرب: لم يذهب من مالك ما وعظك. الكامل في اللغة / ١٨٤.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثمَّ فاتركه اليوم. تهذيب الحِلْية ٥٢٥/١.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت. تهذيب الحِلْية ٥٢٥/١.

* وقالت **الحكماء**: من لم يرغب بثلاث بلي بست:

١- من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان.

٢- ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان.

٣- ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

أدب الدين (٢٦٦).

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل ليدخل المدخل، ويجلس المجلس، أو يأكل الأكلة فيتغيَّرُ قلبه، فإياكم والدخول على أهل البسطة؛ فإن الدخول عليهم يغير قلب الرجل فيتسخط ما في يديه. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ، ومُداراةُ الناسِ نصفُ العقلِ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونةِ. عيون الأخبار ٣/ ٢٨.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): إذا رأيتم خلة شر من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة خير من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات. تهذيب الحِلْية ١/٣٥٠.

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: الخير من الله كثير، ولكنْ لا يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكنْ لا يبصره من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به، ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء. تهذيب الحِلْية ٢/٩٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): كان الأبرار يتواصون بثلاث؛ بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. تهذيب الحِلْية ١/٤٢٧.

* وقال **الشاعر**:

إنَّـكَ إنْ كلَّفْتَنِـي مـا لَـمْ أُطِـقْ ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي مِـنْ خُلُـقْ

المجالسة وجواهر العلم (٥٢٢).

* وكتب **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) إلى رجل:

يا أخي، لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإنَّ أمامهم يومًا تزِلُّ فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات..

ولا تتهاون بالذنب الصغير، ولكن انظر مَن عصيت؟ عصيت ربًّا عظيمًا.

وإنَّ أكيس الكيس مَن يدخل الجنة بذنبٍ عمِله فنَصَبه بين عينيه، ثم لم يزل حَذِرًا على نفسه من تلك الخطيئة، حتى فارق الدنيا ودخل الجنة، وإن أحمق الحمق من دخل النار بحسنةٍ واحدة نصبها بين عينيه، ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار.

فكن يا أخي كيِّسًا حَذِرًا على ما زل منك ومضى، لا تدري ماذا يَفْعل بك ربك فيه، وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيه، فإنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥] وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف:١٠١] وقال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ١٧﴾ [القصص:١٧] وقال شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف:١٩]، فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ وَمُجَالَسَةَ أَصْحَابِهَا، فَإِنَّهَا وِزْرٌ كُلُّهُ، وَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ بِعَيْنِهِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يُرْفَعُ وَفِيهِ عُجْبٌ، وَلَا تَأْخُذَنَّ دِينَكَ إِلَّا مِمَّنْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُشْفِقٍ عَلَى دِينِهِ كَمَثَلِ طَبِيبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ نَفْسِهِ وَيَنْصَحَ لِنَفْسِهِ، كَيْفَ يُعَالِجُ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ؟ فَهَذَا الَّذِي لَا يُشْفِقُ عَلَى دِينِهِ كَيْفَ يُشْفِقُ عَلَى دِينِكَ؟.

وَيَا أَخِي، إِنَّمَا دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، ابْكِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْحَمْهَا، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْهَا لَمْ تُرْحَمْ.

وَلْيَكُنْ جَلِيسَكَ مَنْ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُكَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَقَلْبَكَ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَأَكْثِرِ الِاسْتِغْفَارَ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَسَلِ اللهَ السَّلَامَةَ لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ.

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِأَدَبٍ حَسَنٍ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ، وَلَا تُخَالِفَنَّ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مُكِبٌّ عَلَى الدُّنْيَا، كَالَّذِي يَعْمُرُ بَيْتًا، وَيُخَرِّبُ آخَرَ.

وَانْصَحْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا سَأَلَكَ فِي أَمْرِ دِينِهِ، وَلَا تَكْتُمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصِيحَةِ شَيْئًا إِذَا شَاوَرَكَ فِيمَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًى، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخُونَ مُؤْمِنًا، فَمَنْ خَانَ مُؤْمِنًا فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فِي اللهِ فَابْذُلْ لَهُ نَفْسَكَ وَمَالَكَ.

وَإِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ ظَلُومًا خَوَّانًا أَثِيمًا.

وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَجُرُّ إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَجُرُّ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّهُمَا يَجُرَّانِ إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَجُرُّ إِلَى النَّارِ.

وَلَا تُمَارِيَنَّ عَالِمًا فَيَمْقُتَكَ، وَإِنَّ الِاخْتِلَافَ إِلَى الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ، وَالِانْقِطَاعَ عَنْهُمْ سَخَطُ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ خُزَّانُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَصْحَابُ مَوَارِيثِهِمْ.

وَعَلَيْكَ بِالزُّهْدِ يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللهُ حِسَابَكَ، وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ تَكُنْ سَلِيمًا، وَادْفَعِ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يسَلَمْ لَكَ دِينُكَ.

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تَكُنْ حَبِيبَ اللهِ.

وَابْغَضِ الْفَاسِقِينَ تَطْرُدُ بِهِ الشَّيَاطِينَ.

وَأَقِلَّ الْفَرَحَ وَالضَّحِكَ بِمَا تُصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا تَزْدَدْ قُوَّةً عِنْدَ اللهِ.

وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ يَكْفِكَ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاكَ.

وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ يُحْسِنِ اللهُ عَلَانِيَتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَلَا تَكُنْ غَافِلًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُغْفَلُ عَنْكَ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيْكَ حُقُوقًا وَشُرُوطًا كَثِيرَةً، وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُؤَدِّيَهَا، وَلَا تَكُونَنَّ غَافِلًا عَنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَغْفُلُ عَنْكَ، وَأَنْتَ مُحَاسَبٌ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُوَافِقًا لِأَمْرِ آخِرَتِكَ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَقِفْ عَنْهُ حَتَّى يُنْظَرَ إِلَى مَنْ أَخَذَهُ كَيْفَ عَمِلَهُ فِيهَا، وَكَيْفَ نَجَا مِنْهَا، وَاسْأَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَشَمِّرْ إِلَيْهَا، وَأَسْرِعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ الشَّيْطَانُ.

وَلَا تَكُونَنَّ أَكُولًا لَا تَعْمَلُ بِقَدْرِ مَا تَأْكُلُ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَا تَأْكُلْ بِغَيْرِ نِيَّةٍ، وَلَا بِغَيْرِ شَهْوَةٍ، وَلَا تَحْشُوَنَّ بَطْنَكَ فَتَقَعَ جِيفَةً لَا تَذْكُرُ اللهَ.

وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّ الطَّمَعَ هَلَاكُ الدِّينِ، وَإِيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ،

فَإِنَّ الرَّغْبَةَ تُقَسِّي الْقَلْبَ، وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحِرْصَ مِمَّا يَفْضَحُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكُنْ طَاهِرَ الْقَلْبِ، نَقِيَّ الْجَسَدِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، نَقِيَّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمَظَالِمِ، سَلِيمَ الْقَلْبِ مِنَ الْغِشِّ وَالْمَكْرِ وَالْخِيَانَةِ، خَالِيَ الْبَطْنِ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ.

كُفَّ بَصَرَكَ عَنِ النَّاسِ، وَلَا تَمْشِيَنَّ بِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تَكَلَّمَنَّ بِغَيْرِ حُكْمٍ، وَلَا تَبْطِشْ بِيَدِكَ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ، وَكُنْ خَائِفًا حَزِينًا لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ، لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلِيَ نَفْسُكَ مِنَ الْأَمَانَةِ شَيْئًا، وَكَيْفَ تَلِيهَا وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ ظَلُومًا جَهُولًا؟ أَبُوكَ آدَمُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ يَوْمَ حَمْلِهَا حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَطِيئَةِ.

أَقِلِ الْعَثْرَةَ، وَاقْبَلِ الْمَعْذِرَةَ، وَاغْفِرِ الذَّنْبَ، كُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، لَا تَبْغَضْ أَحَدًا مِمَّنْ يُطِيعُ اللهَ، كُنْ رَحِيمًا لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَلَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ، وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ، وَتَجَاوَزْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ تَكُنْ رَفِيقَ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ.

وَأَقِلَّ دُخُولَ السُّوقِ، فَإِنَّهُمْ ذِئَابٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَفِيهَا مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِذَا دَخَلْتَهَا فَقَدْ لَزِمَكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنَّكَ لَا تَرَى فِيهَا إِلَّا مُنْكَرًا، فَقُمْ عَلَى طَرَفِهَا فَقُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي، وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ يُكْتَبُ لِقَائِلِهَا بِكُلِّ مَنْ فِي السُّوقِ -عَجَمِيٍّ أَوْ فَصِيحٍ- عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَلَا تَجْلِسْ فِيهَا، وَاقْضِ حَاجَتَكَ وَأَنْتَ قَائِمٌ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ يُفَارِقَكَ الدِّرْهَمُ، فَإِنَّهُ أَتَمُّ لِعَقْلِكَ، وَلَا تَمْنَعَنَّ نَفْسَكَ مِنَ الْحَلَاوَةِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْحِلْمِ، وَعَلَيْكَ بِاللَّحْمِ وَلَا تَدُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَدَعْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنَّهُ يُسِيءُ خُلُقَكَ، وَلَا تَرُدَّ الطِّيبَ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ، وَعَلَيْكَ بِالْعَدَسِ، فَإِنَّهُ يُفْرِزُ الدُّمُوعَ، وَيُرِقُّ الْقَلْبَ.

وَعَلَيْكَ بِاللِّبَاسِ الْخَشِنِ تَجِدْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ تَمْلِكْ سَهَرَ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ يَسُدُّ عَنْكَ بَابَ الْفُجُورِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الْعِبَادَةِ، وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْكَلَامِ يَلِينُ قَلْبُكَ، وَعَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ تَمْلِكُ الْوَرَعَ.

وَلَا تَكُونَنَّ حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَكُنْ حَاسِدًا تَكُنْ سَرِيعَ الْفَهْمِ، وَلَا تَكُنْ طَعَّانًا تَنْجُ مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ، وَكُنْ رَحِيمًا تَكُنْ مُحَبَّبًا إِلَى النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ تَكُنْ قَوِيًّا، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ يُحِبُّكُ اللهُ، وَيُحِبُّكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَكُنْ مُتَوَاضِعًا تَسْتَكْمِلْ أَعْمَالَ الْبِرِّ.

اعْمَلْ بِالْعَافِيَةِ تَأْتِكَ الْعَافِيَةُ مِنْ فَوْقِكَ، كُنْ عَفُوًّا تَظْفَرْ بِحَاجَتِكَ، كُنْ رَحِيمًا يَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ.

يَا أَخِي لَا تَدَعْ أَيَّامَكَ وَلَيَالِيَكَ وَسَاعَاتِكَ تَمُرُّ عَلَيْكَ بَاطِلًا، وَقَدِّمْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ لِيَوْمِ الْعَطَشِ، فَإِنَّكَ لَا تُرْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِالرِّضَى مِنَ الرَّحْمَنِ، وَلَا تُدْرِكْ رِضْوَانَهُ إِلَّا بِطَاعَتِكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ النَّوَافِلِ تُقَرِّبْكَ إِلَى اللهِ، وَعَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ تُسْتَرِ الْعَوْرَاتُ، وَيُخَفِّفِ اللهُ عَلَيْكَ الْحِسَابَ وَالْأَهْوَالَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الْمَعْرُوفِ يُؤْنِسْكَ اللهُ فِي قَبْرِكَ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ كُلَّهَا تَجِدْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

جَالِسْ أَهْلَ الْوَرَعِ وَأَهْلَ الْتُقَى يُصْلِحِ اللهُ أَمْرَ دِينِكَ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِ دِينِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَسَارِعْ فِي الْخَيْرَاتِ يَحُولُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ يُزَهِّدْكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكَ أَمْرَ

الدُّنْيَا، وَاشْتَقْ إِلَى الْجَنَّةِ يوَفِّقِ اللهُ لَكَ الطَّاعَةَ، وَأَشْفِقْ مِنَ النَّارِ يُهَوِّنِ اللهُ عَلَيْكَ الْمَصَائِبَ.

أَحِبَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ تكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وابْغِضْ أَهْلَ الْمَعَاصِي يُحِبَّكَ اللهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهُودُ اللهِ فِي الْأَرْضِ.

وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ.

وَانْظُرْ يَا أَخِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ أَمْرِكَ تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَاخْشَ اللهَ خَشْيَةَ مَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ، ثُمَّ الْحَشْرَ، ثُمَّ الْوقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عَزَّوَجَلَّ، وَتُحَاسَبُ بِعَمَلِكَ، ثُمَّ الْمَصِيرَ إِلَى إِحْدَى الدَّارَيْنِ، إِمَّا جَنَّةٌ نَاعِمَةٌ خَالِدَةٌ، وَإِمَّا نَارٌ فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ مَعَ خُلُودٍ لَا مَوْتَ فِيهِ، وَارْجُ رَجَاءَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَعْفُو أَوْ يُعَاقِبُ. تهذيب الحِلْية ٢ /٤٠٩.

* وقال الهيثم: حدثني بعض أصحاب **جعفر بن محمد الصادق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨): قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال:

يَا بُنَيَّ اقْبَلْ وَصِيَّتِي، وَاحْفَظْ مَقَالَتِي، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَهَا تَعِشْ سَعِيدًا وَتَمُتْ حَمِيدًا.

يَا بُنَيَّ مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ اتَّهَمَ اللهَ فِي قَضَائِهِ.

وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.

يَا بُنَيَّ مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ

قُتِلَ بِهِ، وَمَنِ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْرًا سَقَطَ فِيهَا، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ أَنْ تُزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيُزْرَى بِكَ.

وَإِيَّاكَ وَالدُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَتَذِلَّ لِذَلِكَ.

يَا بُنَيَّ قُلِ الْحَقَّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشَار[1] بَيْنَ أَقْرَانِكَ.

يَا بُنَيَّ كُنْ لِكِتَابِ اللهِ تَالِيًا، وَلِلسَّلَامِ فَاشِيًا، وَبِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلًا، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئًا، وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِيًا.

وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ فَمَنْزِلَةُ التَّعَرُّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ[2].

يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ؛ فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ، وَلِلْمَعَادِنِ أُصُولًا، وَلِلْأُصُولِ فُرُوعًا، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا بِأُصُولٍ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يَا بُنَيَّ إِنْ زُرْتَ فَزُرِ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَزُرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَاؤُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُّ وَرَقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا.

فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي. تهذيب الحِلْية ١/٥١٣.

* وعن ابن السماك قال: أوصاني أخي **داود الطائي** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) بوصية: انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، واستح في قربه منك وقدرته عليك. تهذيب الحِلْية ٢/٤٦٧.

* وعن **أبي الجلد** رَحِمَهُ اللهُ[3] أن **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للحواريين: الحق

---

(١) في الأصل: تستشان وهو تحريف كما في حاشية تهذيب الكمال ٥/ ٩٠، والمثبت من تهذيب الكمال.

(٢) أي: الغرض الذي تُصوّب السهام لرميه.

(٣) الواعظ المعروف، كان للكتب المنزلة حافظا، وبمواعظ الأنبياء وأحوالهم واعظا، وبالأذكار لهجا لافظا. الحِلْية (٦/ ٥٤).

أقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة! قالوا: يا رسول الله فسر لنا هذا الأمر، فإنا قد كنا نرى أنا نريد إحداهما، قال: لو أردتم الدنيا لأطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فأعطاكم[1]، ولو أردتم الآخرة لأطعتم رب الآخرة الذي يملكها فأعطاكموها ولكن لا هذه تريدون ولا تلك. الزهد لأحمد: ١٣٧.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): **لو أن رجلًا أقام مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء لم ينج من النار:**

أحدها: معرفة الله.

والثاني: معرفة أمر الله ونهيه.

والثالث: معرفة نفسه.

والرابع: معرفة عدو الله وعدو نفسه. تهذيب الحِلْية ٤٩٧/ ٢.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): الشهوة في ثلاث: في الأكل والنظر واللسان، فاحفظ اللسان بالصدق والأكل بالثقة، والنظر بالعبرة. تهذيب الحِلْية ٢/٥١٤.

* وقال **أيضًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعهَّد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملتَ فاذْكُر نظرَ الله إليك، وإذا تكلّمتَ فاذكر سَمْع الله إليك، وإذا سكتَّ فاذكُر عِلم الله فيك. صفة الصفوة ٤/ ٣٩٢.

* وكان **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عبدًا حبشيًّا نجارًا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال له: ائتني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب، فقال: أما كان

---

(١) وقد وعد الله تعالى بذلك فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].
قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. تفسير ابن كثير ٤/ ٦٠١.

فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا، قال: فسكت عنه، ثم قال له: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال له: ألق أخبثهما مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبهما مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثهما مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال: إنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. الزهد لأحمد: ١٢٦.

* وقالَ الشَّاعِرُ:

إنَّ السَّعيدَ لهُ مِنْ غَيْرِهِ عِظَةٌ ... وفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ ومُعْتَبَرُ

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

فَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْك الْمَصَادِرُ

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذُرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ... ولَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ[1]

أدب الدين (٥٨٢-٥٨٣).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): من وُقي خمسًا فقد وُقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة. تهذيب الحِلْية ٣/١٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كفى بالله مُحَبًّا، وبالقرآن مؤنِسًا، وبالموت واعظًا، وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٩.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٧): إنك ربما أصبت الحكمة فوق مزبلة، فإذا أصبتها فخذها. تهذيب الحِلْية ٦٤/ ٣.

---

(١) المعنى: أُحذّرك أَن تُقْدم على الْأَمر الذي إنْ سهل عليك الدخول فيه ضاق وصعب عليك الخروج منه، ولَا يمكنك إِتْمَامه.
وسعة الْمَوَارِد هُنَا كِنَايَة عَن سهولة الْأَمر فِي أَوَائِله، ورغبة النَّفس فِيهِ؛ لحماسها في بادئ الأمر. فإنه لَا يحسن بِك أَن تأْتِي بالعذر لنَفسك وَلَا يعذرك أحدٌ من النَّاس.

* وعن **شميط بن عجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: والله ما رأيت أبدانكم إلا مطاياكم[١] إلى ربكم عَزَّوَجَلَّ قال: فانضوها[٢] في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ بارك الله فيكم. الزهد لأحمد: ٤٣٤.

* وكان يقال: انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ. عيون الأخبار ٣/ ١٥٨.

* وعن **أبي جعفر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: أشد الأعمال ثلاثة؛ ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ١.

* ويقال: إن لله عبادًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولله تعالى عباد مغاليق للخير مفاتيح للشر. تهذيب الحِلْية ٥١٨/ ١.

* وقال **سلْم بن قتيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): الشباب الصحة، والسلطان الغنى، والمروءة الصبرُ على الرجال.[٣] الكامل في اللغة / ٤١٣.

* وقال **إبراهيم الخواص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١): من لم تَبْكِ الدنيا عليه لم تَضْحك الآخرة إليه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٨.

* وقيل **لحمدون بن أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال: لأنهم تكلّموا لعِزّ الإسلام ونجاةِ النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلَب الدنيا ورضا الخَلْق. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

* وعن **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) قال: إذا غَلَبَت محاسِنُ الرجل

---

(١) أي: مركوبكم.

(٢) أي: أتعبوها.

(٣) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالشباب الصحة، فمن كان كبير السنّ وهو مُعافي في بدنه فهو في حكم الشباب، فكم من صغير نشأ مريضًا أو مُعاقًا؟

والسلطان الغنى، فمن كان غنيّ النفس قنوعًا، عنده قوت يومه فقد ملك السلطة.

والمروءة الصبرُ على حماقات وأذى وسياسة الرجال، وليست بلبس الثياب النفيسة، وركوب المراكب الوثيرة، وبناء القصور المشيدة.

على مساوئه لم تُذكر المساوئُ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر المحاسن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٨.

* وقال **ميمونُ بن مِهْران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧): ثلاثة تُؤدّى إلى البَرِّ والفاجر: الأَمانَةُ، والعَهْدُ، وصِلَةُ الرَّحِم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨١.

* وقال **خالد بن صفوان**[1] رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثة يُعرفُونَ عند ثلاثةٍ: الحَلِيمُ عند الغَضَب، والشُّجَاعُ عِندَ اللِّقاء، والصديق عند النَّائبة. تهذيب السِّيَر ٦/ ٦٤٣.

* وقال **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٤): كن على حذرٍ من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمتَه، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته.

وليس من الأدب أن تُجيب من لا يسألُك، أو تسألَ من لا يُجيبك، أو تُحدِّثَ من لا ينصت لك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٦٦.

* وقال **الشاعر**:

متى أحْرجـت ذا كـرم تخطّى ... إليـك ببعـض أخـلاق اللئـام

أدب الدين (٢٢٨).

* وقال **عبدُ الله بنُ داود** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٣): مَنْ أمكنَ الناس من كلِّ ما يريدون أضَرُّوا بدينِهِ ودُنْياه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٢٧.

* وقال **الشافعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): من تعلم القرآن عظُمت قيمتُه، ومن تكلَّم في الفقه نما قدرُه، ومن كتب الحديثَ قويت حُجَّتُه، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعُه، ومن نظر في الحساب جزل رأيُه، ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمُه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٦.

---

(١) العلامة البليغ أبو صفوان وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السِّيَر ٦/ ٢٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف. المنتظم ١٣٧/ ١٠.

* وقال **الحكيم الترمذي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٠): من جَهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت أوصاف الرَّبَّانية أجْهل. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٠٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاح خمسةٍ في خمسة: صلاحُ الصَّبي في المَكْتب، وصلاحُ الفتى في العِلْم، وصلاحُ الكَهْلِ في المسْجد، وصلاحُ المرأةِ في البَيْت، وصلاحُ المؤْذي في السِّجْن. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٠٠.

* ومن كلام **بُنان الحَمَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦): متى يُفلح من يسرُّه ما يضرُّه؟!. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٩.

* وقال رجل **لأحمد بن خضرويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): أوصني؟ فقال: أمت نفسك حتى تحييها. المنتظم ٢٧٥/ ١١.

* وعن هشام بن حسان قال: كنت أمشي خلف **العلاء بن زياد العدوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤)، فكنت أتوقى الطين، قال: فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: رأيت يا هشام؟ قلت نعم! قال: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها. تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ١.

* وقال **بعضهم** في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبيّنة ... كانت بَدَاهته تُنبِيك بالخبر

عيون الأخبار ٢٥٧/ ١.

* وكان **يقال**: ما أحسنَ الإيمانَ يَزينُه العِلْمُ، وما أحسن العَمَلَ يَزينُه الرفقُ، وما أُضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أَزْينَ مِن حلم إلى عِلمٍ ومِنْ عفوٍ إلى مَقْدِرَةٍ. عيون الأخبار ٥٢٤/ ٢.

* وقال **بعضهم**: إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان. عيون الأخبار ٥٢٤/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: كما تحب أن يكون الله غدًا فكن أنت اليوم.[1] تهذيب الحِلْية ٧٢/ ٣.

* وعن **مطرف** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده. الزهد لأحمد: ٤١٧.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال لي **رجل** مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رقّ الآخرة؛ فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا.

قال أبو بكر: فما نسيتها أبدًا. تهذيب الحِلْية ٨١/ ٣.

* وقال **صالح المري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ما بينك وبين أن ترى الله عليك فيما تحب، إلا أن تعمل فيما بينك وبين خلقه فيما يحب، فحينئذ لا تفقد بره ولا تعدم في كل أمر خيره. تهذيب الحِلْية ٣٠٩/ ٢.

* وقال **وهب بن مُنبِّه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): المؤمن ينظرُ ليعلَم، ويتكلَّم ليفهمَ، ويسكتُ ليسلمَ، ويخلو ليغنم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وكتب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مكحول: إنك أمرؤ قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام شرفا، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى. تهذيب الحِلْية ١٨٠/ ٢.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): قال **رجل**: ما كنت لاعبًا فلا تلعبن بدينك. تهذيب الحِلْية ٣٥٣/ ٢.

* وقال **ذو النون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦): ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت

---

(١) المعنى: كما تحب أن يكون لك الله كما تحب يوم القيامة من إسعادك ورفعة درجاتك وإسكانك الجنة وإنجائك من النار: فكن أنت في هذه الحياة الدنيا كما يحب؛ بأن تعمل بطاعته وتنتهي عن معصيته.

الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنان إلا برؤيته. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٣٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): اترك الدنيا قبل أن تَتْرُك، واسترض ربك قبل ملاقاته، واعمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه -يعني القبر-. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من ربه العفْو. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

* ونظر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا إلى إنسان، وهو يقبِّل ولدًا له صغيرًا فقال: أتحبه؟ قال: نعم، قال: هذا حبك له إذ ولدْتَه، فكيف بحبّ الله له إذ خلقه؟ تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٨.

* وقال **أبو الحسن النوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٥) يوصي بعض أصحابه: عشرة -وأيُّ عشرة-، **احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك:**

فأولى ذلك: من رأيته يدعي مع الله عَزَّوَجَلَّ حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنَّ منه.

والثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربنَّ منه.

والثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربن منه، ولا ترتفق به، وإن أرفقك، ولا ترج له فلاحًا.

والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا، إن مت جوعًا فلا تقربنَّ منه ولا ترتفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحًا.

والخامسة: من رأيته مستغنيًا بعلمه فلا تأمن جهله.

والسادسة: من رأيته مدعيًا حالة باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره، فاتهمه على دينه.

والسابعة: من رأيته يرضى عن نفسه، ويسكن إلى وقته، فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر.

والثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجونَّ خيره.(١).

والتاسعة: فقير لا تراه عند السماع حاضرًا فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه.

والعاشرة: من رأيته مطمئنًا إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه، مدعيًا لكمال الخُلُق بذلك، فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٣.

* وعن عبد الله بن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت جالسًا عند **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) يومًا، فنظر إلي رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذان الرِّجلان؟ لم لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلين خشنتين. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٥.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولِهذا نجد مَنْ أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتَّى رُبَّما كرهه.

ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة.

ومن أدمَنَ على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع.

ومَنْ أدْمَنْ على قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام. ونظائر هذا كثيرة. اقتضاء الصراط المستقيم / ٣٠٧-٣٠٨.

وقال أيضًا: فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والْتذَّ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن. مجموع الفتاوى١١/ ٢٤٦

قلت: ويدخل في ذلك الأناشيد الإسلامية، فالميل إليها وكثرة سماعها يصدّ عن القرآن والعلم النافع غالبا.

* وكتب الحجاج إلى **المهلب بن أبي صفرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) **يُعجِّلُه** في حرب الأزارقة[١] ويُسمعه[٢]، فكتب إليه المهلب: إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يَمْلكه دون من يُبْصره.[٣] البيان والتبيين ١/ ١٥٧.

* وقال **أبو عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤): خُذ الخير من أهله، ودع الشَّرَّ لأهله. معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

* وكان نقش خاتم **أبي عمرو بن العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنّ امْـرَأً دنيـاه أكبـرُ همـه لَمُسْتَمْسِـكٌ منهـا بحبـل غـرور

معرفة القراء (١/ ٢٣٦).

* ولما حضرت **نافعًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩) الوفاةُ قال له أبناؤه: أوصِنا، قال: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين». معرفة القراء (١/ ٢٤٧).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): تَعبَّد من قبل أن ترْأَس، فإنك إن ترأَّست لم تقدِر أن تتعبَّد.[٤] طبقات الشافعيين (١/ ٤٩-٥٠).

* **وقال الشاعر:**

ماضرَّ شمسُ الضحى والشمسُ طالعةٌ أن لا يَرَى ضوءَها من ليس ذا بَصَر

طبقات الشافعيين (١/ ٢١٧).

---

(١) أي: الخوارج.

(٢) أي: يُسمعه شديد الكلام واللوم.

(٣) كحال الوزراء ونحوهم، الذين يُصدرون قرارات وأنظمة دون معرفة الواقع، ودون النظرِ إلى الأمر الذي أصدروا فيه آراءهم وقراراتهم والوقوف على ذلك.

(٤) فينبغي الاعتناء بالعبادة قبل الانشغال بالرئاسة والمناصب، وإذا لم يقوَ المؤمن عليها في حال السَّعة والفراغ، فلا يكاد يقدر بعد ذلك ولو حرص.

* ومن حَكِيم قَوْل أَبي الْفَتْح البُستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٣) قَوْله:

أمْـرانِ مُخْتلِفـانِ لستَ تراهمـا يتشوفـان لخلطـةٍ وتـلاق
طلبُ المعاد مع الرياسة والعلا فـدع الـذي يَفنـى لمـا هُـوَ بَـاقِ

طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٤).

* ومن حَكِيم قَوْله:

من ظن أَن الْغَنِيّ بِالْمَالِ يجمعه فَاعْلَـم بِـأَن غنـاهُ فقـره أبـدا
فاستغن بِالْعلمِ وَالتَّقوى وَكن رجلًا لَا يرتجي غير رزّاق الـورى أحـدا

طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٧).

* وقال الشاعر:

وربمـا كان مكـروه النفـوس إلـى محبوبهـا سـببًا مـا مثلـه سـبب

الآداب الشرعية ١/ ١٧٦.

* وجَاءَ رجلٌ إلى أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩١) يُشاوره في الانتقال عن محلة إلى أخرى لتأذي الجوار، فقال: العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خيرٌ لك مِن استحداث مَن لا تعرفه.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يقول هذا المعنى أيضًا. الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال عيسى بن مسكين بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٥):

١- أشرف الغنى ترك الْمُنى.

٢- من قاسى الأمور علم المستور.

٣- من حصَّن شهوته صان قدره.

٤- من أطلق طرفه كثر أسفه.

٥- في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال.

٦- بحسن التأني تسهل المطالب.

٧- الحسن النية يصحبه التوفيق.

٨- كفاك أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك.

٩- قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم.

١٠- إنَّ ثوابك في إدخال المسرة على أخيك المسلم بإفطارك عنده أفضل من صيام يومك. ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

* وقال **الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠) في آخر كتابه أدب الدين (٥٨٤): كن أيها العاقل مُقبلا على شأنك، سِلْما لأهل دهرك، جاريًا على عادة عصرك، منقادًا لمن قدّمه الناس عليك، متحنّنًا على من قدّمك الناسُ عليه، ولا تُبَايِنهم بالعزلة عنهم فيمقتوك، ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك، فإنه لا عيش لممَقْوت ولا راحة لمعادًى.

* وأنشد بعض أهل الأدب لبعضهم:

إذا اجتمع الناس في واحد … وخالفهم في الرضا واحدُ

فقد دلّ إجماعهم دونه … على عقله أنه فاسد

واجعل نصح نفسك غنيمةَ عقلك، ولا تداهنها بإخفاء عيبك وإظهار عُذرك.

فهذِّب أيها الإنسان نفسك بإنكار عيوبك؛ فإن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤):

١- احذر خصومة الأهل، والولد، والصديق، والضعيف، واحتَجِج عليهم بالحجج. الأدب الصغير (٣٧).

٢- لا يوقعنك بلاءٌ تخلّصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه. (٣٧).

٣- الوَرِعُ لا يَخْدَعُ، والأريب[١] لا يُخْدَعُ. الأدب الصغير (٣٧).

٤- خمول الذكر أجملُ من الذكر الذميم. الأدب الصغير (٤٣).

٥- كان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنلْ حاجتك، ولا تقاربه كلَّ المقاربة فيجترئ عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك[٢].

ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس، إن أملته قليلًا زاد ظله، وإن جاوزته الحدَّ في إمالته، نقص الظل. الأدب الصغير (٤٥).

٦- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي[٣]، والرأي بتكرار النظر وتحصين الأسرار. الأدب الصغير (٤٦).

٧- وجدنا البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى أهلها الحرصُ والشَّره، ولا يزال صاحب الدنيا يتقلب في بلية وتعب؛ لأنه لا يزال بخلَّةِ الحرص والشره. الأدب الصغير (٤٩).

٨- كلُّ أحدٍ حقيقٌ -حين ينظر في أمْر الناس- أنْ يتَّهم نظره بعين الريبة[٤]، وقلبه بعين المقت[٥]، فإنهما يزيِّنَان الجور[٦]، ويحمِلان على الباطل، ويقبِّحان الحسن، ويحسِّنَان القبيح. الأدب الكبير (٧٢).

٩- قلّما تقْدِر على ردِّ رجلٍ عن طريقتِه التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة[٧]،

---

(١) أي: العاقل.

(٢) أي: لا تنصب لعدوك العداء والخصام، ولا تقترب منه قربا شديدًا بمصاحبته، بل كن بين بين، وهذا هو العقل.

(٣) أي بإدارة الرأي وإعمال الفكر.

(٤) أي: الشك والتهمة، بحيث يتهم رأيه ونظره.

(٥) أي: البغض، بحيث لا يرضا بكلّ ما يهواه ويميل إليه قلبه.

(٦) أي: الظلم وتجاوز الحد.

(٧) المكابرة: أي منازعته ومجادلته، والمناقضة: أي الردّ عليه وإبطال وتفنيد قوله.

ولكنك تقدر على أنْ تُعينه على أحسن رأيه، وتُسَدِّده فيه، وتزيّنه وتُقَوِّيه عليه.

فإذا قوِيَت منه المحاسن: كانت هي التي تكْفيك المساوئ، وإذا استحكمَت منه ناحيةٌ من الصواب كان ذلك الصوابُ هو الذي يُبَصِّره الخطأ بألْطف من تَبْصيرك، وأعدَلِ من حُكْمك، فإنّ الصواب يؤيِّد بعضُه بعضًا، ويدعو بعضُه إلى بعض، حتى تستحكم لصاحبه الأشياء، ويظهر عليها[1] بتحكيم الرأي، فإذا كانت له مكانةٌ من الأصالة اقتلع ذلك الخطأ كله.

فاحفَظْ هذا الباب وأَحْكِمه.[2] الأدب الكبير (٧٩).

١٠- ليعرف إخوانك والعامة أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل.

فإنَّ فضْل القول على الفعل عار وهُجنة[3]، وفَضْل الفعل على القول زينة.

وأنت حقيقٌ فيما وعدْت من نفسك أو أخبرت به صاحبك أن تَحْتَجِن[4] بعض ما في نفسك؛ إعدادًا لفضل الفعل على القول، وتحرزًا بذلك عن تقصير فعلٍ إن قَصَّر، وقلَّما يكون إلا مقصّرًا. الأدب الكبير (٩٨).

١١- تحرّزْ من سكر السلطان، وسكر المال، وسكر العلم، وسكر المنزلة، وسكر الشباب، فإنه ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جِنّة[5] تَسْلب[6] العقل،

---

(١) أي: يتغلّب عليها.

(٢) هذه الفائدة تُساوي رحلة، وتُكتب بماء الذهب، وهي نافعة جدا لمن كان له ولد أو زوج أو طالب عنده سلوك منحرف، أو طبع رديء، فقد أرشدنا إلى أحْسن طريقةٍ في تقويم سُلوكه، وإصْلاح طبْعه.

(٣) فضل القول على الفعل: زيادته عليه، والهجنة: القبح والعيب.

(٤) أي: تدخر.

(٥) أي: جنون.

(٦) أي: ريح الجنون.

وتُذهب الوقار، وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع. الأدب الكبير (١٠٠).

١٢ - إذا كانت لك عند أحدٍ صنيعة، أو كان لك عليه طَوْل[١]، فالتمس إحياءَ ذلك بإماتته، وتعظيمَه بالتصغير له، ولا تقتصرنّ في قلة المنِّ به[٢] على أن تقول: لا أذكرُه، ولا أُصْغي بسمعي إلى من يذكره، فإن هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلّمه به، أو تستعينه عليه، أو تجاريه فيه، شيء من الاستطالة[٣]، فإن الاستطالة تهدم الصنيعة، وتكدر المعروف. الأدب الكبير (١٠٣).

١٣ - من أقوى القوة لك على عدوك، وأعزِّ أنصارك في الغلبة له: أن تُحصي على نفسك العيوب والعورات، كما تحصيها على عدوّك، وتنظر عند كلِّ عيب تراه أو تسمعه لأحدٍ من الناس: هل قارفت ذلك العيب أو ما شَاكَله؟ أو سَلِمْت منه؟.

فإن كنت قارفت شيئًا منه: فأحصه، حتى إذا أحصيت ذلك كله فكابر[٤] عدوك بإصلاح عيوبك، وتحصين عوراتك. الأدب الكبير (١٠٩).

١٤ - اعلم أنّ بعض العطية لؤم[٥]، وبعض البَيان عيٌّ[٦]، وبعض العلم جهل[٧].

---

(١) أي: فضل.

(٢) المن: هو أن تذكر لمن أحسنتهم إليه ما فعلته له من المعروف.

(٣) أي: التفضل والتعالي.

(٤) أي: اقهره وتغلّب عليه.

(٥) كمن يُعطي رياء وسمعة.

(٦) كمن يتكلّف السجع ويختار الغريب من الكلمات والعبارات.

(٧) كالعلم بالمنطق وقصص الروايات التافهة.

فإن استطعت ألا يكون عطاؤك جورًا، ولا بيانك هذَرًا[1]، ولا علمك جهلًا: فافعل. الأدب الكبير (١١٥).

١٥- لا تجالس امْرَأً بغير طريقته، فإنك إنْ أردت لقاء الجاهل بالعلم، والعييَّ بالبيان: لم تَزِدْ على أن تضيّع علمك، وتؤذي جليسك بحملك عليه ثِقَلَ ما لا يعرف، وغمّك إياه، بمثل ما يغتمُّ به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه. الأدب الكبير (١١٩).

* وقال **أبو إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩):

١- خمسة تعاونوا على هلاك ابن آدم المسكين: مؤمن يحسده، وكافر يرصده، وشيطان مارد، ودنيا حاضرة، ونفس أمارة بالسوء.

٢- إذا رأيت الشَّاب قذرًا في شبيبته، فإن كَبِر يكون شيخَ سوء.

٣- إذا رأتك زوجتك وولدك وخادمك تعصي الله كان أول من يُذِلّك هم. ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وقال **الشاعر**:

إذا أنت جازيت المسيء بفعله ... فَفِعْلك من فعل المسيء قريب

الآداب الشرعية ٢/ ١٦٢.

* وقال **بعض الحكماء**: ليس غنى أغنى من سكون القلب، وليس فقر أفقر من اضطراب القلب، وليس عزّ أعز من الزهد، وليس ذل أذل من الرغبة في الدنيا والطمع، وليس شرف أشرف من اليقين، وليس درجة أعلى من الصبر، وليس حلاوة أحلى من محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس مرارة أمرُّ من سخطه، وليس زين أزين من التواضع، وليس جهل أجهل من الكبر، وليس قوة أقوى من الجوع، وليس كلامٌ

---

(١) أي: ساقطا لا أثر له.

أحسنَ من قول: لا إله إلا الله. المجالسة وجواهر العلم (٣٠٢).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَكْبَرِ مَا يُفَوِّتُ الْفَوَائِدَ تَرْكُ التَّلَمُّحِ لِلْمَعَانِي الصَّادِرَةِ عَمَّنْ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحِكْمَةِ، أَتَرَى يَمْنَعُنِي مِنْ أَخْذِ اللُّؤْلُؤَةِ وِجْدَانِي لَهَا فِي مَزْبَلَةٍ؟ كَلَّا، سَمِعْت كَلِمَةً بَقِيتُ مِنْ قَلَقِهَا مُدَّةً، وَهِيَ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَقُولُ عَلَى شُغْلِهَا وَتَتَرَنَّمُ بِهَا: «إنَّ لِلتَّوَانِي غَائِلَةً وَلِلْقَبِيحِ خَمِيرَةً تَبِينُ بَعْدَ قَلِيلٍ».

فَمَا أَوْقَعَهَا مِنْ تَخْجِيلٍ عَلَى إهْمَالِنَا الْأُمُورَ، غَدًا تَبِينُ خَمَائِرُهَا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الآداب الشرعية ٢/ ٨١.

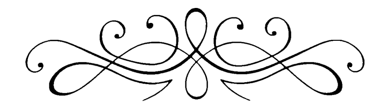
* وقال **ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣): وكان يقال: الغالب في الشَّرِّ مغلوب. الآداب الشرعية ٢/ ٩.

* وقال **ابن هبيرة** الحنبلي الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٦٠): ليكن غايةُ أَمَلِكَ من عدِّوكَ: الإنصافَ، فمتى طلبْته منه كان سائر الخَلْق عونًا لك، فأما أخوك وصديقك: فعاملهما بالفضل والمسامحة، لا بالعدل. الآداب الشرعية ٢/ ١٠.

* ومما يذكر من شعر **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ اللَّهُ:

تعود فِعال الخير جمعًا فكلَّما ... تعوّده الإنسان صار له خُلْقا

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٩).





ما قيل في العارف والمعرفة

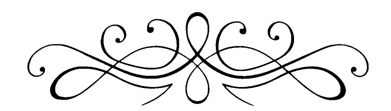
* قال رجلٌ **لأبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣): طوبى للزاهدين، فقال أبو سليمان: طوبى للعارفين. تهذيب الحِلْية ١٨٨/ ٣.

* وقيل له: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح، فتغير وجهه وغضب عليه وقال: ويحك، أما استحييت منه يراك ساهرًا في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟ تهذيب الحِلْية ١٨٩/ ٣.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال، ومن زهد في الدنيا على حقيقة، كانت مؤنته خفيفة، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات. تهذيب الحِلْية ٩٩/ ٣.

* وقال **أبو عثمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨): حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يقول: العارف لا يرى له على أحد حقًّا، ولا يشهد له على غيره فضلا، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب. مدارج السالكين ٢/ ١٥٥-١٥٦.





حفظ الوقت[١]

* عن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) أنه قال: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يومًا فيومًا وساعة فساعة، فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم.[٢] المنتظم ٨/١٩٦.

* وقال **فضيل الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك[٣]؛ فإنَّ الأمر يخلص إليك دونهم.

وإياك أن تُذهب نهارك تُقَطِّعه ههنا وههنا؛ فإنه محفوظ عليك. تهذيب الحِلْية ١/٤٦٦.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يُقربه إلى الله أو يُعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يُسخطه كانت من عمارة الوقت، وإن كان فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات.

فالمحب الصادق: ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته: أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان.

وقد حكي عن بعضهم: أنه كان يَرِدُ عليه وهو على بطن امرأته حال لا يعهدها في غيرها.

ولا تعجل بالإنكار، وانظر إلى قلبك عند هجوم أعظم محبوب له عليك في هذه الحال كيف تراه؟ فكهذا حال غيرك. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ١٨٩

(٢) وكيف إذا قضى هذه الأيام الساعات في الحرام؟

(٣) كمن ينشغل بالأصدقاء أو الأهل أو اللعب المباح، عن إصلاح نفسِه وتهذيبِها وتعلّم ما ينفعه ويُقربه إلى ربّه.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كلّ ما شغلَكَ عن الله عَزَّوَجَلَّ من أهْلٍ ومالٍ أو ولدٍ فهو عليك مَشُؤوم. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وقال **بعض البلغاء**: من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أدّاه، أو خير أسَّسه أو علم اقْتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

وقال **بعض الشعراء**:

لقد أهاج الفراغُ عليك شغلا ... وأسبابُ البلاء من الفراغ

أدب الدين (١٠٠).

* وقيل **للمعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): ما ترى في الرجل يقرض الشعر ويقوله؟.

قال: هو عمرك فأفنه فيما شئت.[١] تهذيب الحِلْية ٧٤/ ٣.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): أعظم المصيبة على الحكيم في اليوم أن يمضي عنه، لا يأتيه فيه هدية من ربه - يعني حكمة جديدة. تهذيب الحِلْية ٢٥٩/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: إن من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه. تهذيب الحِلْية ٢٩٥/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: ليس لك من عمرك إلا نفس واحدة فإن لم تفنها فيما لك فلا تفنها فيما عليك. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: العمر قصير، والوقت ضيق، والأيام تقضى وليس في الوقت فضل. الزهد للبيهقي (٢٩٧).

---

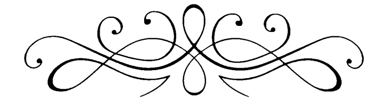
(١) يا له من جوابٍ عجيب سديد.

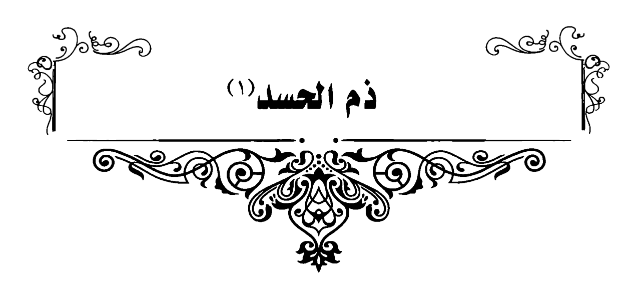
* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠):

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

ذيل الطبقات (٢/ ١٦٧).

* وقال **بعض السلف**: نهارك ضيفك، فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلك. أدب الدين (١٩٦).





ذم الحسد[(١)]

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): كلّ الناس أستطِيعُ أن أُرضِيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فإنه لا يُرضِيه إلا زَوالُها. عيون الأخبار ٤٠٧ / ٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ديوان الشافعي (١٤٥).

* وقال **بعضهم**:

كُلُّ العَـدَاوةِ قـد تُرْجَـى إماتَتُهَـا ... إلا عـداوةَ مَـنْ عـاداكَ مـنْ حَسَـدِ

عيون الأخبار ٤٠٧/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَسَدَ مَرَضٌ مِن أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إلَّا قَلِيلٌ مِن النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِن حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ.
فَمَن وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ. فَيَكْرَهُ ذَلِكَ مِن نَفْسِهِ.
وَكَثِيرٌ مِن النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُم دِينٌ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ، فَلَا يُعِينُونَ مَن ظَلَمَهُ، وَلَكِنَّهُم أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِن حَقِّهِ، بَل إذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ، وَكَذَلِكَ لَو مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا، وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ، لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ.
وَجزَاؤُهُمْ: أَنَّهُم يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُم فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَن ظَلَمَهُم كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ، وَأَمَّا مَن اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَو فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ. ا.هـ [مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤-١٢٥)].

وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ في سورة الفلق: إنَّ الله جمع الشرور في هذه السورة، وختمها بالحسد ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ [الفلق:٥]؛ ليُعْلم أنه أخسّ الطبائع. تفسير الثعالبي: ٤/ ٤٥٣.

* وقال **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): ما حسدت رجلًا قط، إن كان من أولياء الله فكيف أحسده على شيء من حطام الدنيا؟ تهذيب الحِلْية ٤٤٠/ ١.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ، وَلَكِنْ غُمَّهُ فِي صَدْرِك، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّك مَا لَمْ تَعْدُ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. الزهد لهنّاد ٢/ ٦٤٢.

* ويقال: إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًّا لا يرحَمُه سلَّطَ عليه حاسدا. عيون الأخبار ٤٠٦/ ٢.

* وقال **بعضهم**:

حسَدُوا الفتَى إذ لم يَنَالُوا سعيَهُ ... فالقوم أعداءٌ له وخصوم
كضرائرِ الحسْنَاءِ قُلْنَ لوَجهها ... حَسَدًا وظُلمًا إنه لذمِيمُ

عيون الأخبار ٤٠٦/ ٢.

* وقال بعضهم: الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ الله به في السماءِ، يعني حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتلَه. عيون الأخبار ٤٠٨ / ٢.

* وقال الأصمعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **أعرابيًّا** قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سنةً، فقلت له: ما أطوَل عمرَك!.

فقال: تركت الحسدَ فَبقِيتُ. عيون الأخبار ٤٠٨/ ٢.

* وقال **بعضهم**:

إذا شئتَ أن تلقَى عدوَّك راغمًا ... وتقتله حُزنًا وتحرقه غمّا
فسام العلا وازدد من الفضْل إنّه ... من ازداد فضلًا زاد حاسده همّا

البداية والنهاية١١/ ٣٦٤.

* وقال بعضهم:

ألا قلْ لمن كان لي حاسدًا أتدْري على من أسأتَ الأدبْ
أســأتَ علــى الله في فعلــهِ لأنّك لم ترض لي ما وهبْ
فجــازاك عنــي بــأن زادني وسـدَّ عليـك وجـوه الطلـبْ

البداية والنهاية ١٢/ ٣٦.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. تهذيب الحِلْية ٣/١٤.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: افتقدتُ الأخلاق فإذا أشدها وبالًا على صاحبها الحسد، فإنه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلما تلذّذ المحسود بنعم الله تعالى تأذى الحاسد وتنغَّص، فهو ضد لفعل الله تعالى، ساخط بما قسمه، متمنٍّ زَوال ما منحه خلقَه، فمتى يطيبُ بهذا عيشٌ ونعمٌ تنثال انثيالا؟! الآداب الشرعية ١/ ٨٧.

* وقال **أبو القاسم التنوخي اللغوي القاضي الحنفي** (ت: ٤١٧):

وكلٌّ أداريــه علــى حسْــب حالــه سوى حاسدي فهْي التي لا أنالُها
وكيـف يـداري المـرءُ حاسـدَ نعمةٍ إذا كان لا يرضيــه إلاّ زوالهــا

تاج التراجم (٢٦٢).

* وقال ابن طاهر: سمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان «ألب أرسلان» هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ **أبي إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨١)، وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان، ونحن على عزمٍ أن نخرج ونسلِّم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام

على الشيخ الإمام، ثم نخرج إلى هناك، وكانوا قد تواطؤوا على أنْ حملوا معهم صنمًا من الصُّفْر صغيرا، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته.

ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري، وقالوا له: إنه مجسِّم، فإنه يترك في محرابه صنما، ويقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته، وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده، فعظُم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا ومعه جماعة، ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب، وأخذوا الصنم من تحت السجادة، ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان.

فبعث السلطان بغلمان، وأحضر الأَنصاري: فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوسًا، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحا، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال له: ما هذا؟ قَالَ: هذا صنم يُعمل من الصفر شِبه اللُّعبة.

فقال: لستُ عن هذا أسألك، فقال: فعن ماذا يسأل السلطان.

قَالَ: إنَّ هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم، وأنت تقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ على صورته، فقال الأنصاري: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]، بصوتٍ جَهْوري وصولة.

فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأُخرجَ إلى داره مُكرَمًا، وقال لهم: اصدقوني القصة، أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديدًا عظيمًا، فقالوا: نحنُ في يد هذا الرجل في بليةٍ من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شرَّه عنا.

فأمر بهم، ووكل بكل واحدٍ منهم، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال، يؤديه إلى خزانة السلطان جنايَة، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم.[1] ذيل الطبقات (١/ ١٢٦).

(١) انظر إلى التحاسد بين الأقران كيف يفعل، حتى جعلت هؤلاء -الذين هم من طلاب العلم-=

* وقال **بعض الحكماء**: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك.

وقيل في **منثور الحكم**: عقوبة الحاسد من نفسه.

وقال **الشاعر**:

اصبر على كيد الحسو ... د فإنّ صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

أدب الدين (٤٣٢-٤٣٣).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): ليكن مما تَصْرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسودًا.

فإن الحسد خلقٌ لئيم، ومن لؤمه أنه يُوكّل[1] بالأدنى فالأدنى من الأقارب، والمعارف، والخلطاء، والإخوان.

فليكن ما تُقابل به الحسد: أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك، وأنّ غُنمًا حسنًا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضلَ منك في العلم فتقتبس من علمه، وأفضلَ منك في القوة فيدفع عنك بقوته، وأفضل منك في المال فتُفيد من ماله، وأفضلَ منك في الجاه فتصيب من حاجتك بجاهه، وأفضلَ منك في الدين فتزداد صلاحًا بصلاحه. الأدب الكبير (١٠٦).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وأظلم أهل الظّلم من بات حاسدًا ... لمن بات في نعمائه يتقلّب

ديوان المتنبي (٣٥).

* وكان **فتُّوح بن الغزَّال البَاغَانيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٦) من أهلها[2]، فاضلًا فقيهًا

=يفتَرون على الشيخ بأنه يعبد صنمًا، وقد وضعوه في بيته، رغبةً في قتل السلطان له، والسبب في ذلك أن الناس قد أقبلوا عليه وأحبوه!

(١) أي: يُلازم.

(٢) أي: من باغانة.

موسرًا خيرًا، حسن الطريقة، منظورًا إليه ببلده، رأس على مَن فيها من أهلها من العلماء بعلمه وخيره، ومكانته من السلطان.

فكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، فحسده على ذلك كلُّ مَن كانت له بها رئاسة، مِن عربها وعجمها، فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطانُ مشغول بفتنة القيروان إذ ذاك المذهلة.

فأجابهم، ووجه فيه بأمر، فقتله بالرماح بحضرتهم، وبقي مطروحًا يومين، وكان ذلك كله سنة ست وأربعين.

وعجل الله بالانتقام من الْمُغرين به، فخرج جماعة منهم صحبة الفقيه المعروف بابن عفيف من فقاء باغانة، للقاء العرب من أهلها، لشحناء وقعت بين العرب والعجم، فتغلَّبوا على العرب فقتلوهم، إلا ابن عفيف، ثم سلَّط الله العجم عليهم، فقتلوا العرب وانتقم الله للفقيه من الجميع. ترتيب المدارك (٤/ ٣٤٣-٣٤٤).

* وقال **الشاعر**:

وإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْـرَ فَضِيلَـةٍ ... طُوِيَـتْ أَتَـاحَ لَهَـا لِسـانَ حَسُـودِ

لـوْلَا اشْتِعالُ النَّـارِ فِيمـا جَـاوَرَتْ ... مـا كانَ يُعـرَفُ طِيبُ عَـرْفِ الْعُـودِ

أدب الدين (٤٣٥).

* وكان الشيخ **عبدالله بن مسلم التميمي** (ت: ١٣٤١) كفيف البصر منذ صغره، لكنه يتوقّد ذكاءً وفطنةً، وقد أخذ العلم عن علماء نجد حتى أدرك إدراكًا تامًّا، وحصّل الأصول والفقه.

قال الشيخ علي الهندي: «كان آية في فقه الحنابلة، مع تحصيلٍ في سائر العلوم». ا.هـ[1].

---

(١) زهر الخمائل: ١٦

وأما اطلاعه على العلوم فكان واسعًا في جميع العلوم الشرعية، وكان من محفوظاته: «منتقى الأخبار»، وكان مُعاصرًا لأبناء الشيخ عبد اللطيف آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويرى نفسه أكثر منهم علمًا، وأكثر مؤهلا، ومع ذلك مقامهم عند الخاصة والمسؤولين وعند العامة أكبر منه، وكان ذلك يُؤمله ويُحزنه، ويُظهر ذلك[١]، وكان عنده امرأةٌ صالحة تُهوّن عليه الأمر، ولكنه لم يُطق ذلك، فذهب إلى آل رشد في حائل وأقام عندهم، وكانت الحرب في ذلك الوقت قائمةً بين الحكومتين: آل سعود وآل رشيد، فرفع آل الرشيد مقامه وعرفوا قدْره، فلما نشب القتال بين الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأهل حائل بقيادة محمد بن طلال بن رشيد جعل الشيخ عبدالله يُحرّض المدافعين من أهل حائل على القتال ضد ابن سعود وجنده.

وكان يرمي المدافعين بأنهم خوارج يُكفّرون الناس بالذنوب، ويقول لأهل حائل: إنّ القاتل منكم سعيد، والمقتول شهيد، هكذا أخبرني بعض من شهد المعركة بين الطرفين.[٢] علماء نجد (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

* وفي آخر عام ١٣٦٩هـ حدث شَغَب بمناسبة تقرير بعض الأساتذة المصريين في مسجد السويطي، وذلك أنَّ أحد الطلبة نقد المقرِّر ووشى به إلى القاضي، فبعث عما حدث للمعارف، فعُزل المصري عن وظيفته، فقام بالمطالبة

---

(١) أعوذ بالله من ذلك.

(٢) انظر إلى الحسد كيف يؤول بصاحِبه، فالعاقل الحصيف يجتهد أشد الاجتهاد على إخراجه من قلبه، ويجتهد في تعويد نفسه على حب الخير للمسلمين، وإذا رأى الناس يُثنون على أحد ولو كان أقل منه علما أو منصبا أو أصغر منه فليفرح.

وكم من طالب فاق شيخه علما ونفعا وبركة، فلا يجوز للشيخ إذا رأى نبوغ أحد طلابه وإقبال الناس عليه أن يكون في صدره شيء.

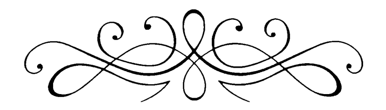
ويا رُبَّ فرعٍ فاق بالبذلِ أصْله ... وإن أَخَّرَتْه أزمنٌ وعُصُور

والمؤمن التقي همّه نصرة وخدمة الإسلام والمسلمين، سواء كان ذلك على يده أو على يد غيره، ولو كان أصغر منه سنًّا، أو أقل منه علما أو جاها أو منصبا.

وتفرَّق الناس إلى صنفين، فصنفٌ أيَّده وقال: لا محظور فيما قاله، وقالوا: قد سبقه السيوطي فيما قاله في (الإتقان)، ومنهم شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وثُلَّة من الطلبة.

وصنفٌ نقدوه وشدُّوا أزْر القاضي، وطال النزاع وكثرت الوشايات والمقالات المُغْرِضة، فأورثتْ بين الشيخَين عبدالرحمن ابن سعدي والقاضي، فحاول القاضي عزله من إمامة وخطابة الجامع، وقال لشيخنا محمد العبدالعزيز المطوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نصَّبناك إمامًا في الجامع، فقال: ما كان ينبغي لمثلي أن يحُلَّ محلَّ شيخنا، فضجَّ الناس، وأبرقوا للملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلبون تأييد شيخنا ابن سعدي، فأجابهم الملك لتأييده مدة حياته، فعند ذلك تَنكَّر الناس عليه، وتعكَّر صفو الحياة، وتحزَّب الناس، فلما رأى ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وطلب الإعفاء من منصبه فأعفي.

فتعيّن مدرسا بالمعهد العلمي بالرياض، وتوالت عليه أمراض كانت تعتاده، فوافاه أجله المحتوم سنة (١٣٧٤)، وصلى عليه شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي صلاة الغائب في عنيزة.[1] علماء نجد (٣/ ١١٣-١١٤).



(١) صفاء القلب من الحقد والحسد كرامة وهِبة من الله، فاطلبها منه.

فمع ما قام به القاضي تجاه الشيخ السعدي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وسعيه في عزله عن الإمامة والخطابة إلا أنه لم يحقد عليه، بل صلى عليه صلاة الغائب لما مات، فيا لها من قلوب ما أطهرها.



العدل وذم الظلم(١)

* اشترى **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فرسًا من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؟ فقال: لا! قال: فاجعل بيني وبينك حكمًا، قال الرجل: شريح، قال: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا، سر إلى الكوفة، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمُورُ النَّاس تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْم: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْم فِي الْحُقُوقِ وَإِن لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِن كَانَت كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِن كَانَت مُسْلِمَةً.

وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْم وَالْإِسْلَامِ.

وَقَد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِن الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِم»، فَالْبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِن كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلٍ: قَامَتْ وَإِن لَمْ يَكُن لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ.

وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلٍ: لَمْ تَقُمْ وَإِن كَانَ لِصَاحِبِهَا مِن الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ. مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦)

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حدّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ولست تجد فسادا إلا وسبب نتيجته الخروج فيه من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، فإنه لا شيء أنفع من العدل، كما لا شيء أضر مما ليس بعدل. أدب الدين (٢٢٥، ٢٣٠).

* وقال **لمحمد بن مسلمة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٤٣): كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويًّا على جمع المال، عفيفا عنه، عادلا في قسمه، ولو ملت عدَّلناك، كما يُعدَّل السهم في الثقاف[1]، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني. الزهد لابن المبارك (٤٧٣).

* ودخل **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها شيئا كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم فقال له: خذ بأذني فاعركها، فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه، فجعل عثمان يقول له: شد، شد، حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، قال عثمان: واها[2] لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٥٠.

* وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ قَالَ: أَتَيْتُ **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ[3] لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**».[4] صحيح مسلم (١٨٢٨).

---

(١) الثقاف: ما تسوى به الرماح.

(٢) كلمة تعجب تقال للشيء الطيب الحسن.

(٣) أي: الأمير على مصر، مَن قِبل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو معاوية بن خديج، بعدما تغلّب على أميرها من قِبل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو محمد بن أبي بكر، وقد قتله معاوية.

(٤) هذا من إنصافها وعدلها، حيث ذكرت الحديث الذي فيه مدحٌ لهذا الأمير الذي قتل أخاها.

فيُستفاد من ذلك: أنَّ قول الحقِّ وذكرَ فضلِ ذي الفضل أمرٌ مُرَغَّبٌ فيه مع العدو والصديق، ولا يُمْتنع منه لسبب عداوةٍ ونحوها.

* وقال **أبو الدرداء** (ت: ٣٢): إن أبغض الناس إليّ أن أظلمه الذي لا يستعين عليّ إلا بالله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأبي داود (٢٠١).

* وعن الزهري أن **أبا الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتهى إلى جارية له ترعى غنما، فأعطى جاريته فرسه، ثم قال: لا يغلبك، ثم طاف في غنمه، فانفلت الفرس، فجالت[١] الغنم حتى تكسر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتد رافعا السوط، حتى إذا دنا منها كف وقال: لولا القود[٢] لأوجعتك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٤٩.

* ودَعَا **ابْنَ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بِغُلَامٍ لَهُ فَرَأَى بِظَهْرِهِ أَثَرًا، فَقَالَ لَهُ: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزِنُ هَذَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**». صحيح مسلم (١٦٥٧).

* وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ **سُوَيْد بْنِ مُقَرِّنٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ **أَبِي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ[٣]، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْتِقُوهَا»، قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: «فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا». صحيح مسلم (١٦٥٨).

* وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا **أَبَا الْيَسَرِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٥)، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ

---

(١) أي هاجت واضطربت.

(٢) القَوَد: القصاص ومجازاة الجاني بمثل صنيعه.

(٣) أي افعل به مثل ما فعل بك.

وَمَعَافِرِيٌّ(١)، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ.

فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمِّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا -وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ- رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ».

وَكَانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح مسلم (٣٠٠٧).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو أن جبلًا بغى على جبل لدُكَّ الباغي. تهذيب الحِلْية ٢٢٨/ ١.

* وسمع **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) رجلًا يدعو على من ظلمَه، فقال: اقصِر يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك. عيون الأخبار ١١٩ / ١.

* وقال بعضهم:

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسألُه ... ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

عيون الأخبار ١١٩/ ١.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: يعذب الله الظالم بالظالم، ثم يدخلهما النار جميعًا. تهذيب الحِلْية ٢٦٨/ ٢.

* وكتب **عُمرُ بنُ عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) إلى بعض عماله: أمَّا بعدُ، فإذا دَعَتْكَ قُدْرَتُك على النَّاس إلى ظُلمِهِمْ، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونَفَادَ ما تَأتِي إليهم، وبَقَاء ما يأْتُونَ إليك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٩.

---

(١) البردة شملة مخططة، وقيل كساء مربع، فيه صغر يلبسه الأعراب، والمَعافري نوع من الثياب يعمل بقرية تسمى مَعَافر.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أراد أن يُعاقِبَ رجلًا حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه كراهية أن يعجلَ في أوَّل غضبه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٩٠.

* وعن يحيى الغساني قال: لما ولاني **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقًا ونقبًا، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله آخذ من الناس بالمظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقله سرقًا ونقبًا. تهذيب الحِلْية ٢/٢٠٤.

* وعن رباح بن عبيدة قال: كنت قاعدًا عند **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلًا يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٦٩.

* وكتب بعض عمال إليه: أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالًا يرمها به فعل.

فكتب إليه عمر: أما بعد: فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم، فإنه مرمَّتُها والسلام. تهذيب الحِلْية ٢/٢٢٤.

* وقال **بعض البلغاء**: السلطان السوء يُخيف البريء ويصطنع الدنيء، والبلد السوء يجمع السُّفَّل ويورث العلل، والولد السّوء يشين السَّلف ويهدم الشرف. أدب الدين (٢٣٠).

* وقال **بعض الحكماء**: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش. أدب الدين (٢٣١).

* وقال **الفضيلُ بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): والله ما يَحِلُّ لك أن تؤذيَ كلبًا ولا خنزيرًا بغير حقٍّ، فكيف تُؤذي مسلمًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال **أبو عمران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله تعالى بكلّ جبار، وكلّ شيطان، وكلّ من يَخاف الناس من شرّه في الدنيا، فيُوثَقون في الحديد، ثم أُمر بهم إلى النار، ثم أوصَدَها عليهم - أي طبقها -، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا.

ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطانًا ولا جبارًا، وكلوا اليوم واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٠٢.

* وقال **بعضهم**:

تفرحُ أَن تغلبني ظالمًا والغالبُ المظلومُ لو تعلم

* وقال آخر:

ونستعدي الأمير إذا ظُلمنا فمن يُعْدِي إذا ظَلم الأميرُ

عيون الأخبار ١/ ١١٧.

* وقال **يوسف بن أسباط** (ت: ١٩٩) **والحسن البصري** (ت: ١١٠) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٥٤، تهذيب الحِلْية ٣/ ٥٧.

* وسمع **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩) رجلا يدعو على رجل، فقال: كِلِ الظالم إلى ظُلمه، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل، وقَمِن أن لا يفعل.[(١)] الزهد لأبي داود (٣٨٦).

* وعن **محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر. وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر:٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس:٢٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح:١٠]. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٤٤.

* وجاء رجل إلى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال له: نكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور الطوسي (ت: ٢٥٤)؟ فقال: إذا لم تكتب عَنْ مُحَمَّدِ بن منصور فعمن يكون ذلك؟ -مرارًا- فقال له الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أَحْمَد: رجل صَالِح ابْتُلي فينا فما نعمل؟[(٢)] طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥).

* وقال **الشاعر**:

أمـا والله إن الظلـم شـؤْم ... ومـا زال المسيء هـو الظلوم

إلى ديـان يـوم الديـن نمضي ... وعنـد الله تجتمـع الخصـوم

سـتعلم في المعـاد إذا التقينـا ... غدا عند المليك من الظلوم

أدب الدين (٢٢٥).

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) يستعمل الإنصاف، ويقول: ليس في الناس أقلّ منه، فأردتُ المداومةَ عليه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٥).

---

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومعنى كلامه: كِلْ أمر الظالم إلى ظُلمه، فإن شؤم ظلمه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل صالح أو توبة نصوح، وحريّ أن لا يفعل؛ لأنّ السيئة تجرّ السيئة.

(٢) هذا والله التجرد والإنصاف والعدل، حيث لم يمنعه ما نُقل عنه من الكلام فيه من الثناء عليه بالصلاح، والحث على الرواية عنه، والاستفادة منه.

* وقال بشر بن عمر: جئت مع مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منزله حتى دخل المسجد، فانتهى إلى جماعة، فوُسِّع لي في صدرها، فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس، فقلت في نفسي: هذا رجل مُنصِف، كما لا يوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس. ترتيب المدارك (١/ ١٧٤).

* وقال **محمود الوراق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

اصبر على الظلم ولا تنتصر ... فالظلم مردودٌ على الظالمِ

وكِلْ إلى الله ظلومًا فما ... ربي عن الظالم بالنائمِ

* وقال آخر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... وما ظالمٌ إلا سيُبلى بأظْلَم

الآداب الشرعية ١/ ١٤٢.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): بئسَ الزادُ إلى المَعَادِ العدوانُ على العباد. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٩.

* وعن قحطبة بن حميد أنه قال: كنت واقفًا على رأس **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨) يومًا وقد قعد للمظالم، فأطال الجلوس حتى زالت الشمس، وإذا امرأة قد أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فأقبل يحيى عليها فقال: تكلمي. فقالت: يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبين ضيعتي، وليس لي ناصر إلا الله. فقال لها يحيى بن أكثم: إن الوقت قد فات، ولكن عودي يوم الخميس قال: فرجعت، فلما كان يوم الخميس قال المأمون: أوّل من يدعى المرأة المظلومة، فدعا بها، فقال: أين خصمك؟ قالت: واقف على رأسك يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبينه، وأومأت إلى العباس ابنه، فقال لأحمد بن أبي

خالد: خذ بيده وأقعده معها، ففعل، فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه، فقال لها أحمد بن أبي خالد: إنك تناظرين الأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فأخفضي عليك، فقال له المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، فلم تزل تناظره حتى حكم لها المأمون عليه، وأمر بردّ ضيعتها، وأمر ابن أبي خالد أن يدفع لها عشرة آلاف درهم. المنتظم ١٠/ ٦٥.

* وقال بعضهم:

وظلـمُ ذَوِي القُرْبَى أشـدُّ مَضاضـةً ... على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

عيون الأخبار ٣/ ٩١.

* وقَصَد **ملكَ شاه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٥) رجلان من أهل البلاد السفلى من أرض العراق، فتعلقا بركابه وقالا: نحن من أسفل واسط من قرية تعرف بالحدادية، مقطعة لخمارتكين الحلبي، صادَرَنا على ألف وستمائة دينار، وكسر ثنيتي أحدنا ـ والثنيتان بيده ـ، وقد قصدناك أيها الملك لتقتص لنا منه، فقد شاع من عدلك ما حملنا على قصدك، فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله الحاكم بالعدل بيننا.

وفُسِّر على السلطان ما قالاه، فنزل عن فرسه وقال: ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى دار حسن ـ وهو نظام الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فأفزعهما ذلك، ولم يُقْدما عليه، فأقسم عليهما إلا فعلا، فأخذ كل واحد منهما بطرف كمه وسارا به إلى باب النظام، فبلغه الخبر، فخرج مسرعًا وقال: أيها السلطان المعظم، ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غدًا بين يدي الله إذا طُولبت بحقوق المسلمين، وقد قلّدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فإن تطرَّق على الرعية ثَلْمٌ لم يتطرق إلا بك وأنت الْمُطالَب، فانظر بين يديك، فعاد من وقته،

فكتب بعزل خمارتكين وحل إقطاعه، وردّ المال إليهما وقلع ثنيتيه إن ثبت عليه البينة، ووصلهما بمائة دينار، وعادا من وقتهما. المنتظم ٣١١-٣١٢/ ١٦.

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَمَّا تعرّض الشيخ **عثمان بن سند** (ت: ١٢٥٠) للإمام تقيّ الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعرّض بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ردّ عليه الشيخ عثمان بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٢) ردًّا مُوجعًا مُؤلما مفحمًا بقصيدة عُرفت بـ (الرد الدامغ على من اعتقد أنّ شيخ الإسلام زائغ).

ومؤلفات الشيخ عثمان بن سند كثيرة جدًّا ومفيدة؛ لأنها ليست مجرد نقل، وإنما كتبها من علومٍ هضمها، ومعارف شَرِبها، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرّة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي، وجُمَله البليغة، ومن هذه المصنفات[1]: (الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب)، وهي مجموعة شعريّةٌ تضمّنت أكثر من ألفَي بيت، وجميعها في الردّ على الشاعر الشيعي دِعبِل الخزاعي.

إنّ الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء، وفحول الشعراء، وإنه موسوعةٌ علميّة في كلّ باب من أبواب العلم، وفي كلّ فنٍّ من فنون الأدب، فهو عالمُ عصره، وعلامة مِصره.

ونحن نثني عليه وندعو له حينما تصدّى للشاعر الخبيث دِعْبل الخزاعي الذي تهجّم -قبّحه الله- على سادات الصحابة؛ أبي بكر وعمر وطلحة وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأندادهم، فهجاهم وشتمهم وازدراهم، فتصدّى له الشيخ عثمان بن سند بالردّ عليه بمجموعة شعره «الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب»،

---

(١) وقد ذكر خمسة وأربعين مصنّفًا، ثم قال: ليتَ بعض الشباب الجادّ حاول جمع تراثه وقدّم فيه شهادة؛ فإنها ستنال إعجاب العلماء والمفكّرين.

فكان في هذا الردّ البليغ ما يَشفي العليل ويروي الغليل.

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه -وهو النجدي الأصل، ونجد هي منبت السلفيّة- أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسَّبِّ والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب المدرسة السلفية، مما جعل الشيخ عثمان بن منصور الناصريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردّ عليه، وهو معاصر له، ومُجاوره في العراق مدّةَ الطلب.[1] علماء نجد (٥/ ٨٥، ١١٨-١٢٣).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

والظلم من شِيم النفوس فإنْ تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم[2]

---

(١) هذا من عدل وإنصاف الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي سار فيه على هدي ومنهج الصحابة والسلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد ذكر محاسن الشيخ عثمان وبالغ في الثناء على جهوده، وذكر كذلك مساوئه وأخطاءه بلا زيادة ولا قذف وحطّ من قدره، مع فداحة ما قام به، حيث طعن على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي امتلأ قلب الشيخ عبدالله وغيره بحبه والإعجاب بعلومه وكتبه، وملأ كتبه بالنقل عنه، والجزم القاطع أن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المجددين المجاهدين، وأن الشيخ عثمان أخطأ خطأ لا يحتمل الصواب.

وهكذا يجب على كل مسلم أن يتعامل مع من جاء بحق وباطل، وخير وشرّ، ما لم يكن الباطل والشر غالبًا عليه، فيُحذّر منه لئلا يغتر به الناس.

وذكر الشيخ عبدالله بن بسام كذلك أنّ الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان طبع كتاب محمد بن علي بن سلّوم (ت: ١٢٤٦) (شرح متن البرهانية)، وصدّر له الشيخ عمر بن حسن آل شيخ، وقال الشيخ عمر عن مؤلفه ابن سلّوم: إنه ممن شَرِق بالدعوة السلفية، لكنه لا يُدرى ما آل إليه أمره.

(٢) وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، أو عجز صاد.

فإذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها، ورهبة السلطان أبلغها؛ لأن العقل والدين ربما كانا مضعوفين، أو بدواعي الهوى مغلوبين، فتكون رهبة السلطان أشد زجْرا وأقوى ردْعا. أدب الدين (٢١٨).

* وقال:

ولـم تـزل قلـة الإنصـاف قاطعـةً بين الرّجال ولو كانوا ذوي رحم[1]

ديوان المتنبي (٢٣٩، ٢٤٨).

---

(١) يقول: إنهم لما لم ينصفوا في إنزالنا منازلنا ففارقناهم، لأن قلة الإنصاف تقطع بين الناس، وإن كانوا ذوي قربي.



مكائدُ الشيطان ووسوسته، والحذر منه[(١)]

* ذُكر الغِيلان[(٢)] عند **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: إن أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليه، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئا فأذِّنوا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٢٩.

* وعن **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) قال: أُمرنا إذا رأينا الغول أن ننادي بالصلاة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٢.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره حق وصدق، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩١]، وقال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص:١٥]، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦]، وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير. تفسير القرطبي (٣/ ١٣).

ومِن أحسن من تكلم في هذا الباب، وعن مداخل الشيطان على الناس والعباد وأهل العلم: ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: تلبيس إبليس، فقد أجاد وأفاد.

(٢) الغيلان: جمع غُول، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا، أي تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦).

إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أطغي، وبك أكفر، وبك أدخل النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك. تهذيب الحِلْية ١/٢٣٠.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: شيطان المؤمن مهزول. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مثل المحقَّرات من الأعمال مثل قوم نزلوا منزلا ليس به حطب ومعهم لحم، فلم يزالوا يلْقُطون حتى جمعوا ما نضَّجوا به لحمهم. الزهد لهناد (٨٩٣).

* وقال **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عن السّوق: لا تكن أول أهلها دخولا، ولا آخرهم منها خروجا؛ فإنها حيث باض الشيطان وفرخ. الزهد لهناد (٦٧٥).

* وقال **مطرّف بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو أن رجلًا رأى صيدًا والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى! قال: فإن الشيطان هو يرانا، ونحن لا نراه فيصيب منا. تهذيب الحِلْية ١/٣٦١.

* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدت العبد مُلْقى بين ربه تعالى وبين الشيطان، فإن اسْتنقَذه نجا، وإن تركه للشيطان ذهب به. الزهد لابن المبارك (٢٨٣).

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: لم ير إبليس ابن آدم ساجدًا قط إلا التطم ودعا بالويل، ثم يقول: أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار. تهذيب الحِلْية ٢/١١.

* وقال **بعض السلف**: وجدت التسويف جندًا من جنود إبليس، قد أهلك خلقًا من خلق الله كثيرًا. تهذيب الحِلْية ٢/٢٥٩.

* وعن **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٩) قال: إن الشَّيطانَ ليفتح للعبد تسعةً وتسعين بابًا من الخير، يريد بها بابًا من الشَّر.[١] تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٣.

* ودخل **أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) المسجدَ فوَسْوَس إليه الشيطانُ: إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك! فقال: وقد بَلَغ هذا من نصحك! عيون الأخبار ٧٣٧/ ٢.

* وقال **بعض السلف**: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوما في طاعة الله: ملّك ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لا تَجيءُ الْوساوِسُ إلَّا إِلى كُلِّ قلْبٍ عامرٍ، رأيْتَ لِصًّا يأْتي الْخرابةَ يَنْقُبُها وهُو يَدْخُلُ مِنْ أيِّ الْأبوابِ شاءَ؟. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٣.

* وشكا إليه رجلٌ الوسواس فقال: إن أردت أن ينقطع عنك فإن أحسست بها[٢] فافرح بها، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك، فإنه ليس شيء أبغض إليه من سرور المؤمن، وإن اغْتَمَمْت منها زادك. الحلْية (٩/ ٢٦٠).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنت لا تطيع من يحسن إليك[٣]، فكيف تُحسن إلى من يسيء إليك[٤]. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٥.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهاهنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير ويدعوه إلى تحصيله فإذا قرب منه ألقاه في الشبكة. عدة الصابرين/ ٨٦

وقال: فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق. إغاثة اللهفان ٢/ ٩٥

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا ينفق- أي يروج - الباطل في الوجود إلا بشوبٍ من الحق. مختصر الفتاوى المصرية: ١٥٩

(٢) أي: الوساوس.

(٣) وهو الله.

(٤) وهو الشيطان.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات من بعض أهله، لما فاته من إفتانه إياه في الدنيا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٨.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إبليس أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، وآدم من الإنس، وهو أبوهم، وإبليس من الجن وهو أبوهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٨.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانت شجرة تُعبد من دون الله، فجاء إنسان إليها، فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبا لله، فلقيه الشيطان في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه التي تعبد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن لي بذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح فلم يجد شيئا، فقام غضبا ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله، قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لي سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٤٦.

* وقَالَ إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) يصلي فقال بيده هكذا -يشير بأَصْبُعَيه-، فلما سلَّم قلت: يا أبا عبدالله ما قلتَ فِي صلاتك؟ قَالَ: كنتُ عَلَى طهارة فجاء إبليس فقال: إنك عَلَى غير طهارة، فقلتُ: شاهدين عَدلين. طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٨).

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهمُّ هَمّان: همّ خطرات، وهمّ إصرار.[١]
طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٥).

* وقَالَ **صَالِح بْن أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قَالَ لي **أبي**: يا بني اعلم أن إبليس موكلٌ بالمسلمين، معه خِرْج فيه رقاع حوائج بني آدم كلهم، فإذا وَقفوا للصلاة أخرجها فعرضها عليهم، ليُخرج المصلي مِن حدّ الصلاة فيشغل قلبه، واعلم أنه قد وُكِّل بي، فإذا وقفتُ لصلاةٍ وقف بحذائي، فإذا صليتُ ركعتين قَالَ لي: يا أَحْمَد قد صلَّيْتَ ثلاثة، فأقول له بيدي: «لا» بلا كلام، فلا يَزال يقول كذلك حتى أقضي الصلاة. طبقات الحنابلة (١/ ٤٦٦).

* وأتى رجلٌ إلى **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) فجلس حتى انصرف الناس، فأخذ في البكاء، فسأله سحنون عن سبب ذلك، فذكر له أنه رأى أمرًا استعظمه، فلم يزل به حتى ذكر له أنه رأى كأن القيامة قد قامت، وحُشر الناس، وأُتِي سحنونُ، فرأى أنه أُلقي في النار، بعد أنْ لقي من الأغلال والنكال أمرًا عظيمًا، فصبّره سحنون، فأرسل في رؤساء كنيسة النصارى، فجاء إليه منهم اثنان، فسألهم هل مات لكم ميت ممن تعظمونه؟ قالوا: نعم، قال: أفرأيتم له شيئًا؟ قالوا: نعم، رؤى كثيرة، ووصفوا فيها من الخير والترفيع، فصرفهما، وقال للرجل: هل تشك أن هؤلاء وميتهم من أهل النار؟ قال: لا، فقال له: إن الشيطان يأتي للمؤمن بما يثبّطه عن الخير، ويمقت له أهله، ويأتي إلى الكفار بما يغبط إليه حاله ويثبِّته على كفره، وقد رآك تختلف إلينا فأراد أنْ يضرّك. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٧).

---

(١) هم الخطرات يكون من القادر، فإنه لو كان همه إصرارا جازما وهو قادر لوقع الفعل، ومن هذا الباب هم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الآية [يوسف:٢٤].
وأما هم المرأة التي راودته فقد قيل: إنه كان هم إصرار؛ لأنها فعلت مقدورها. [مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٧٤٠)].

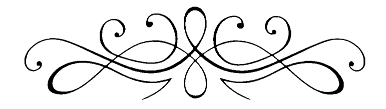
* وقال بعضهم: إنّ الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة؛ ليفسخ عزمه بذلك.[1] طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢١٠).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): **من مكايد الشيطان:**

تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلْمِه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعا.

ومنها: أن يُخرج جوالب الفتن[2] مخرج التشدد في الدين.[3].

ومنها: أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يبين الحق، فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليدا للمعظم عنده، قد قدمه على الحق. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٦).



(١) وهذا يحصل كثيرا، فتجد بعض الناس يعزم على القيام عمل نافع، ثم يفتر وينتقل إلى طاعة أخرى، وهو يرى أنه فعل الأحسن والأكمل، ولم يعلم أن مضيّه في عمله الأول حتى يتمّه أحسن وأنفع له ولغيره.

(٢) الجوالب: الآفات والشدائد، مفردها: جالِبة.

(٣) أي: يبرر أعماله التي تؤدي إلى الفتن العظيمة بتمسكه بالدين واحتياطه، كما هو حال الخوارج، حيث خرجوا على الحكام وجاهروا بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر باللسان واليد، بدعوى الغيرة على الدين، والتمسك به، فحصل من ذلك فتن أعظم من الفتن التي طلبوا إزالتها ودفعها.



النصيحة والاستشارة والاستخارة(١)

* قدم **معاوية بن أبي سفيان** (ت: ٦٠) على **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أبيض وأبضّ الناس وأجملهم، فخرج إلى الحج مع **عمر بن الخطاب**، فكان عمر بن الخطاب ينظر إليه، فيعجب له، ثم يضع أصبعه على متنه، ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخٍ بخٍ، نحن إذا خير الناس إن جمع لنا خير الدنيا والآخرة، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، سأحدثك إنا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر: سأحدثك ما بك، إلطافك نفسك بأطيب الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس متنك، وذوو الحاجات وراء الباب! الزهد لابن المبارك (٥٣١).

* وقال **معمر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس من يخاف الله عَزَّوَجَلَّ فيك. الزهد لابن المبارك (١٠٧٣).

(١) بايع بعض الصحابة -كجرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رسولَ الله ﷺ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِم.
فبايع -أخي الكريم- ربّك جَلَّ وَعَلَا على ذلك، وانْصح لكلِّ مسلم، ولا تخفَ في الله لومةَ لائم، وإذا علم الله تعالى منك الصدق وحبّ النصح: وفَّقك وسدّدك ورفعك في الدنيا والآخرة.
واحرص على المشاورة في أمورك، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩] [١٥٩/٣]، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم. الوابل الصيب لابن القيم / ١١٢
وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: من الحزم لكل ذي لبٍّ أن لا يُبْرم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلا بمشورةِ ذي الرأي الناصح، ومطالعةِ ذي العقل الراجح؛ فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيّه ﷺ مع ما تكفّل به من إرْشاده، ووَعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. أدب الدين (٤٨٣)

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المسلم مِرْآةُ أخيه. الزهد لهناد (١٠٢٧).

* وقال **الشاعر**:

النُّصْحُ أرْخَصُ ما باعَ الرِّجَالُ فلَا ... تَـرْدُدْ علَى ناصِحٍ نُصْحًا ولَا تَلُم

* وقال **الآخر**:

ولَا تَمْنحَنَّ الرَّأيَ مَنْ ليس أهلَهُ ... فلَا أنتَ مَحْمُودٌ ولَا الرَّأيُ نَافِعُه

أدب الدين (٤٩٢، ٤٩٤).

* واستشار عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوم يستعملهم، فقال له **بعض أصحابه**: عليك بأهل العُذْر قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم، وإن قصَّروا قال الناس: قد اجتهد عمر. عيون الأخبار ٦٠/ ١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): استخيروا الله ولا تَخَيَّروا عليه، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أَمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ[١] فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًا.[٢] عيون الأخبار ٧٣١ / ٢.

* وكان بعض المتقدمين يكثر سؤال الشهادة فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أسرت، وإن أُسِرْت تنصرت. فكف عن سؤاله. الجامع المنتخب/ ١٤١.

* وقال بعضهم:

ورُبَّ مُلِحٍّ علـى بُغيـةٍ ... وفيهـا مَنِيّتُـه لـو شَعَرْ

عيون الأخبار ٣/ ٩٣.

---

(١) قال في الحاشية: طرسوس: بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليَعلم العاقل أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته. فاحذر كل الحذر أن تسأل شيئا مُعَيَّنًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك، وإذا لم تجد من سؤاله بُدًّا فعلِّقْه على شرط علمه تعالى فيه الخِيَرَة. وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ١/ ١٦٩.

* واستشار زياد بن عبيد الله الحارثي **عبيدَ الله بن عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧) في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن أَلِيَ القضاء؟ قال: اللهم لا.

قال زياد: سبحان الله! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته. عيون الأخبار ٧١/ ١.

* وكان يقال: من أُعطي أربعًا لم يُمنَع أربعًا: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي المشُورة لمن يمنع الصواب، ومن أعطي الاستخارة لم يمُنع الخِيرة. عيون الأخبار ٧٢/ ١.

* وقال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم. عيون الأخبار ٧٣ / ١.

* وقيل لرجل من بني عَبْس: ما أكثر صوابَكم! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم.

ويقال: ليس بين الْمَلك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزمٌ أو تَوَانٍ. عيون الأخبار ٧٤ / ١.

* وقال **الشاعر**:

إنَّ اللبيب إذا تفرَّق أمره ... فتَقَ الأمور مناظرًا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبدُّ برأيه ... فتراه يعْتَسِفُ الأمور مخاطرا

الآداب الشرعية ١/ ٢٤٨.

* وقال **القاضي أبو بَكْر الأرّجانيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٤):

شـاوِر سـواكَ إذا نابتـكَ نائبـةٌ ... يومًا وإن كنتَ من أهلِ المشوراتِ

فالعيـنُ تَنظـر منهـا مـا دَنـا ونَـأَى ... ولا تـرى نفسَـها إلّا بمـرآةِ

طبقات الشافعيين (٢/ ١٥٧).

* وقال القاضي ابن مفرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَمَّا قدَّم المستنصرُ **أبا بكر ابن السَّليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٧) قاضيه إلى الصلاة والخطبة، وكان ذلك ليلة الفطر، كتب إلى جماعة من ثقات إخوانه يسألهم أن يصبحوا إليه، فأتيناه، فقال: أريد أن تُحفوا بي وتشهدوا خطبتي، لتَصْدقوني على نفسي، وما يُتَعَقَّب عليّ، ففعلنا، وخطب وأبلغ، إلا أنه أهذر، وأكثر الاهتذار.

فلما انصرفنا سألَنا فأثنينا، فقال أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق: يا سبحان الله، سألكم فقولوا الحق، فقلنا له: قل أنت يا أبا عُمر، قال: قعدنا ننظر خطيبًا، فإذا بهدهد يرفع رأسه ويضعه لكل كلمة[١]، وليس هذا من سمت الخطباء، فأقصِر عنه، ورتِّل كلامك[٢]، وزن جسمك، فشَكَره القاضي، وتفقَّد نفسه، فلحق بالخطباء المتقدمين.[٣] ترتيب المدارك (٤/ ٨٨).

* وصدق **القائل**:

وأنْفَعُ من شاوَرتَ من كانَ عاقلًا ... شَـفيقًا فأبْصِـرْ بعدهـا مَـن تُشـاوِرُ

* وقال **بعض البلغاء**: من حقّ العاقل أنْ يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلّ، والعقل الفرد ربما ضل.

---

(١) أي: يحرك رأسه كثيرا يمنة ويسرة، وهذا يخل بسمت الخطيب.

(٢) الرَّتَلُ: حُسْنُ تناسُقِ الشيء، ورتَّل الكلام ترْتيلًا: أَحْسَن تأليفهُ، وترتَّل فيه: تَرسَّل وتمهَّل.

(٣) من الدلالة على عقل القاضي: طلبه من يقوّمه على أداء خطبته، وسعيه في تحسين أدائه وإلقائه، وهذا شأن العقلاء.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شابٌّ معجبٍ بنفسه قليل التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه.

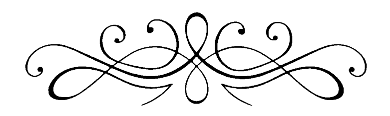
وقيل في **منثور الحكم**: كلّ شيء يَحتاج إلى العقل، والعقل يَحتاج إلى التجارب.

وقال **بعض الحكماء**: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي.

وقال **بعض الأدباء**: من استغنى برأيه ضلّ، ومن اكتفى بعقله زلّ.

وقد قيل في **منثور الحكم**: مَن أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيدًا. أدب الدين (٤٨٤-٤٩٠).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): لا تقذفن في رُوعك[١] أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأي غيرك، فإنك لست تريد الرأي للافتخار به، ولكن تريده للانتفاع به، ولو أنك مع ذلك أردت الذكر كان أحسن الذكرَين وأفضلَهما عند أهل الفضل والعقل أن يقال: لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي. الأدب الكبير (٦٣).



(١) أي: قلبك وذهنك.



ذم الغرور والعجب(١)

....

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ١٩٥) عند قول الهروي: (وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك): يحتمل أن يريد أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيَّرْت بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صَولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب وأن أخاك باء به. ولعل كَسْرَتَه بذنبه، وما أحدث له من الذلة، والخضوع، والازدراء على نفسه، والتخلص من مرض الكبر، والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب: أنفع له وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها، والمِنَّة على الله وخلقه بها.

فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المُدِلّ من مَقْت الله.

فذنب تُذِل به لديه أحب إليه من طاعة تُدِل بها عليه، وإنك أن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داءً قاتلًا هو فيك وأنت لا تشعر.

فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو ولا يطالعها إلا أهل البصائر فيعرفون منها بقدر ما تناله معارف البشر، ووراء ذلك مالا يطلع عليه الكرام الكاتبون، وقد قال النبي ﷺ (**إذا زنت أمة أحدكم فليقم عليها الحد ولا يثرب**) أي: لا يعير، من قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإخوته ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف:٩٢] فإن الميزان بيد الله والحكم لله، فالسوط الذي ضرب به هذا العاصي بيد مقلب القلوب، والقصد إقامة الحد لا التعيير والتثريب، ولا يأمن كرَّات القدر وسطوته إلا أهل الجهل بالله، وقد قال الله تعالى لأعلم الخلق به: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء:٧٤] وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣]. ا.هـ.

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلما تجد بالعلم معجبا وبما أدرك مفتخرا، إلا من كان فيه مقلا ومقصّرا؛ لأنه يجهل قدره، ويحسب أنه قد نال بالدخول فيه أكثره. =

* قال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ذنب أفتقر به إليه أحب إليَّ من عمل أُدِلّ به عليه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): أنا للقارئ الفاجر أخوف مني للفاجر المبرز بفجوره، إن هذا أبعدهما غرورًا. تهذيب الحِلْية ٤٢٤/ ١.

* وقال **هشام بن حسان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨): سيئة تسوؤك خير من حسنة تُعجِبك. عيون الأخبار ٣١٢/ ١.

* وقال **محمود الورّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي دَرَكَ الجِنَانِ بها وفوزَ العابِد

ونَسِيتَ أنّ الله أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنبٍ واحِدِ

عيون الأخبار ٧٤٠/ ٢.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كيف يعجب عاقل بعمله؟

= فأما من كان فيه متوجها، ومنه مستكثرا، فهو يعلم مِن بُعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته، ما يصدُّه عن العُجْب به.

ومما أُنذرك به من حالي أنني صنفت في البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أُعجب به وتصوّرت أنني أشدّ الناس اضطلاعا بعلمه، حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جوابا!

فأطرقت مفكرا، وبحالي وحالهما معتبرا، فقالا: ما عندك فيما سألناك جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: واهًا لك، وانصرفا.

ثم أتيا من يتقدّمه في العلم كثيرٌ من أصحابي فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه، فبقيت مرتبكا، وبحالهما وحالي معتبرا.

فكان ذلك زاجرَ نصيحة، ونذيرَ عظة، تذلّل لهما قِيادُ النفس، وانخفض لها جناحُ العجب، توفيقا مُنِحته ورشدا أُوتيته.

وحقٌّ على من ترك العُجب بما يحسن أنْ يدع التكلف لما لا يحسن، فقديما نهى الناس عنهما، واستعاذوا بالله منهما. أدب الدين (: ١٢٦-١٢٧)

وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل بأي شيء يعجب؟ تهذيب الحِلْية ١٨٧/ ٣.

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): احتقار الناس في نفسك مرض لا يُداوَى. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٣.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): لو كان الرجل يُصيب ولا يخطئ، ويُحمد في كل ما يأتي؛ داخَلَهُ العُجب. الآداب الشرعية ١/ ٤٧.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): إذا خِفت على عملك العجب؛ فاذكر رضا مَن تطلب، وفي أي نعيمٍ تَرغب، ومن أي عقابٍ تَرهب، فحينئذٍ يصغر عندك عملك. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقَالَ الْقَاضِي أَبُو طالب محمّد بن الْقَاضِي أَبِي جعفر بن البهلول رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كنت مع **أَبِي** (ت: ٣١٠) فِي جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه وإلى جانبه فِي الحُقّ[١] جالس **أَبُو جعفر الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠)، فأخذ أَبِي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعارا، ويروي لَهُ أخبارا، فداخله الطبري فِي ذلك ودأب معه، ثم اتسع الأمر بينهما فِي المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وعجبوا منها، وتعالى النهار، وافترقا.

فلمَّا جعلتُ أسير خلفه قَالَ لي أَبِي: يا بني هَذَا الشيخ الَّذِي داخلنا اليوم فِي المذاكرة من هو؟ أتعرفه؟ فقلت: يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فَقَالَ: لا، فقلت: هَذَا أَبُو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، فَقَالَ: تالله ما أحسنت عشرتي يا بني! فقلت: كيف يا سيدي؟ قَالَ: ألا قلت لي فِي الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة، هَذَا

---

(١) الحق: الأرض المطمئنة، ويطلق على مكان المأتم.

رجل مشهور بالحفظ، والاتساع فِي صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قَالَ: ومضت على هَذَا مدة، فحضرنا من حُقٍّ آخر، وجلسنا، فإذا بالطبري يدخل إلى الحُقِّ، فقلت لَهُ: قليلا قليلا أيها الْقَاضِي، هَذَا أَبُو جعفر الطبري قد جاء مقبلا، قَالَ: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت لَهُ حتى جلس إِلَى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إِلَى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتا، قَالَ أَبِي: هاتها يا أَبَا جعفر إِلَى آخرها، فيتلعثم الطبري فينشدها أَبِي إِلَى آخرها، وكلما ذكر أشياء من السير قَالَ أَبِي: كَانَ هَذَا فِي قصة فلان، ويوم بني فلان، مُر يا أَبَا جعفر فيه، فربما مر وربما تلعثم، فيمر أَبِي فِي جميعه حتى يشقه، قَالَ: فما سكت أَبِي يومه ذلك إِلَى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري عَنْهُ، ثم قمنا فَقَالَ لي أَبِي: الآن شفيت صدري.[1] تاريخ بغداد (٥/ ٥١).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة أضر على العصاة من تفريطهم. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

* وقيل في **منثور الحكم**: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء.

وقال **الشاعر**:

من شاء عيشًا هنيئًا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرنّ إلى من فوقه أدبًا ... ولينظرنّ إلى من دونه مالا

أدب الدين (١٢٦).

---

(١) شفى صدره بإظهار سعة اطلاعه، وقوة حفظه، وتفوقّه في هذا على الطبري!

وهذا من أمراض القلب، ولعل الله تعالى اطلع على سريرة الطبري فعلم أنه سالم من هذه الآفة، فبارك في علمه، ونشر فضائله، بخلاف ذلك الرجل فلا يكاد يُعرف.



ما قيل في العقل والعقلاء[1]

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله: ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر:٥] قال: الرجل ذو النُّهى والعقل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٩.

* وكان **ابن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يقول: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه. عيون الأخبار ٧٦/ ١.

* وقال **عمرو بنُ العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ليس العاقلُ مَنْ يعرفُ الخيرَ من الشرِّ، ولكن هو الذي يعرفُ خيرَ الشرَّين. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٣٦.

---

(١) العقل في اللغة: المنع والحبس، تقولُ: عقلتُ البعير، أي منعته عن الحركة وربطّتُه.

ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن سفاسف الأمور وأخطارِها، ويحبسه عن ذميم القول والفعل.

والعمل ثمرة العقل وفائدته، ولا عقل لمن لم يعمل بموجب ما دله إليه عقله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَقْلُ لَا يُسَمَّى بِهِ مُجَرَّدُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَا الْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ؛ بَلْ إنَّمَا يُسَمَّى بِهِ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك:١٠]. ا.هـ مجموع الفتاوى: ٩/ ٢٨٦- ٢٨٧

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: والْعَقْلُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، فَمَن عَرَفَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَلَمْ يَتَّبِعْ الْخَيْرَ وَيَحْذَرِ الشَّرَّ لَمْ يَكُن عَاقِلًا؛ وَلِهَذَا لَا يُعَدُّ عَاقِلًا إلَّا مَن فَعَلَ مَا يَنْفَعُهُ وَاجْتَنَبَ مَا يَضُرُّهُ. مجموع الفتاوى: (١٥/ ١٠٨)

والعقل يأتي ويوهب من أحد طريقين: الغريزة والفطرة، حيث ينشأ بعض الناس منذ صغره عاقلًا فطنًا.

والطريق الثاني: الاكتساب والتحصيل، وذلك عن طريق التجربة والخبرة، ومُجالسة العقلاء أو قراءة سيرهم.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما. تهذيب الحِلْية ٣/١٣٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٤.

* وقال **رجل** يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما ... يرى بصواب الرأي ما هو واقع

عيون الأخبار ١/٧٧.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلص منه، ولكن الرجل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

* وسئل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: حُسْنُ أدب.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيرُهُ.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: صَمتٌ طويل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٨.

* وعن **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه قال: ما أوتي عبدٌ بعدَ الإيمان أفضلَ من العقل.[1] صفة الصفوة ٣/ ١٥٩، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٧.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِن أجل الْأَشْيَاء موهبة الْعقل؛ فَإِنَّهُ الْآلَة فِي تَحْصِيل معرفَة الْإِلَه، وَبِه تضبط الْمَصَالح، وتلحظ العواقب، وتدرك الغوامض، وَتجمع الْفَضَائِل. الأذكياء: ٩.

* وقال **الشاعر**:

ويُخْبِرُنِي عنْ غائِبِ المَرءِ فِعْلُه ... كفى الفعلُ عمَّا غَيَّبَ المرءُ مُخبِرا

أدب الدين (١٢٨).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

لا يُدرِكُ المَجدَ إلاّ سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلى السّاداتِ فَعّالُ

ديوان المتنبي (١٩٢).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): لا يَنْبُل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: بالعفّة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): إني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه: أن الشيطان لم يكابد شيئًا أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيسخر بهم، حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى لا ينال منه شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣٧/ ٢.

* وكان **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠) يقول: ليس للأمور بصاحب من لم ينظر لها في العواقب. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٤).

* وكان **الخطيبُ البغدادي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣) يقولُ: من صَنّف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤١٣.

* وقال **بعض الحكماء**: من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله.

قال **ابن مفلح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٦٣): وهذا كلامٌ في غايةِ الحُسنِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٣٥.

* وقيل **لبعض الحكماء**: متى يكون الأدبُ شرًّا مِن عدمه؟ قال: إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وكانوا يكرهون أن يزيد مَنطِقُ الرجل على عقله. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* ويقال: من لم يكن عقلُه أغلبَ خصال الخير عليه كان حَتْفُه في أغلب خصال الخير عليه. عيون الأخبار ٣٨٠/ ١.

* وقيل **لقتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): أي الناس أغبط؟ قال: أعقلهم، قيل: أعلمهم؟ قال: أعقلهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٨.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لَدى الزّمَنِ ... يَخلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم من الفِطَنِ

ديوان المتنبي (٢٥٧).

* وعن عليّ بن غنام الكلابي قال: قال **عامر بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا عَقَلَك عقْلك عما لا ينبغي فأنت عاقل.

قال **علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما سمّي العقل عقلا من عقال الإبل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٢.

* وقال **الشاعر**:

ألا إنَّ خَيْرَ الْعَقْلِ ما حَضَّ أهْلَهُ ... علَى الْبِرِّ والتَّقْوى بَدْءًا وعَاقِبَهْ

ولا خَيْرَ في عَقْلٍ يَزِيغُ عنِ التُّقَى ... ويُشْغَلُ بالدُّنْيا الَّتي هيَ ذاهِبَهْ

المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وقال **بعض الحكماء**: أفضل العقل معرفةُ الرجل نفسه. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): العاقل من عقل الله عن عَزَّوَجَلَّ أمره، وليس من عقل تدبير دنياه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **بعض السلف**: جعل الله عَزَّوَجَلَّ رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقوِّيَهم على ذلك الصبر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

* وقال **بعض الحكماء**: لا ينبغي لعاقل أن يعرض عقله للنظر في كل شيء، كما لا ينبغي أنْ يضرب بسيفه كل شيء.[1] ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

* وقيل **للضحاك بن مزاحم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): يا أبا القاسم ما أعبدَ فلانا وأورعه واقرأه!.

قال: كيف عقله؟ قيل له: نذكر لك عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله؟.

قال: العاقل من عقل، إن الأحمق يصيب بحمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

* وقال **الشاعر**:

لكلّ امرئ شِكْلٌ من الناس مثلُه ... فأكثرهم شِكْلا أقلهم عقلا

وكلّ أناس آلفون لشِكلهم ... فأكثرهم عقلا أقلّهم شِكلا

لأنّ كثير العقل لسْتَ بواجد ... له في طريقٍ حين يسلكه مِثلا

وكلّ سفيهٍ طائشٍ إنْ فقدته ... وجدت له في كلّ ناحية عِدلا

أدب الدنيا والدين (٢٧٧).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: فضل المَقال على الفِعال منقصة، وفضل الفِعال على المَقال مكرمة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

---

(١) فإن من أضر الأشياء على العاقل أنْ يُقحم عقله في الخوض في كلّ صغير وكبير، وفيما يعنيه وما لا يعنيه، والصواب أنَّ تحكيم العقل البشري في الخوض في ذات الله وصفاته، وفيما دون ذلك من عالم الغيب كملائكته وعرشه وجنته وناره: طغيانٌ مِن العقل، وتجاوزٌ لحدوده، وقد نُهي عنه؛ صيانةً له، فإنَّ أكبر نُظَّار البشر وفلاسفتهم عقولا قد عجزوا إلى اليوم عن معرفة كُنْه أنفسهم وأنفس ما دونهم من المخلوقات، حتى الحشرات كالنحل والنمل، فأنَّى لهم أن يعرفوا كُنْه ذات الله وصفاته وأفعاله أو ملائكته؟. يُنظر تفسير المنار ١٢/ ١٣٦.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: التودد إلى الناس نصف العقل. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وقال بعض **الخلفاء** لجلسائه: من الغريب؟ فقالوا فأكثروا، فقال: الغريب هو الجاهل، أما سمعتم قول الشاعر:

يُعَدُّ رفيعُ القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكنْ في قومهِ[1] بحسيبِ

إذا حلَّ أرضًا عاشَ فيها بعقلهِ ... وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ

ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): لا خير في علم بلا عقل، ومِن ثَمَّ قيل: ما عَبَد الله تعالى مثل حليم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٩.

* وعن **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يرون حسن السؤال يزيد في عقل الرجل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٩.

* وقال **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧): التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٠.

* ودخل على **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) شيخ من أهله، فقال له: لو اشتغلت بمعاشك كان أعود عليك من هذا، فأنشأ الخليل يقول:

لو كنتَ تعقل ما أقول عذرتني ... أو كنتُ أعقلُ ما تقول عذَلْتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

ثم قال لأصحابه:

الرجال أربعة:

١- رجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك غافل فنبهوه.

٢- ورجل يدري ويدري أنه يدري؛ فذاك عاقل فاعرفوه.

---

(١) في الأصل: في فعله، وهو خطأ، وفي جميع المصادر الأخرى كمجمع الحكم والأمثال، وجواهر العرب: في قومه.

٣- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري؛ فذاك جاهل فعلموه.[١].

٤- ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك مائق[٢] فاحذروه.[٣].

المجالسة وجواهر العلم (٤٤)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.

* وصدق **القائل**:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

أدب الدين (١٣١).

* وقالَتْ **الْحُكماءُ**: لو جَرتْ الأقْسامُ على قَدرِ العُقُولِ لم تَعِش البهائِمُ.

فنظمَهُ **أبو تمَّام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٨) فقال:

يَنالُ الفتَى من عَيْشِهِ وهُوَ جاهِلُ ... ويُكْدِي الفتَى منْ دهْرِه وهُوَ عَالِمُ

ولو كانَت الأرْزاقُ تجرِي على الْحِجا ... هَلكْنَ إذًا من جَهْلِهِنَّ البهَائِمُ

أدب الدين (٨٥).

* وعن **ابن جريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) قال: قِوام المرء عقلُه، ولا دين لمن لا عقل له. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.

* وصدق **الشاعر**:

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أمانيه وتم بناؤه

* وقيل **لبعض الحكماء**: أوصنا بأمر جامع، قال: احفظوا وعُوا: **إنه ليس من أحد إلا ومعه قاضيان باطنان:**

أحدهما: ناصح.

والآخر: غاش.

(١) وهذا هو الجاهل البسيط، ومن السهل إقناعُه، ويتقبل النصح غالبا.

(٢) أي: أحمق.

(٣) وهذا هو الجاهل المركب، ومُجالستُه داء، والجدال معه حمق وتضييع وقت.

فأما الناصح: فالعقل.

وأما الغاش: فالهوى.

وهما ضدان، فأيهما مِلت معه وهَى الآخر.[١] ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٤.

* وقال **بعض أهل العلم**: كلام العاقل وإن كان يسيرًا: عظيمٌ. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٨.

* وكان يقال: عقل الرجل مدفون في لسانه. المجالسة وجواهر العلم (٥١٤).

* وقَالَ **بعض العرب**: أعون الأشياء عَلَى تذكية[٢] العقل التعلمُ، وأدلُّ الأشياء عَلَى عقل العاقل حسن التدبير. أمالي القالي ١/ ٢١٤.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن لا يستصغر شيئا من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنه من استصغر الصغير أوْشك أن يجمع إليه صغيرًا وصغيرًا، فإذا الصغير كبير، وإنما هي ثُلَمٌ[٣] يَثْلِمها العجز والتضييع، فإذا لم تُسَدَّ أوشكت أن تَنْفجر بما لا يطاق.

ولم نر شيئًا قط إلا قد أُتي من قِبَل الصغير المتهاوَن به، قد رأينا الملك يُؤتى من العدو المحتَقر، ورأينا الصّحة تؤتى من الداء الذي لا يُحْفل به، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به.

وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافِقا وإن ظن أنه على اليقين.

ولا يستخف ذو العقل بأحد.

وأحق من لم يُستَخَفّ به ثلاثة: الأتقياء، والولاة، والإخوان.

---

(١) حكمة عظيمة، والعاقل لا يُحكم القاضي الغاش.

(٢) أي: فِطْنته وذكائِه ونمائِه.

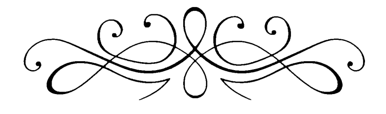
(٣) الثلم: جمع ثلمة، وهي الخلل في الجدار وغيره.

فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

ولا تجد العاقل يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِد بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يُعَنَّف برجائه، ولا يُقْدم على من يخاف العجز عنه.

ولا عقل لمن أغْفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يحرِمه حظُّه من الدنيا بصرُه بزوالها. الأدب الصغير (١٩-٤١).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن مِن تنكُّب[1] الأمور ما يسمى حذَرًا، ومنه ما يسمى خَوَرًا[2]، فإن استطعت أنْ يكون تجنبك من الأمر قبل مُوَاقعتك[3] إياه فافعل، فإن هذا هو الحذر، ولا تنغمس فيه ثم تتهَيَّبه، فإن هذا هو الخَوَر، فإن الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار قعْره. الأدب الكبير (١٢٤).



(١) التنكب: التباعد.

(٢) أي: ضعفًا.

(٣) أي: مداناتك ومباشرتك.



عناية السلف بالخواطر والأفكار(١)

....

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي: وأعلى الفِكَر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، **فما كان لله فهو أنواع:**

الأول: الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها، وفهمها، وفهم مراده منها، ولذلك أنزلها الله تعالى، لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة.

الثاني: الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وحكمته وإحسانه، وبره وجوده.

الثالث: الفكرة في آلائه وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة مغفرته ورحمته وحلمه.

الرابع: الفكرة في عيوب النفس وآفاتها، وفي عيوب العمل.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا.

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبا من حياته وإن عاش فيه عاش عيش البهائم.

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر فإما وساوس شيطانية، وإما أماني باطلة، وخدع كاذبة، بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والمحشوشين والموسوسين.

واعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته، فالخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك، وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره، وهو أخف شيء على النفس الفارغة بالباطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة. ا.هـ

واعلم أن أجل الصناعات: صناعة العقول والأفكار، فهي الأساس لكل عمل وصناعة.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشرف الصناعات: صناعة الفكر، وأرذلها: صناعة العمل، لأن العمل نتيجة الفكر، وهو مدبر به. أدب الدين ص ٣٤١.

فاحرص على صناعة عقلك وأفكارك بالعلم النافع والتأمل الصحيح.

* قال **مسروق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣): من راقب الله في خطرات قلبه: عصمه الله في حركات جوارحه. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٨.

* وقال **أبو تُراب النخشبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٥): احفظ همّك، فإنّه مُقَدِّمة الأشياء، فمن صحّ له هَمُّه صحّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله. ذم الهوى: ١٢١.

* وقيل **لسُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أيؤاخذ العبد بالهَمَّة! قال: إذا كانت عزمًا أخذ بها. تهذيب الحِلْية ٣٦٩/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إياكم رحمكم الله وهذه الأماني فإنه لم يعط أحد بالأمنية خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة.[١] الزهد للإمام أحمد / ٤٧٩.

* وقال **بعض السلف**: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال. تهذيب الحِلْية ٣٥١/ ٣.

* وقال **بعضهم**: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. تهذيب الحِلْية ٤٤٥/ ٣.

* وقالَ **الشاعر**:

مَـنْ كانَ مَرْعـى عَزْمِـهِ وهُمُومِـهِ ... رَوضَ الأمانِـي لـم يَـزلْ مَهـزُولا

أدب الدين (٣٦٣).

* وقال **الآخر**:

ولَا تَكُن عَبدَ الْمُنى فَالْمُنَى ... رُؤُوسُ أَمـوالِ المَفَالِيـسِ

الدر الفريد وبيت القصيد (١٠/ ٤٥٦).

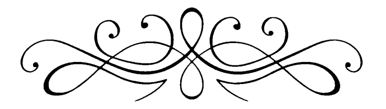
---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما قَطَعَ العَبدَ عن كمالِه وفلاحِه وسعادتِه العاجِلَةِ والآجِلَةِ قاطعٌ أعظمُ من الوَهمِ الغالبِ على النَّفسِ والخيالِ الذي هو مركبُها ـ بل بحرُها ـ الذي لا تنفَكُّ سابحَةً فيه، وإنَّما يُقطَعُ هذا العارضُ بفكرَةٍ صحيحةٍ وعزمٍ صادقٍ يُميِّزُ به بينَ الوَهم والحقيقَةِ. مفتاح دار السعادة ١ / ٥٤٠.

* وصدق القائل:

إذا الْهَـمُّ أمْسَـى وهْـوَ دَاءٌ فأَمْضِـهِ ... ولَسْـتَ بِمُمْضيـهِ وأنْـتَ تُعاذِلُـهْ(١)

وقُـل لِلْفُـؤادِ إنْ تَجِـدْ بـك ثَـورَةً ... مِن الرَّوعِ ابْشرْ أكْثَرُ الرَّوعِ بَاطِلُهْ(٢)



---

(١) أي: تلومه وتُعاتبه.

(٢) ثبت أنّ سبعين إلى تسعين بالمائة من التوقعات السيئة لا تقع، وتقل نسبة وقوع وحدوث التوقعات السيئة حسب حسن ظنّ العبدِ وثقته بربه تعالى، وحسب تعاملِه مع الحدث، ورجاحة عقله، وثقتِه بنفسِه.

فإن كان حسن التعامل مع المصائب والمشاكل، راجح العقل، حسن الظنّ بربه، قويّ الثقة به ثم بنفسِه: قلّت نسبة وقوع التوقعات السيئة.

وإن كان عكس ذلك ارتفعت نسبة وقوع التوقعات السيئة.



حفظ السمع عن الحرام[1]

....

(١) ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٥٥٩٠) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ».

وإنما قال ذلك على وجْه الذَّمِّ لهم وأنَّ الله مُعاقبُهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْوَاعٍ مِن اللَّهْوِ فِي الْعُرْسِ وَنَحْوِهِ، كَمَا رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَفْرَاحِ.

وَأَمَّا الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُن أَحَدٌ مِنْهُم يَضْرِبُ بِدُفٍّ وَلَا يُصَفِّقُ بِكَفٍّ، بَل قَد ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ»، «وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِن النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ. والمتشبهين مِن الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ».

وَلَمَّا كَانَ الْغِنَاءُ وَالضَّرْبُ بِالدُّفِّ وَالْكَفِّ مِن عَمَلِ النِّسَاءِ كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِن الرِّجَالِ مُخَنَّثًا، وَيُسَمُّونَ الرِّجَالَ الْمُغَنِّينَ مَخَانِيثَ، وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي كَلَامِهِمْ.

فَأَمَّا الْمُشْتَمِلُ عَلَى الشَّبَّابَاتِ وَالدُّفُوفِ المصلصلة فَمَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ تَحْرِيمُهُ. مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦٥-٥٦٦)، (١١/ ٥٣٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه على الحديث: ووجه الدلالة منه: أنَّ المعازف هي آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك، ولو كانت حلالا لما ذمهم على استحلالها، ولمَا قرن استحلالها باستحلال الخمر والحر، وهو الفروج الحرام.

ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه: أنه من شعار الفساق وشاربي الخمور.

فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته. إغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٦- ٣٦٣.

وقد نقل أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشّبابة والغناء، فقال: أما إباحة هذا السماع وتحليله فليُعلم أنَّ الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحدٍ ممن يُعْتَدُّ بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع.

والخلافُ المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة والدفع منفردا.

ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد. فتاوى ابن الصلاح ٢/ ٥٠٠.

* قال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): الغناء ينبت النفاق في القلب. جامع معمر بن راشد (١٩٧٣٧).

* وقال **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣): أخبث الكسب كسب الزمارة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٨.

* وذُكِر عند **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) الغناءُ والسلوُّ عنه، فقال لهم: أخبروني، إذا مُيِّزَ أهلُ الحقّ وأهلُ الباطل ففي أيّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل قال: فلا حاجة لي فيه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤، عيون الأخبار ٤/ ٣٧٧.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): لعن الله المغني والمغنى له. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): الغناء رقية الزنا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٤.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة[1]، ورنة عند مصيبة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٦.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الدف من سنة المسلمين في شيء. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: في قول الله تعالى ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء:٦٤] قال: المزمار، ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء:٦٤] قال: كل راكب ركب من معصية الله فهو في خيل إبليس، وكل رِجْل سعت في معصية الله فهي في رجل إبليس. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٨٩.

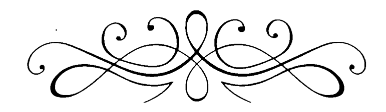
* وكان **أصحاب ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذون بأفواه السكك يخرقون

---

(١) في الأصل: نغمة، والمثبت هو الصواب.

الدفوف التي مع الجواري، كانوا يقفون في رؤوس الدروب لإزالة هذا المنكر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩٠.

* وسمع **ابن عقيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حَدَاها الحادي إلى الله بالأناشيد! فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تحْدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢] وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت، فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنه، ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون. تلبيس إبليس: ٢٨١.





حفظ البصر عن الحرام[1]

* عن **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: إذا مرت بك امرأة فاغمض عينيك حتى تجاوزك. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* ودخل رجل مع **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) بيت رجل، فجعل الرجل

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: محبة الإنسان للشيء الجميل من الصورة والنظر إليه، وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى العشق؛ فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة، مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حبا معتدلا، أو يحب ما لا فتنة فيه كحبه للجميل من الدواب والثياب، ويحب ولده وأباه وأمه ونحو ذلك من محبة الرحم، كنوع من الجمال الحب المعتدل: فهذا حسن.

أما إذا أحب النساء الأجانب أو المردان ونحو ذلك: فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية، وليس في ذلك مجرد محبة الجمال، والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها، وتوابعها منهيٌّ عنها مع ذلك، سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى، أو كانت للتمتع بالنظر والسماع وغير ذلك.

فالتمتع مقدمات الوطء، فإن كان الوطء حلالا حلت مقدماته، وإن كان الوطء حراما حرمت مقدماته، وإن كان في ذلك رفض للجمال، كما فيه رفض للذة الوطء المحرم؛ فإن ما في ذلك مما يبغضه الله ويمقت عليه أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن، وذلك متضمن لتفويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب الجمال؛ فلهذا كانت هذه مذمومة منهيا عنها، حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة، وبغير لذة وشهوة إذا خاف الناظر الفتنة، والفتنة مخوفةٌ في النظر إلى الأجنبية الحسنة، والأمرد الحسن في أحد قولي العلماء الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وهذا قد يختلف باختلاف العادات والطبائع، وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز. الاستقامة: ٣١٧.

ينظر إلى امرأة في البيت، فقال له ابن مسعود: لأن تُفقأ عيناك خيرٌ لك مما أراك تصنع. الزهد لهناد (١٤٢١).

* وخرج **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦) إلى العيد، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيدًا أكثر نساء منه؟ قال: ما تلقتني امرأة حتى رجعت. تهذيب الحِلْية ١/٤٧١.

* وعن موسى الجهني قال: كنت مع **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) في طريق، فاستقبَلَنا امرأةٌ فنظرنا إليها جميعا، ثم إن سعيدا غض بصره ونظرت أنا، فقال: الأولى لك والثانية عليك. الزهد لهناد (١٤١٨).

* وعن **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل شهوة في القلب.[1] الزهد لأحمد: ٤٣٦.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: رب نظرة أوقعت في قلب صاحبها شهوة، ورب شهوة أورثت صاحبها حزنًا طويلًا. الزهد لأحمد: ٤٧٩.

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب. تهذيب الحِلْية ٢/٤٨٦.

* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٤/ ٣١٢-.

وكنتَ متى أرسلتَ طرْفَك رائدًا ... لقَلْبك يومًا أتعبتْكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) يغضّ بصره، فمرّ به نسوة، فأطْرَقَ

---

(١) إذا كان مَن أتبع بصره رداء المرأة قد تجعل الشهوة في قلبِه: فكيف بمن يُقلب بصره في عورات النساء، وينظر إلى محاسنهن في مواقع التواصل وغيرها؟

فالنظر إلى النساء الفاتنات من أعظم أسباب استيلاء الشهوة على القلب، وحرمانِ نور العلم والقرآن أن يلج إليه.

حتى ظنَّ النسوةُ أنّه أعمى، فتعوَّذنَ بالله من العمى؟!. ذم الهوى: ٨٦.

* وقال أبو بكر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت **لأبي عبد الله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رجل تاب وقال: لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله، إلا أنّه لا يدع النّظر؟! فقال: أيّ توبة هذه!. ذم الهوى: ٨٢.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان في عصرنا **أبو الحسن بن أحمد الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يمشي إلاّ وعلى رأسه طرْحة، ليكفّ بذلك بصره عن الانطلاق.[1] ذم الهوى: ٨٥.

* ومرّت **أعرابيّةٌ** بقوم من بني نُمَير، فأداموا النظرَ إليها، فقالت: يا بني نُمَير، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين: لا بقول الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠] ولا بقول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ ... فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلاَبا

فاستحيا القومُ من كلامها وأطرقوا. عيون الأخبار ٤/ ٣٧٢.

* ويقال: ربّ طَرْفٍ أفصحُ من لسانٍ. عيون الأخبار ٤/ ٣٧٢.

* وعن **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: كانوا يكرهون فضول النظر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٤.

---

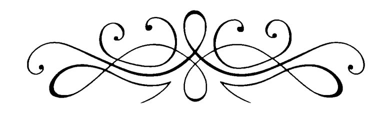
(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم وفّقك الله، أن البصرَ صاحبُ خبرِ القلب ينقل إليه أخبار المُبْصَرَات، وينقشُ فيه صورها فيجول فيها الفِكر، فشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة.

ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب، أَمَرَكَ الشرعُ بغضّ البصر عمّا يُخاف عواقبه، فإذا تعرَّضْتَ بالتّخليط وقد أُمِرْتَ بالحِمْية فوقَعْتَ إذًا في أذًى فلِمَ تضجُّ منْ أليم الألم!
قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. ثم أشار إلى مسبب هذا السبب، ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. ذم الهوى: ٨٠.

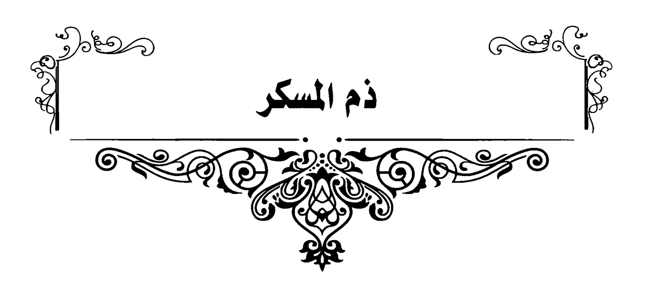
* وعن وكيع قال: خرجنا مع **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لا تنظروا إلى مراكبهم، فإن النظر إليه يطفئ نور الإنكار عليهم. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٦.

* وقال **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة، فإن النظر يجعل الشهوة في القلب. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٧.



ذم المسكر



* قام **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على منبر المدينة فقال: إن الخمر حرمت يوم حرمت وهي من خمسة: من العنب، والعسل، والتمر، والحنطة، والشعير، والخمرُ ما خامر العقل. صحيح البخاري (٤٦١٩)، صحيح مسلم (٣٠٣٢).

* وقال **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إياكم والخمر، فإنها مفتاح كل شر، أُتي رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تسجد لهذا الصليب، وإما أن تفجر بهذه المرأة، وإما أن تشرب هذه الكأس، فلم ير شيئا أهون عليه من شرب الكأس، فشرب الكأس، ففجر بالمرأة، وقتل الصبي، وحرق الكتاب، وسجد للصليب، فهي مفتاح كل شر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٥٤.

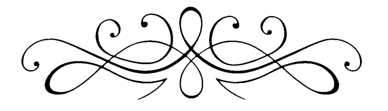
* وقيل **للعباس بن مرداس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) بعدما كبر: ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد من جرأتك ويقويك؟ قال: أُصبح سيد قومي وأُمسي سفيههم؟ لا والله، لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبدا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٥.

* وقال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن عبد الله القراطيسي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: شرب **رجل** نبيذا فسكر، فنام عن العشاء الآخرة، فجعلت ابنة عم له تنبهه للصلاة، وكان لها دين وعقل، فلما ألحت عليه حلف بطلاقها البتة ألا يصلي ثلاثا، ثم عقد يمينه، فلما أصبح كبر عليه فراق ابنة عمه، فظل يومه لم يصل وليلته، ثم أصبح على ذلك، وعرضت له علة فمات، وفي نحو هذا يقول القائل:

أتأمـن أيهـا السـكران جهـلا بـأن تَفجـاك في السـكر المنيـة
فتضْحـى عِبـرة للنـاس طُـرًّا وتلقـى الله مـن شـر البريَّـة

ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٧.

* وقال **بعض السلف**: لو كان العقل يُشترى، لتغالى الناس في شرائه، فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يُذهب بعقولهم!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦٧.





كتمان السر

* قال **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما استودعتُ رجُلًا سرًّا فأفشاه فلمتُه، لأني كنت أضيق صدرًا حين استودعته. عيون الأخبار ٨٢ / ١، ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٥.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٤.

* وكانت الحكماء تقول: سِرّك من دمك، والعرب تقول: من ارتادَ لسره موضِعًا فقد أذاعه. عيون الأخبار ٨٠ / ١.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٨٢ / ١.

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرَّها فسرُّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

* وكان يقال: من ضاق قلبه اتسع لسانه. عيون الأخبار ٨٢ / ١.

* وقال **ذو النون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦): صدور الأحرار قبور الأسرار. تهذيب الحِلْية ٢٣٦/ ٣.

* وقال **بعض الأدباء**: من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَـرْءُ أَفْشَـى سِـرَّهُ بِلِسَـانِهِ وَلَامَ عَلَيْـهِ غَيْـرَهُ فَهُـوَ أَحْمَـقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

أدب الدين (٤٩٥-٤٩٦).



المزاح، وآدابه(١)

* قال **سعيد بن العاص** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٧) لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيّ فيجترئ عليك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٠.

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢): من كثر كلامه وضحكه ومزاحه: قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عُرف به. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

---

(١) المزاح هو الدعابة، **وهو قسمان:**

١- مزاح منضبط، بحيث يتبسّط المازح للناس ويليّن جانبه معهم، فهذا محمود باتفاق العقلاء والعلماء، وهو من أجمل ما تحلّى به المسلم لا سيما أهل العلم والفضل.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: مَا قُرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ ظَرْفٍ إِلَى صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَسِرٍّ مَعَ اللهِ وَجَمْعِيَّةٍ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَذَا الشَّأْنِ تَضِيقُ نَفْسُهُ وَأَخْلَاقُهُ عَنْ سِوَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، فَتَثْقُلُ وَطْأَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ وَجَلِيسِهِ، وَيَضِنُّ عَلَيْهِ بِبِشْرِهِ، وَالتَّبَسُّطِ إِلَيْهِ، وَلِينِ الْجَانِبِ لَهُ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّهُ لَمَعْذُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بِمَشْكُورٍ.

فَإِذَا تَمَكَّنَ الْعَبْدُ فِي حَالِهِ وَصَارَ لَهُ إِقْبَالٌ عَلَى اللهِ وَجَمْعِيَّةٌ عَلَيْهِ -مَلَكَةً وَمَقَامًا رَاسِخًا-: أَنِسَ بِالْخَلْقِ وَأَنِسُوا بِهِ، وَانْبَسَطَ إِلَيْهِمْ، فَعَكَفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ لِلُطْفِهِ وَظَرْفِهِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَنْفِرُونَ مِنَ الْكَثِيفِ - أي الثقيل - وَلَوْ بَلَغَ فِي الدِّينِ مَا بَلَغَ.

وَلِلَّهِ مَا يَجْلِبُ اللُّطْفُ وَالظَّرْفُ مِنَ الْقُلُوبِ، وَيَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَيُسَهِّلُ لَهُ مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِهِ، فَلَيْسَ الثُّقَلَاءُ بِخَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا ثَقُلَ أَحَدٌ عَلَى قُلُوبِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَّا مِنْ آفَةٍ هُنَاكَ، وَإِلَّا فَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَكْسُو الْعَبْدَ حَلَاوَةً وَلَطَافَةً وَظَرْفًا، فَتَرَى الصَّادِقَ فِيهَا مِنْ أَحْلَى النَّاسِ وَأَلْطَفِهِمْ وَأَظْرَفِهِمْ، قَدْ زَالَتْ عَنْهُ ثَقَالَةُ النَّفْسِ وَكُدُورَةُ الطَّبْعِ، وَصَارَ رُوحَانِيًّا سَمَائِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَيَوَانِيًّا أَرْضِيًّا، فَتَرَاهُ أَكْرَمَ النَّاسِ عِشْرَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَلْطَفَهُمْ قَلْبًا وَرُوحًا، وَهَذِهِ خَاصَّةُ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهَا تَلْطُفُ وَتَظْرُفُ وَتَنْظُفُ. ا.هـ مدارج السالكين ٣/ ٧٢٩-٧٣٠

٢- مزاح غير منضبط، إما بذاته أو بصفاته أو وقته، فهذا مذموم، وما نُقل من ذمّ المزح فيُقصد به هذا القسم.

* وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك. تهذيب الحِلْية ٤٩٧/١، ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

* وقال بعضهم:

أَفْدِ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً ... يُجَمُّ وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ

ولَكِنْ إذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ ... بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنْ الْمِلْحِ

البداية والنهاية ١١/ ٣٦٤.

* وقال مسعر بن كدام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٥) لابنه:

إني نحلتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أبٍ عليك شفيق

أما المُزاحة والمِراء فدعهما ... خُلُقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما فلم أحمَدْهما ... لمجاورٍ جارًا ولا لرفيق[1]

ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): اتقوا الله، وإيَّاي والمزاحة؛ فإنها تورث الضغينة، وتجر القبيحة، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٩.

* وكان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤١.

* وكان يقال: المزاح مسْلَبة للبهاء، مقطعة للصداقة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٢.

* وقال بعض البلغاء: من قلَّ عقله كثر هزلُه.

---

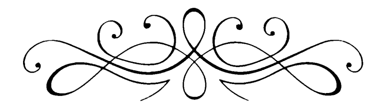
(١) الإفراطُ في المزاحِ والجدال أقْصَرُ طريقٍ لجلب العداوة، وتمزيقِ رباط الأُخوَّة والصداقة، فكم وقعت بسببهما الفرقةُ بين الأقارب والأصدقاء، وشُتِّتَ شملُ المتحابين والأخلاء، وعن طريقهما حلَّ الحزنُ والوحشةُ في القلوب، ووقع الناس في الآثام والذنوب.

وقال الشاعر:

إنَّ الْمِـزَاحَ بَـدْؤُهُ حَـلَاوَهْ ... لَكِنَّمَـا آخِـرُهُ عَـدَاوَهْ

يَحْقد مِنْـهُ الرَّجُلُ الشَّـرِيفُ ... وَيَجْتَـرِي بِسُـخْفِهِ السَّـخِيفُ

أدب الدين (٥٠٢-٥٠٣).



إجمام النفس وترويحها[1]



* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إنه هذه القلوب تمَلّ كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اسْتَبْق نفسك ولا تكرِهْها؛ فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي.[2] ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن للقلوب شهوة وإقبالًا، وإن للقلوب فترة وإدبارًا،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السرور والفرح يبسط النفس ويُنَمِّيها، ويُنْسِيها عيوبَها وآفاتَها ونقائصَها، إذ لو شهدت ذلك وأبصرته: لشغلها ذلك عن الفرح.
والفرح بالنعمة قد ينسيه المُنْعِم، فيشتغل بالخَلْعة التي خلعها عليه عنه، فيطفح عليه السرور، حتى يغيب بنعمته عنه، وهنا يكون المكر إليه أقرب من اليد للفم.
ومما يدل على أن الفرح من أسباب المكر مالم يقارنه خوف: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤]
وقال قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص:٧٦].
فالفرح متى كان بالله، وبما مَنَّ الله به، مقارِنًا للخوف والحذر: لم يضرَّ صاحبه، ومتى خلا عن ذلك: ضره ولا بُدَّ. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٦٠٨

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قول ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، **وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين:**
إما كل يوم مع عدم التكلف.
وإما يوما بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإما يوما في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط. فتح الباري ١/ ٢١٤

فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».[(١)] الزهد لابن المبارك (١٠٤٢)، صفة الصفوة ١/ ١٩٠ واللفظ له.

* وقال **أبو الدّرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأستجمُّ نفسي بشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحقِّ. الكامل في اللغة / ٤٨٩.

* وقال عبد الله بن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُمَا اللَّهُ لأبيه (ت: ١٠١) يومًا: يا أبة، إنك تنام نوم القائلة، وذو الحاجة على بابك غير نائم؟ فقال له: يا بنيَّ، إنّ نفسي مطيّتي، فإن حملت عليها في التعب حسرتها.[(٢)] الكامل في اللغة / ٤٩٠.

* وقال **بعض السلف**: روِّحوا القلوب تعي الذكر. أخبار الشيوخ (٣٤٦).

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): مكتوب في حكمة آل داود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يلقى فيها إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذَّاتها فيما يحلّ ويَجْمُل؛ فإنَّ في هذه الساعة

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أخبر النبي ﷺ (إن لكل عامل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة) فالطالب الجاد لا بُدَّ أن تعرض له فترة فيشتاق في تلك الفترة إلى حاله وقت الطلب والاجتهاد.
فتَخَلُّلُ الفترات للسالكين أمرٌ لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم: رُجي له أن يعود خيرًا مما كان.
وفي هذه الفترات والغيوم والحُجب التي تعرض للسالكين من الحِكم مالا يعلم تفصيله إلا الله، وبها يتبين الصادق من الكاذب. فالكاذب: ينقلب على عَقِبَيْه، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه، والصادق: ينتظر الفرج ولا ييأس من رَوْح الله، ويلقي نفسه بالباب طريحًا ذليلًا مسكينًا، كالإناء الفارغ الذي لا شيء فيه البتة ينتظر أن يضع فيه مالك الإناء وصانعه ما يَصلح له، فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام: فاعلم أنه يريد أن يرحمك ويملأ إناءك، فإن وضعت القلب في غير هذا الموضع: فاعلم أنه قلب مضيع، فسل ربه ومن هو بين أصابعه أن يرده عليك ويجمع شملك به. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٦٣٨-٦٤٠.

(٢) أي: بلغت بها أقصى غاية الإعياء.

عونًا على تلك الساعات، وفضلَ بلغة واستجماعًا للقلوب. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦، ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧١.

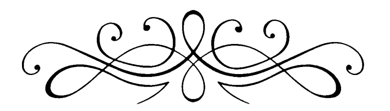
* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) أنه رخص في قمار البيض للصبيان، وكان **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يكرهه، وكان **ابن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) لا يرى بأسا بكسر البيض الذي يتقامر به الصبيان.

قال **ابن أبي الدنيا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨١): وكذلك **الحسن** إنما رخص في هذا لأنه رأى الصبيان غير مكلفين، فلم ير لفعلهم أثرا في التحريم، بخلاف البالغين فإن قمارهم معصية، وما يكسبونه به حرام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٩٤.

* وقال أَبُو الفرج بن الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الفقيه الزاهد **أَبُو منصور عبد العزيز بن ثابت البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٦) لَطيفًا في صُحبته، خرجنا نزور قبر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم عَدَلنا إلى الشطّ، فنزل الفقهاء يسبحون في الشط، فقالوا للشيخ أبي منصور: انزل معنا، فنزع ثوبه، ونزل يسبح معهم، **ولعبوا في الماء، فعمل مثلهم**، فقال له بعض الفقهاء: أين الشيخ محمد النعَّال يبصرك؟.

فقال: يا مسكين، الحقُّ تعالى يُبصرنا، فطاب بعض الجماعة بقوله. ذيل الطبقات (٢/ ٤٥٥).

* وقال بعضهم: التَّوقُّر في النزهة مثل التَّبذُّل في الحفلة.[1] طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٨٠).



---

(١) الحفلة: الجمع الكثير.



موقف السلف من الرخص والأخذ بها[1]

* قال **سليمان التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣): لو أخذت برخصة كل عالم - أو زلة كل عالم - اجتمع فيك الشر كله. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابنِه: حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عَزَّوَجَلَّ وأنا أحسن الظنّ به. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ١.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٢.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرخصة نوعان:

١- الرخصة المستقرة المعلومة من الشرع نصا، كأكل الميتة والدم عند الضرورة، فليس في تعاطي هذه الرخصة ما يوهن رغبته، ولا ينقص طلبه وإرادته البتة.

٢- رخص التأويلات واختلاف المذاهب، فهذه تتبعها حرام. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٢٥٤

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يستدل بهذا - أي في حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»- على أن الخروج من اختلاف العلماء أفضل لأنه أبعد عن الشبهة، ولكن المحققين من العلماء من أصحابنا وغيرهم على أن هذا ليس هو على إطلاقه، فإن من مسائل الاختلاف ما ثبت فيه عن النبي ﷺ رخصة ليس لها معارض، فاتباع تلك الرخصة أولى من اجتنابها... وإن كان للرخصة معارض إما من سنة أخرى أو من عمل الأمة بخلافها، فالأولى ترك العمل بها، وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ من الناس واشتهر في الأمة العمل بخلافها في أمصار المسلمين من عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإن الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين، فإن هذه الأمة قد أجارها الله أن يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق وما عداه فهو باطل. جامع العلوم والحكم: ١٤٣-١٤٤



ما قيل في الزمان[1]

* قال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم. تهذيب الحِلْية ٣٥٠/ ١.

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: عقول الناس على قدر زمانهم. تهذيب الحِلْية ٣٦١/ ١.

* وصدق **القائل**:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمانَ بغير جرم ... ولو نطق الزمانُ إذًا هجانا

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧): كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء واتخاذ مصانع، وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضًا عن البناء والمصانع، فولي سليمان، وكان صاحب نكاح وطعام، وكان الناس يلتقون فيسأل الرجل الرجل عن التزويج والجواري، فلما ولي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ المنتظم ٢٦٨-٢٦٩/ ٦.

---

(١) صح عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**». رواه البخاري (٧٠٦٨)، والعاقل لا ينشغل بانتقاد زمانِه وعيبِه، ومقارنتِه بالأزمان الماضية.
وثبت في الواقع أنّ الناس يتوجهون غالبا على حسب توجيهات ملوكهم وحُكامهم، والعاقل لا ينبغي له أن ينجرف مع من انجرف، بل يجب عليه أن يعمر وقته بما ينفعه، ويدع تتبّع الأخبار والقيل والقال.



ما قيل في المساجد[1]

* سمع عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣) صوت رجل في المسجد فقال: تدري أين أنت؟ الزهد لابن المبارك (٣٨٦).

* وقال معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ١٨): «من رأى أن من في المسجد ليس في الصلاة إلا من كان قائما يصلي، فإنه لم يفقه». الزهد لابن المبارك (٣٩٢).

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن المساجد طهرت من خمس: من أن تقام فيها الحدود،

(١) للمساجد حرمة عظيمة، ومكانة شريفة، يجب مُراعاتها، وتعاهدها وتطهيرها من الدنس، واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها.
ولا يجوز تمكينُ الأطفال من اللعب ورفعِ الأصوات الصاخبة فيها، ويتأكد ذلك: إذا كان ذلك أثناءَ صلاةِ الفريضة، **فقد اجتمع في لعبهم وصراخهم محذوران:**
الأول: امتهانُ حرمة المسجد.
والثاني: أذى المصلين وإفسادُ خشوعهم.
وقد ذكر أهل العلم رَحِمَهُمُٱللَّهُ، أنه لا يجوز تعليم القرآن في المسجد، إذا كان فيه ضرر على المسجد وأهله.
قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ: تعليم القرآن في المسجد لا بأس به إذا لم يكن فيه ضرر على المسجد وأهله بل يستحب تعليم القرآن في المساجد. الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٤٢
وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ في أحداث سَنَة ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، أنه اسْتُفْتِيَ عَلَى مُعَلِّمِي الصِّبْيَانِ أَنْ يُمْنَعُوا مِنَ الْمَسَاجِدِ صِيَانَةً لَهَا، وحفظًا لِمَكانَتِها، وَلَمْ يُسْتَثْنَ مِنْهُمْ سِوَى رَجُلٍ كَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا، يَدْرِي كَيْفَ تُصَانُ الْمَسَاجِدُ، واجتهد في تربية طلابه على احترمها وعدم العبث فيها، وَاسْتَدَلَّ الْمُفْتِي بِقَوْلِهِ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**».
والْخَوْخَةُ هِيَ الْبَابُ الصَّغِيرُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ. البداية والنهاية (١٦/ ١١٦)

وأن يقتص فيها الجراح، وأن ينطق فيها بالأشعار، أو ينشد فيها الضالة، أو تتخذ سوقا. الزهد لابن المبارك (٣٩٤).

* وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قال: ما من رجل يغدو إلى المسجد بخير يتعلمه أو يُعَلّمه إلا كتب الله له أجر المجاهد ولا ينقلب إلا غانمًا. الزهد لأحمد: ٢٥٤-٢٥٦.

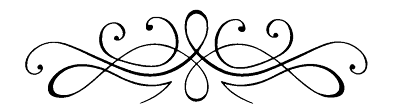
* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: يأتي على الناس زمان يجتمعون في المسجد، ليس فيهم مؤمن. الزهد لوكيع (٢٧١).

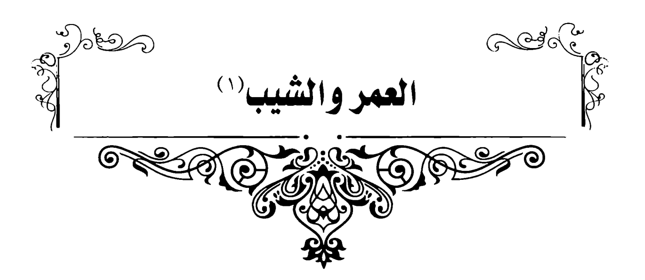
* وعن **أبي إدريس الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: المساجد مجالس الكرام. تهذيب الحِلْية ٢/١٦٢.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كانوا يمسكون عن ذكر النساء وعن الخنا في المساجد. تهذيب الحِلْية ٢/٢٦٦.

* ورأى **عطاء بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) رجلًا يبيع في المسجد فدعاه فقال: هذه سوق الآخرة فإذا أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا. الزهد لأحمد: ٥٣١.

* وعن **عمرو بن ميمون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥) قال: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره. تهذيب الحِلْية ٢/٧١.





العمر والشيب[1]

* عن **يحيى بن سعيد القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: بلغنا أنه من أهان ذا شيبة: لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شيبه إذا شاب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٠.

* ودخل قوم على **أعرابي** يعودونه، فقال له بعضهم: كم أتى عليك؟ قال: خمسون ومائة سنة، فقالوا: عمر والله، فقال: لا تقولوا ذاك، فوالله لو استكملتموها لاستقللتموها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦١.

* وقال **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): ما أسرع هذه الأيام في هدم عمرنا، وأسرع هذا العام في هدم شهره، وأسرع هذا الشهر في هدم يومه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) يضع يده تحت لحيته، ثم يميلها إلى وجهه، ثم ينظر إليها فيبكي، ويقول: إلهي ارحم شيبتي. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٣.

* وعن **بعض التابعين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين

---

(١) مرحلة الشباب مرحلةٌ صعبةٌ على الإنسان، وأكثر من انحرف وافتُتن من الشباب، لضعفِ عقولهم وثوران عواطفهم، ومن تجاوزها وسَلِم من الأهواء والبدع فليحمد الله، وقد كان بعض السلف إذا رأى الشيب قال: مرحبًا بالحلم والعلم، الحمد لله الذي أخرجني من الشباب سالِمًا. وكلّما طال عمر المؤمن ازداد خيرًا ورفعةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»**. رواه مسلم (٢٦٨٢)

سنة تفرغ للعبادة.[1] الزهد لهناد (٦٧١).

* واعتم[2] **شهر بن حوشب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) وهو يريد سلطانا يأتيه، ثم أخذ المرآة ينظر في وجهه وعمامته، فنظر إلى لحيته فرأى شيبةً فأخذها بيده، ثم نقض عمامته، وهو يقول: السلطان بعد الشيب، السلطان بعد الشيب.[3] ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٩.

* واعتمّ **إياس بن قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣)، وهو يريد بشْر بن مروان، فنظر في المرآة، فإذا بشيبةٍ في ذقنه، فقال: أفلِيها يا جارية. ففلَتْها فإذا هي بشيبة أخرى، فقال: انظُروا مَن بالباب مِن قومي فأدخلوه، فأُدخلوا عليه، فقال: يا بني تميم إني قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فَهبوا لي شيبتي، ألا أراني حميّر الحاجات، وهذا الموت يقرب مني، ثم نقض عمامته فاعتزل يؤذن لقومه ويعبد ربه، ولم يغش سلطانًا حتى مات. صفة الصفوة ٣/ ١٥٤.

* وقد قال **أحد أمراء بني أمية**: تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس، ثم تركتها حياء من الله، عَزَّوَجَلَّ.

وما أحسن قول **الشاعر**:

صَبا ما صَبا حتى علا الشَّيبُ رأسَهُ ... فلمَّـا عـلاهُ قـال لِلْباطِـلِ ابْطُـل

تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨١).

---

(١) أي: إذا بلغ أربعين سنة اجتهد في عبادة الله وجعَلها أهمّ أعماله، ولا يعني ذلك انقطاعه عن الناس، وتركَ شؤون أهله وولده.

وقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف:١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه إرشادٌ لمن بلغ الأربعين أن يُجَدِّد التوبة والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويعزم عليها. ا.ه تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨١)

(٢) أي لبس عمامته.

(٣) والشيب يبدأ غالبا من سنّ الأربعين، فلذلك لمّا رأى الشيب تفرغ للعبادة وقلّل انشغاله بالناس، كما هو حال أكثر السلف الصالح.

* وقال **عبد الله بن داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَه، وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر إلى الفجر قال: عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى. عيون الأخبار ٦٧٧ / ٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): إن اغتممت بما يَنقُص من مالك، فابْكِ على ما ينقص من عُمرك. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

* وقال **بعض السلف**: إنما يحب البقاء من كان عمره له غُنْما، وزيادة في عمله، فأما من غَبن عمرَه، واستنَّ له هواه، فلا خير له في طول الحياة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٤.

* وقال **الشاعر**:

وما أقبح التفريط في زمن الصبا … فكيف به والشيب في الرأس نازل

أدب الدين (٢٠٣).

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩): من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيب. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٦٤.

* وقال **الشاعر**:

رأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنايا … لِصاحِبِهِ وحَسْبُكَ مِنْ نَذيرٍ

المجالسة وجواهر العلم (٥٦٦).

* وكان **أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٩) إذا أراد أن يقوم تمثل أبيان أبي الطيخان القيني:

حنَتْني حانياتُ الدهر حتى … كأني خاتِلٌ يَدْنو[1] لصيدِ

قريبُ الخَطو يحسب من رآني … -ولست مقيدا- أني بقيد

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧٠.

---

(١) في الأصل: بدنو، وهو خطأ مطبعي.

* وقَالَ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما شَبَّهتُ الشباب إلا بشيء كان فِي كُمِّي فسقط. طبقات الحنابلة (١/ ١٨٣).

* ومن شعر ابن عبيدة المقرئ النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٢):

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى الموت مُسرع

إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأنَّ المنايا بعدها تتطلَّع[1]

معرفة القراء (٣/ ١٠٦١).

* وقال أحمد بن أبي سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٦):

لئن كان المشيبُ أتى نذيرًا ... فإني سوف أدعوه بشيرا

فأهلًا بالمشيب لنا لباسًا ... وقارًا نستزيد به وقورا

ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جزى الله طول العمر خيرًا فإنه ... هداني إلى التقوى ودل وأرشدا

ولما نحا عمري ثمانين حجة ... وأيقنت أني قد قربت من المدى

تركت تكاليف الحياة لأهلها ... وجانبتها طوعًا فجانبني الردى

رأيت حليم القوم فيهم مقدَّمًا ... ومن نال علمًا نال جاهًا وسؤددا

ويُحبَى من الزُّلفَى غدًا في معاده ... بأضعاف ما يُحبَى الذي قد تعبَّدا

ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٤).

* وقال بعضهم:

أيام عمرك تذهب ... وجميع سعيك يكتب

---

(١) إذا بدأك الشيب فاستعد فقد دنا الرحيل.

رأى بعض السلف شيبة في لحيته، فقال لقومه: قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فَهبوا لي شيبتي، وهذا الموت يقرب مني، ثم انشغل بالعبادة.

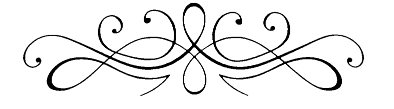
ثـــم الشهيـــد عليـك   منـــك فأيـــن المذهـــب

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٤٣).

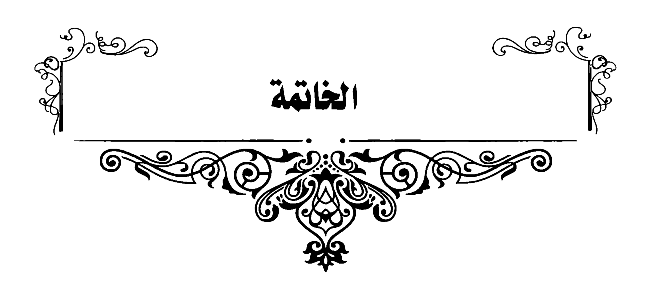
* وقال **الشاعر**:

ومَا شابَ رأسِي مِن سنينَ تَتابَعتْ   علَـيَّ ولكِـنْ شَـيَّبَتْني الوقائـعُ

المجالسة وجواهر العلم (١٧٥).



الخاتمة



اللهم لك الحمد أن هديتني للإسلام والسنّة، وعلمتني القرآن، وحببت إليّ العلم النافع وزيّنته لي، وشرحت صدري لنشره، وذلّلت لي الطرق والسبل لذلك.

ولك الحمد على نعمة العافية، ولولاها لما قدرت على تعلّم العلم ولا على العمل به ولا على نشره.

ولك الحمد أنْ رزقْتَني بإخوةٍ ناصحين يقوِّمونني إذا اعْوَجَجت، وينصحونني إذا أخطأت، ويفرحون لفرحي إذا أَصَبْت، ويُعينونني على نشر العلم الذي وهبتَه لي بكرمك وجودك وإحسانك.

ولك الحمد على نعمة الفراغ، فلولاها لما وجدت الوقت الذي أتعلّم وأعمل وأُعلّم وأكتب.

ولك الحمد أن صرفت عني شياطين الإنس والجن، فلولا لطفك بصرفهم عني لآذوني وأردوني، وشغلوني عما فيه صلاح ديني ودنياي.

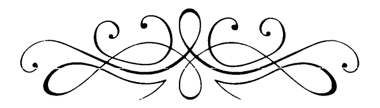
ولك الحمد أن أغنيتني ووسعت لي في رزقي الذي به حياة بدني، فلولاه لانشغلت بتحصيل لقمتي ولقمت أولادي عن العلم الذي به حياة روحي.

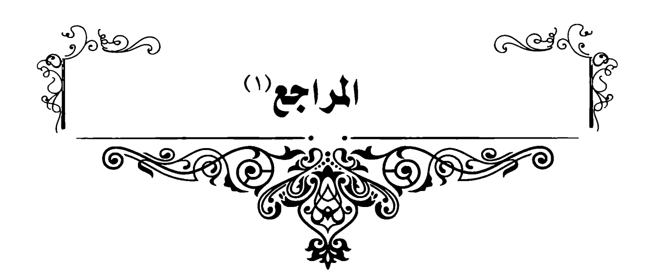
ولك الحمد على أن أعنتني على نفسي ولم تكلني إليها فهي الأمارة بالسوء، ولو وُكلت إليها لوُكلت إلى ضعف وفقر وعجز.

فلولاك ربي ما اهتدينا، ولا تصدّقنا ولا صلّينا.

الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، كما يُحب ربنا ويرضى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المراجع[١]

١ - القرآن الكريم.

السنة:

٢- صحيح البخاري، المطبوع ضمن شرح ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- صحيح مسلم، المطبوع ضمن شرح القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[٢].

٤- سنن أبي داود.

العقيدة:

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق فضيلة الشيخ: محمد ابن صالح العثيمين. تحقيق: محمود بن الجميل. طبع: دار الأنصار للنشر والتوزيع.

---

(١) كانت قراءتي لهذه الكتب على مدى سنوات، قيّدت كثيرا مما جاء فيها، وهي أصل مادة هذا الكتاب، وهناك مصادر أخرى لم أذكرها ضمن المراجع؛ لأنها ذُكرت عرضًا ولم تكن من صلب مادة الكتاب.

وهناك مصادر رجعت لها عند الحاجة والتأكد؛ ككتب اللغة، مثل القاموس المحيط للفيروزآبادي، ولسان العرب لابن منظور، وكتب الأحاديث؛ كمسند الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، وكتب الآثار، كمصنف بن أبي شيبة وعبدالرزاق، وغيرهما.

وإنما بيّنت هذا حتى لا يظنّ أحدٌ أنّ كل ما ذكرته في الكتاب قد قرأته، فالمتشبّع بما لم يُعْط كلابس ثوبَيْ زور، نعوذ بالله من ذلك.

(٢) قرأتهما قراءة متأنية استفدت منهما في جمع ما نُقل عن الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد ظفرت بمئات الآثار التي لم أجد بعضها في غيرهما.

٦- الشريعة للآجرى. تحقيق الشيخ: عبد الرزاق المهدي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٧- شرح السنة للبربهاري. تحقيق: خالد بن قاسم الرّدادي. طبع: دار السلف، دار الصميعي.

٨- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني. تحقيق: ناصر الجديع. طبع: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

الأدب والشعر:

٩- الكامل في اللغة والأدب للمبرد. تحقيق: د. يحي مراد. طبع: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.[1].

١٠- عيون الأخبار لابن قتيبة. تحقيق: د. محمد الإسكندراني. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١١- البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن حزم.

١٣- أدب الدين والدنيا، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الثانية، قام بخدمته: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج.

١٤- ديوان الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور أحمد شتيوي، الناشر: دار الغد الجديد.

---

(١) قرأت جزأ منه.

١٥- ديوان أبي الطيب المتنبّي (المتوفى: ٣٥٤هـ).

١٦- شرح ديوان المتنبي للواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

١٧- معجز أحمد لأبي العلاء المعري (المتوفى: ٤٤٩هـ).

١٨- الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المُقَفَّع (ت: ١٤٤)، الناشر: المكتبة العصرية، ودار صادر - بيروت.

السير والتراجم:

١٩- تهذيب سيَر أعلام النبلاء، للدكتور: محمد موسى الشريف. طبع: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ورمزت له بـ (تهذيب السِّيَر).

٢٠- تهذيب حِلْية الأولياء، للشيخ: صالح الشامي. طبع: دار القلم، الدار الشامية، ورمزت له بـ (تهذيب الحِلْية).

٢١- صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق الشيخ: الشيخ عبد الرحمن اللاذقي، والشيخ حياة شيحا اللاذقي. طبع: دار المعرفة.

٢٢- أخبار الشيوخ وأخلاقهم للمَرُّوْذِيّ (المتوفى: ٢٧٥)، حققه وقدم له وخرج نصوصه: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٢٣- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار(ت: ٧٤٩)، تحقيق: زهير الشاوش، طباعة: المكتب الإسلامي.

التواريخ:

٢٤- المنتظم لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ محمد عبد القادر عطا، والشيخ مصطفى عبد القادر عطا. طبع: دار الكتب العلمية.

٢٥- البداية والنهاية لابن كثير. تحقيق: مجموعة من المشايخ. تحت إشراف فضيلة الشيخ مصطفى العدوي. طبع: دار ابن رجب.

شروح الأحاديث:

٢٦- الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب للشيخ: محمد العمري. طبع: مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد.

٢٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب. تحقيق الشيخ: فؤاد بن علي حافظ. طبع: مؤسسة الريان.

٢٨- فتح الباري لابن حجر، الناشر: دار السلام.

٢٩- المفهم للقرطبي، حققه مجموعة من البحثين، طباعة: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

السلوك، والرّقائق:

٣٠- مدارج السالكين لابن القيم. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل. طبع: دار طيبة.

٣١- مفتاح دار السعادة لابن القيم. تحقيق: الشيخ: علي بن حسن الحلبي. طبع: دار ابن القيم، دار ابن عفان.

٣٢- ذم الهوى لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ: خالد عبد اللطيف السبع العلمي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٣٣- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا، طبع: المكتبة العصرية، بيروت، ورمزت له بـ (ابن أبي الدنيا).

٣٤- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ورمزت له بـ (المنتخب للخطيب).

كتب أخرى:

٣٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

٣٦- الاستقامة لشيخ الإسلام، تحقيق: محد رشاد سالم، طبع: دار الفضيلة.

٣٧- بدائع الفوائد لابن القيم. تحقيق: علي بن محمد العمراني. طبع: دار عالم الفوائد.

٣٨- أعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق: بشير عيون، طبع: دار البيان.

٣٩- طبع: دار الخزانة.

٤٠- تلبيس إبليس لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار المُغْني.

٤١- صيد الخاطر لابن الجوزي، تحقيق: يوسف علي، طبع: دار اليمامة.

٤٢- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار الكتاب العربي.

٤٣- الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي. تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، طباعة: دار الكتب العلمية.

٤٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، المحقق: د.محمد سعيد أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.

كتب الطبقات:

كتب طبقات الحنفية:

٤٥- طبقات الحنفية، لابن الحنائي (ت: ٩٧٩)، تحقيق: سفيان بن عايش بن محمد، وفراس بن خليل مشعل.

٤٦- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله

القرشي، (ت: ٧٧٥)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.

٤٧- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت: ١٠١٠)، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، من المكتبة الشاملة.

٤٨- تاج التراجم، لقاسم بن قُطلُوبغا الحنفي (ت: ٨٧٩)، تحقيق: إبراهيم صالح.

٤٩- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للفقيه المحدث محمد عبد الحي اللكنوي الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٤)، تحقيق: أحمد الزعبي.[١].

كتب طبقات المالكية:

٥٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت: ٥٤٤).[٢].

---

(١) مات دون سنّ الأربعين، وقد ألف أكثر من (١٠٠) كتاب، وقد اعتمد في ذكر القصص والحكايات وأقوال العلماء على من سبقه، فلم أجد فيه الجديد.

(٢) تبين خلال قراءتي لهذا الكتاب الجليل أن علماء المالكية تميز كثير منهم بالعبادة والزهد والورع، والصدع بالحق، وهناك خلق ممن لم يقل بخلق القرآن زمن المأمون والمعتصم والواثق، وقُتل منهم وسُجن وعذب الكثير، في مصر والمغرب خاصة، والشهرة صارت للإمام أحمد لإمامته وشهرته، وقربه من دار الخلافة، ومناظرته للمعتزلة والخليفة.

وذكر عشرات من أهل العلم ممن قتل وعذب وطرد على يدي الروافض أتباع بني عبيد، ومن ذلك:

أمر عبيد الله الشيعي بضرب محمد بن موسى التمار مائتي سوط فمات.

وخلع لسان عمروس، وضرب ظهر ابن معتب، وضرب ابن المدني في ظهره، وصفعه، وسجن ابن اللباد، وقتل وصلب ابن البرذون وابن هذيل، وأشياء كثيرة من جهة ترك: حيّ على خير العمل في الأذان، وترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والفتيا بمذهب مالك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وضَرب النَّفطيُّ قاضي الشيعة محمد بن العباس الذهلي في جميع القيروان عريانًا، وصفع قفاه، حتى سال الدم من رأسه، وبُرّح عليه في الأسواق، وأطافه عريانًا على حمار إذ رُفع عنه أنه كان يفتي بمذهب مالك، ويطعن على السلطان، ثم حبس.

كتب طبقات الشافعية:

٥١- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة. (ت: ٨٥١)، تحقيق: علي محمد عمر.

٥٢- طبقات الشافعيين، لابن كثير (ت: ٧٧٤)، تحقيق: أنور الباز، تحقيق: حسن شلبي ورفاقه.

كتب طبقات الحنابلة:

٥٣- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، (ت: ٥٢٦)، تحقيق: د.عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثالثة.

٥٤- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (ت: ٧٩٥)، تحقيق: د.عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثانية، ورمزت له بـ (ذيل الطبقات).

٥٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله النجدي (ت: ١٢٩٥)، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، وعبدالله بن عبد الرحمن العثيمين، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج. [(١)].

٥٦- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله بن بسام (ت: ١٤٢٣) الطبعة الثالثة.

---

(١) وهو كتاب جمع تاريخ علماء الحنابلة خلال خمسة قرون، وهو نفيس لولا ما أفسده بإعلان الحرب والعداء على الشيخ المجدد محمد بن الوهاب ودعوته وأولاده وأتباعه، فقد نقل عن ابن فيروز قوله عنه: طاغية العارض (٢/ ٦٧٠)، وأطلق هو هذه العبارة عليه كذلك (٣/ ٩٧٩)، وقال عن أبيه: هو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق (٢/ ٦٧٥)، وتجاهله لتراجمهم وهم حنابلة، بل من فضلائهم وأكابرهم علما ونفعا، حتى قال الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين: إسقاطه لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدعوة؛ سابقة تاريخية خطيرة، تدلّ على ما وصل إليه ابن حميد من عصبية بغيضة وعدم أمانة. (٣/ ٩٩٦).

كتب طبقات المحدِّثين:

٥٧- المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، تحقيق: د.محمد الحبيب الهيلة.

كتب طبقات المفسرين والقرَّاء:

٥٨- طبقات المفسرين للداوودي (ت: ٩٤٥)، تحقيق: لجنة من العلماء.

٥٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي (ت: ٧٤٨).[١] تحقيق: د. طيار آلتي قولاج.

كتب الآثار المسندة المتقدّمة، التي انتقيتُ ما صحّ منها:

٦٠- الزهد للإمام أحمد.[٢] تحقيق: الشيخ يحيى الأزهري. طبع: دار ابن رجب.

٦١- الزهد لأبي داود، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: المشكاة.

٦٢- الزهد للمعافى الموصلي (المتوفى: ١٨٥)، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري.

٦٣- الزهد لأسد بن موسى (المتوفى: ٢١٢)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية.

---

(١) هذا الكتاب يُنبئ عن إمامة الذهبي في القراءات، فقد ذكر أنه قرأ على كثير من القراء، وأخذ الإجازات منهم، ورحل إليهم، وكان هذا في سن الشباب، ثم تفرغ بعد ذلك لعلم الحديث والرجال والسير، وهذا يدل على بركة الله له، حيث أمضى سنوات طويلة في علم القراءات، وسافر الأيام بل الشهور في البحث عن الشيوخ، ومع ذلك أصبح إمام في عدة فنون، فالهمة العالية لا يُعيقها عن تحقيق طموحاتها - بعد توفيق الله - أي عائق، لا السن، ولا كثرة الفنون، ولا الفقر، ولا غير ذلك.

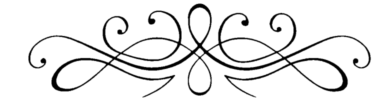
(٢) من ضمن المراجع قبل الطبعة الرابعة.

٦٤- الزهد لابن المبارك (المتوفى: ١٨١)، المحقق: أحمد فريد، الناشر: مكتبة ابن تيمية.

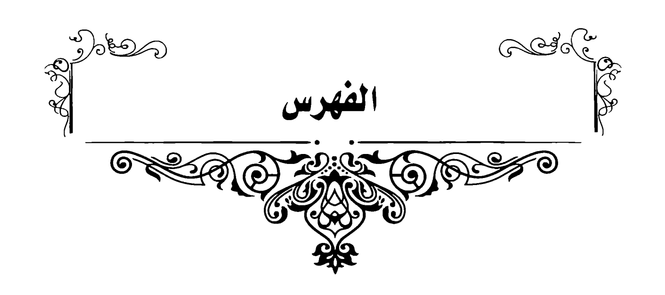
٦٥- الزهد لهناد بن السري (المتوفى: ٢٤٣)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الحضارة.

٦٦- الزهد لوكيع (المتوفى: ١٩٧)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الصميعي.

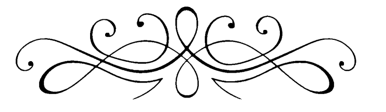
٦٧- مسند الدارمي (المتوفى: ٢٥٥)، المحقق: حسين سليم الداراني، الناشر: مكتبة دار المغني.[1].



(١) مِن بداية المجلد الأول إلى كتاب الطهارة.



الفهرس





طُبِعَ لِلْمُؤَلِّف

١- حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).

٢- مختصَر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.

٣- إرْشادُ السَّاجِدِ بأسْبابِ الخِلاَفِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.

٤- الإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاس والاسْتِحَاضَةِ.

٥- كَيْفَ تُرَبِّيْ أَولادك؟ (الطبعة الثانية).

٦- بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأَسْبَابُ والْعِلاَجُ.

٧- حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.

٨- آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنائِه ورُسُوخِه.

٩- الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.

١٠- عِلْمُ تَعْبيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.

١١- الْمَعِيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.



١٢- مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي الْتَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَى الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.

١٣- تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.

١٤- مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.

١٥- قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِديْن والْمُشَكِّكيْن والْمُوسْوِسِيْن، مَعَ بَيَانِ طُرُقِ إقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.

١٦- الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعةِ.

١٧- عِبَاراتٌ أَثَّرتْ عَلَيَّ وَغَيَّرتْ في حَيَاتِي.

١٨- عَبْقرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٩- بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.

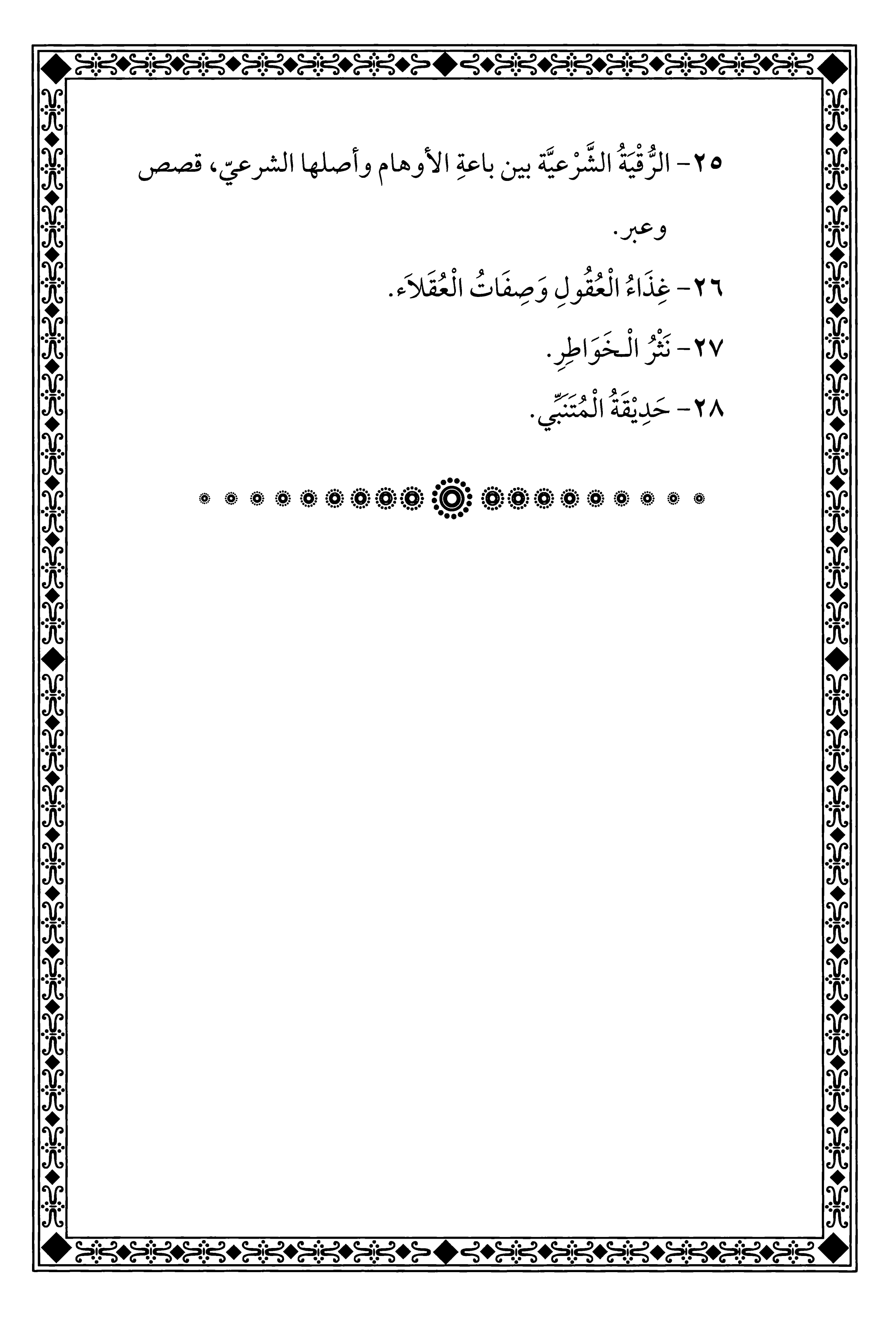
٢٠- صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).

٢١- صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.

٢٢- الْأُنْسُ بِالله تَعَالَى.

٢٣- تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٤- فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الْأَخْلاقِ.



٢٥- الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.

٢٦- غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلاَء.

٢٧- نَثْرُ الْـخَوَاطِرِ.

٢٨- حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.